
فتاوى العقيدة

ح مؤسسة وقف الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك، ١٤٤٤هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

البراك، عبد الرحمن بن ناصر

من فتاوى العقيدة وأركان الإسلام./ عبد الرحمن بن ناصر البراك - ط١ . . - الرياض، ١٤٤٤هـ

١١٩٢ ص؛ ١٧×٢٤ سم

ردمك: ٨-٥-٩١٦٢٨-٦٠٣-٩٧٨

١- الفتاوى الشرعية أ. العنوان

ديوي ٢٥٩ ٧٦٨٩/ ١٤٤٤

رقم الإيداع: ٧٦٨٩/ ١٤٤٤

ردمك: ٨-٥-٩١٦٢٨-٦٠٣-٩٧٨

الطَّبعَةُ الأُولَى

١٤٤٤هـ -٢٠٢٣م



المَملَكَةُ العَرَبِيَّةُ السُّعُودِيَّةُ

الرِّيَاض

الجَوَّال 00966505112242

البَرِيدُ الإلِكترُونِيُّ m@sh-albarrak.com

المَوقِعُ الرَّسمِيُّ sh-albarrak.com

إصدارات مؤسسة وقف الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك (١٩)

مختار فتاوى العقيدة

لفضيلة الشيخ العلامة

عبد الرحمن بن ناصر البراك

عُني بها

أ.د. عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر








بسم الله الرحمن الرحيم

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةُ المُعْتَنِي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد بن عبد الله سيد المرسلين وخاتم النبيين وإمام المفتين، وعلى آله وصحبه ومن سار على سنته واتبع هديه إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن العلماء هم سُرُج الأمة ومصابيحها، وهم هداتها المهديُّون، وأعلامها المؤتمنون على دين الله ووحيه، وهم ورثة الأنبياء؛ فإن الأنبياء لم يورِّثوا دينارًا ولا درهمًا، وإنما ورَّثوا العلم.

وإن من علماء الأمة في هذا الزمان الذين نفع الله بدروسهم وفتاواهم شيخنا العلامة أبا عبد الله عبد الرحمن بن ناصر البراك حفظه الله ورعاه؛ فقد جلس شيخنا للتدريس والفتيا سنين طويلة ومنذ أمد متقدم، وصار لدروسه وفتاواه نفع وقبول عند الخاصة والعامة، وكان من سؤالات المستفتين ما يرد إلى فضيلته مكتوبًا إما مناولة أو في الموقع الشبكي، فكان شيخنا يملي الجواب، ثم يرسل به إلى السائل، وربما نُشر في الموقع، فحفظ بذلك كثير من الفتاوى، ولله الحمد.

ولما كانت فتاوى شيخنا متميِّزة باتباع الدليل، ودقة التحرير، ووضوح العبارة، مع مراعاة أحوال السائلين، فقد عظُمت رغبة المشايخ والطلاب وغيرهم من المحبِّين للعلم وأهله وكثر طلبهم أن تجمع هذه الفتاوى كلُّها في مصنَّف واحد على اختلاف علومها وفنونها؛ لتكون قريبة المنال ممَّن رامها فيعم النفع بها، ولأن هذا أدعى إلى حفظها وصونها.

وقد أبديت لشيخنا الرأي بجمع فتاواه على النسق المذكور، فوافق على ذلك وشرفني بهذا العمل الكبير، ووكل إليَّ -رعاه الله- نشرها والعناية بها، وقد تيسر -بتوفيق الله ومعونته- جمع كثير من فتاوى شيخنا سواء أكان من الفتاوى الخاصة (الشخصية) أم كان من الفتاوى العامة المنشورة في موقع الشيخ أو غيره من مواقع الشبكة العالمية التي كان لشيخنا فيها إسهامات علمية وجوابات.

ثم إن شيخنا -متعه الله بالصحة والعافية- أذن لي بعد جمعها وترتيبها أن أقرأها عليه؛ لإمضائها واعتماد نشرها، فكان شيخنا في بعض الأحايين يضيف عبارة موضحة في السياق، أو يستبدل جملة بغيرها، أو يضيف دليلًا أو تعليلًا، وهو قليل، فإذا ما وُجد اختلاف بين المنشور في الشبكة وما هو مثبت ها هنا فالمعتمد ما هو مثبت في سِفر الفتاوى، وهذا وجهه.

هذا؛ ونظرًا إلى كثرة فتاوى شيخنا وتنوع علومها، ولأن هذه الفتاوى والإجابات ما زالت تصدر تباعًا من فضيلته -حفظه الله- حتى تحرير هذه الورقة، فقد كان من الرأي أن نبادر بنشرها منجَّمة، أي: بحسب

الفنون وأبواب العلم، إلى أن تُجمع كلُّها، وقد عرضتُ الأمر على شيخنا، فوافق على كل ذلك جزاه الله خيرًا، رغبة في المسارعة في نشر العلم وإفادة الناس.

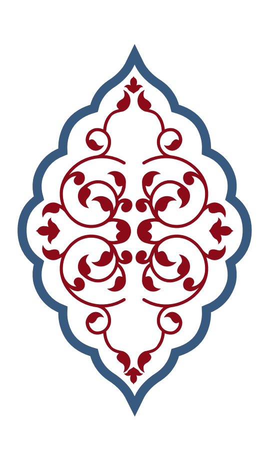
فها هي ذي -أيها القارئ الكريم- فاتحةُ هذا العمل في الفتاوى وطليعتُه بين يديك، وعنوانها: (من فتاوى العقيدة وأركان الإسلام)، وعدتها سبعمئة وخمسون فتوى، وهي أول ما ينشر من فتاوى شيخنا مطبوعًا، وكان الابتداء بهذه المجموعة لما لها من الأهمية الكبرى في حياة كل مسلم.

فالحمد لله على ما هدى ويسَّر وأعان، ونسأله تعالى أن يعم بنفع هذه الفتاوى، وأن يجزي شيخنا العلامة أكمل الجزاء وأوفاه، وأن يبارك في علمه وعمله، وأن يمد في عمره لنفع المسلمين، كما نسأله تعالى أن يجزي خيرًا كلَّ من أسهم في هذا العمل، من زملائي تلاميذ الشيخ الذين شاركوني في كتابة الجوابات استملاءً من شيخنا، وإخواني في مؤسسة وقف الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك، ومن شارك في طباعة هذه الفتاوى وتوزيعها، فشكر الله سعي الجميع، وأجزل ثوابهم؛ إنه تعالى سميع مجيب الدعاء.

وكتبه

أ.د. عَبْدُالمُحْسِن بْن عَبْدِالعَزِيز العَسْكَر

الرياض في ٢٤ جمادى الآخرة ١٤٤٣هـ



أولًا

توحيد الألوهية

ويتضمن:

١ـ مبادئُ وأصولٌ في علم العقيدة.

٢ـ الشرك.

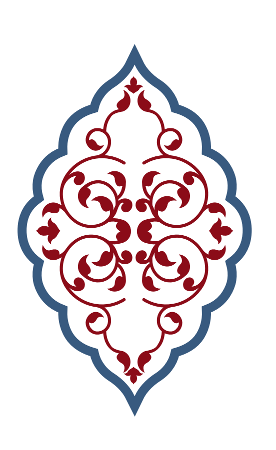
٣ـ بدع القبور.

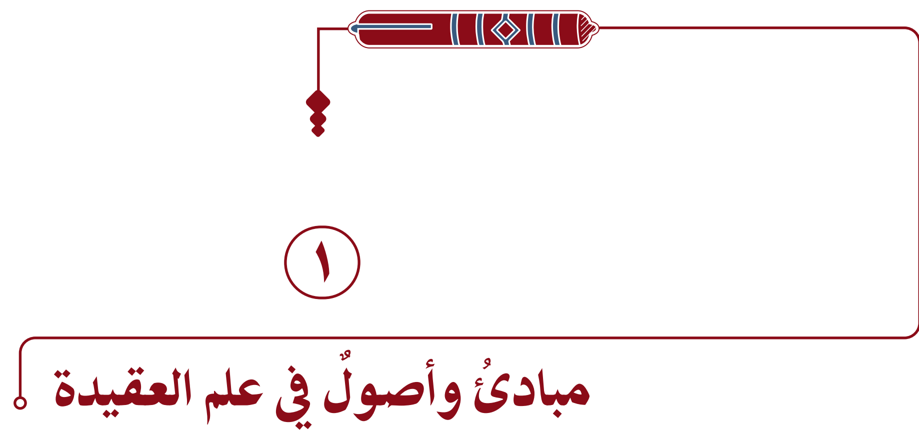
٤ـ السحر والكهانة والتنجيم والعين والرقية.

٥ـ التوسل والوسيلة.

٦ـ التبرك.

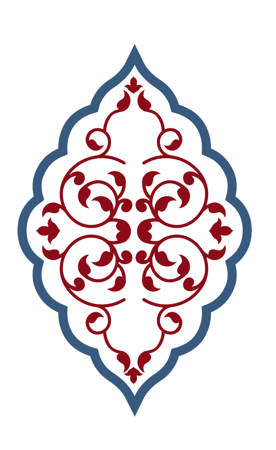




١

مبادئُ وأصولٌ في علم العقيدة



من أدلة وجود الخالق

السُّؤَالُ:

فضيلة الشيخ الوالد عبد الرحمن البراك بارك الله في عمره وعمله:
تعلمون -حفظكم الله- ما ظهر أخيرًا في أوساط الشباب من موجة الإلحاد بسبب استغلال أعداء الإسلام ما تيسر من وسائل الاتصال وسرعة انتقال المعلومات.

ونحن -إذ نكتب إليكم- نأمل منكم حفظكم الله أن تكتبوا لنا وَفْق تصوركم أدلة إثبات وجود الله تعالى، ثم تعرجون على وسائل ثبات الإيمان في النفوس؛ لعل الله جَلَّوَعَلَا أن يجعل في كتابتكم البركة والخير للذين نكبوا عن الصراط المستقيم، ولمن وقع في نفوسهم الشك والريب.

الجواب:

الحمد لله الذي منَّ علينا بمعرفته وتوحيده، وهدانا بآياته وتسديده، والصلاة والسلام على أشرف عبيده، محمد عبد الله ورسوله، وعلى آله وصحبه، ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فهذا سؤال عن أدلة أظهر الأشياء وأبين الحقائق وأجلاها عند ذوي الفطر السليمة، والعقول المستقيمة، وهو رب العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ فإن أدلة وجوده وقدرته ووحدانيته عَزَّوَجَلَّ بعدد مخلوقاته:

وفي كل شيء له آيةٌ تدل على أنه واحدُ

آياتٌ في خلق السماوات والأرض، وفي الليل والنهار، يقرأ ذلك أولو العقول المتفكرون: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١﴾ [آل عمران]، آياتٌ في الآفاق وآياتٌ في الأنفس: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ٢١﴾ [الذاريات]، وخَلْقُ الإنسان نفسِه آياتٌ وآياتٌ، لا آيةٌ واحدة، ولكن داء البشرية الغفلةُ والإعراضُ والاستكبارُ: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ٩٢﴾ [يونس]، ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ١٠٥﴾ [يوسف]، ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ٣٢﴾ [الأنبياء]، ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ٩٣﴾ [الأنعام].

فهذه الأدواء هي مصدر الإلحادِ وأنواعِ الكفر في البشرية، فتلكم الآيات في الكون وفي الآفاق والأنفس لا تغني شيئًا مع الغفلة أو الإعراض أو الاستكبار: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ١٠١﴾ [يونس].

يأبى الملحد أن يقنع بوجود طائرةٍ صُدفة، أو سيارةٍ صُدفة، أو ساعةٍ صُدفة (أيْ: وُجدت بنفسها بلا صانع لها)، وهذا حكم منه بعقله، ولكنه

مع هذا لا يأنف عن الخروج عن العقل حين يزعم أن هذا الوجود بأسره وجد صدفة، فلا مبدع ولا مدبر! فيقع في أعظم التناقض، ولا يصر على هذا التناقض إلا معاند مكابر، فلا جدوى للحديث معه.

وقد رَكَزَ الله في فطر العباد وعقولهم أن المحدَث يمتنع أن يُحدِثَ نفسَه؛ إذ كان معدومًا، ويمتنع أن يَحدُث من غير مُحدِث؛ إذ الحدوث أثر الإحداث، والإحداث فِعْلٌ لا يكون إلا من فاعل، كما نبه تعالى على هذا بقوله: ﴿أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ٣٥ أَمۡ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ٣٦﴾ [الطور].

فالمخلوق يدل على وجود خالقه، كما تقدم -هذا **أولًا**- **وثانيًا**: فإنه يدل على أنه ذو قدرة، وهو معنى قول بعض المتكلمين: «الفعل الحادث يدل على القدرة»، أي: الشيءُ المفعول يدل على قدرة الفاعل، وهذا الاستدلال يجري في جميع المحدَثات.

ثالثًا: من المعلوم بالضرورة أن هذا الوجود مشتمل على غاية الإحكام بمجموعه وبجزئياته، وإحكامُ الصنعة يدل بالضرورة على علم الصانع، وهذا معنى قول بعض المتكلمين في صفات الله تعالى: «الإحكام يدل على العلم».

رابعًا: ومن المعلوم بالضرورة بالحس والمشاهدة أن هذا العالم مشتمل على التخصيصات في تركيب مجموعه، وفي تركيب كل فرد من أنواعه وفي صفاته، وذلك بوضع كل جزء وكل صفة في موضعها المناسب لها حسب الحكمة المقتضية لذلك، وهذا يشمل الأشكال

والألوان والطبائع، في كل نوع وفي كل فرد، واعتبر ذلك في خلق الإنسان، ولا يمكن استقصاء ما في خلق الإنسان من التخصيصات؛ فمن ذلك تخصيص كل عضو وكل جزء في موضعه المناسب؛ كيديه ورجليه وعينيه وأذنيه وشفتيه وأنفه ولسانه وقلبه ورأسه وبطنه وفرجه، ومن ذلك تخصيص كلٍّ من نوعي الإنسان الذكر والأنثى بما يناسب طبيعة كل منهما، ويحقق العلاقة بينهما والغاية من تلك العلاقة، واعتبر مبدأ التخصيص في بعض أعضاء الإنسان كيده؛ فإنها تتكون من عضد وذراع وكف وأصابع، ولتلك الأجزاء تخصيصاتٌ في شكلها يهيئ اليد لأداء وظائفها، وخذ مثلًا: الكف؛ فإن شكلها وتركيب الأصابع فيها بأجزائها المختلفة الأشكال والأطوال، وهي الأنامل؛ ففي كل إصبع ثلاث أنامل إلا الإبهام، ووضعت الأظفار في أطراف الأصابع مختلفة في طبيعتها عن اللحم المغطي للعظام لوظائف لا تتم إلا بها، بما هي عليه، وتظهر حاجتها ومنافعها لمن فقدها، واعتبر جانب التخصيص أيضًا بوضع الأسنان في مواضعها في الفم، واختلاف أشكالها لاختلاف وظائفها، وموضع الشفتين منها، وما في ذلك من جمال الخِلقة.

كل ذلك يدل على أن الفاعل يفعل بإرادة لا بعشوائية، بل بإرادة وحكمة، وهي وضع الأمور في مواضعها، وعبر عن ذلك بعض المتكلمين، فقالوا: «والتخصيص يدل على الإرادة»، فالإرادة مع الحكمة تؤدي إلى وضع كل ما يلزم للصنعة في موضعه، وخذ مثالًا على ذلك من صناعة الإنسان؛ كالسيارة والعمارة، تجد أن كل جزء في الآلة أو البناء له موضع يختص به لا يليق بغيره مما يُعلم به أن الصانع أو

المهندس له خبرة وإرادة، ويتصرف بحكمة، ولله المثل الأعلى، والله أعلم.

وبهذه المناسبة أَذْكر أن الأشاعرة لما كانوا يُعوِّلون فيما يثبتونه من صفات الله على العقل، قالوا: إن الصفات السبع دل عليها العقل، فأثبتوها بهذه الطريقة، فقالوا: الفعل الحادث يدل على القدرة، والإحكام يدل على العلم، والتخصيص يدل على الإرادة، وقد سبق تطبيق ذلك في مخلوقات الله إجمالًا مع بعض التفصيل، وفي بعض مصنوعات الإنسان، قالوا: وهذا الصفات الثلاث: القدرة، والعلم، والإرادة، تستلزم الحياة؛ إذ لا تعقل إلا في حيٍّ، والحيُّ لا يخلو عن السمع والبصر والكلام أو ضد ذلك، وبالضرورة أن الله منزه عن ضد ذلك، فوجب أن يكون سميعًا بصيرًا متكلما، والأشاعرة مصيبون في هذا الاستدلال، ولكنهم مخطئون في أمرين:

أحدهما: حصر الطريق في إثبات صفات الله على دلالة العقل، فأعرضوا عن دلالة السمع.

الثاني: حصر دلالة العقل في هذه الصفات السبع، مع إمكان إثبات صفات أخرى بدليل عقلي هو من جنس ما أثبتوا به الصفات السبع.

وزيادة في إيضاح دلالات الخلق على الخالق سبحانه وعلى صفاته نضرب مثلًا بوردة من شجر الطيب المعروف بالورد؛ فإنها في غاية من الجمال بشكلها البديع ولونها الأحمر وعطرها الفواح، وطبقاتها الرقيقة المختلفة الألوان والأطوال، فإنها من آيات الله العظيمة، تستنطق العاقل

بالتسبيح لمبدعها؛ لأنها مشتملة على كل دلالات العقل؛ على صانعها، وعلى كمال قدرته وعلمه وحكمته، وتمام مشيئته، وعلى وحدانيته، ومن شعر الحكمة في هذا قول الشاعر:

تأمل في نبات الأرض وانظرْ
إلى آثار ما صنع المليكُ
عيون من لجين شاخصاتٌ
بأحداق هي الذهب السبيكُ
على قُضُب الزبرجِ شاهداتٌ
بأن اللهَ ليس له شريكُ

وقال آخر:

تأمل سطور الكائنات فإنها
من الملك الأعلى إليك رسائلُ
وقد خُطَّ فيها لو تأملتَ خطَّها
ألا كلُّ شيء ما خلا اللهَ باطلُ

وإذا قال الملحد: إن الذي فعل ذلك هو الطبيعة، قلنا: هذه الطبيعة التي تزعم، أهي شيء قائم بنفسه خارجٌ عن هذه الوردة، أم هي نفسها؟ فإن قلت بالثاني، فقد زعمت أن الشيء المعدوم يصنع نفسه، وهذا باطل بالضرورة، وإن قلت بالأول -وقد قررنا أن هذا الفاعل لا بد أن يكون ذا قدرة وإرادة وعلم وحكمة- كما تقول في صانع السيارة وباني العمارة، فقد قطعت حينئذ أكثر من نصف الطريق إلى ما ندعوك إليه، فنحن نسمي صانع هذه الأشياء: الله والرب والخالق، وأنت تسميه

الطبيعة، ويجب ضرورة أن يكون الصانع لكل شيء خالقًا غيرَ مخلوق، بل هو واجب الوجود تنتهي إليه جميع المخلوقات، وإلا لزم التسلسل الممتنع بضرورة العقل، الذي يُعبَّر عنه بتسلسل العلل والمعلولات، أو الفاعلين والمفعولين، أو الخالقين والمخلوقين.

وبعد؛ فيجب أن يُعلم أن كلَّ ملحدٍ جاحدٍ للخالق، فهو إما معاند أو فاسد العقل، أو مقلد سَلَّم قياده لمن يقوده ويورده مورد الهلاك، فهو إن فكر فكر بعقل غيره ممن يحسن به الظن، فهؤلاء الملاحدة بين مستكبر طاغوت، وطغام كالبهائم السائمة، وهم من خلقوا لجهنم، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ١٧٩﴾ [الأعراف]، وهذه قسمة جارية في جميع أمم الكفر، فهم بين إمام متبوع ومقلد مخدوع، يقودونهم إلى النار يوم القيامة، كما قال تعالى في فرعون وملئه: ﴿يَقۡدُمُ قَوۡمَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَأَوۡرَدَهُمُ ٱلنَّارَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡوِرۡدُ ٱلۡمَوۡرُودُ ٩٨﴾ [هود].

وفي القرآن آيات كثيرة تصف أحوال التابعين والمتبوعين من الكافرين، وما يجري بينهم يوم القيامة من تلاعن وتلاوم وحجاج، بل يكون هذا وهم في جهنم، كما في سورة: البقرة، والأعراف، وإبراهيم، والأحزاب، وسبأ، والمؤمن (غافر)، ﴿إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ ١٦٦﴾ [البقرة].

وبعد؛ فمَنْ مَنَّ اللهُ عليه بالإيمان، وحببه إليه، وزينه في قلبه، وكره إليه الكفر والفسوق والعصيان، فليشكر الله على فضله ونعمته، وليتعاهد إيمانه بأسباب الثبات، وليسق شجرة الإيمان في قلبه بماء الحياة، والأمر كله لله؛ ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ٢٧﴾ [إبراهيم].

وإليك أيها الموفق بعض أسباب الثبات على الإيمان:

١. التفكر في آيات الله الكونية، وهي المخلوقات، وهي آياته سبحانه في الآفاق وفي الأنفس، ولقد أثنى الله على المتفكرين في آياته، وندب إلى النظر، وهو التفكر، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٨٥]، وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: من الآيات، والمقصود هو التفكر في دلالاتها، لا في مجرد طبيعتها وتراكيبها ومنافعها وتأثيراتها وتأثرها، فالوقوف بالفكر عند هذه الجوانب لا يهدي إلى الحق شيئًا، كما هي حال الكفار الذين أبدعوا في العلوم التجريبية، فبلغوا مبلغًا خياليًّا مذهلا، فلم يهتدوا بهذا الفكر سبيلًا، ولم يرتقوا عن حال بهيمة الأنعام التي لا تدرك مبدأ وجودها، ولا الغاية من وجودها، بل هم أضل منها، وقفت أفكارهم عند ظواهر الحياة الدنيا ومتاعها، ففرحوا بها، ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْأٓخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ٧﴾ [الروم] وما متاع الدنيا إلا قليل، يؤول إلى زوال واضمحلال؛ ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْأٓخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ٧٧﴾ [النساء]، وقال تعالى: ﴿وَفَرِحُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِي ٱلْأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ٢٦﴾ [الرعد].

فتفكر المؤمن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار وفي الشمس والقمر يرسخ إيمانه، ويزيد في إيمانه، فينطق بالتسبيح والتقديس لخالق هذا الوجود كلما تفكر، كما قال تعالى عن المتفكرين في خلق السماوات والأرض: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران].

ولطلب المزيد في شواهد الآيات الكونية يرجع إلى كتابي: «مفتاح دار السعادة» و«التبيان في أقسام القرآن» للإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ومن المؤسف أن كثيرًا من المسلمين إذا نظروا إلى ما في الكون من جمال الخلق وعجيب الصنع كان همهم الفرجة وإمتاع النفس بما يسمونه المناظر الطبيعية، فلا يذكرون الله إلا قليلًا.

٢. ومن أسباب الثبات على الإيمان: التدبر لآيات القرآن، وما تشتمل عليه من حكم وأحكام، وعلوم يَعرف بها الإنسان ربه، وطريقه في الحياة، ومصيره ومبدأه، وسر وجوده، ويعرف بها سنن الله في خلقه، وصدق رسوله ﷺ، فالتدبر لآيات القرآن هو من الغايات في إنزاله، قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص]، فدل القرآن على أن التفكر في الآيات الكونية والتدبر للآيات القرآنية والتذكر بها شأنُ أولي الألباب، أي العقول الزكية.

وقد ذم الله تعالى المعرضين عن تدبر القرآن، قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ﴾ [المؤمنون: ٦٨]، وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد].

فالتدبر للقرآن يزيد الإيمان، كما قال تعالى في نعت المؤمنين: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾ [الأنفال].

٣. ومن أسباب الثبات: التوجه إلى الله بسؤال الثبات على الدين والعصمة من الزيغ، كما كان من دعاء النبي ﷺ: «**يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك**»[(١)]، ومن دعائه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك**»[(٢)]، وأخبر سبحانه أن الراسخين في العلم يقولون: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ۝٨﴾ [آل عمران].

فالدعاء من أعظم الأسباب لجلب المنافع ودفع المضار؛ لأن الأمر كله لله، وبيده الملك، وبيده الخير سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهو المعطي المانع، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، وأهمية الدعاء بحسب أهمية المطلوب، وسؤال الله الهداية إلى الصراط المستقيم والثبات على الإيمان أهم المطالب، ولذا تضمنت سورة الفاتحة هذا الدعاء: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ إلى آخر السورة، وقراءتها فرض في كل ركعة من الصلاة فرضها ونفلها، فعلم بذلك شأن هذا الدعاء.

٤. ومن أسباب الثبات: مصاحبة الصالحين الصادقين في إيمانهم، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝١١٩﴾ [التوبة]، وفي الحديث الصحيح: «**إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير؛ فحامل المسك إما أن يحذيك، وإما**

---

(١) أخرجه الترمذي (٢١٤٠)؛ من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال: «هذا حديث حسن».

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٥٤)؛ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحًا طيبة...»[١]، وقال ﷺ: «**لا تصحب إلا مؤمنًا، ولا يأكل طعامك إلا تقي**»[٢]، ومن شعر الحكم:

ما عاتبَ المرءَ الكريمَ كنفسه
والمرءُ يُصلحه الجليسُ الصالحُ

٥. ومن أسباب الثبات على الإيمان: ملازمة الطاعات بالمحافظة على الفرائض، والإكثار من نوافل العبادات، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾﴾ [النساء]، وتمام ذلك باجتناب كبائر الإثم والفواحش، وبالتوبة إلى الله من جميع الذنوب والسيئات، ولا يتم ذلك إلا بأن يغلق الإنسان عن نفسه أبواب الشر التي تنفث من سموم الشبهات والشهوات ما يزلزل أو يزيل الإيمان من القلوب.

وقد عظمت المحنة في هذا العصر واشتدت الفتنة بوسائل الإعلام من القنوات والإذاعات والصحف والمجلات، فمن عزَّت عليه نفسه، وأراد لها النجاة؛ فليغلق هذه الأبواب عن نفسه، ولا يكن فريسة لشياطين الإنس والجن القائمين على وسائل الفساد والإفساد.

ولقد قال أهل السنة عن الإيمان: «إنه يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان».

---

(١) أخرجه البخاري (٢١٠١)، ومسلم (٢٦٢٨)؛ من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٨٣٤)، والترمذي (٢٣٩٥)؛ من حديث أبي سعيد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن»، وصححه ابن حبان (٥٥٤)، وصحح إسناده الحاكم (٧١٦٩)

ومن أعظم العبادات الجالبة للثبات وزيادة الإيمان الإكثار من ذكر الله، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ۝٢٨﴾ [الرعد]، وأعظم الذكر وأفضله وأجمعه تلاوة القرآن بتدبر وإخلاص، فقد تضمن القرآن التعريف بجميع أسباب الثبات على الإيمان وزيادته، والإرشاد إليها، فالخير كله في تدبر القرآن والعمل به، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا ۝٩﴾ [الإسراء]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٥٧ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ۝٥٨﴾ [يونس].

وأعظم الفرائض أثرًا في الثبات وزيادة الإيمان الصلوات الخمس، قال تعالى: ﴿ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ۝٤٥﴾ [العنكبوت]، ولذا سمى الله الصلاة إيمانًا في قوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ۝١٤٣﴾ [البقرة].

نسأل الله أن يحبب إلينا الإيمان ويزينه في قلوبنا، وأن يكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، ويجعلنا من الراشدين، والله أعلم.

مجادلة الملاحدة

السؤال:

يتصدى بعض طلبة العلم لبعض دعاة الإلحاد في مجادلات عامة في بعض وسائل التواصل الاجتماعي الصوتية، وغالبًا يحتجون عليهم بأدلة أهل الكلام، وخاصة دليل الحدوث، وبعضهم يلتزمون لوازمه من نفي الصفات، وبعضهم لا يعلم عنها شيئًا.

فهل يسوغ التحذير من دليل الحدوث وبيان مشكلاته في هذه الوسائل التي يطلع عليها الملاحدة، مع أنهم قد يتقوون بهذا النقد على من يتصدى للرد عليهم؟

الجواب:

الحمد لله؛ إن مجادلة أهل الباطل لإحقاق الحق وإبطال الباطل ودحض شبهاتهم بالحجج الشرعية والعقلية، هو ممَّا أمر الله به؛ فقال تعالى: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقال سبحانه: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، وقد درج على ذلك الأنبياء، قال الله عن قوم نوح إنهم قالوا له: ﴿قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا﴾ [هود: ٣٢]، وكذلك ما قصَّه الله علينا من جدال موسى لفرعون في سورة الشعراء وغيرها.

ولكن يجب في محاجَّة أهل الباطل ألَّا يكون ذلك في مسمَع من عوام المسلمين، خشية أن يقع في قلوبهم شيء من شبهات المبطلين من

الكفَرة والملحدين والمبتدعين، كما يجب اجتناب ما قد يكون فيه متمسَّكٌ للمبطل، فيحتج به على مناظِره من المسلمين، فيضعف جانبه؛ كالاحتجاج على أهل الباطل بالمتشابه، أو بالأدلة العقلية الضعيفة المتناقضة، ومن ذلك ما ذُكر في السؤال من دليل المتكلمين على الحدوث؛ فإن كثيرًا من مقدماتهم لم تسلم من اعتراض، وعليه فلا يجوز الاحتجاج به على الملحد؛ لأنه لا يُحق الحق ولا يُبطِل باطله، وإذا احتُج به فلا تُذكر المطاعن الواردة عليه، لكن هذا يُفعل في مناظرة أهل الكلام الذين هم أصحاب هذا الدليل، ومعلوم أن جدال المبطلين نوعٌ من الجهاد، فهو جهاد بالحجَّة والبيان، فكما يَحترز المجاهد بالسلاح من أن يكون للعدو مداخل عليه، كذلك المجاهد بالحجة والبيان عليه أن يحذر من أن يفتح لعدوه طريقًا عليه.

ومن أبلغ ما يكون في مناظرة أهل الباطل قلب حججهم عليهم، فهو بمنزلة من يقاتل العدو بسلاحه، وقد ذكر الله الجهادين في كتابه؛ فذكر الله القتال بالسلاح في قوله: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ﴾ [البقرة: ١٩٠]، وقال في جهاد الحجَّة والبيان: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا ٥٢﴾ [الفرقان] أي: بالقرآن، والله أعلم.

معنى: لا إله إلا الله

السؤال:

لديَّ سؤال بخصوص معنى لا إله إلا الله، فنحن نعرف أن الله واحد، أي لا يوجد إله آخر يشاركه في ربوبيته ولا في ألوهيته، أي إن

الله منفرد بخلقه، ولكن السؤال هو: كيف نعرف أنه لا يوجد إله آخر يشبهه في صفاته وأفعاله، ومستقل بخلقه؟ أي: قد يخلق أشياء أخرى ليس بالضرورة تشبه خلق الله، أي: هل هناك أحد يشبه الله في صفاته وأفعاله منذ الأزل وإلى الأبد وليس بالضرورة يشارك الله في مخلوقاته، أي: يخلق أشياء أخرى؟

الجواب:

الحمد لله؛ لقد دلت العقول والفطر وأخبرت الرسل بأن هذا العالم مخلوقٌ مدبَّر، وأن خالقه ذو علم واسع شامل، وقدرةٍ تامة، ومشيئة نافذة، وحكمة بالغة، وأن العقول عاجزة عن تصور كنه صفاته، كما دلت على أن خالق هذا العالم ومدبره هو المستحق للعبادة حبًا وخوفًا ورجاء وتعظيما وطاعة، وكلمة التوحيد «لا إله إلا الله» تدل على كل معاني التوحيد وأنه تعالى واحد في ربوبيته وإلهيته وأسمائه وصفاته، فلا شريك له ولا شبيه.

وقد بين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنه لو كان إلهان وخالقان لفسد العالم، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأنبياء]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المؤمنون].

فلو كان لهذا العالم خالقان لاضطرب نظامه. وانتظامُ أمر هذا العالم علويه وسفليه دال على وحدانية خالقه ومدبره.



وقول السائل: من أين لنا أنه لا شبيه لله في صفاته؟

نقول: إذا أقررت أن الله تعالى هو المبدع المدبِّر لهذا العالم، وأنه الإله الحق دون ما سواه فإنه يجب أن يكون لا مثيل له؛ إذ لو كان له مثيل في صفاته لكان إلهًا ثانيًا وربًّا ثانيًا، فاعتقاد أن لله شبيهًا في صفاته أو اعتقاد أنه يجوز ذلك هو في الحقيقة نقض لما ادعيت من الإقرار به من توحيد الربوبية والإلهية، فأنواع التوحيد الثلاثة (الربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات) متلازمة؛ مَن جحد شيئًا منها نقض ما يدعي الإقرار به من التوحيد.

فعليك الإيمان بالله إيمانًا تاما، وذلك بالإيمان بأنه رب كل شيء ومليكه، وأنه لا إله غيره، وأنه المستحق بجميع صفات الكمال المنزهة عن جميع النقائص والعيوب، وهذا سبيل المرسلين وعباد الله المخلصين، ومن أثبت لله شبيهًا، أو قال: يجوز أن يكون لله شبيه، فقد سلك سبيل المشركين، فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قد نزه نفسه عما يصفه به الجاهلون والمشركون، قال سبحانه: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصافات]، والله أعلم.

من شرط صحة الشهادة معرفة معناها

السُّؤَالُ:

أنا مرافق لأبي في المستشفى وبجوارنا مريض هندي أفاق من غيبوبة بعد حادث وتبين أنه كافر، كما علمت من زملائه، وجعلت

ألقنه الشهادة وهو يصدر أصواتًا مقاربة للشهادة، وأنا لي معه أيام على هذه الحالة، وهو يتبسم كلما قلت له: أشهد أن لا إله إلا الله، ويرد علي بمثل ما أقول، فهل يعتبر الآن مسلما بحيث أسلم عليه كلما دخلت عليه الغرفة، وأعامله معاملة المسلمين في جميع الأحكام؟

الجواب:

الحمد لله؛ إن النطق بالشهادة لا يعتبر إلا إذا صدر ممن يعرف معناها ويعقل ما يقول، فإذا كان أعجميًّا ودعي للإسلام فلا بد من شرح ما يثبت له به حكم الإسلام إذا أقر به، وإذا كان عربيًا فقد لا يحتاج إلى شرح الشهادتين، فمتى نطق بهما على وجه الإقرار بهما صار مسلمًا، وإذا احتاج إلى شرحهما شُرحا له حتى يقدم على بصيرة، فهذا الرجل الذي تذكره لا يصير مسلمًا لمجرد أنه تصدر منه أصوات تظن أنت أنه يردد معك الشهادة، لأنه إن كان أعجميًا فهو لا يفهم ما تقول، لكن قد يردد موافقة لفظية فقط، وكذلك لو كان عربيًا، فهو بالصورة التي ذكرت لا يُعلم أنه يردد ما تقول بفهم وإرادة.

وإذن فهذا الرجل مشكوك في حاله، والأصل أنه كافر، فلا يثبت له حكم الإسلام إلا بيقين، وعليه فلا تسلم عليه، ولو مات فلا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين؛ لأن الأصل أنه كافر، نسأل الله الثبات على الإسلام، إنه سميع الدعاء، والله أعلم.

السؤال:

أحسن الله إليكم؛ هل يصح إضافة لفظ الألوهية لعموم الخلق وعموم المكلفين؛ كقول البعض: «إله العالمين»، ومخاطبة الملحد والكافر بقوله: «إلهكم»، وذلك بعد أن عرفنا أن الإله بمعنى المعبود، فهو متعلق بفعل العبد لا بفعل الرب سبحانه، وإذا كان لا يصح فهل يحمل قوله سبحانه: ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ [البقرة: ١٦٣]، على أنه خطاب للمشركين الذين يعبدون الله لكنهم يشركون معه غيره، وليس خطابًا لكل كافر بمن فيهم من ينكر وجود الله، سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ عما يقول الظالمون. وهذا بخلاف الربوبية المتعلقة بفعله سبحانه؛ من خلق ورزق؛ فصح إضافتها لعموم المخلوقات. شكر الله لكم وأطال عمركم على طاعته.

الجواب:

الحمد لله؛ إن الله هو الإله الحق الذي لا يستحق العبادة سواه، وكلُّ إله سواه باطل، أي: كلُّ معبود غير الله فليس بإله على الحقيقة، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ۝٦٢﴾ [الحج]، وهو إله أهل السماوات والأرض، أي: معبودهم، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٨٤﴾ [الزخرف]، فأما المؤمن فالله معبوده فعلًا واستحقاقًا، وأما الكافر فالله إلهه استحقاقًا، يستحق عليه أن يعبده، وعبادة الله حقٌّ عليه، ولكنه عطَّل، أي: ترك عبادة الله جحدًا أو استكبارًا أو أشرك به، فكان من الكافرين.

وخلاصة القول أن إلهيته تعالى للعباد من حيث الاستحقاق ووجوب عبادته عامةٌ، فهو إله المؤمنين الموحدين، وهم يعبدونه، وهو إله الكافرين، ولكنهم لا يعبدونه، فالمؤمنون قاموا بحقه، والكافرون عطَّلوا حقه في العبادة، فإذا قيل: إنه إله للكفار، فهو بمعنى الذي تجب عليهم عبادته.

فقوله: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣] خطاب لجميع الناس، أي: معبودكم الذي يستحق العبادة وتجب عليكم عبادته إله واحد، وهو خالقكم وخالق كلِّ شيء، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة: ٢١]، إلى قوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة]، والله أعلم.

حقيقة الإسلام والتوحيد ومعنى لا إله إلا الله

السؤال:

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، شيخنا الكريم: قرأت كلمة لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب هذا نصها[1]: «لقد طلبت العلم، واعتقد من عرفني أن لي معرفة، وأنا ذلك الوقت لا أعرف معنى لا إله إلا الله، ولا أعرف دين الإسلام قبل هذا الخير الذي منَّ الله به، وكذلك مشايخي؛ ما منهم رجل عرف ذلك، فمن زعم من علماء العارض أنه عرف معنى لا إله إلا الله، أو عرَف معنى الإسلام

(١) «الدرر السنية في الأجوبة النجدية»، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الطبعة: ٦ (١٠/ ٥١).

قبل هذا الوقت، أو زعم عن مشايخه أن أحدًا عرف ذلك، فقد كذب وافترى، ولبَّس على الناس، ومدح نفسه بما ليس فيه».

فما توجيهها رعاكم الله؟ حيث إني أظن هذه الكلمة ليست على هذا الإطلاق، ولكني لم أهتد لعالم من علمائنا تكلم عن هذه الكلمة بعينها، وفقكم الله.

الجواب:

الحمد لله؛ الظاهر لي أنه ليس فيما نقل عن الشيخ محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ إشكال؛ فإنه يخبر عن نفسه في بدايات طلبه للعلم قبل أن يفتح الله عليه بما فتح به من معرفة معنى لا إله إلا الله، ومعرفة حقيقة الإسلام والتوحيد وما يضاده من الشرك، وهو في ذلك الجهلِ الذي كان عليه وعدمِ المعرفة بمعنى لا إله إلا الله، هو في ذلك على سبيل مشايخه الذين أخبر عنهم بذلك، كما أخبر عن نفسه، وقد تضمَّن كلامه المذكور الإخبار عن مشايخ وعلماء أهل العارض الرياض وما جاورها من منفوحة والدرعية وما حولهما.

ولهذا لما فتح الله على الشيخ محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ بفهم التوحيد وما يضاده من الشرك الواقع في بلده وما حولها من بلاد العارض، عارضه العامة الجهال وكثير من المنتسبين للعلم، جهلًا أو عنادًا، والشيخ خبير بأهل هذه البلدان، فهو يعرف حالهم قبل قيامه بالدعوة وبعدها، وقد جرت بينهم وبينه محاورات بمراسلات ومشافهات، والشيخ بهذا الكلام يصف حاله وحال أهل العارض، شاكرًا لنعمة الله عليه، ومنوِّهًا بذلك الخير، الذي منَّ الله به عليه، وانتفع به من شاء الله من العامة والخاصة.

ويشهد لما قاله الشيخ عن أهل العارض من الجهل بحقيقة الإسلام ما عليه أكثر المسلمين في سائر البلدان الإسلامية في ذلك الوقت وما بعده، من مختلف الطوائف من صوفية ورافضة، ومن طوائف المتكلمين من جهمية ومعتزلة وأشاعرة.

وقد ورد في كشف الشبهات للشيخ محمد ما يشبه الكلام المنقول عنه في السؤال، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «اعلم رحمك الله أن التوحيد هو إفراد الله سبحانه بالعبادة، وهو دين الرسل الذي أرسلهم الله به إلى عباده»، إلى أن قال: «وهذا التوحيد هو معنى قولك: لا إله إلا الله»، ثم قال: «والمراد من هذه الكلمة معناها لا مجرد لفظها، والكفار الجهال يعلمون أن مراد النبي ﷺ بهذه الكلمة هو إفراد الله تعالى بالتعلق، والكفر بما يعبد من دونه والبراءة منه، فإنه لما قال ﷺ: قولوا: لا إله إلا الله قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ [ص].

فإذا عرفت أن جهال الكفار يعرفون ذلك، فالعجب ممن يدعي الإسلام وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهال الكفرة، بل يظن أن ذلك هو التلفظ بحروفها من غير اعتقاد القلب لشيء من المعاني، والحاذق منهم يظن أن معناه لا يخلق ولا يرزق إلا الله، ولا يدبر الأمر إلا الله، فلا خير في رجل جهال الكفار أعلم منه بمعنى لا إله إلا الله» انتهى.

---

(١) «كشف الشبهات»، طبعة وزارة الشؤون الإسلامية بالمملكة العربية السعودية، (ص: ٣ - ٩).

ويشهد لكلام الشيخ محمد ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة التدمرية، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1] بعد كلام: «وبهذا وغيره يعرف ما وقع من الغلط في مسمَّى التوحيد؛ فإن عامة المتكلمين الذين يقررون التوحيد في كتب الكلام والنظر، غايتهم أن يجعلوا التوحيد ثلاثة أنواع، فيقولون: هو واحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في صفاته لا شبيه له، وواحد في أفعاله لا شريك له، وأشهر الأنواع الثلاثة عندهم هو الثالث، وهو توحيد الأفعال، وهو أن خالق العالم واحدٌ، وهم يحتجون على ذلك بما يذكرونه من دلالة التمانع وغيرها، ويظنون أن هذا هو التوحيد المطلوب، وأن هذا هو معنى قولنا لا إله إلا الله» انتهى، والله أعلم.

التقليد في مسائل الاعتقاد

السؤال:

ما حكم التقليد في العقيدة؟ وهل يجب على الإنسان أن يستدل على مسائل العقيدة الضرورية حتى يصح إسلامه؟ وما مراد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله[2]: «معرفة دين الإسلام بالأدلة»؟ وجزاكم الله خيرًا.

الجواب:

الحمد لله؛ الإيمان بما جاء به الرسول ﷺ والعلم به إجمالًا فرض عين على كل مكلف، ومعرفة ذلك تفصيلًا هو فرض كفاية على عموم الأمة إذا

(١) «الرسالة التدمرية» تحقيق: محمد بن عودة السعوي، نشر: مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة: السادسة (ص: ١٧٩).

(٢) في كتاب: «الأصول الثلاثة وأدلتها».

قام به من يكفي سقط الإثم عن الباقين، ومن علم من ذلك شيئًا وجب عليه الإيمان به تفصيلًا، وقد يصير فرض الكفاية فرضَ عين على بعض الناس، بأسباب تقتضي ذلك فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب كفائي لكن إذا لم يعلم بهذا المنكر ويقدرْ على تغييره مثلًا إلا واحد أو جماعة معينة تعين عليهم لاختصاصهم بالعلم به والقدرة على تغييره.

وكل واجب في الدين فإنه مشروط بالاستطاعة لقوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ [التغابن: ١٦]، وقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، فمعرفة مسائل الدين العلمية الاعتقادية والعملية بأدلتها واجب مع الاستطاعة، ولا فرق في ذلك بين المسائل الاعتقادية والمسائل العملية، فعلى المسلم أن يعرف ما جاء به الرسول ﷺ ويجتهد في ذلك، ولا يتخذ له إمامًا يتبعه في كل شيء إلا الرسول ﷺ.

ومن المعلوم أنه ليس كل أحد يقدر على معرفة كل ما دل عليه القرآن والسنة من مسائل دين الإسلام، بل يمكن أن يقال: ليس في الأمة واحد معين يكون محيطًا بكل ما جاء به الرسول ﷺ، وبما دل عليه القرآن، فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، فلا أحد من العلماء يدعي ذلك لنفسه، ولا يجوز أن يُدَّعى ذلك لأحد منهم، فهم في العلم بما جاء به الرسول ﷺ في منازلهم حسب ما آتاهم الله من فضله، لكن العلماء يختصون بالاجتهاد في معرفة الأدلة وفي الاستنباط؛ فمنهم المصيب ومنهم المخطئ، والكل مأجور كما صح بذلك الحديث عن النبي ﷺ: «**إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر**»[١].

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣٥٢)، ومسلم (٤٥٨٤)؛ من حديث عمرو بن العاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

وإذا كان هذا شأن العلماء فكيف بغيرهم ممن قل علمه، أو كان من عوام المسلمين الذين لا يعرفون الأدلة ولا يفهمونها؟! فهم عاجزون عن الاجتهاد، فلا يسعهم إلا التقليد، ولا فرق في ذلك بين المسائل الاعتقادية، والمسائل العملية فهذا مقدورهم، لكن عليهم أن يقلدوا من العلماء من يثقون بعلمه ودينه متجردين عن اتباع الهوى والتعصب، هذا هو الصواب في هذه المسألة.

وأما القول بتحريم التقليد في مسائل الاعتقاد فهو قول طوائف من المتكلمين من المعتزلة وغيرهم، وهو يقتضي أن عوام المسلمين آثمون أو غير مسلمين، وهذا القول ظاهر الفساد.

وأما قول الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «ومعرفة دين الإسلام بالأدلة»، فهو كما قال، فإن الواجب أن يعرف المسلم أمور دينه بأدلتها من الكتاب، والسنة إذا كان مستطيعًا لذلك، وهذا الواجب، إما أن يكون فرض عين في مسائل، وإما أن يكون فرض كفاية في مسائل أخرى.

وأصل دين الإسلام هو معرفة الله والإيمانُ به، وهو يحصل بالنظر والاستدلال، ويحصل بمقتضى الفطرة التي فطر الله الناس عليها إذا سلمت من التغيير.

واختلف الناس في اشتراط النظر والاستدلال في معرفة الله، وهل يصح إسلام العبد دونه أو لا؟ على مذاهب ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية فقال[1]: «تنازع النظار في مسألة وجوب النظر المفضي إلى معرفة الله تعالى على ثلاثة أقوال:

(١) في «درء تعارض العقل والنقل» (٧/ ٤٠٥ - ٤٠٧).

فقالت طائفة من الناس: إنه يجب على كل أحد.

وقالت طائفة: لا يجب على أحد.

وقال الجمهور: إنه يجب على بعض الناس دون بعض؛ فمن حصلت له المعرفة لم يجب عليه، ومن لم تحصل له المعرفة ولا الإيمان إلا به وجب عليه، وذكر غير واحد أن هذا قول جمهور المسلمين، كما ذكر ذلك أبو محمد بن حزم في كتابه المعروف بـ «الفصل في الملل والنحل»، فقال: في مسألة: هل يكون مؤمنا من اعتقد الإسلام دون استدلال؟ أم لا يكون مؤمنًا مسلمًا إلا من استدل؟ وفيه، قال: سائر أهل الإسلام كل من اعتقد بقلبه اعتقادًا لا يشك فيه، وقال بلسانه: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وأن كل ما جاء به حق، وبرئ من كل دين سوى دين محمد ﷺ؛ فإنه مسلم مؤمن ليس عليه غير ذلك». انتهى مختصرًا من «درء تعارض العقل والنقل»، والله أعلم.

الأصول الثلاثة وأدلتها

السُّؤَال:

ما هي الأصول الثلاثة وأدلتها؟ وهل الدعوة فرض عين أم هي فرض كفاية؟

الجواب:

الحمد لله؛ الأصول الثلاثة، هذا عنوان مؤلَّف للشيخ: محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وأراد بالأصول الثلاثة: معرفة الله، ومعرفة نبيه، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة، ولا ريب أن هذه أصول عظيمة، عليها

مدار المعرفة الشرعية، وهي معرفة العبد ربه، الذي أرسل الرسل وأنزل الكتب، وأرسل خاتم النبيين محمدًا ﷺ، فإن الله تعالى أرسل الرسل بدين الإسلام، فإن دين الإسلام هو دين الرسل جميعًا، ولكن الشريعة التي جاء بها محمد ﷺ هي أكمل الشرائع وأشملها وأيسرها؛ لأنه رسول الله إلى الناس جميعًا.

وهذه الأصول الثلاثة هي التي يُسأل عنها الإنسان في قبره، فيقال للميت إذا وضع في قبره: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فالمؤمن الموقن يقول: ربي الله وديني الإسلام ونبيِّي محمد ﷺ، وأما المنافق الشاك فإنه يتحير ويقول: هاه هاه، لا أدري سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته، فالمؤمن يكون قبره عليه روضة من رياض الجنة، والكافر والمنافق يصير قبره حفرة من حفر النار، يعذب في قبره، وأما المؤمن فإنه ينعم في قبره.

بهذه المعرفة يعرف الإنسان الرسول محمدًا ﷺ، والمرسِلَ الذي هو الله، والرسالة التي هي دين الإسلام الذي تضمن أحكامه وشرائعه وعقائده كتاب الله وسنة رسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وقد قال الشيخ: محمد بن عبد الوهاب في ذلك الكتاب: فإذا قيل لك ما الأصول الثلاثة التي يجب على العبد معرفتها؟ فقل: معرفة العبد ربه ودينه ونبيه محمدًا ﷺ، ثم قال: «**إذا قيل لك: من ربك، فقل: ربي الله، الذي رباني وربى جميع العالمين بنعمه، وهو معبودي، ليس لي معبود سواه**»، ثم بين المراد بالإسلام وأنه: الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله، ثم ذكر الأصل الثالث: وهو معرفة محمد ﷺ وأنه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، وهاشم من

قريش، وقريش من العرب، والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام، وأنه ﷺ ولد بمكة، وأنه نزل عليه القرآن وأول ما نزل عليه سورة ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ وسورة المدثر، ثم إنه هاجر ﷺ بعدما أنذر وبلغ رسالة ربه بمكة ثلاث عشرة سنة، ثم هاجر إلى المدينة فأظهر الله به دين الإسلام، تحقيقًا لقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ٣٣﴾ [التوبة].

والملاحظ أن مثل هذه الآية تتضمن ذكر الأصول الثلاثة:

فقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ﴾ هذا هو ربنا سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، وقوله: ﴿رَسُولَهُۥ﴾ هذا محمد ﷺ، وقوله: ﴿بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ﴾ هذا هو دين الإسلام.

فقد اشتملت هذه الآية على الأصول الثلاثة، وأمثالها كثير.

وقد ذكر الشيخ أن دين الإسلام يشمل أركان الإسلام الخمسة: وهي شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام، وأن الإيمان يشمل الأمور الستة؛ وهي: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، ويشمل كذلك الإحسان؛ وهو: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، وهذا التفصيل دل عليه حديث جبريل الذي رواه مسلم في صحيحه(١).

فمن عرف ربه بأسمائه وصفاته، وأنه الإله الحق الذي لا يستحق العبادة سواه، وعرف محمدًا ﷺ وأنه رسول الله إلى الناس كافة، وعرف ما جاء به، وآمن بذلك كله، واستقام على طاعة الله ومات على ذلك

---

(١) أخرجه مسلم (٩)؛ من حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

كان من السعداء المفلحين، فنسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يمن علينا بالعلم النافع والعمل الصالح والثبات على دينه إنه تعالى على كل شيء قدير.

وأما الدعوة إلى الله فالأصل أنها فرض كفاية إذا قام بها من يكفي سقط الإثم عن الباقين، لكن فرض الكفاية قد يكون فرض عين إذا قام السبب الموجب للدعوة ولم يكن هناك من يقوم بذلك الواجب، فإنه يصير على من قدر على الدعوة فرض عين بالنسبة إليه.

فينبغي للمسلم أن يجتهد في الدعوة إلى الله بحسب حاله، وكلما سنحت له الفرصة يقوم بهذا العمل الصالح ليكون من أتباع الرسول ﷺ الذين قال الله فيهم: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف]، وكما قال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت]، والله أعلم.

لماذا خلق الله الناس لعبادته، إذا كان الملائكة يعبدون الله من قبلنا؟

السؤال:

قد يكون السؤال غريبًا، ولكنه طالما حيّرني كثيرًا، ألا وهو: إذا كان الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ خلقنا لعبادته، والملائكة يعبدون الله من قبلنا، إذن: فما الداعي لخلقنا إذا كان هناك من يقوم بهذا العمل بدلًا منا؟

الجواب:

الحمد لله؛ لقد سأل الملائكة ربهم هذا السؤال فرد الله عليهم بقوله: ﴿إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة]، كما جاء في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ

قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة]، ومعنى هذا أن لله حِكَمًا في خلق آدم وذريته مهما يحصل منهم من سفك للدماء وإفساد في الأرض، فيجب التسليم لحكم الله والإيمان بحكمته البالغة، كما يجب على الإنسان أن يقف عند حده ويعرف قدر نفسه، فلا يحكم على الله ولا يعترض عليه بعقله القاصر، بل يسلم الأمر لله راضيًا عن تدبيره، مؤمنًا بأنه سبحانه أعلم وأحكم.

ويجب أن يكون السؤال بغير هذه الصيغة، وهي قولك: «ما الداعي؟» فإن هذا يشعر بالاعتراض، بل ينبغي أن يكون السؤال بنحو: «ما الحكمة؟» وعلى وجه الاسترشاد وطلب العلم، فإن ظهر شيءٌ من حِكمة الله في خلق الشيء، فذلك مما يفتح الله به على من شاء من عباده، ولا يجوز أن يتوقف الإيمان بحكمة الله في تقديره وتدبيره على معرفتها، بل نؤمن بأن لله حِكمًا في أقداره وإن لم نعلمها، وإن علمنا منها شيئًا فإننا لا نحيط بحِكَمه علمًا، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقد اعترف الملائكة لربهم بقصور علمهم، فقالوا: ﴿قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾ [البقرة]، والله أعلم.

لماذا نعبد الله ما دمنا نعلم أننا لن نفيده؟

السؤال:

سألني شخص مسلم: لماذا نعبد الله؟ فأجبته: لأنه هو المستحق للعبادة وما خلقنا إلا لعبادته، فلا معبود بحق إلا الله. فسألني وقال: أنا أقصد أنه لماذا نعبده، ما دمنا نعلم أننا لن نفيده؟ وكتب عنده من سيدخل الجنة ومن سيدخل النار، بعد هذا السؤال تذكرت إجابة الرسول ﷺ للصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ حينما سألوه نفس السؤال، فقال: كل ميسر لما خلق له، أتمنى أن تتضمن الإجابة شرحًا لـ «كل ميسر لما خلق له». وجزاكم الله خيرًا.

الجواب:

الحمد لله؛ قول القائل: لماذا نعبد الله؟ جوابه كما ذكرت بأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو المستحق للعبادة؛ لأنه خالقنا ورازقنا، وهو ربنا ورب كل شيء، ولأنه خلقنا لعبادته وأمرنا بها، كما قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة: ٢١]، ولم يخلقنا لعبادته ولم يأمرنا بعبادته لحاجة به إلى ذلك، فإنه الغني عن خلقه، لكنه تعالى يحب من عباده أن يعبدوه وحده لا شريك له، وأن يطيعوه ويطيعوا رسله عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، ولكن منفعة العبادة راجعة إلى العباد ومضرة تركها واقعة عليهم، فالعباد لا ينفعون الله ولا يضرونه بل هو النافع الضار، وفي الحديث القدسي: «**يا عبادي: إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني**»[(١)].

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٧)؛ من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقد بين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنه لم يخلق الجن والإنس ليرزقوه أو يطعموه، أو يتقوى بهم من ضعف، فقال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨﴾ [الذاريات].

أما قول القائل: لماذا أمرنا الله بعبادته؟ وقد علم من يدخل الجنة ومن يدخل النار، فجوابه أيضًا كما ذكرت؛ أن على العباد أن يعملوا ولا يتكلوا على القدر، كما قال ﷺ لمن قال له: إذا كان ما نعمله قد فرغ منه ومضى به القدر فلماذا العمل؟ فقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**اعملوا فكل ميسر لما خلق له**»[1]، وتفسير هذا أن من كان من أهل السعادة فسييسر لعمل أهل السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة فسييسر لعمل أهل الشقاوة، هكذا جاء في الحديث، وجاء هذا المعنى في القرآن في قوله سبحانه: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾ [الليل].

وهذا التيسير لعمل أهل السعادة، أو عمل أهل الشقاوة هو الهدى والإضلال المذكوران في مثل قوله تعالى: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [النحل: ٩٣]؛ فيهدي من يشاء بتوفيقه فضلًا منه، ويضل من يشاء بعدم التوفيق عدلًا منه، فهو تعالى يهدي من يشاء بفضله وحكمته ويضل من يشاء بعدله وحكمته، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٤٩)، ومسلم (٢٦٤٧)؛ من حديث علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

فالواجب على العباد أن يؤمنوا بشرع الله وقدره وأن يطيعوا أمره ونهيه، وأن يأخذوا بأسباب السعادة، وأن يحذروا من أسباب الشقاوة، وهذا ما فطر الله عليه العباد من الأخذ بالأسباب النافعة، وتجنب الأسباب الضارة، وإن كان ذلك كله مقدرًا؛ كما في طلب الرزق وطلب العلم وطلب الأولاد، فلا يقول عاقل: إن كان الله قد قدر أن أكون عالما، أو قدر أن يكون لي رزق، أو قدر أن يكون لي أولاد فسيحصل ذلك كله دون سعي ولا عمل، فهكذا سعادة الآخرة موقوفة على أسباب، وهي الإيمان والعمل الصالح، ولن تتحقق هذه السعادة إلا بأسبابها التي شرعها الله وقدرها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فنسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يهدينا صراطه المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، والله أعلم.

وسوسة عقدية: هل الله تعالى هو الذي خلق هذا الكون؟!

السؤال:

شاب ابتلي بوسواس في العقيدة، وتطور به الأمر إلى أنه أصبح يفكر في خلق هذا الكون، وشبهته أنه موقن بأن هذا الكون مخلوق، ولكن كيف يثبت أن الله قد خلقه؟ كيف يمكنني أن أرد عليه؟ وهل هناك أدلة حسية على ذلك؟

الجواب:

الحمد لله؛ معلوم أن الإنسان مبتلى بعدو خفي هو الشيطان، وهو قرين للإنسان يلقي في قلبه الوساوس من شبهات تشوش إيمان المؤمن

الضعيف، أو شهوات تعوق الإنسان عن أداء ما أوجب الله عليه، وتغريه بفعل ما حرم الله عليه. وأعظم ما يوسوس به الشيطان وأخطره ما يتعلق بخالق هذا الوجود، وقد شكا بعض الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ما يجده في نفسه من ذلك من هذه الهواجس والأفكار، وما يحصل له بسبب ذلك من الضيق من شدة كراهيته لذلك وخوفه من عواقبه، فقال للنبي ﷺ: إني أحدث نفسي بالحديث لأن أخر من السماء أحب إلي من أن أتكلم به؟ قال: «**ذلك صريح الإيمان**»[١] يعني كراهية ذلك الوسواس وبغضه، وقال ﷺ: «**يأتي الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول: من خلق الله؟ فإذا وجد أحدكم ذلك فلينته وليستعذ بالله**»[٢] وفي رواية: فليقل: «**آمنت بالله ورسوله**»[٣] فدفع هذا الوسواس يكون بالإعراض عن هذه الأفكار السيئة، وبالاستعاذة بالله واللجأ إليه وبتذكر الإيمان، وما دمت ولله الحمد تؤمن بأن لهذا العالم خالقًا، وهذا هو مقتضى الفطرة، ولا بد أن يكون خالق هذا الوجود عليمًا حكيمًا قديرًا، وذلك أن هذا الوجود مشتمل على غاية الإحكام والانتظام، فإيجاده يدل على قدرة من أوجده، وما فيه من الإحكام يدل على كمال علمه، وما فيه من التنويع والتفصيل يدل على أنه صدر عن مشيئة وقدرة تامة.

وأما ما أشكل عليك، وهو أن خالق هذا الوجود هو الله، فغاية ذلك أنك لم تهتد لاسمه بعقلك، فنقول: إن الله فطر عباده على الإقرار

(١) أخرجه الإمام أحمد (٩١٥٦)؛ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ ونحوه عند مسلم (١٣٢).

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٧٦)، ومسلم (١٣٤)؛ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) عند أحمد (٢١٨٦٧) وغيره؛ من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

بربوبية خالق هذا الخلق وإلهيته كما ذكرت عن نفسك، وأما أن اسم خالق الوجود هو: (الله) فذلك ما نطقت به الرسل والكتب المنزلة. وقد قامت البراهين على صدقهم فوجب الإيمان بما جاؤوا به وما أخبروا به من أسماء الله وصفاته وسائر ما أخبروا به عمّا كان أو يكون من أمر هذا العالم، فنؤمن بأن لهذا العالم خالقًا عليمًا حكيمًا بموجب الفطرة والعقل السليم، ونؤمن بأن اسم هذا الخالق هو: (الله)، وأن له أسماء حسنى كثيرة، منها ما علّمه لمن شاء من عباده، ومنها ما استأثر بعلمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والله أعلم.

عبارة: «عرفنا ربنا بالعقل»

السؤال:

ما مدى جواز قول القائل: «عرفنا ربنا بالعقل» تفصيلًا؟ وجزاكم الله خيرًا.

الجواب:

الحمد لله؛ لقد فطر الله عباده على معرفته، فإن الإنسان بفطرته يعلم أن كل مخلوق لا بد له من خالق، وأن المُحدَث لا بد له من مُحدِث، وقد ذكر الله الأدلة الكونية من آيات السماوات والأرض على وجوده، وقدرته، وعلمه، وحكمته، ولهذا يذكر الله عباده بهذه الآيات، وينكر على المشركين إعراضهم عنها، قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ١٠٥﴾ [يوسف].

وهذه المعرفة الحاصلة بالآيات الكونية هي من معرفة العقل، فتحصل بالنظر والتفكُّر؛ ولهذا يقول تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾ [الأعراف: ١٨٥]، ويقول تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الروم: ٨].

والآيات بهذا المعنى كثيرة، ومع ذلك فالمعرفة الحاصلة بالعقل هي معرفة إجمالية؛ إذ الإنسان لا يعرف ربه بأسمائه وصفاته، وأفعاله على وجه التفصيل، إلا بما جاءت به الرسل، ونزلت به الكتب، فالرسل -صلوات الله وسلامه عليهم- جاؤوا بتعريف العباد بربهم بأسمائه وصفاته وأفعاله، وبهذا يُعلم أن العقول عاجزة عن معرفة ما لله من الأسماء والصفات، وما يجب له، ويجوز عليه على وجه التفصيل، فطريق العلم بما لله من الأسماء والصفات تفصيلًا هو ما جاءت به الرسل.

ومع ذلك فلا يحيط به العباد علمًا مهما بلغوا من معرفة، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ [طه]، وقال ﷺ: «**لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك**»[(١)]. وبهذا يتبين أن من طرق معرفة الله طريقين: العقل، والسمع، وهو النقل، وهو ما جاء به الرسول ﷺ من الكتاب والسنة، وأن من أسمائه وصفاته ما يعرف بالعقل والسمع، ومنها ما لا يعرف إلا بالسمع.

(١) أخرجه مسلم (٤٨٦)؛ من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وبهذه المناسبة يحسن التنبيه إلى أنه يجب تحكيم السمع، وهو الوحي، وجعل العقل تابعًا مهتديًا بهدى الله، ومن الضلال المبين أن يعارض النقل بالعقل، كما صنع كثير من طوائف الضلال من الفلاسفة والمتكلمين.

ووفق الله أهل السنة والجماعة للاعتصام بكتابه وسنة رسوله ﷺ، واقتفاء آثار السلف الصالح، فحكَّموا كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، ووضعوا الأمور في مواضعها، وعرفوا فضيلة العقل، فلم يعطلوا دلالته، ولم يقدموه على نصوص الكتاب والسنة، كما فعل الغالطون والمبطلون، فهدى الله أهل السنة صراطه المستقيم، فنسأل الله أن يسلك بنا سبيل المؤمنين، وأن يعصمنا من طريق المغضوب عليهم، والضالين، والله أعلم.

تفسيرٌ خطأٌ لكلمة التوحيد، وزعمٌ باطلٌ بأنها تغني عن الطعام

السؤال:

لقد قال لي شيخي مرة: إن معنى لا إله إلا الله؛ هو: (لا): لا أحد قادر على، (إله): تلبية الحاجات، (إلا الله): غير الله. ولكن الكثيرين غيره يقولون بأن معناها الحقيقي هو: لا معبود بحق سوى الله. وأنا أثق جدًا في تعليمه. إنه يشرح قائلًا: أولا، لدينا الحاجة إلى أن نكون أحياء، فإن لم تكن (ربما يقصد الحاجة) لله، فمن ذا يستطيع تلبية هذه الحاجة غيره؟ وقد قال أيضًا، بأنه إذا استطاع الإنسان العيش بلا

إله إلا الله، فإن هذا الإنسان يكون صوفيًّا. وأكثر الناس اليوم يعادون الصوفية... فما هو رأيكم؟

الجواب:

الحمد لله؛ أما بعد: فقد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر]. ففي هذه الآية الكريمة دلالة على فقر العباد إلى ربهم في جميع أمورهم، في وجودهم وبقائهم، وفي منافعهم وسلامتهم من كل مكروه. فالله هو الواهب لذلك كله، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [الروم: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣].

وهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ غنيٌّ عن عباده، له الملك كله وله الحمد كله، لا يبلغ العباد نفعه ولا ضره، لو آمنوا كلهم ما زادوا في ملكه شيئًا، ولو كفروا كلهم ما نقصوا من ملكه شيئًا. وهو رب العالمين، رب الأولين والآخرين، وهو الإله الحق الذي لا يستحق العبادة سواه، وكل معبود سواه باطل.

فمعنى لا إله إلا الله؛ أي: لا معبود بحق إلا الله، هذا هو الصواب في معناها، وليس معناها: لا خالق إلا الله، أو لا قادر على قضاء الحوائج إلا الله، بل هذا من معناها، فالإله الحق هو الخالق لكل شيء، والقادر على كل شيء.

فقول هذا الشيخ: إن معنى لا إله إلا الله؛ هو: لا أحد يقدر على قضاء الحاجات إلا الله؛ إن أراد أن هذا من معناها فهو صحيح، وإن أراد أن هذا

هو المقصود منها فباطل، فإنه لو كان المقصود منها ما قاله هذا الشيخ لما امتنع المشركون الأولون أن يقولوها حين قال لهم الرسول ﷺ: «**قولوا لا إله إلا الله، تفلحوا**»[(١)]؛ لأنهم يقرّون أنه لا خالق إلا الله، ولكنهم كانوا يفهمون المعنى المقصود منها، وهو لا معبود بحق إلا الله. فالله هو المعبود بحق وكل معبود سواه باطل، وهذا يقتضي بطلان آلهة المشركين التي يعبدونها من دون الله، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ۝٦٢﴾ [الحج].

فلما كان المشركون يعلمون معناها وأنها تقتضي بطلان معبوداتهم امتنعوا أن يقولوها، وتواصوا بالصبر على آلهتهم، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ۝٤ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ۝٦﴾ [ص].

وبهذا تعلم أن قول الكثيرين المخالفين لشيخك في معنى لا إله إلا الله هو الصواب.

وقول شيخك: «إن لدينا الحاجة إلى الله...» إلى قوله: «لا يستطيع تلبية هذه الحاجة غيره»؛ معناه: أن الله وحده هو الذي يَمُدّنا بالحياة وهذا حق، ولكن ليس هو معنى لا إله إلا الله، بل معناها لا معبود بحق إلا الله كما تقدّم.

(١) أخرجه الإمام أحمد (١٦٠٢٣)؛ من حديث ربيعة بن عباد الديلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وصححه الحاكم (٣٩)، وقال الهيثمي: في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٦/ ٢٢): «وأحد أسانيد عبد الله بن أحمد ثقات الرجال»، وله شاهد من حديث طارق المحاربي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، صححه ابن خزيمة (١٥٩)، وابن حبان (٦٥٦٢)، وابن الملقن في البدر المنير (١/ ٦٨٠).

والإله الحق هو المستحق للعبادة، وهو الذي يحيي ويميت، وهو الله تعالى.

وقول شيخك: «إذا استطاع الإنسان...» إلى قوله: «وأكثر الناس اليوم يعادون الصوفية»؛ إن أراد أنه يستغني عن الطعام والشراب دائمًا، فهو قول باطل، فإنه لا أحد من الناس يستغني دائمًا عن الطعام والشراب، ولا الأنبياء، فضلًا عمّن سواهم، وزعمه أن الصوفي يستطيع العيش بلا طعام أو شراب، وأنّ ذكره لله يُغنيه عن ذلك دائمًا فهو باطل، ومن ادعى ذلك منهم فهو كذاب.

فلا تغتر أيها السائل بهذا الشيخ، فهو إما جاهل ضال، وإما كذاب دجال، فاحذر منه ومن أمثاله. نسأل الله لك الهداية والتوفيق.

معنى تحقيق التوحيد

السُّؤَالُ:

سمعت عن تحقيق التوحيد وفضله وأن من حققه دخل الجنة بغير حساب، فأريد من فضيلتكم معنى تحقيق التوحيد، والأسباب التي تعين على ذلك، أريد جوابًا شافيًا لا أسأل عنه أحدًا بعدكم، جزاكم الله خيرًا.

الجواب:

الحمد لله؛ إن تحقيقَ الشيء تحصيلُه وإيجاده بحقيقته تامًّا خالصًا من أن يشوبه شيء من ضده مما يناقضه أو ينقصه، ولهذا قال العلماء في تحقيق التوحيد: إنه تخليصه وتصفيته من شوائب الشرك والبدع والمعاصي، ومعنى هذا أن تحقيق التوحيد هو القيام به كاملًا، فيشمل ذلك عبادته

سبحانه بكل ما شرع لعباده من الواجبات والمستحبات، والتقرب إليه بترك المحرمات والمكروهات، ولهذا قال ﷺ في وصف السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب: «**هم الذين لا يسترقون، ولا يكتوون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون**»[(١)]، وهذا من التنبيه بالأدنى على الأعلى، فإذا كانوا يتركون الاسترقاء، وهو خلاف الأولى، والكي الذي هو مكروه، والتطير الذي هو من الشرك الأصغر، فمن باب أولى أنهم مجانبون لكبائر الذنوب، ولا يصرون على شيء من الصغائر.

والخلاصة: أن الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب هم الكُمَّل من المؤمنين، الذين كمل توحيدهم وإيمانهم، وهذه منزلة عالية، ومطلب عزيز، ولكنه يسير على من يسره الله عليه، فعلى العبد أن يأخذ بأسباب ذلك، ويستعين بالله على ذلك، نسأل الله أن يؤتينا من فضله العظيم، والله أعلم.

تميُّز السبعين ألفًا بأنهم لا يسترقون، دون سائر أنواع الاستطباب

السؤال:

لماذا خَصَّ النبي ﷺ في السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب بقوله: «لا يسترقون» دون سائر أنواع الاستطباب؟

الجواب:

الحمد لله؛ الاسترقاء: هو طلب الرقية من الغير، وسؤال الغير فيه ميل إلى المخلوق واحتياج إليه وقد دلت النصوص على أن من كمال

(١) أخرجه البخاري (٥٧٠٥)، ومسلم (٢٢٠)؛ من حديث ابن عباس، وعمران بن حصين، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

التوحيد عدم سؤال الناس، وقد بايع النبيُّ ﷺ جماعةً من أصحابه رضوان الله عليهم على أمور؛ منها: ألا يسألوا الناس شيئًا، حتى كان أحدهم يسقط سوطه فينزل من على دابته فيأخذه ولا يسأل أحدًا أن يناوله إياه[1]، وفي ذلك تحقيق استغناء العبد عن المخلوقين، فالاسترقاء تركه أولى.

وأما إذا رقى الإنسان نفسه أو رقاه أخوه متبرعًا دون طلب فإنه لا كراهة في ذلك، إنما المكروه أن يطلب الإنسان الرقية من الغير، كما يدل عليه لفظ الاسترقاء، فإن السين والتاء في الفعل تدل على الطلب: كالاستغاثة والاستعانة وما أشبه ذلك.

فهؤلاء السبعون ألفًا من كمال توحيدهم وكمال استقامتهم تحقيق مقام التوكل على الله وذلك باجتناب كل ما ينافيه أو ينقصه، ومن ذلك أنهم يتركون الأسباب المتضمنة لما ينقص كمال التوكل عليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولهذا قال في وصفهم: «**لا يسترقون، ولا يكتوون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون**»[2].

وينبغي أن يعلم أن هذا الفضل -وهو دخول الجنة بغير حساب ولا عذاب- لا يُنال بمجرد ترك هذه الأمور الثلاثة؛ وهي الاسترقاء والتطير والاكتواء، فذِكْر الرسول ﷺ لها من باب التنبيه بالأدنى على الأعلى، فإذا كان هؤلاء يتركون الاسترقاء والكي، وهما من قبيل المكروه أو ما تركه أولى، فمن المعلوم أنهم قد بلغوا الغاية في التقوى، فهم من

(١) ينظر صحيح مسلم (١٠٤٣).

(٢) أخرجه البخاري (٥٧٠٥)، ومسلم (٢٢٠)؛ من حديث ابن عباس، وعمران بن حصين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ. وقد سبق.

السابقين المسارعين في الخيرات، وهم الذين يتقربون إلى الله بأداء الفرائض والنوافل، وترك المحرمات والمكروهات.

فعلى من أراد أن يكون من أهل هذا الوعد والفضل فليأخذ نفسه بتحقيق التقوى ظاهرًا وباطنًا، وليسأل ربه التوفيق لذلك، إنه تعالى جواد كريم يختص برحمته من يشاء، والله ذو الفضل العظيم، والله أعلم.

الاسترقاء والفرق بينه وبين التداوي

السؤال:

هل طلب الرُّقية من الشخص للآخرين يدخل في الاسترقاء؟ وما القول الراجح في التداوي: هل هو من الاسترقاء؟

الجواب:

الحمد لله؛ قال ﷺ في الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب: «**هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون**»[1]، وهذا من باب التنبيه بالأدنى على الأعلى؛ فإذا كانوا بهذه المنزلة فلا بد أن يكونوا في غاية من القيام بالفرائض ونوافل الطاعات والبعد عن المحرمات والمكروهات وفضول المباحات، فليس مجرد ترك هذه المذكورات كافيًا في بلوغ هذه المنزلة.

وطلب الإنسان من غيره أن يرقيه هو من قبيل سؤال الناس، أما طلب الشخص لغيره الرقية من بعض الناس فهو من باب الإحسان إلى

(١) أخرجه البخاري (٥٧٠٥)، ومسلم (٢٢٠)؛ من حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

الغير، فيدخل في قوله ﷺ: «**من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلْيَنْفعه**»[(١)]، فالمكروه أن يسترقي لنفسه، وهذا كما في المال ينهى الرجل أن يسأل المال من غير ضرورة، ويجوز أن يسأله لغيره من باب الدلالة على الخير ونفع الفقير ومعاونة الغني على الصدقة، والله أعلم.

وأما التداوي فليس من الاسترقاء، بل هو من تعاطي الأسباب المباحة النافعة، لقوله ﷺ: «**تداووا [عباد الله] ولا تتداووا بحرام**»[(٢)]، والله أعلم.

النفث بالتسبيح والتكبير والتهليل ونحوها من الأذكار في الرقية

السُّؤَالُ:

هل يصح النفث على موضع الألم بالتسبيح والتهليل والتكبير وغيرها من الذكر؟

الجواب:

الحمد لله؛ إن أفضل ما يرقى به المريض وينفث به على موضع الألم هو ما وردت به السُّنة من السُّور والآيات والدعوات؛ كسورة الفاتحة والمعوذتين وقل هو الله أحد، وكذلك الرقية بأعظم آية في كتاب الله، وهي آية الكرسي، وجماعُ ما اشتملت عليه هذه الآيات توحيدُ الله، وذكرُه بأسمائه وصفاته والتوجهُ إليه.

---

(١) أخرجه مسلم: (٢١١٩)؛ من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه أبو داود (٣٨٧٤)؛ من حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ومن الذكر ما يقصد به كشف الضر والكرب والغم، كما في دعاء ذي النون عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧﴾، ومنه دعاء الكرب: «**لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم**»[1].

فيظهر من ذلك أنه لا بأس بالنفث على موضع الألم بكلمات الذكر: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، والله أعلم.

الرقية بالكتابة وتلاعب محترفيها

السؤال:

يشيع عند الرقاة أنهم يقرؤون في ماء الزعفران، ثم يغمسون فيه أوراقًا ثم يخرجونها، فإذا يبست أعطوها المرضى فوضعوها في ماءٍ ثم شربوها، فما حكم هذا العمل؟

الجواب:

الحمد لله؛ أصلُ هذا العمل كتابةُ الرقية بالزعفران في صحون، ثم تمحى بماء، فيسقى منها المريض، ثم توسع بعض الرَّاقين فصاروا يكتبون على الأوراق ويعطونها المريض فيغسلها بالماء ويشرب هذا

(١) أخرجه البخاري (٦٣٤٦)، ومسلم (٢٧٣٠)؛ من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

الماء، ثم توسعوا طلبًا للاختصار وكثرة الكسب وصاروا يكتبون في الصحون ثم يمحونها بالماء، ثم يغمسون في الماء أوراقًا فتكون صفراء وكأنه قد كتب عليها، ثم سلكوا طريقةً أخرى، وهي أن يرقوا على ماءٍ فيه زعفران، ثم يغمسون فيه أوراقًا ويبيعونها لمن يطلب العلاج.

وهذه الطريقة الأخيرة توفر لهم وقتًا وجهدًا مع كثرة ما يحصِّلونه من المال من ثمن هذه الأوراق؛ فإن أحدهم يقرأ في إناء فيه ماء الزعفران ويغمس فيه مئات الأوراق، وقد سلك بعضهم مسلكًا استغفالًا للناس وتلبيسًا على الجهال وذلك بتصنيف الأوراق حسب أنواع الأمراض، ولكل صنف من هذه الأوراق الوهمية ثمن.

والواجب مقاطعة هؤلاء الخدَّاعين، بل الواجب على من له سلطة منع هذا الصنف من الرُّقاة من ممارسة هذه الحيل لأكل المال بالباطل.

والرقية بالكتابة على موضع الألم أو على شيء ثم محوُهُ وشربه، ذكرها ابن القيم في «زاد المعاد»، وذكر فيها أثرًا عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وعن الإمام أحمد[1]، وأشياء عرفت بالتجربة.

والرقية الواردة في الأحاديث هي الرقية بالنفث، كما كان النبي ﷺ يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ والمعوذتين وينفث في كفيه ثم يمسح بهما وجهه وما استطاع من بدنه، والاقتصار على ما جاءت به السنة أولى وأحوط، وما ثبت نفعه بالتجربة بما لا يتضمن محذورًا فإنه جائز، وبعض هذه الأمور أظهر في الجواز من بعض، والله أعلم.

---

(١) زاد المعاد ٤/ ٣٥٧.ط الرسالة.

الأطفال المولودون في بيئة كافرة

السؤال:

الأطفال الذين وُلدوا وتربوا في بيئات مختلفة وفي أديان مختلفة ينشؤون، وعندهم بشكل طبيعي نزعة إلى التمرد على القيود العادية ويكون عندهم شخصيات مختلفة، فالطفل المولود لعائلة هندوسية يصبح هندوسيًّا عندما يكبر. وبالنسبة له فإن الدين الهندوسي هو الدين الصحيح، ولنفترض أن من هو في مثل حال هذا الشخص، الذي تأصل في طبعه منذ الطفولة أنه هندوسي أولًا وأخيرًا، أنه تلقى رسالة الإسلام، فما هي احتمالات أنه سوف يتخلى عن دينه وهويته ويقبل بشيء جديد؟ أليس من العسير على مثله أن يصبح مسلمًا إذا ما قارنا ذلك مع آخر وُلد مسلمًا؟ إنه لشيء يخيفني جدًا أن أفكر فيما لو أني وُلدت على دين آخر غير الإسلام فكيف يكون حالي الآن؟!.

وعليه: لماذا لا تكون القاعدة أن يحصل كل فرد على نفس الفرص كي يتمكن من تجريب الإسلام ويقبل به وهو صغير؟ هل هذا موضوع يتعلق بمشيئة الله، شيء روحاني (الهداية) أم بنفسية الإنسان؟ أرجو أن تجيبني مستدلًا من القرآن والسنة.

الجواب:

الحمد لله؛ قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٣٠﴾ [الروم]. وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال:

«كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه»[١]، والصواب أن المراد بالفطرة ملّة الإسلام، كما في الحديث الذي رواه مسلم عن رسول الله ﷺ قال: **«قال الله تعالى:... خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانًا...»**[٢]، ومعنى أن المولود يولد على ملة الإسلام أنه يولد مستعدًا في تكوينه إذا تفتح عقله، وعرض عليه الإسلام وضدّه فإنه يُؤْثِر الإسلام على ضدّه، ويختار الإسلام دينًا، ما لم يمنعه من ذلك مانع؛ كالهوى أو التعصب، فاتباع الهوى يحمل على إيثار الباطل لنيل حظ من الحظوظ من رياسة أو مال، والتعصب يحمل على اتباع الآباء والكبراء ولو كانوا على غير هدى، قال تعالى: ﴿بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الزخرف]، وقال تعالى عن الأتباع من أهل النار: ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾﴾ [الأحزاب].

وإذا كان كل مولود يولد على الفطرة فمعلوم أن منهم من يتهيأ له ما يوافق فطرته ويثبّتها؛ كمن يولد بين أبوين مسلمين، وينشأ في مجتمع مسلم، ومنهم من يتعرض لتغيير فطرته كمن يولد بين أبوين كافرين وينشأ بين الكفار من يهود أو نصارى أو مجوس أو مشركين. ولا ريب أن الذي ولد في الإسلام قد حصل له من أسباب الهداية والسعادة ما لم يحصل لغيره ممن ولدوا ونشؤوا في مجتمعات كافرة، والتوفيق للإيمان وتيسير أسباب الهداية فضل الله يؤتيه من يشاء.

(١) أخرجه البخاري (١٣٨٥)، ومسلم (٢٦٥٨)؛ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، واللفظ للبخاري.

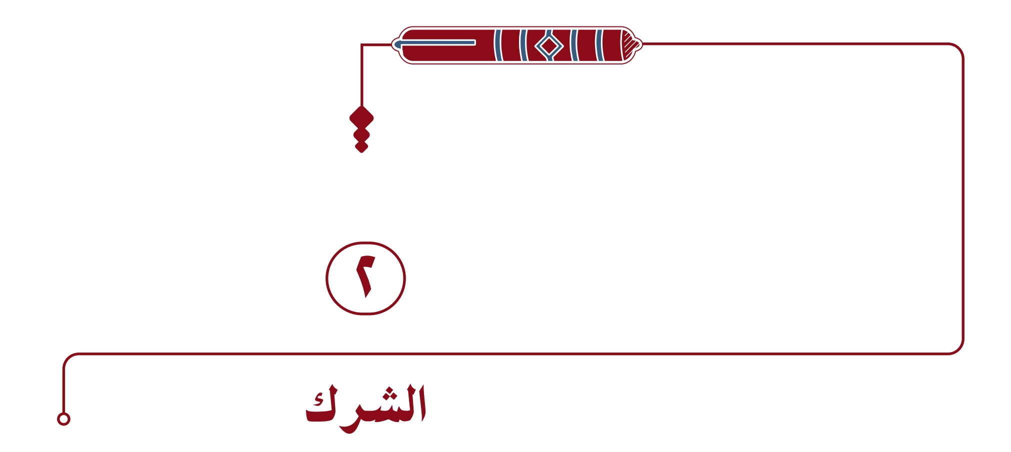
(٢) أخرجه مسلم (٢٨٦٥)؛ من حديث عياض بن حمار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ثم يجب أن يُعلم أن من غُيّرت فطرته عن الإسلام لا يعاقب بذنب غيره، وإنما يعاقب إذا بلغته دعوة الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فأعرض عنها، ولم يقبلها إباء واستكبارًا وتعصبًا لدين آبائه وأهل بلده، لأنه قد قامت عليه الحجة حينئذ بدعوة الرسول، ومن قامت عليه الحجة الرسالية وأصرّ على كفره استحق العذاب، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء].

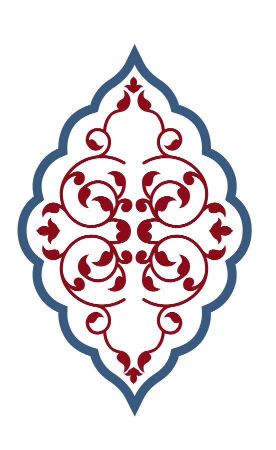
وقولك في السؤال: «إنه لشيء يخيفني...» قول صحيح ومعقول، فمن نعمة الله عليك أنْ وِلِدْتَ في الإسلام، ولو ولدت في دين آخر لكان يُخشى عليك من البقاء على الدين الباطل، ولكن الله إذا أراد بالعبد خيرًا يسّر له من أسباب الهداية ما ينقله عن ملّة الكفر إلى ملّة الإسلام، فالأمر كلّه لله.

وقولك: «لماذا لا تكون القاعدة...» هو سؤال باطل سببه الجهل بحكمة الله تعالى وسنته في خلقه، ومعلوم أنه يستحيل أن تكون الفرص للجميع واحدة مع تعدد الديانات البشرية وكثرتها، ثم إن الهداية إلى الإسلام تحصل بمشيئة الإنسان واختياره؛ لأن الله تعالى أعطى الإنسان القدرة على الفرق بين الحقّ والباطل، والنافع والضار بما ركّب فيهم من العقل والفطرة، وبما بعث به رسله من البينات، ومع ذلك فمشيئة العبد تابعة لمشيئة الله فإنه الذي يُضلّ من يشاء بعدله وحكمته، ويهدي من يشاء بفضله وحكمته، قال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير]، والله أعلم.

- ❊ ■ ❊ ■ ❊ -



الشرك



طلب العون من غير الله تعالى

السؤال:

عندي سؤال عن جواز طلب العون من غير الله من مثل الأنبياء والأولياء باعتبار كونه من الشرك، لقد سألت أحد المشايخ عن ذلك فأجابني بقوله: ليس من الشرك طلب العون من النبي ﷺ أو الولي، ففي سورة الفاتحة أمرنا بشيئين: عبادة الله وحده، ثم طلب الاستعانة بالله، فليس هناك من يستحق العبادة إلا الله، ولكن بالنسبة للاستعانة فهناك استعانة حقيقية وأخرى مجازية، فنحن نؤمن أن المُعين الحقيقي هو الله، ولكن الاستعانة بالنبي والولي هي استعانة مجازية، وهم يعينوننا بعون من الله. ما هي وجهة نظركم فيما ذكره هذا الشيخ؟ وجزاكم الله خيرًا.

الجواب:

الحمد لله؛ قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾؛ أي: لا نعبد غيرك ولا نستعين بغيرك، وقال ﷺ لابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا: «**إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله**»[1]، والأمور التي يطلب العون فيها نوعان:

منها: ما لا يقدر عليه إلا الله، فهذا لا تجوز الاستعانة فيه إلا بالله: كمغفرة الذنوب، والنجاة من النار، والتوفيق للإيمان، وصلاح الأولاد، وتيسير الأمور.

(١) أخرجه الترمذي (٢٥١٦)، وأحمد (٢٦٦٤)، وقال الترمذي: حسن صحيح.

ومنها: ما يقدر عليه المخلوق: كإعانة الإنسان في حمله على دابته، أو حمل متاعه عليها، وكدلالة الإنسان على الطريق، كما في الحديث أن النبي ﷺ قال: «**كلُّ سُلَامَى من الناس عليه صدقة كلَّ يوم تطلع فيه الشمس، قال: تعدل بين الاثنين صدقة، وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة...**» الحديث[1]، ومن ذلك التعاون على البر والتقوى، ويدخل في ذلك التآمر بالمعروف والتناهي عن المنكر.

والنبيُّ والوليُّ هما من البشر، فهما في الحياة يقدران على بعض الأمور، يقدران على الجهاد وعلى نصر المظلوم، والدعاء للمؤمنين عمومًا وخصوصًا، فتجوز الاستعانة بهم في مثل هذه الأمور ما داموا في الحياة، وأما بعد الموت فإنهم لا يقدرون على شيء من ذلك، فلا يجوز طلب الدعاء منهم، ولا طلب قضاء الحوائج، فلا يقدرون على نصر مظلوم، ولا على جهاد عدو، ولهذا عدل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بعد موت النبي ﷺ إلى الاستسقاء بالعباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فكانوا في حياة النبي ﷺ يستسقون به،كما قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، قال: فيُسْقَون[2]، ولم يكن أحد من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يأتي إلى قبر النبي ﷺ يسأله الدعاء أو حاجة من الحوائج.

فقول هذا الشيخ: إن الاستعانة نوعان: حقيقية ومجازية، وإن الاستعانة بالأنبياء بعد موتهم استعانة مجازية، قولٌ باطل؛ لأنه يتضمن جواز الاستعانة

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٠٧)، ومسلم (١٠٠٩)؛ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (١٠١٠)؛ من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

بالنبي والولي بعد موتهما، وهذا هو عمل المشركين الذين يدعون الملائكة والأنبياء والصالحين، ويطلبون منهم قضاء الحوائج.

فهذا الشيخ شيخ ضلالة، فيجب الحذر من الاغترار بأقواله وتمويهه؛ حيث زعم أن الاستعانة نوعان: حقيقية ومجازية، والصواب أن الاستعانة بالله حقيقية، والاستعانة بالمخلوق فيما يقدر عليه استعانة حقيقية، ولكن إعانة المخلوق للمخلوق ما هي إلا سبب من الأسباب فلا يتم بها المراد إلا بمشيئة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فيجب الفرق بين حق الله وحق المخلوق، وقدرة الله، وقدرة المخلوق، فالله على كل شيء قدير، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأما المخلوق فقدرته محدودة، فقد يشاء ما لا يكون، وقد يكون ما لا يشاء، فالأمر كله لله، والملك بيده، والخير بيده، وهو الذي يعطي ويمنع، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، والله أعلم.

الاستشهاد بشعر يتضمن معنى باطلا

السُّؤَالُ:

قال المتنبي:

يقولـونَ تأثيـرُ الكواكـبِ فـي الـورَى
فمـا بالـهُ تأثيـرُهُ فـي الكواكـبِ

هل يجوز الاستشهاد بهذا البيت؟ وما معناه؟

الجواب:

الحمد لله؛ لا يجوز الاستشهاد بهذا البيت، إلا مع التنبيه على فساد معناه؛ فإنه متضمن حكاية قول المنجمين بتأثير الكواكب في أحوال

الناس الخَلْقية والخُلُقية، وفي حظوظهم، وهو اعتقاد باطل، كما أن البيت قد تضمن كذبًا آخر حمل عليه الغلو في الممدوح، فزعم أنه هو الذي يؤثر في الكواكب، وهذا أظهر بطلانًا من الذي قبله، فلا الكواكب تؤثر في الناس، ولا الممدوح يؤثر في الكواكب، ولكن هكذا يحلو الكذب للشعراء الذين يطلقون العنان لأنفسهم، فلا يقفون عند الحدود الشرعية، ولا العقلية.

الاستمطار بالطائرات والاستسقاء بالنجوم

السُّؤَال:

قولهم: استَمْطَرنا بالطائرات فأُمْطِرنا، هل هو من التنجيم؟

الجواب:

الحمد لله؛ ما يسمَّى في هذا الوقت استمطارًا فإنه يراد به معالجة السحاب إذا انعقد، وذلك بإلقاء مادة عليه تكثِّفه فينزل مطرًا بإذن الله؛ لأن كل ما يتسبب فيه الناس فإنّ عملهم بمشيئة الله، وأثر عملهم بمشيئة الله، وكل ما يجري في هذا الوجود فهو بمشيئة الله وقدرته، فإذا عرف الناس أسبابًا يعالجون بها السحاب لينزل الماء وحصلت بذلك منفعة فهي نعمة من الله يجب شكرها، ولكن الاستمطار يقول أهل الخبرة عنه: إنَّ تكلفته كبيرة، ومنفعته يسيرة، والماء النازل بالاستمطار يقال: إنه ليس صحيًا ولا نقيًّا لاختلاطه بالمادة التي يُرش بها السحاب.

وبهذا يعلم أنه ليس من جنس الاستسقاء بالنجوم الذي هو من عمل أهل الجاهلية، ومعنى الاستسقاء بالنجوم اعتقاد أنّها المؤثرة في حصول المطر، فإذا نزل المطر قال المؤمنون: مطرنا بفضل الله ورحمته، وقال المشركون: مطرنا بنوء كذا وكذا، والمشركون يؤمنون بالكوكب ويكفرون بالله، والمؤمنون يكفرون بالكوكب ويؤمنون بالله، وأما الاستمطار فهو من العمل بالأسباب التي عُرف بالتجربة أنه يحصل بها منفعة، والعمل بالأسباب المباحة مباح، والله تعالى خالق الأسباب والمسبَّبات، والله أعلم.

الذبح أمام العائد من علاجه كرامة له

السُّؤَالُ:

رجع مريضٌ من علاجه، فخرج الناس بالذبائح للطريق فذبحوها أمامه كرامة له، فهل يجوز هذا الفعل؟ وهل هو مما ذبح لغير الله؟ وهل يعتبر من الشرك الأكبر أو الأصغر؟ وهل تؤكل هذه الذبائح؟

الجواب:

الحمد لله؛ هذا عمل منكر على كل حال؛ فإن كان المقصود بهذه الذبائح أن يطبخوها ويقدموها بعد ذلك لهذا المريض ومن معه وللمهتمين به، فالخروج بهذه الذبائح إلى الطريق عبثٌ وتشبه بالذين يذبحون على أقدام السلاطين والملوك، ولا يريدون بذلك الضيافة، وقد عدَّ العلماء ذلك من الشرك؛ لأنه تعظيم وتقرب بالذبح لغير الله،

والذبح لله نوع من العبادة، وهو النسك المذكور في قوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢﴾ [الأنعام].

وإن قُصد بهذه الذبائح مجردُ ذبحها أمام المريض إظهارًا للفرح بمقدمه فهي تشبه ما يذبح للملوك، فيكون ذبحها على هذا الوجه شركًا بالله، وحينئذ فلا يحل أكلها.

وإن قُصد بها الضيافة فأكلها حلال، والأحوط تجنبها؛ لما وقع فيها من المشابهة بفعل المشركين، والله أعلم.

الذبح لدفع أذى الجن

السؤال:

ما حكم من يذبح في شهر رجب من كل سنة بقصد دفع أذى الجن؟ ويدَّعي أنه يذبحها لله؟ علمًا أنه إذا لم يذبح فإن الجن تؤذيه.

الجواب:

الحمد لله؛ الذبح للجن من أنواع الشرك الأكبر؛ لأن الذبح لغير الله تعظيمًا وتقربًا خوفًا أو رجاءً هو عبادة لغير الله، والذبح لله من التوحيد، كما قرن الله النسك والنحر بالصلاة في قوله: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٦٣﴾ [الأنعام]، وقال تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ٢﴾ [الكوثر]، فهذا الذي يذبح للجن هو مشرك، وإن زعم أنه يذبح لله، فالعبرة بالمقاصد وبالنيات، فإذا كانت النية باطلة وسيئة لم تنفع الدعاوى الكاذبة، فالله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ

يعلم السرائر، وإذا كان يذبح للجن لأنه إذا لم يذبح لهم يؤذونه فليس هذا بعذر، بل عليه أن يستعين بالله ويستعيذ به من شرهم، ولا يطيعهم؛ فإنهم يؤذونه من أجل أن يعبدهم ويتقرب إليهم، وقد كان أهل الجاهلية يستعيذون بالجن فيتسلطون عليهم من أجل أن يلجؤوا إليهم،كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٞ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٖ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَزَادُوهُمۡ رَهَقٗا ٦﴾ [الجن]، قال بعض المفسرين: ﴿فَزَادُوهُمۡ رَهَقٗا﴾؛ أي: زاد الجنُّ الإنسَ خوفًا وذعرًا، وقال بعضهم: زاد الإنس الجن كبرًا وطغيانًا.

فالواجب على هذا الذي يذبح للجن أن يتوب إلى الله وأن يخلص الدين لله وألا يذبح إلا لله، وإذا صح توحيده كفاه الله شر أعدائه من الجن والإنس، فعليه أن يتوكَّل على ربه ويعتصم به، ومن يتوكل على الله فهو حسبه، والله أعلم.

هل تكون الاستغاثة بالأموات والنذر شركًا أصغر

السُّؤَال:

هل يمكن أن تكون الاستغاثة بالأموات، وطلب الدعاء منهم، والنذر لغير الله، من الشرك الأصغر؟ أو هي شرك أكبر على الإطلاق؟ وما هو الضابط في التمييز بين الشرك الأصغر والأكبر؟

الجواب:

الحمد لله؛ الاستغاثة: طلب الغوث برفع الشدة؛ من نصر على عدو، وتفريج كربة، أو جلب ما يضطر إليه العبد من ضرورياته، فذلك

كله لا يجوز طلبه من الأموات؛ لأنهم لا قدرة لهم على شيء من ذلك ولا غيره، بل طلب ذلك منهم شرك بالله، ولا تجوز الاستغاثة بالمخلوق -حيًّا أو ميتًا- فيما لا يقدر عليه إلا الله: كمغفرة الذنوب، ودخول الجنة، والنجاة من النار.

وأما الاستغاثة بالمخلوق الحي الحاضر فيما يقدر عليه، فذلك جائز، والميت لا يقدر على شيء مما يطلب منه، فالاستغاثة به من فعل المشركين؛ لأن الاستغاثة به تتضمَّن طلب الحوائج منه؛ شفاءً، أو نصرًا، أو رزقًا، أو ولدًا إذا كان الإنسان لا يولد له، وذلك شرك أكبر.

وكذلك النذر، فالنذر يقصد منه التقرب إلى المنذور له، فالمسلم ينذر لله يريد التقرب إلى الله بما نذر، فإن كان طاعة وجب عليه الوفاء به، لقوله ﷺ: «**من نذر أن يطيع الله فليطعه**»[١]، إذن فالنذر للميت تقربًا إليه كما ينذر المسلم لله شرك أكبر.

وأما الفرق بين الشرك الأكبر والأصغر، فالشرك الأكبر: هو اتخاذ المخلوق ندًا لله في العبادة، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة]، وقال: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، وقال ﷺ لابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما سأله: أيُّ الذنب أعظم عند الله؟ قال: «**أن تجعل لله ندًّا وهو خلقك**»[٢].

وأما الشرك الأصغر: فهو ما يكون في الألفاظ؛ كقول الرجل: ما شاء الله وشئت، وكالحلف بغير الله، ومنه ما يكون بالقلب: كالرياء،

(١) أخرجه البخاري (٦٦٩٦)؛ من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.
(٢) أخرجه البخاري (٤٤٧٧)، ومسلم (٨٦).

وكالاعتماد على الأسباب، فذلك كله من الشرك الأصغر، جنبنا الله الشرك كله صغيره وكبيره، والله أعلم.

دخول معابد الكفار للفرجة أو الصلاة وحكم من طُلب منه أن يقرب شيئًا للأصنام ففعل

السؤال:

اثنان من شباب المسلمين دخلا معبدًا من معابد بوذا، وطلب منهما الحارس تقديم مال للصنم، وكنت ذكرت هذه القصة مجرد تذكرة حول ما يفعله الشباب، فقال زميلي لو كنت مكانه لقدمت مالًا ولا أن يقتلوني، فقلت له: أتشرك بالله؟! فقال: هل أقتل من أجل ربع ريال؟ فذكرت له قصة مَن قدم ذبابة قربانًا. فثار وقال: تكفرني؟ فما قولكم حفظكم الله في هذا؟ وكيف الرد عليه؟

الجواب:

الحمد لله؛ معابد الكفار لا تكاد تخلو من مظاهر الشرك من الأقوال والأفعال والأشكال كالصور والأصنام، فلا يجوز دخولها لمجرد الفرجة؛ لأن ذلك كله من الزور الذي قال الله فيه: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا ﴿٧٢﴾﴾ [الفرقان]، وقال سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ﴾ [الحج: ٣٠].

وكيف تطيب نفس المسلم أن يدخل هذه الأماكن -التي يعصى الله فيها، ويشرك فيها بالله، ويُتنقص الله فيها- ولا يغضب لله، أو يغضب ولا يقدر على التغيير والإنكار، ومعلوم أن الذي يدخل هذه الأماكن

للتفرج لن يكون له اهتمام بالدعوة والإنكار، بل يكون بارد الحس، ضعيف البراء من المشركين وشركهم، فلا تكون له أسوة في إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ والذين معه، كما قال سبحانه: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤].

وقد اختلف العلماء في الصلاة في كنائس النصارى، فذهب أكثر أهل العلم إلى عدم صحة الصلاة فيها، ومنهم من قيَّد ذلك بوجود الصور، والغالب أنها لا تخلو صور معظميهم ومعبوديهم في تلك الكنائس من الصلبان وغيرها، فالواجب على المسلم أن يتقي الله وأن يقتصر في التمتع وفي الفرجة على ما أباح الله، ففيه غنية عما حرَّم، وبهذا يتميز المسلم ويحقق انتماءه للإسلام.

هذا كله ما لم يُظهر الداخل موافقة المشركين على شركهم بقول أو فعل، كالتقرب لصنمهم بمال يطلب منه أو قربان يذبحه أو بإظهار خضوع بانحناء أو سجود، فإن فعل شيئًا من ذلك مختارًا صار مشركًا، لكن إن كان مكرهًا على القول أو الفعل وقلبه مطمئن بالإيمان لم يكفر بما صدر منه لقوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٠٦﴾ [النحل]، ولا يتصور الإكراه فيمن يدخل معابد المشركين للتفرج؛ لأن هذا الدخول أقل أحواله أن يكون من الفضول، فليس به ضرورة إلى دخولها، وعلى هذا؛ فلا يكون معذورًا فيما يظهره من الموافقة لهم.

وقول القائل: «لو كنت مكانه لقدمت مالًا ولا يقتلوني»، جوابه: أن هذا ليس بعذر؛ لأنهم لم يعترضوك في الطريق، بل أنت الذي أتيت إليهم في معبدهم، وفي وسعك أن ترجع، مع أنه لا ذكر للقتل في أصل القصة، فغاية ما يطلبونه أن تقدم مالًا فتدخل أو ترجع، وقد تبيّن أن من قدم مالًا للصنم من غير إكراه فهو مشرك كافر، وأصحاب الصنم في حديث الذباب[1] -على تقدير ثبوته- كانوا يقتلون من مر بهم ولم يقرب لصنمهم شيئًا، فلهذا قتلوا الذي قال لهم: ما كنت لأقرب لأحد شيئًا دون الله عَزَّوَجَلَّ، والله أعلم.

يا ألله مدد، يا رسول الله مدد!!

السُّؤَال:

ماذا تقولون في شخص يقول: يا ألله مدد ويا رسول الله مدد، ثم هو يقول إن ذلك مذكور في القرآن الكريم في سورة التحريم: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التحريم: ٤].

الجواب:

الحمد لله؛ الذي يقول: يا ألله مدد ويا رسول الله مدد، قد أشرك بالله في دعائه ورجائه، والله تعالى يحب أن يفرد بكل أنواع العبادة فلا يدعى غيره ولا يرجى سواه، فإن الخير كله بيده، والرسول ﷺ لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا إلا ما شاء الله، كما قال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٣٠٣٨)، وأحمد في الزهد (١ / ١٥)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧٣٤٣)؛ من حديث سلمان الفارسي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، موقوفًا.

نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

ثم إن الرسول ﷺ ميت، كما قال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ٣٠ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمۡ تَخۡتَصِمُونَ ٣١﴾ [الزمر]، فأين الرسول ﷺ من هذا الداعي؟!.

وهو بهذا الطلب من الرسول ﷺ قد جعل له ما هو من خصائص الربوبية، فالله تعالى وحده هو الذي يسمع دعاء الداعين ويغيث الملهوفين وينفس كرب المكروبين ويشفي من الأسقام ويرزق العباد، والرسول ﷺ لا يملك شيئًا من ذلك، فالواجب إفراد الله سبحانه بالخوف والرجاء والتوكل وكل أنواع العبادة، كما قال تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [النساء: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ١٨﴾ [الجن].

وأما قوله: إن هذا الدعاء يدل عليه القرآن وإن ذلك في سورة التحريم في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [التحريم: ٤]، فهذا الاستدلال لا وجه له، أين في الآية أن الرسول عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يطلب منه المدد بالرزق أو الشفاء؟ إنما تدل الآية على أن الله ولي نبيه عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وكذلك الملائكة، وكذلك المؤمنون كلهم يتولون الرسول ﷺ، فالرسول عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ هو أكرم الخلق على الله، فالملائكة يتولونه وكذلك المؤمنون وجبريل عليه وعلى سائر الملائكة والنبيين السلام وسائر الصالحين، فالواجب التوبة من هذا الشرك.

ويجب الفرقُ بين الله وبين الرسول ﷺ في الحقوق، فالعبادة والخوف والرجاء محض حقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والرسول ﷺ له علينا حق الإيمان به ومحبته وتوقيره وطاعته وتحكيمه ﷺ والتسليم لحكمه، كما قال سبحانه: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء]، والله أعلم.

شكوى الحال إلى الرسول هل يكون شركًا؟

السُّؤَالُ:

هل التلفظ بالكلمات الواردة أدناه يعد شركًا: «اللهم صل وسلم على سيدنا محمد قد ضاقت حيلتي يا رسول الله»؟

الجواب:

الحمد لله؛ نعم هذه الكلمة تُعدُّ شركًا؛ لأنها استغاثة بالرسول ﷺ وشكوى الحال إليه. وذلك يتضمن أن الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يسمع نداء من يناديه في أي مكان، ويغيث من يستغيث به، ويفرِّج كربته وهذا ما لا يقدر عليه الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ولا في حياته فكيف بعد مماته، وهو لا يعلم الغيب، ولا يملك لنفسه ولا لغيره ضرًّا ولا نفعًا إلا ما شاء الله، قال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

فالواجب على العبد ألا يدعو إلَّا الله، ولا يستغيث إلَّا به، ولا يرجو غيره، ولا يتوكل إلَّا عليه فإن الله وحده هو الذي بيده الملك وبيده الخير، وهو على كل شيء قدير.

وعلم الغيب وتفريج الكروب وسماع دعاء الداعين وإجابتهم من خصائص الربِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فمن جعل شيئًا من ذلك لغيره كان مشركًا شركًا أكبر، قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النمل]، وقال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥]، والله هو الذي يغفر الذنوب، ويفرج الكروب، ويعلم ما في الصدور سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فيجب على العبد ألا يقصد في حصول هذه المطالب من مغفرة الذنوب وتفريج الكروب إلا الله، فإنه ولي ذلك والقادر عليه.

حكم السجود أمام الصنم

السؤال:

ما قول أهل العلم في قول من يقرر أن السجود قدام الصنم لا يكون كفرًا وشركًا، ولو أقر بلسانه أنه يسجد للصنم، أو أظهر بهذا السجود موافقة للمشركين على دينهم مادام أنه في الباطن لم يقصد السجود للصنم، ويقرر أن المشرك الوثني لو عرف صحة دين الإسلام وأقر به لكنه مداهنة لقومه وخوفًا من الملامة والعيب يسجد معهم -طوعًا- لأوثانهم، ويذبح لها ويطوف بها ويظهر تعظيمها، ولا يصرح بالبراءة منها، فمثل هذا لا يحكم بكفره مع كونه آثمًا.

وربما احتج هذا المقرِّر بكلام متشابه منسوب لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فما تقولون في ذلكم؟ حفظكم الله.

الجواب:

الحمد لله؛ إن من المعلوم أن الكفر والإيمان يتعلقان بالظاهر والباطن، والناس بهذا الاعتبار أربعة أقسام:

القسم الأوّل: مؤمن ظاهرًا وباطنًا.

القسم الثاني: كافر ظاهرًا وباطنًا.

القسم الثالث: مؤمن ظاهرًا لا باطنًا، وهو المنافق.

وهذه الأقسام هي التي ذكرها الله في أول سورة البقرة، وفي مواضع أخرى من القرآن.

وأما القسم الرابع: فهو مَن أظهر الكفر قولًا أو فعلًا مكرهًا وقلبه مطمئن بالإيمان: كالرجل من آل فرعون الذي كان يكتم إيمانه خوفًا من فرعون وملئه، ومثل الذي نزلت فيهم هذه الآية: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٦﴾ [النحل].

فدل هذا الاستثناء على أن من أظهر الكفر بقول أو فعل وهو غير مكره، بل هازلًا أو مداهنًا أو طامعًا، فهو ممن شرح بالكفر صدرًا؛ لأن ما أظهره من الكفر هو فيه مختار، والاختيار إنما يكون مع شرح الصدر، فيكون ممن كفر ظاهرًا وباطنًا، ولهذا قال تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ

بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا﴾.

قال شيخ الإسلام: «وهذه الآية مما يدل على فساد قول جهم ومن اتبعه، فإن الله جعل كل من تكلم بالكفر من أهل وعيد الكفار، إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان، فإن قيل: فقد قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا﴾، قيل: وهذا موافق لأولها؛ فإنه من كفر من غير إكراه فقد شرح بالكفر صدرًا، وإلا ناقض أولَ الآية آخرُها»[(١)].

إذا ثبت هذا فمَن أظهر الموافقة للمشركين؛ بأن دعوه للسجود لصنمهم أو الذبح له فأجابهم طائعًا مختارًا لأي غرض من الأغراض، وزعم أنه إنما سجد لله وذبح لله، فهو ممن كفر بالله وشرح بالكفر صدرًا، وأبلغ من هذا أن من أقرَّ للمشركين بأنه يسجد لصنمهم ويذبح له ويدعي أنه يكذب عليهم يكون كافرًا، وكذلك من يقول لليهود أو النصارى أو المشركين: إن الدين الذي أنتم عليه حق، ويزعم أنه يفعل ذلك لتبقى منزلته عندهم فيبقى معظمًا محترمًا، أو لينال حظًّا من الحظوظ الدنيوية على أيديهم، فكل هؤلاء داخلون في عموم قوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٦﴾ [النحل]، فلم يستثن من الوصف بالكفر والوعيد إلا المكره.

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٧/ ٢٢٠).

ولو كان مَن أظهر الكفر مختارًا لا يعد كافرًا ظاهرًا وباطنًا لما حكم الله بالكفر على المستهزئين في قوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [التوبة].

قال شيخ الإسلام تعليقًا على هذه الآيات: «فقد أخبر أنهم كفروا بعد إيمانهم مع قولهم إنا تكلمنا بالكفر من غير اعتقاد له، بل كنا نخوض ونلعب، وبين أن الاستهزاء بآيات الله كفر ولا يكون هذا إلا ممن شرح صدره بهذا الكلام، ولو كان الإيمان في قلبه منعه أن يتكلم بهذا الكلام»[١].

وكذلك يلزم على القول بأن من أظهر الكفر مختارًا لا يكون كافرًا في الباطن، أن من صدَّق الرسول باطنًا بل وظاهرًا، ولكن قال: لا أتبعه بل أعاديه وأحاربه؛ لأني لا أستطيع أن أخالف أهل ملتي، لا يعد كافرًا في الباطن. وهذا قول غلاة المرجئة الجهمية، وهو أفسد أقوال المرجئة، وفساده معلوم من دين الإسلام بالضرورة، فهو كافر ظاهرًا وباطنًا، ولو كان الأمر كما يزعمون لما كفر الجاحدون الذين قال الله فيهم: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنعام]، قال شيخ الإسلام: «والمحبة تستلزم الإرادة، والإرادة التامة مع القدرة تستلزم الفعل، فيمتنع أن يكون الإنسان محبًا لله ورسوله مريدًا لما يحبه الله ورسوله إرادة جازمة مع قدرته على ذلك وهو لا يفعله، فإذا لم يتكلم

(١) الموضع السابق.

الإنسان بالإيمان مع قدرته دل على أنه ليس في قلبه الإيمان الواجب الذي فرضه الله عليه.

ومن هنا يظهر خطأ قول جهم بن صفوان ومن اتبعه، حيث ظنوا أن الإيمان مجرد تصديق القلب وعلمه، لم يجعلوا أعمال القلب من الإيمان، وظنوا أنه قد يكون الإنسان مؤمنًا كامل الإيمان بقلبه وهو مع هذا يسب الله ورسوله، ويعادي الله ورسوله، ويعادي أولياء الله، ويوالي أعداء الله، ويقتل الأنبياء، ويهدم المساجد، ويهين المصاحف، ويكرم الكفار غاية الكرامة، ويهين المؤمنين غاية الإهانة، قالوا: وهذه كلها معاص لا تنافي الإيمان الذي في قلبه، بل يفعل هذا وهو في الباطن عند الله مؤمن»[(١)].

وأما ما يتعلق به من يزعم أن السجود أمام الصنم موافقةً للمشركين لا يكون شركًا من قول شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وما كان كفرًا من الأعمال الظاهرة؛ كالسجود للأوثان، وسب الرسول، ونحو ذلك، فإنما ذلك لكونه مستلزمًا لكفر الباطن، وإلا فلو قدر أنه سجد قدام وثن ولم يقصد بقلبه السجود له، بل قصد السجود لله بقلبه، لم يكن ذلك كفرًا، وقد يباح ذلك إذا كان بين مشركين يخافهم على نفسه فيوافقهم في الفعل الظاهر، ويقصد بقلبه السجود لله، كما ذُكر أن بعض علماء المسلمين وعلماء أهل الكتاب فعل نحو ذلك مع قوم من المشركين حتى دعاهم إلى الإسلام فأسلموا على يديه، ولم يظهر منافرتهم في أول الأمر»[(٢)]؛ لا يمكن حمله على من يسجد مجاملة أو طمعًا، بل مراد الشيخ من تعمد

(١) «مجموع الفتاوى» (٧/ ١٨٨).
(٢) «مجموع الفتاوى» (١٤/ ٢٠).

السجود لله قدام وثن موهمًا للمشركين أنه يسجد لصنمهم خوفًا منهم، لقوله: «وقد يباح ذلك إذا كان بين مشركين يخافهم على نفسه».

وأما قوله: «كما ذكر أن بعض علماء المسلمين وعلماء أهل الكتاب فعل نحو ذلك مع قوم من المشركين حتى دعاهم إلى الإسلام فأسلموا على يديه، ولم يظهر منافرتهم في أول الأمر» ففيه إشكال من وجهين:

الأوَّل: قوله: «علماء أهل الكتاب» حيث قرنهم بعلماء المسلمين، ومعلوم أن علماء أهل الكتاب لن يدعوا المشركين إلى الإسلام، وقد قال في آخر كلامه: «حتى دعاهم إلى الإسلام فأسلموا».

والجواب أن يقال: أراد بعلماء أهل الكتاب من كان يكتم إيمانه بين قومه المشركين كالنصارى فهم مسلمون في الباطن وإن كانوا في الظاهر معدودين في أهل الكتاب، كما يذكر شيخ الإسلام هذا الصنف في تفسير بعض الآيات، كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَـٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾﴾ [آل عمران].

أو يقال: أراد بهم علماء أهل الكتاب قبل مبعث النبي ﷺ، وأراد بالإسلام الإسلام العام الذي هو دين الرسل كلهم.

وقد كان منهم من يكتم إيمانه خوفًا ويتلطف في الدعوة إلى الإسلام، كما أخبر الله عن مؤمن آل فرعون، فقد كان يكتم إيمانه بموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ومع ذلك دعا قومه إلى التوحيد والإيمان باليوم الآخر.

وعلى هذا؛ فالحامل لهم على السجود قدام الصنم هو الخوف من قومهم.

الوجه الثاني من الإشكال؛ قوله: «ولم يظهر منافرتهم في أول الأمر» يشعر بأنهم فعلوا السجود قدام الصنم تألفًا لهم من أجل دعوتهم لا خوفًا منهم.

والجواب: أنّ هذه العبارة إذا بنيت على ما قبلها اقتضى ذلك أن الذي لم يظهر المنافرة كان الحامل له على عدم المنافرة هو الخوف منهم، وآثر الرخصة بترك الصدع والمجاهرة التي تنفرهم ليتمكن من دعوتهم كما صنع مؤمن آل فرعون.

وعلى هذا؛ فالشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لا يدل كلامه على جواز السجود قدام الصنم اختيارًا من أجل دعوة المشركين على الإسلام، وإنما يعذر من فعل ذلك خوفًا.

وبعد: فمن سجد قدام الصنم خوفًا كان معذورًا بالإكراه، ومن كان جاهلًا وسجد قدام الصنم متأوِّلًا تأليف المشركين من أجل دعوتهم كان معذورًا للتأويل الذي سببه الجهل؛ فإن تعمد السجود قدام الصنم حرام، بل هو كفر إذا كان إظهارًا لموافقة المشركين على شركهم، ولا يعذر في ذلك إلا من كان خائفًا أو متأولًا تأليفهم كما تقدم.

وكلام الشيخ صريح بأن كفر الباطن أصل الكفر الظاهر، فما كان كفرًا من الأقوال والأعمال الظاهرة؛ كسب الرسول ﷺ والسجود للوثن فإنه مستلزم لكفر الباطن، ومعنى ذلك أن سب الرسول ﷺ لا يصدر إلا عمَّن هو كافر في الباطن كفرَ التكذيب أو كفر الإباء، وكذلك السجود للوثن لا يكون إلا مع كفر الباطن، ولكن كون السجود للوثن إنما يتعين بإقرار الساجد ولو كان كاذبًا، وكذلك إذا أظهر الموافقة للمشركين، كما

إذا دعوه للسجود لصنمهم فأجابهم، أو قاموا للسجود فقام وسجد معهم، فكل هذه من أنواع الكفر الظاهر ومن صدرت منه فهو كافر ظاهرًا وباطنًا إلا أن يكون مكرهًا لقوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرًا﴾ [النحل: ١٠٦] الآية، ومعنى الآية -والله أعلم- أن من أظهر الكفر فهو كافر، إلا أن يكون مكرهًا وقلبه مطمئن بالإيمان، وأمّا السجود قدام الصنم الذي لم تدل القرائن القولية أو الحالية على أنه سجود للصنم، فلا يعد كفرًا، فمن أظهر أنه يسجد للصنم، أو دلت القرائن على ذلك، فإنه كافر وإن قصد السجود لله، إلا أن يكون مكرهًا، كما تقدم.

وأمّا السجود لله قدام الصنم من غير أن يقوم دليل يقتضي أنه سجود للصنم فهو حرام؛ لأنه تشبه بالمشركين، فإن وقع ذلك خوفًا منهم فيُغتفر للعذر، أو متأولا فيعذر للتأويل وإن كان لا يجوز أن يتخذ وسيلة للدعوة إلى الله، فإن ما كان في نفسه حرامًا لا يجوز أن يدخل في وسائل الدعوة، ففيما أباح الله وشرع غنية وكفاية عمّا حرم، كما جاء في الحديث: «**إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم**»[(١)]، وقال سبحانه: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ﴾ [النحل: ١٢٥] وليس من الحكمة

---

(١) ورد هذا الحديث مرفوعًا وموقوفًا:
أما المرفوع: فأخرجه ابن حبان في «صحيحه» (١٣٩١)؛ من حديث أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.
وأما الموقوف: فأورده البخاري عند (باب شراب الحلواء والعسل) (٧/ ١١٠) معلقًا بصيغة الجزم عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
وقد وصله غير واحد، منهم: ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٣٩٥٧)، قال عنه ابن حجر: «صحيح على شرط الشيخين». «فتح الباري» (١٢ / ٦٦٧).

دعوة المشركين بإظهار الموافقة لهم فيما هو من دينهم، فإن ذلك مما يرضون به ويحتجون به على من أنكر عليهم شركهم.

وليس لهذا المسلك في الدعوة مستند من كتاب ولا سنة، بل قد دل القرآن على أنّ من أُسس الدعوة الصدع بالحق مع القدرة على ذلك، قال تعالى: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٩٤ إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ٩٥ ٱلَّذِينَ يَجۡعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ٩٦﴾ [الحجر]، والله أعلم.

ومما تقدم يتبين خطأ هذا المقرِّر أن السجود قدام الصنم لا يكون كفرًا وشركًا ولو أقر بلسانه أنه يسجد للصنم، أو أظهر بهذا السجود موافقة المشركين على دينهم ما دام أنه في الباطن لم يقصد السجود للصنم.

وأقبح من هذا زعم هذا المقرر -كما ورد في السؤال- أن المشرك الوثني لو عرف صحة دين الإسلام وأقر به لكنه مداهنةً لقومه، وخوفًا من الملامة والعيب يسجد معهم -طوعًا- لأوثانهم ويذبح لها، ويطوف بها، ويظهر تعظيمها، ولا يصرح بالبراءة منها فمثل هذا لا يحكم بكفره مع كونه آثمًا، وهذا القول منكر عظيم، وهو يشبه قول جهم، أو هو حقيقة قول جهم في الإرجاء، وذلك لما تقدم من أنّ إظهار الموافقة للمشركين على دينهم بقولٍ أو فعلٍ لأي سبب من الأسباب إلّا الإكراه هو كفر في ذاته فيكفر باطنًا وظاهرًا من صدر منه ذلك، إلا أن يكون مكرهًا لعموم قوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ﴾ [النحل: ١٠٦] الآية.

فعلى هذا المقرر أن يراجع نفسه وأن يستهدي ربه؛ فإن المقام خطر؛ لأن ما يقرره من أعظم ما يجرِّئ الجاهلين وأهل الأهواء على التفوه بالكفر ومداهنة الكافرين، مما يفضي بهم إلى الانسلاخ من دين الإسلام تعلقًا بمثل هذه الشبهات، فيكون المقرِّر بما قرره هو السبب في ضلالهم.

هذا؛ ونسأل الله أن يلهمنا وإيّاه الصواب، وأن يرينا الحق حقًا ويرزقنا اتباعه، والباطل باطلًا ويرزقنا اجتنابه، وألا يجعله ملتبسًا علينا فنضل.

التعليق على كلام ابن القيم في مدارج السالكين حول أقسام الكفر

السُّؤَالُ:

ذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مدارج السالكين أن الكفر الأكبر خمسة أنواع؛ كفر تكذيب، وكفر استكبار، وكفر إعراض، وكفر شك، وكفر نفاق، ثم تكلم في فصل مستقل على كفر الجحود مع أنه لم يعده في ضمن أنواع الكفر الأكبر، فما توجيه ذلك؟ بارك الله في علمك.

الجواب:

الحمد لله؛ أقول: إن كفر الجحود هو ضرب من كفر التكذيب، فالتكذيب يكون ظاهرًا وباطنًا، وتارة يكون باطنًا لا ظاهرًا، وهو كفر الجحود، كما قال تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ [الأنعام: ٣٣] أي: في بواطنهم ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ۝٣٣﴾ [الأنعام]، وكقوله عن فرعون: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤].

ولعل ابن القيم أفرد كفر الجحود بالذكر والبيان؛ لأنه أغلظ نوعي التكذيب، مع العلم بأن ما ذكره من أنواع الكفر الخمسة بينها تلازم؛ فإن كفر الجحود هو من كفر الإباء والاستكبار، كما يشير إليه قوله تعالى في فرعون وقومه: ﴿ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗا﴾ [النمل: ١٤]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ ٣٩﴾ [العنكبوت].

هذا؛ وبعد مراجعة كلام ابن القيم تبين أنه أفرد كفر الجحود لحاجته إلى التفصيل؛ لأنه نوعان: عام وخاص، والله أعلم.

من زعم استلزام شرك الألوهية لشرك الربوبية

السؤال:

شيخنا الكريم، يزعم بعض المنتسبين إلى العلم أن الشرك في العبادة لا يكون إلّا مع اعتقاد شرك في الربوبية، وأن العبادة لا تسمى عبادة إلّا إذا اقترن بها اعتقاد نفع أو ضر في المصروفة له، وإلّا فليست بعبادة ولا يتصور الشرك بدون ذلك، فهل هذا القول معتبر -أحسن الله إليكم- وبماذا تنصحون من يقول به؟

الجواب:

الحمد لله؛ إن من يزعم أن الشرك في العبادة لا يكون إلا مع قدر من الشرك في الربوبية:

إن أراد التعبير عن الواقع فقد يُسلَّم له.

وإن أراد أن من لم يعتقد شيئًا من الشرك في الربوبية لا يتصور أن يكون مشركًا في العبادة ولا يكون كافرًا فهذا باطل؛ فإن من أظهر موافقة المشركين بالسجود لأصنامهم والذبح لمعبوداتهم أو لمن يعبدونهم من الأموات فإنه يكون بهذا كافرًا مشركًا؛ لإظهاره الموافقة للكافرين والمشركين على كفرهم، وإن كان يعتقد بقلبه بطلان ما هم عليه؛ فإن فعله ذلك يناقض أحد ركني التوحيد، وهو البراءة من المشركين وشركهم.

وكذا من صرح بأنه لا يعتقد النفع والضر في النبي أو في العبد الصالح لكنه يعبده ليشفع له عند الله ويقربه إليه، فإنه مشرك كافر، كالذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾[الزمر: ٣]، وقوله: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾[يونس: ١٨].

ولا ريب أن من اتخذ واسطة بينه وبين الله يعبدهم للتقرب والشفاعة، إنما يفعل ذلك لاعتقاده أنهم ينفعونه بشفاعتهم عند الله، وقد يضرونه إن قصَّر في حقهم المزعوم بغضب الله عليه من أجلهم.

وهذا النفع والضر المترتب على منزلة هذه الوسائط ليس محل النزاع مع من يزعم استلزام الشرك في العبادة، لاعتقاد النفع والضر في المعبودين.

وبهذا يتبين أن ما ورد مما يدل على أن المشركين يخافون آلهتهم ويخوفون بهم، كقوله تعالى: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾[الزمر: ٣٦]، وكذا طلب النصر منهم، كقوله: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمۡ

يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾[يس]، فمردُّه إلى اعتقاد قربهم من الله، وملكهم للشفاعة عنده، لا أنّ ذلك راجع إلى قدرة لديهم يتصرفون بها في نفع عابديهم ومضرة من لم يعبدهم، فما يحصل بسبب عبادتهم أو تركها من نفع وضر راجعٌ إلى أنهم واسطة في ذلك، ولذا ذكر الله إقرار المشركين بنفي النفع والضر عن معبوداتهم، كما في قوله سبحانه عن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لأبيه وقومه: ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾[الشعراء]، وقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ لأبيه: ﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾﴾[مريم]، ولم يدَّع أبوه أن آلهته تغني عنه بنفع أو دفع ضر.

وبعد؛ فعلى صاحب الدعوى المذكورة أن يبين حكمه فيمن أظهر العبادة لغير الله موافقة للمشركين، وهو لا يعتقد ما يعتقده المشركون في آلهتهم، وهو غير مكره، ولكنه يفعل ذلك مصانعة لمنافع مادية ينالها من المشركين، أو تعصبًا لأسلافه، فإن كان لا يعتقده كافرًا والحالة هذه فقد خالف قوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [النحل]، وخالف قوله تعالى عن المشركين: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الزخرف]، ونحوها من الآيات، فيكون في دعواه

هذه ضالًّا في فهمه، ضالًّا في رأيه، فعليه أن يراجع نفسه، ويتهم رأيه، ويحذر من إضلال الناس بنشر دعواه وشبهاته، فيكون بذلك ضالًّا مضلًّا.

وختامًا نوصي بتدبر كتاب الله طلبًا للهدى منه، فمن اهتدى به هدي، كما قال الإمام ابن تيمية[1]: «من تدبر القرآن طالبًا الهدى منه، تبين له طريق الحق»، والحمد لله رب العالمين.

الاعتماد على الأسباب

السؤال:

ما حكم الاعتماد على الأسباب؟

الجواب:

الحمد لله؛ إن الاعتماد بالقلب على الأسباب شركٌ في التوحيد -وإن كانت صحيحة وثابتًا تأثيرها-؛ لأن ذلك نوعُ توكل عليها، ويتضمن الغفلة عن الله الذي خلقها، وجعل فيها ما شاء من التأثير في مسبَّباتها؛ فإنه تعالى خالق الأسباب والمسبَّبات، وهو الذي جعل التأثير في الأسباب والقابلية في المسبَّبات.

أما الأسباب الوهمية أو الأسباب المحرمة فالاعتماد عليها أقبح؛ فإنه يتضمن الشركَ في التوحيد والمعصيةَ بفعل المحرم، والجهلَ ونقصَ العقل إنْ كان السبب وهميًّا؛ كتعليق التمائم والودَع ونحوهما، لدفع العين أو الشفاء من مرض أو علة.

---

(١) في «العقيدة الواسطية».

ولذا قال أهل العلم: «الالتفات إلى الأسباب شركٌ في التوحيد، ومحوُ الأسباب أن تكون أسبابًا نقصٌ في العقل، والإعراض عن الأسباب بالكليِّة قدحٌ في الشرع»[1]، وهذا صحيح؛ فإن الالتفات إلى الأسباب معناه التعلُّق بها، والتعويلُ عليها، ومحو الأسباب جحدٌ لها، وهذا منافٍ لمقتضى الحس والعقل والشرع، والإعراض عن الأسباب بالكلية يتضمن تركَ ما أمر الله به ورسولُه وجوبًا أو استحبابًا، ويتفاوت حكم ذلك حسب درجات المأمور به.

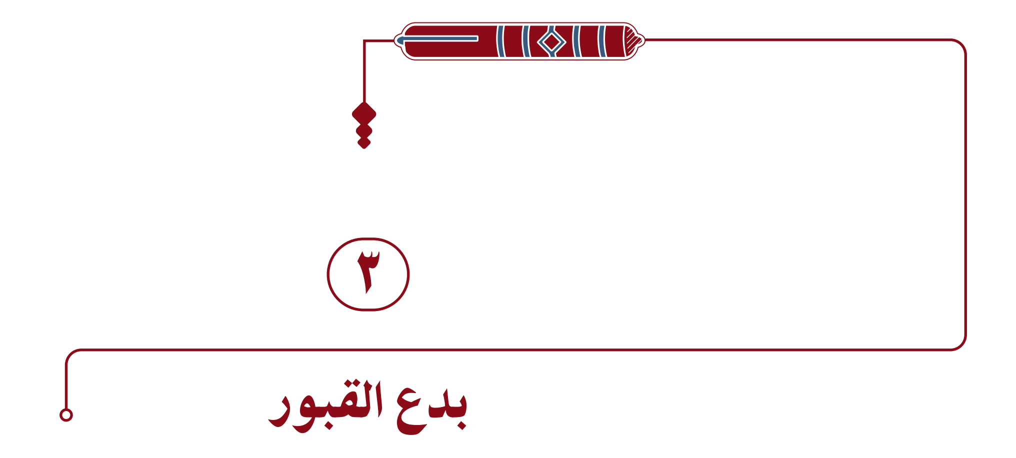
وبعد؛ فالأسباب تنقسم في جملتها إلى قسمين: كونية، وشرعية.

فالكونية منها: ما عُرِف بالعادة والتجربة، وتتعلق آثارها بمنافع الدنيا ومضارها.

والشرعية: ما عرف بدلالة الشرع، وتتعلق آثارها بمنافع ومضار الدنيا والآخرة، والله أعلم.

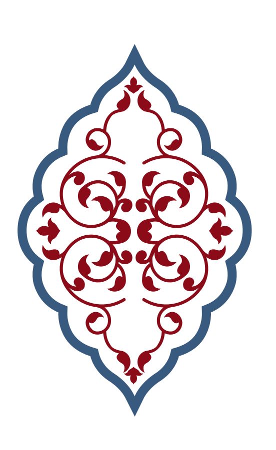
- ❊ ■ ❊ ■ ❊ -

(١) «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» (١/ ١٣١).



٣

بدع القبور



التوسل بالقبور

السؤال:

ما وجه شرك من توسل بقبور الأنبياء والصالحين؟ أرجو أن يكون الجواب شافيًا، وجزاكم الله خيرًا.

الجواب:

الحمد لله؛ زيارة قبور الأنبياء والصالحين نوعان:

زيارة شرعية، وهي زيارة للسلام عليهم والدعاء لهم، وتذكر الآخرة، لكن لا يجوز السفر لذلك، لقوله ﷺ: «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى**»[(١)].

وأما زيارة قبورهم للدعاء عندها أو الصلاة عندها، فذلك من البدع في الدين، ومن وسائل الشرك، وكذا التوسل بذواتهم، مثل أن يقول: نسألك يا ألله بنبيك أو بعبدك الصالح، فذلك بدعة في التوسل؛ لأن التوسل المشروع هو التوسل بدعائهم، وهذا لا يكون إلا في حال حياتهم وحضورهم.

وأما قصد القبور للطواف حولها والتقرب إليها بالصلاة لها، وكذلك الاستغاثة بأصحابها عند قبورهم أو بعيدًا عنهم؛ فكل هذا من الشرك الأكبر؛ لأن ذلك من عبادتهم مع الله، والله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ﴾ [البقرة: ٢١] إلى قوله: ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ

---

(١) أخرجه البخاري (١١٨٩)، ومسلم (١٣٩٧)؛ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

تَعۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾ [البقرة]، وقال تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـًٔاۖ﴾ [النساء: ٣٦]، وقال: ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزمر]، وقال سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ﴿١٨﴾﴾ [الجن].

فيجب الفرق بين ما هو شرك وما هو من وسائل الشرك، والقبوريون من الصوفية وأشباههم يفعلون عند قبور من يعظمون -سواء أكانوا أولياء أم يظنونهم أولياء- يفعلون كل هذه الأفعال، فإنهم يدعونهم، ويدعون الله بهم، ويتحرون الصلاة والدعاء عند قبورهم، ويستغيثون بهم كذلك، ويلجؤون إليهم أعظم من التجائهم إلى الله.

والرافضة الذين يسمون أنفسهم الشيعة هم الأصل في هذا الشرك، فهم أمكن فيه؛ فإنهم يحجون إلى المشاهد التي بنوها على قبور الأئمة سواء أكانت حقيقية أم وهمية.

فالواجب الحذر من هذا الشرك وما يقرب إليه؛ فإنه انتشر في الأمة الإسلامية في الطائفتين الرافضة والصوفية.

وقد بلَّغ الرسول ﷺ البلاغ المبين؛ فحذَّر من الشرك كله وسد كل الطرق الموصلة إليه؛ وذلك من كمال نصحه ﷺ، فأقام الله به الحجة وأوضح المحجة، قال الله تعالى: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة]، والله أعلم.

حكم طلب الدعاء وطلب الشفاعة من ميت عند قبره، والفرق بينهما

السؤال:

فضيلة الشيخ: نقل عنكم -حفظكم الله- أنكم تفرقون بين الذي يطلب من الميت قُرْبَ قبره الدعاء له، وبين الذي يطلب منه الشفاعة؟ فما الفرق الجوهريُّ المؤثر بينهما، علمًا أن طلب الشفاعة نوع من طلب الدعاء؟

الجواب:

الحمد لله؛ من أنواع الشرك الأكبر شرك الدعاء، وهو: دعاء الأموات والغائبين في قضاء الحوائج، والاستغاثة بهم في الشدائد، وطلبُ النصر والرزق منهم، سواء طلب ذلك من الميت من قرب أو بعد؛ إذا كان الداعي والطالب يعتقد أن الميت يفعل ذلك بقدرته، وحينئذٍ يكون قد جمع بين الشرك في الربوبية والشرك في العبادة.

وأما إذا كان الداعي للميت يَطلب من الميت أن يدعو الله له وهو قريب من قبره لاعتقاده أنه يسمع؛ فذلك بدعة، ووسيلة إلى الشرك؛ كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في مواضع من كلامه[١].

ومعلوم أن الدعاء للغير شفاعة له، فطالب الدعاء هو طالب للشفاعة، فلهذا يقال له: استشفاع وتوسل، كما قال أمير المؤمنين عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا

---

(١) كما في «مجموع الفتاوى» (١ / ٣٥١، ٣٥٤).

فاسقنا»[(١)]، وما ذاك إلا طلب الدعاء من النبي ﷺ ثم من العباس، وذلك في حياتهما، ولم يذهب عمر ولا غيره إلى قبر النبي ﷺ لطلب الدعاء منه، مما يدل على أن طلب الدعاء من الميت غير مشروع، ولا هو سبب لحصول مطلوب، وإذا كان هذا في حق النبي ﷺ فغيره من باب أولى.

وأما إذا اقترن بطلب الدعاء من الميت والاستشفاعِ به تقربٌ إليه بنوع من أنواع العبادة، فذلك عين ما كان يفعله المشركون؛ يعبدون ما يعبدون زاعمين أنهم يشفعون لهم، وأنهم يقربونهم إلى الله، كما قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يونس]، وقال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾ [الزمر]؛ فكانوا كفارًا ومشركين حيث جعلوا بينهم وبين الله وسائط في العبادة.

وأما من يطلب من الغائب عنه، أو من الميت وهو بعيد من قبره، فيدعوه في كل مكان، ويستغيث به لذلك فهو مشرك؛ لأنه قد شبهه بالله الذي يسمع دعاء الداعين، ويغيث الملهوفين.

وبهذا يتبين أنه لا فرق في الحقيقة بين طلب الدعاء وطلب الشفاعة من حي أو ميت، ولا أذكر أني فرقت بينهما، فلعل الذي نقل ذلك عني قد وهم، أو أني تطرقت لمعنى آخر ولم يفهم مرادي، والله أعلم.

---

(١) أخرجه البخاري (١٠١٠)؛ من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الطواف بالقبور

السؤال:

الذي يطوف على القبور كقبر الحسين والبدوي وغيرهما هل عملهم مكفر -مع غض النظر عن أعيانهم- لكن السؤال: هل هناك من قال: إذا كان الطواف للتحية فليس كفرًا، وما كان للعبادة فهو كفر؟ هل لهذا القول قائل من السلف؟

الجواب:

الحمد لله؛ معلوم لجميع المسلمين أن الطواف بالبيت العتيق عبادة شرعها الله في الحج والعمرة، وفي غيرهما، ولم يشرع الله الطواف بغير بيته، فمن طاف على بَنِيَّةٍ أو قبر أو غيرهما عبادة لله؛ فهو مبتدع ضال متقرب إلى الله بما لم يشرعه، ومع ذلك فهو وسيلة إلى الشرك الأكبر، فيجب الإنكار عليه، وبيان أن عمله باطل مردود عليه، كما قال ﷺ: «**من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد**»[(١)].

أما من قصد بذلك الطواف التقرب إلى صاحب القبر فهو حينئذٍ عابد له بهذا الطواف؛ فيكون مشركًا شركًا أكبر، كما لو ذبح له، أو صلى له.

وهذا التفصيل هو الذي تقتضيه الأصول، كما يدل لذلك قوله ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى**»[(٢)]. فلا بد من اعتبار المقاصد.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨)؛ من حديث عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا.

(٢) أخرجه البخاري (١)؛ من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

والغالب على أهل القبور القصد الثاني -وهو أنهم يتقربون إلى الميت بذلك الطواف- فهم بذلك العمل صاروا مشركين؛ لأنهم عبدوا مع الله غيره.

والسلف المتقدمون من أهل القرون المفضلة لم يتكلموا في ذلك؛ لأنه لم يقع، ولم يعرف في عصرهم؛ لأن القبورية إنما نشأت في القرن الرابع.

وأكثر من أفاض في الكلام على شرك القبور، وبدع القبور، شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رَحِمَهُمَاٱللَّهُ، ثم من جاء بعدهما من أهل العلم، وعامة كلامهم يقتضي هذا التفصيل المتقدم؛ فإنهم تارة يصفون هذه الأعمال بالبدعة، وتارة بالشرك، والله أعلم.

الشرك والتبرك بالقبور

السؤال:

بعض الناس يقولون إن زيارة قبور الأولياء والصالحين للتبرك بها هي في واقع الأمر بنفس مستوى شرك العرب الذين كانوا في عهد النبي ﷺ، فهل هذا صحيح؟

الجواب:

الحمد لله؛ زيارة القبور نوعان:

زيارة شرعية، وهي زيارة القبور لتذكر الآخرة، والدعاء لموتى المسلمين، كما كان النبي ﷺ يزور القبور ويسلم عليهم ويدعو لهم، ويأمر أصحابه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ بذلك، ويعلمهم ما يقولون إذا زاروا القبور، مثل:

السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون»[١].

وأما قبور الكفار فتزار لتذكر الآخرة، ولا يستغفر لهم؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾ [التوبة].

النوع الثاني من الزيارة: الزيارة البدعية الشركية، وهي: زيارة قبور الأنبياء والأولياء والصالحين أو من يعتقد فيهم الصلاح، من أجل الصلاة عند قبورهم، أو الدعاء عندها، أو دعاء أصحابها، أو طلبهم وطلب الحوائج منهم، أو الطواف بتلك القبور والتمسح بها، فهذه الأعمال منها ما هو شرك أكبر؛ كدعاء الأموات والاستغاثة بهم وطلبهم قضاء الحوائج، وكذلك الذبح لهم والصلاة لهم.

ومنها ما هو بدعة ووسيلة إلى الشرك، مثل قصد الدعاء عند قبورهم -أي دعاء الله لا دعائهم- أو الصلاة لله عند قبورهم، أو الطواف والتمسح بقبورهم وما بني على قبورهم؛ بقصد التقرب إلى الله بذلك، والبناء على القبور بدعة ومنكر، كما قال ﷺ في الذين يبنون المساجد على القبور: «**أولئك شرار الخلق**»[٢]، وقال ﷺ: «**إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذلك**»[٣].

ولا شك أن زيارة القبور لدعاء أصحابها والاستغاثة بهم، وطلبهم قضاء الحوائج هو من جنس شرك الأولين، فإن الأولين كانوا يعبدون

---

(١) أخرجه مسلم (٩٧٤)؛ من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.
(٢) أخرجه البخاري (٤٢٧)، ومسلم (٥٢٨)؛ من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.
(٣) أخرجه مسلم (٥٣٢)؛ من حديث جندب البجلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الملائكة والأنبياء والصالحين، وتارة يعبدونهم عند قبورهم، وتارة يجعلون لما يعبدونه رموزًا كالأصنام التي ينحتونها على صور أولئك الصالحين، وحق الأنبياء والصالحين علينا هو محبتهم والإيمان بفضلهم، والاقتداء بهم فيما يعملون من الصالحات، وما يدعون إليه مما جاء عن الله بما أوحى به إلى رسله صلوات الله وسلامه عليهم.

وقد كان حدوث الشرك قديمًا في قوم نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ بسبب الغلو في الصالحين، وتصوير تماثيل لهم ووضعها في مجالسهم، ثم العكوف على قبورهم حتى انتهى بهم الأمر إلى عبادتهم من دون الله.

ولم يزل الشيطان يضل بني آدم بهذه الطريقة، كما هو الواقع في العالم الإسلامي، فالواجب على المسلم اتباع هدي الرسول ﷺ وهدي صحابته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في كل ما يأتي وما يذر، وهذا هو الصراط المستقيم، نسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يهدينا صراطه المستقيم صراط الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا، والله أعلم.

الطواف بالقبور بنية حصول البركة

السؤال:

هل من يقول: إني حين أطوف بالقبور لا أقصد دعاء الميت ولكني أقصد بركة المكان؛ لأنه احتوى على ذلك الجسد الطاهر، مثل قبر الرسول ﷺ. هل هذا له صارف عن وصفه بالشرك؟

الجواب:

الحمد لله؛ الشرك ضد التوحيد، والتوحيد هو عبادة الله وحده لا شريك له، والشرك هو عبادة غير الله؛ مع الله، فمن ذبح لغير الله تقربًا

إليه، أو طاف بقبره يتقرب إليه، أو أيُّ عبادة من العبادات يتوجه بها إلى حي أو ميت- كان مشركًا؛ لأن عمله ذلك هو الشرك الأكبر الذي لا يغفر، ويوجب خلود صاحبه في النار إذا مات على ذلك.

وهذا الذي يطوف بقبر الولي أو من يظن أنه ولي، ويدَّعي أنه لا يريد التقرب إليه لكن يعتقد أن الطواف به قربة إلى الله، وسببٌ لحصول ما جعله الله في ذلك العبد الصالح من البركة، مَن يفعل ذلك بهذا الاعتقاد؛ فهو مبتدع ضالٌّ وليس بمشرك؛ لأنه -بزعمه- يقصد بهذا الطواف التقرب إلى الله لتحصل له البركة التي يظنها في قبر هذا الميت.

وهذه البدعة بدعة الطواف بالقبور من أشنع البدع وأقبحها؛ لأن الطواف عبادة لم يشرعها الله إلا حول بيته العتيق، فالطائف بالقبر قد شبه بيت الميت ببيت الحي الذي لا يموت، قال تعالى: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾ [البقرة]، وقال تعالى: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾ [الحج].

وهذا الذي يزعم أنه لا يريد بهذا الطواف التقرب إلى صاحب القبر لا يبعد أن يكون كاذبًا ومخادعًا لمن ينكر عليه.

وعلى هذا؛ فإن كان صادقًا فيما زعمه ففعله ذلك بدعة وضلالة، ووسيلة من أقرب الوسائل المفضية إلى الشرك الأكبر، وقد تُعرف حقيقة الأمر بالقرائن الدالة على صدق أو كذب هذا القبوري الضال، فأمره دائر بين الشرك الأكبر، أو البدعة والشرك الأصغر، نعوذ بالله من الخذلان واستحواذ الشيطان، ونسأل الله العافية من شرك المشركين وبدع المبتدعين، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، والله أعلم.

الطواف حول القبر تقربًا إلى الله

السؤال:

ما حكم الطواف لله حول القبر؟

الجواب:

الحمد لله؛ الطواف بالقبر لله كالصلاة عند القبر لله هو بدعة وضلالة، إلا أن الطواف أشد في البدعة؛ لأن الطواف لا يشرع إلا حول البيت الحرام.

زيارة قبور الصالحين للدعاء عندها

السؤال:

ما حكم زيارة قبور الصالحين للدعاء عندها، علمًا بأن هذه الأسئلة تواجهنا عند زيارتنا لبلاد الشام؟

الجواب:

الحمد لله؛ زيارة القبور مشروعة لأمرين:

الأول: إحسان الزائر إلى الأموات بالدعاء لهم، وينبغي للزائر أن يتعلم الأدعية المأثورة، فيسلم عليهم، يقول: السلام عليكم يا أهل القبور، يرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين، نسأل الله لنا ولكم العافية، هذا إذا كانت قبور مسلمين، ولا سيما إذا كانوا معروفين بالصلاح، يدعى لهم بالمغفرة والرحمة.

والأمر الثاني: إحسان الزائر إلى نفسه، وذلك بالتذكّر، فيتذكر المصير الذي صاروا إليه، ويتذكر الآخرة، قال ﷺ في الحديث الصحيح: «**كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها، فإنها تذكركم الآخرة**»[(١)] وزاد ابن ماجه: «**تزهد في الدنيا**».

هذه هي الزيارة الشرعية.

وأما زيارة قبور الصالحين للدعاء عندها، بناء على اعتقاد أن الدعاء عندها مستجاب، وأنه أفضل من الدعاء في سائر البقاع، أو أفضل من الدعاء في المساجد وفي الأسحار، فهذا بدعة منكرة، والزيارة على هذا الوجه زيارة بدعية، وربما تنتهي إلى الزيارة الشركية؛ وهي زيارة القبور لدعاء الأموات والاستغاثة بهم وطلب شفاعتهم.

فالواجب على المسلم أن يقف بكل أموره عند حدود الله، ويحكِّم شرع الله، ولا يسير مع أهواء الناس ولا يكون مقلدًا للآباء والأجداد الذين كان الجهل يغلب على أكثرهم، وربما كانوا يفعلون ذلك بسبب قلة العلم، وعدم وجود المرشد والموجه للحق، لم يكونوا على هدى من الله في أعمالهم.

والدين مبناه على أمر الله المبلَّغ من رسوله ﷺ، وكل ما لم يكن موافقًا لأمر الله وهدي رسوله ﷺ فلا يجوز اتخاذه دينًا، كما قال ﷺ:

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٢٣٥)، والنسائي (٢٠٣٢)، والترمذي (١٠٥٤)، وابن ماجه (١٥٧١)؛ من حديث بريدة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. وأصله عند مسلم (٩٧٧).

«من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»[١]، وفي رواية[٢]: **«من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد»**، والله أعلم.

طلب الدعاء من الرسول عند قبره

السؤال:

من يقف عند قبر الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ويقول: ادع الله أن يشفي مريضي، هل هذا شرك أو بدعة؟

الجواب:

الحمد لله؛ ذكر شيخ الإسلام في بعض المواضع من «مجموع الفتاوى»[٣] أن هذا بدعة ووسيلة إلى الشرك، وله وجه.

قول القائل: «اشفع لي يا رسول الله عند الله»

السؤال:

يرجى بيان مدى جواز سؤال المسلم للرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ الشفاعة، كأن يقول: «اشفع لي يا رسول الله عند الله»، وذلك حين

(١) أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨)؛ من حديث عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا.
(٢) عند مسلم (١٧١٨).
(٣) كما في «مجموع الفتاوى» (١/ ٣٥١، ٣٥٤).

استشعاره بأن الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ تعرض عليه أعمال الأمة من قول أو فعل، مع إيمانه بأن الشفاعة تكون بإذن الله؟

الجواب:

الحمد لله؛ الرسول ﷺ هو سيد الشفعاء، وهو أول شافع وأول مشفع يوم القيامة، وكان عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يسأله الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ الدعاء، كما قال عكاشة بن محصن في حديث السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب: ادع الله أن يجعلني منهم، قال: «**أنت منهم**»[(١)].

وكما كان الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ إذا أجدبوا سألوه أن يستسقي لهم، كما قال أمير المؤمنين عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا؛ فيسقون»[(٢)]، هذا في حياته ﷺ.

فتبين من هذا الأثر الصحيح أن الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ كانوا يتوسلون بالنبي ﷺ؛ يعني يسألونه أن يدعو الله لهم في حياته، ولما مات عدلوا عن ذلك، ولم يكن أحد منهم يأتي إليه يسأله الدعاء، بل عدلوا إلى التوسل بدعاء العباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وعلم بذلك أن سؤال النبي ﷺ بعد موته الشفاعة في أمر خاص أو عام غير مشروع، بل هو بدعة في الدين، وهو حرام؛ لأنه وسيلة قريبة إلى الشرك الأكبر، وليس في الكتاب ولا في السنة ما يدل على أن النبي ﷺ يدعو لأحد وهو في قبره.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٤١)، ومسلم (٢٢٠)؛ من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (١٠١٠)؛ من حديث أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

لكن يوم القيامة يأتي إليه الناس ويسألونه أن يشفع لهم بعد أن يمروا على آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فيعتذرون عن التقدم إلى الله بالشفاعة، فيقوم ﷺ لها، ويشفع في أهل الموقف أن يقضي الله بينهم[١]، وهذا هو المقام المحمود الذي وعده الله به في قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾ [الإسراء].

ومن يأتي إلى قبر الرسول ﷺ أو إلى قبر غيره من الصالحين يسأله الشفاعة في شيء من أمر الدنيا أو الآخرة، فهو مبتدع ضال، أو مشرك، وهو متبع غير سبيل المؤمنين، فسبيل المؤمنين هو ما كان عليه الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وكل ما خالف ما كانوا عليه في أمر الدين فهو بدعة وضلال.

نسأل الله أن يبصرنا، وأن يعصمنا من الضلالة، بمنه وكرمه، والله أعلم.

وصف الرسول ﷺ بالملجأ والملاذ

السؤال:

أعيد هذه الأيام تصوير صحيح مسلم من نسخة المطبعة العامرة في تركيا، وهي من أصح الطبعات، وقد خدمت خدمة جليلة، ولها انتشار الآن، لكن جاء في آخرها قول المصححين الأوائل: «وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا

(١) كما عند البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤)؛ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ومولانا وملجئنا وملاذنا محمد وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين»، فهل قولهم عن النبي ﷺ: «ملجئنا وملاذنا» لا شيء فيه؟

الجواب:

الحمد لله؛ وصف الرسول ﷺ بالملجأ والملاذ يكثر في كلام أهل التصوف والغلو بالنبي ﷺ، وهذا الوصف لا يليق إلا بالله؛ لأنه القادر وحده على جلب ما يطلبه العباد من المنافع ودفع ما يحذرون من المضار، فبه سبحانه المعاذ واللياذ، وإليه الملجأ والمنجى، كما قال ﷺ: «**لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك**»[1]، وأما النبي ﷺ فقد قال الله له: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، وقال: ﴿قُلۡ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا ٢١ قُلۡ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٞ وَلَنۡ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدًا ٢٢ إِلَّا بَلَٰغٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦۚ﴾ [الجن: ٢١-٢٣].

ومعروف من حال أهل الغلو بالنبي ﷺ أنهم يدعونه ويستغيثون به في الشدائد، ويطلبون منه المدد؛ لأنهم يعتقدون فيه القدرة على التصرف في الكون حيًا وميتًا، فلا يجوز إطلاق وصف الملاذ والملجأ على الرسول ﷺ، وأما الذين تجري على ألسنتهم فلا ندري عن حقيقة اعتقادهم، والتصور الذي عندهم عن هذه الكلمات، ولعلها تجري على ألسنتهم تعبيرًا عن حبهم للنبي ﷺ دون أن يعتقدوا حقائقها، فهو سبحانه أعلم بسرائرهم، وليت ناشر الكتاب المذكور -جزاه الله خيرًا- علَّق على هذا الموضع أو حذفه، والله أعلم.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٧)، ومسلم (٢٧١٠)؛ من حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الشرك الأصغر والكبائر

السؤال:

هل الشرك الأصغر أعظم من الكبائر، وهل هذا القول على إطلاقه؟

الجواب:

الحمد لله؛ دلَّت النصوص على أن الشرك فيه أكبر وأصغر، فالأكبر منافٍ لأصل الإيمان والتوحيد، وموجبٌ للردة عن الإسلام، والخلودِ في النار، ومحبطٌ لجميع الأعمال، والصحيح أن الشرك الأكبر هو الذي لا يغفر، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، وأما الشرك الأصغر فهو بخلاف ذلك، فهو ذنبٌ من الذنوب التي دون الشرك الأكبر، فيدخل في عموم قوله تعالى: ﴿وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، وهو أنواع:

- شرك يكون بالقلب؛ كيسير الرِّياء، وهو المذكور في قوله ﷺ: «**أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**»، فسئل عنه فقال: «**الرياء**»[(١)].

- ومنه ما هو من قبيل الألفاظ؛ كالحلف بغير الله، كما قال ﷺ: «**من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك**»[(٢)]، ومنه قول الرجل: لولا الله وأنت، وهذا من الله ومنك، ولولا كُليبة هذا لأتانا اللصوص، ولولا

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢٣٦٣٠)؛ من حديث محمود بن لبيد، وحسن إسناده ابن حجر في «بلوغ المرام» (١٤٨٤)، وصحح الحديث الألباني في «صحيح الجامع» (١٥٥٥).

(٢) أخرجه الترمذي (١٥٣٥)، وحسنه؛ من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

البطُّ في الدار لأتانا اللُّصوص، كما جاء في الأثر المروي عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢﴾ [البقرة][١]، ومنه قول الرجل: ما شاء الله وشئت.

وقد ذكر بعض أهل العلم أن الشرك الأصغر عند السلف أكبر من الكبائر، ويشهد له قول ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «لأنْ أحلف بالله كاذبًا أحبُّ إليَّ من أن أحلف بغيره صادقًا»[٢]. ومعلومٌ أن الحلف بالله كذبًا هي اليمين الغموس، ومع ذلك رأى أنها أهون من الحلف بغير الله.

والذي يظهر -والله أعلم- أن الشرك الأصغر ليس على مرتبة واحدة، بل بعضه أعظم إثمًا وتحريمًا من بعض؛ فالحلفُ بغير الله أعظم من قول الرجل: ما شاء الله وشئت؛ لأنه جاء في حديث الطُّفيل -الذي رواه أحمد وغيره- أن الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ كانوا يقولون: ما شاء الله وشاء محمد، ولم ينههم ﷺ عن ذلك في أول الأمر حتى رأى الطُّفيل الرؤيا وقصَّها على النبي ﷺ: فخطبهم النبي ﷺ، ونهاهم عن ذلك، وقال: «**إنكم كنتم تقولون كلمة كان يمنعني الحياء منكم أنْ أنهاكم عنها، لا تقولوا: ما شاء الله، وما شاء محمد**»[٣]، وفي رواية «**قولوا: ما شاء الله ثم شاء محمد**»[٤].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١ / ٥٨).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٣ / ٤٨٠) وعبد الرزاق (١٥٩٢٩) في مصنفيهما. قال المنذري: «رواته رواة الصحيح». «الترغيب والترهيب» (٤/ ٥٨)، وكذا الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ١٨٠).

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٢٠٦٩٤). قال شهاب الدين البوصيري: «إسناد حديث الطفيل صحيح». إتحاف الخيرة (٥/ ١٣٣).

(٤) عند الدارمي (٢٦٩٩)، وهي عند أحمد (٢٣٣٣٩)، وابن ماجه (٢١١٨)؛ من حديث حذيفة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

وهذا يقتضي أنه كان يكره ذلك، ولم ينزل عليه فيه نهي؛ إذ لو نزل عليه فيه شيءٌ لبلَّغه النبيُّ ﷺ، ولَمَا منعه الحياء، فقد قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [المائدة].

والظاهر أيضًا: أن قول السَّلف: الشركُ الأصغر أكبر من الكبائر، يعني مما هو من جنسه؛ كالحلفِ بغير الله، فالحلفُ بغير الله صدقًا أكبر من الحلف بالله كذبًا كما في أثر ابن مسعود، وجنس الشرك أكبر من جنس الكبائر، ولا يلزم من ذلك أن يكون كلُّ ما قيل: إنه شرك أصغر يكون أكبر من كل كبيرة، ففي الكبائر ما جاء فيه من التغليظ والوعيد الشديد ما لم يأت مثلُه في بعض أنواع الشرك الأصغر، كما تقدم في قول الرجل: ما شاء الله وشئت، والله أعلم.

فتوى أخرى في الموضوع نفسه

السُّؤَال:

إطلاق القول بأن الشرك الأصغر أكبرُ من كبائر الذنوب (فيما سوى الشرك) كالربا والفواحش والقتل، هل هو مستقيم؟ وهل يستقيم الاستدلال على ذلك بقول ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «لأن أحلف بالله كاذبًا أحبُّ إليَّ من أن أحلف بغيره صادقًا»، وأخذُ قاعدة منه على سائر أنواع الشرك الأصغر وسائر الذنوب؟

الجواب:

الحمد لله، هذه المقولة -وهي أن الشركَ الأصغرَ أكبرُ من الكبائر- مشهورةٌ عن الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ذكرها في كتاب

التوحيد في «بابٌ من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه» تعليقًا على قول النبي ﷺ لعمران بن حصين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لما دخل عليه وفي عضُده حلْقة من صفر، فقال: «**ما هذه؟**» قال من الواهنة. قال ﷺ: «**انزعها؛ فإنها لا تزيدك إلا وهنا؛ فإنك لو مِتَّ وهي عليك ما أفلحت أبدًا**»[١]، قال الشيخ في مسائله: «الثانية: أن الصحابيَّ لو مات وهي عليه ما أفلح. فيه شاهد لكلام الصحابة أن الشرك الأصغر أكبر من الكبائر»اهـ، يشير رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى قول ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «لأن أحلف بالله كاذبًا أحبُّ إليَّ من أن أحلف بغيره صادقًا»، ونقل هذه العبارة عن الإمام من بعده أئمةُ الدعوة رحمهم الله جميعهم، وورد في بعض أجوبة شيخنا عبد العزيز ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن الشرك الأصغر أشدُّ من الكبائر (فتاوى نور على الدرب ج٤ ص٥٢).

ومضمون هذه المقولة أن الشرك الأصغر كالحلف بغير الله، أو قول القائل: ما شاء الله وشئت، أعظم من الزنا وأكل الربا وأكل مال اليتيم، وهذه كبائر عظيمة ورد فيها وعيد شديد في القرآن والسُّنة، قال فيها الرسول ﷺ: «**اجتنبوا السبع الموبقات**»، وذكر منها هذه الكبائر، متفق عليه، ولا يخفى ما جاء في القرآن من الوعيد على كل واحدة منها.

ولم يأت مثلُ ذلك في الشرك الأصغر، ولم يستدل الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب ولا غيره -فيما أعلم- على هذا الحكم، وهو أن الشرك الأصغر أكبر من الكبائر إلا بأثر ابن مسعود، وعندي أنه لو قيل:

---

(١) رواه الإمام أحمد (٢٠٠٠٠) وابن ماجه (٣٥٣١) وابن حبان (٦٠٨٥) والحاكم (٤/ ٢١٦).

إن الشرك الأصغر أكبر من الكبائر من بعض الوجوه، مثل أنه لا يُغفر، على القول بذلك، وهو محلُّ نظر أيضًا أعني القول بأنه لا يغفر، ومن وجه آخر وهو أن جنس الشرك أعظمُ من جنس سائر الذنوب؛ لأنه إخلالٌ فيما يستحقه الربُّ من إخلاص العبادة وإفراده بالتعظيم، فهذان وجهان لتقييد تلك المقولة، وبذلك يزول الإشكال، ويستقيم المقال،

وقول السائل: «وهل يستقيم الاستدلال على ذلك» إلخ، أقول: نعم؛ هذا موجَب كلام الشيخ الإمام، وفيه ما فيه، كما تقدم، والله أعلم.

عزو الفلكيين الأمطار إلى المنخفضات الجوية

السُّؤَال:

يعزو أهل الأرصاد الجوية حصول المطر إلى المنخفضات والرياح ونحوها، ونحن نعلم أن الله جعل لكل شيء سببًا، لكن أشكل علينا حديث «مطرنا بنوء كذا وكذا»، وهل يفرق بين الأنواء وغيرها في نسبة المطر إليها؟ أو أن الكل ممنوع؟ وهل يفرق بين النسبة قبل وبعد نزول المطر؟

الجواب:

الحمد لله؛ قول أهل الجاهلية مطرنا بنوء كذا وكذا، يعنون به أحد الكواكب التي تسمى الطوالع والأنواء وهي ثمانية وعشرون، فالطالع للطالع منها في المشرق، والنوء للغارب منها في المغرب، وللقمر في كل ليلة اقتران بواحد منها، ولذلك تسمى منازل القمر.

وقولهـم: «مطرنا بنـوء كذا» فيه خطأ من وجهين:

أحدهما: اعتقاد أن الكواكب سبب في نـزول المطر، وليس لهم على ذلك من دليل إلا مجرد الاقتران الزمني، ومجردُ الاقتران لا تثبت به السببية.

الثاني: نسبة نعمة المطر إلى السبب بحسب اعتقاده، وفي هذا إضافة النعمة لغير الله، وهو سبحانه المنعم المتفضل في الحقيقة، فإنه خالق السبب والمُسبب، ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]، وقد سمَّى الله نسبة المطر إلى الكوكب كفرًا، كما في الحديث القدسي: «**وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي، مؤمن بالكوكب**»[(١)].

فمن كان يعتقد استقلال الكوكب بالتأثير في حصول المطر فهو كافر الكفر الأكبر، ومن كان يعتقد أن الله جعله سببًا مؤثرًا، فهذا جهل منه لم يصدر فيه عن علم، ونسبة المطر إليه حينئذ هو كفر دون كفر.

وأما ما يقوله الفلكيون المعاصرون من وجود منخفض جوي، فإنهم يعتمدون في إدراك ذلك المنخفض على المراصد التي يرقبون بها أحوال الجو، ويزعمون أن هذا المنخفض يمتد من كذا إلى كذا، ويرون أن وجود المنخفض ينشأ عنه تارة برد أو مطر أو هما معًا، ولا ريب أنهم بالمراصد يدركون من أحوال الجو قريبةً وبعيدةً ما لا يدرك بدونها، ثم قد يصيبون وقد يخطئون، ولكنهم يدخل عليهم الغلط من جهتين:

---

(١) أخرجه البخاري (١٠٣٨)، ومسلم (٢٤٠)؛ من حديث زيد بن خالد الجهني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

إحداهما: الجزم بما لم يقع بناء على وقوع مبادئه، فما لم يقع فأمره إلى الله، فإنه المتصرف بالأسباب والمسبَّبات، وقد يوجد السبب ولا يوجد المسبَّب، لعدم شرط أو وجود مانع، والله تعالى هو المتفرد بما يتوقف عليه تأثير السبب من وجود شروط وانتفاء موانع.

لكن يسلمون من هذا الغلط إذا اقتصروا على قولهم: يتوقع حصول كذا وكذا، كما يقول الإنسان العادي إذا رأى السحاب منعقدًا وثقيلًا: نحن في حروة مطر [أي: انتظار مطر]، ونحو ذلك.

الجهة الثانية من جهتي الغلط: نسبة ما يحدث من برد أو مطر إلى السبب، معرضين عن ذكر الله.

فأما إذا قالوا: يتوقع أن يكون كذا بمشيئة الله أو بإذن الله، فإنهم يسلمون من مشابهة أهل الجاهلية في نسبة نعم الله إلى غيره، ونسبة الحوادث إلى أسبابها، غافلين عن الله تعالى، والله أعلم.

تعليق جملة (ما شاء الله) على البيوت ونحوها

السؤال:

ما حكم تعليق جملة (ما شاء الله) على المحلات والبيوت لتذكير الناس بها وحماية لها من العين؟

الجواب:

الحمد لله؛ تعليق جملة (ما شاء الله) لا أرى له فائدة في دفع العين، وذلك لأمور:

- أن المعلِّق لها إن اعتقد أن مجرد تعليقها يدفع العين صار من نوع تعليق التمائم.

- وإن أراد من تعليقها تذكير من ينظر إلى المحل حتى يقولها فإن الغالب أنه ليس كل من رآها قرأها، ومن قرأها فالغالب أنه لا يريد إلا مجرد القراءة، لا يريد دفع ما قد يكون في نفسه من إعجاب، بل لا يكون مستشعرًا لمعناها.

- أن هذه الجملة ليست مما يشرع للعائن ذكره عند إعجابه بشيء، وإنما تشرع لمن أعجب بشيء ليتذكر أن هذا بمشيئة الله وقوته، لا بمشيئة العبد وقوته، كما قال المؤمن لصاحب الجنتين: ﴿وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [الكهف: ٣٩].

وأما من خاف أن يصيب غيره بعينه فالمشروع له التبريك، بأن يقول: بارك الله فيه، وبارك عليه، كما جاء في الحديث في قصة سهل بن حُنيف، وأن النبي ﷺ قال للعائن: «**ألا بركت؛ إن العين حق، توضأ له**»[1].

---

(١) أخرجه مالك في «الموطأ» (٣٤٥٩)؛ من حديث أبي أمامة بن سهل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه ابن حبان (٦١٠٥). وقال الألباني: «إسناده صحيح». «الصحيحة» (٢٥٧٢).

لبس القلائد التي فيها ذكر الله

السؤال:

ما حكم لبس القلائد المكتوب فيها اسم الله أو عبارات أخرى، مثل: ما شاء الله، وغيرها؟

الجواب:

الحمد لله؛ لا ينبغي لبس ما فيه ذكر الله؛ لأن ذلك يعرضه للامتهان، وقد قال أهل العلم: إن لبس التمائم من القرآن يؤدي إلى امتهان ما فيها من ذكر الله، فإنه قد يدخل بها محل قضاء الحاجة، وقد تكون القلادة في موضع من البدن مستقذر، فينبغي عدم كتابة شيء من أسماء الله، أو آيات القرآن على ما يُلبس، والله أعلم.

سب الدهر وما يدخل فيه وما لا يدخل

السؤال:

ما ضابط سب الدهر مع آية: ﴿أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾ [فصلت: ١٦]، ﴿يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ۝١٩﴾ [القمر]، ﴿يَوْمٍ عَقِيمٍ ۝٥٥﴾ [الحج]، «أيام خداعات»؟

الجواب:

الحمد لله؛ ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «**قال الله عَزَّوَجَلَّ: يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر؛ أقلب الليل والنهار**»[1]،

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٢٦)، ومسلم (٦٠٠٠)؛ من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

والدهر هو الزمان، والحديث يدل على تحريم سب الزمان، ويدخل فيه أجزاؤه؛ كالساعة واليوم، وسبُّ الدهر يكون بلعنه وتقبيحه، وبإضافة فعل المكروه إليه، كقول الكفار: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤]، وفي معناه: أبادهم الزمان، ومزقتهم الأيام، ومثل ذلك ما جاء على ألسن كثير من الشعراء، كقول زهير بن أبي سلمى:

يا دهر قد أكثرت فجعتنا

بسراتنا وقرعت في العظم

وكقول الشريف المرتضى:

قطعتَ بها يا دهرُ حبلَ وتيني

فشأنك أنّى اليومَ طوعُ شؤوني

وقول أبي تمام:

يا دهر قوِّم من اخْدَعيْكَ فقد

أضْجَجْتَ هذا الأنامَ من خُرُقِكْ

وقول المتنبي:

قبحًا لوجهك يا زمان فإنه

وجه له من كل قبح بُرقُعُ

أيموت مثل أبي شجاعٍ فاتِكٍ

ويعيش حاسده الخصي الأوكعُ

ومن يقبِّح الزمان أو الليالي والأيام والساعات ففعله ذلك يقتضي اعتقاده أنها هي التي تفعل ما يحدث فيها من المصائب، فمن أجل ذلك

قبَّحها، ومنهم من يصرح بإضافة الفعل إلى الدهر والزمان، كما في الأبيات الثلاثة الأولى.

وقد دلَّ على تحريم ذلك الحديثُ المتقدم مع قوله تعالى في ذم الكفار: ﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ٢٤﴾ [الجاثية].

وأما وصف الزمان بما يقع فيه مما يقدره الله من الخير والشر، كقولك: يوم مطير، ويوم بارد، وحار، ويومٌ نحسٌ، فلا يدخل ذلك في سب الدهر والأيام؛ لأنه خبر محض عمَّا جرى فيه من قدر الله، قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾ [فصلت: ١٦]، وقال تعالى عن لوط: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ٧٧﴾ [هود].

أما ما يحتمل السبَّ والإخبار عما جرى فيه من المكروه، كقول بعض الناس: هذا يوم أسود، فينبغي اجتنابه.

وأما البيت المنسوب إلى الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو:

دعِ الأيام تفعل ما تشاء
وطب نفسًا إذا حكم القضاء

فلا أظنه يصح عن الإمام الشافعي، فقد نُسِب إلى هذا الإمام شعر لا يصح أكثره، ومنه هذا البيت، وفيه خطآن:

الأول: قوله: «دع الأيام» ففيه التوجيه إلى ترك المدافعة، والشرع والعقل يقتضيان فعل الأسباب لدفع المكروه، نعم؛ الصوفية هم الذين يأمرون بترك الدفع، ويأمرون بالاستسلام للقدر وترك الأسباب.

الثاني: فيه نسبة الفعل والمشيئة إلى الأيام، ولا مشيئة لها ولا فعل، بل الذي يشاء ويفعل هو الله جَلَّوَعَلَا، فتنبه، والله أعلم.

مدح الدهر ونسبة الحوادث إليه

السؤال:

قال أحد المؤلفين القدماء في معرض الرد على من انتقده: «وقد تعودت سماع النقد، فإن كان القائل مصيبًا في قوله أجبته، وإلا نبذته نبذ النواة، تاركًا له الدهر ليؤدبه؛ فهو أحسن مؤدب»، هل هذه العبارة تعد من سب الدهر؟

الجواب:

الحمد لله؛ ليس في هذه العبارة سبٌّ للدهر؛ بل تعظيم للدهر بأنه مؤدب، بل هو خير مؤدب لمن خرج عن الجادة في نظر صاحب العبارة المسؤول عنها، وهو بهذا يشارك أهل الجاهلية في إضافة الحوادث إلى الدهر، لكن أهل الجاهلية الذين ذكر الله قولهم في القرآن يضيفون إليه ما يكرهونه فيكون سبًّا، وهذا يضيف إلى الدهر ما يحبه مما يصيب عدوَّه من المصائب والنكبات، ويَعتبر ذلك تأديبًا، ويكون الدهر بذلك عنده خير مؤدب، فكلٌّ منهما مشرك، فالدهر هو المهلك عند أولئك، والمؤدب عند هذا.

وعليه؛ فالسابُّ للدهر والمادحُ له مذموم لإضافتهما الخير والشر إليه.

وقد اعتبر الشرعُ سابَّ الدهر سابًّا لله؛ لأنه تعالى المتصرف في الدهر، والسابُّ يسب مَن فَعَل به ما يكره، والله هو الفاعل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولكن لا يقال في مدح صاحب العبارة للدهر مدحٌ لله؛ لأنه إنما مدح الدهر بما يوافق هواه، وذلك بنزول المصائب بعدوه، ولو نزلت المصائب به هو للعن الدهر، وصار عنده شرَّ فاعل وشرَّ متصرف.

وإذْ قد جرى البحث عن صاحب العبارة، فتبين أنه نصراني عربي (يدعى أنستاس الكرملي، وكتابه الذي وردت فيه عبارته هو «نشوء اللغة العربية» المقدمة) فلا تستغرب منه هذه المقولة، فسبيله سبيل أهل الجاهلية الذين يقولون: ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤]، فبعدًا للجاهليين المشركين من النصارى والوثنيين، والحمد لله على نعمة الإسلام والتوحيد، ونسأل الله الثبات على ذلك والبصيرة في الدين.

عبارة: «الزمن لا يرحم الحيارى»

السؤال:

دار نقاش بين مجموعة من طلبة العلم حول جزئية من المقال المرفق، وهي قول الكاتب: «إذ الزمن لا يرحم الحيارى»، هل يدخل في سب الدهر؟ وأرادوا عرضه على علماء العقيدة شريطة أن يقرأ الكلام كاملًا على الشيخ؟ فما تقولون؟ جزاكم الله خيرًا

الجواب:

الحمد لله؛ إن الزمن والدهر شيء واحد، أو معناهما متقارب، وهما ظرف لمجاري الأقدار، والله تعالى هو الفاعل لكل ما يحدث في

الزمان، وهو الذي يقلب الليل والنهار، ويقدِّر الأقدار، وكان أهل الجاهلية ينسبون الإهلاك إلى الدهر، قال تعالى عنهم: ﴿وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُ﴾ [الجاثية: ٢٤]، وهم بذلك يسبون الدهر، والله تعالى هو الذي يحيي ويميت، ويسعد ويشقي ويهلك، كل ذلك بمشيئته وحكمته، وسب أهل الجاهلية الدهر بنسبة الإهلاك إليه هو في المعنى سبٌّ لله، كما صح بذلك الحديث القدسي، قال تعالى: «**يؤذيني ابن آدم؛ يسبُّ الدهر، وأنا الدهر، أقلب الليل والنهار**»[1].

فقول القائل: «الزمن لا يرحم الحيارى» يتضمن أن الزمن -وهو الدهر- يرحم ولا يَرْحم، فمن رحمه ظفر بمطلوبه، ومن لم يرحمه لم يظفر، وما يحصل من الحرمان للحيران سببه معقول وهو التردد؛ كالكسل، فكلاهما مضيعة للأوقات وسبب للفوت، والكَيْسُ والعزم مع صدق التوكل أقوى سبب لنيل المطالب، والله تعالى هو المعطي المانع، وأما الزمن فلا يعطي ولا يمنع.

إذن؛ فقول الكاتب: «الزمن لا يرحم الحيارى» هو من قبيل سبِّ الدهر، لكن إن كان الكاتب يعتقد أن للزمن تأثيرًا في العطاء والحرمان فهو على طريقة أهل الجاهلية، وإن كان لا يعتقد ذلك فهو من الغلط في التعبير، والمسلم في غنى عن أن يجره التجديد والتزويق في العبارات إلى الوقوع في المنهيات، والله أعلم.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٢٦)، ومسلم (٦٠٠٠)؛ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

من ألفاظ الحلف بغير الله

السؤال:

ما حكم قول: حرام بالله، وحياة أبوي، وحياة جدي، في ذمتك، يمين بالله، أمانة، حشا والحشا عن ألف يمين؟

الجواب:

الحمد لله؛ الغالب على هذه الألفاظ أنها أيمان، وأكثرها من الحلف بغير الله؛ فهي شرك.

فقول القائل: «حرام بالله»، الظاهر أنه يمين اجتمع فيه القسم بالله مع التحريم، وتحريم المباح هو في حكم اليمين، كأن هذا القائل يؤكد ويقول: حرام بالله لا أفعل كذا، أو حرام بالله ما فعلت كذا، فإن كان صادقًا فقد برَّ بيمينه، وإن كان كاذبًا فعليه إثم كذبه، ويمينه يمين غموس، وإن كان حلف أن يفعل أو ألا يفعل، ثم لم يف بوعده فعليه الكفارة كفارة يمين، وهي: إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم أو عتق رقبة، فإن لم يجد فصيام ثلاثة أيام.

وأما قول القائل: «وحياة أبي، وحياة جدي» فهذا من الحلف بغير الله وهو شرك، وفي الحديث: «**من حلف بغير الله فقد أشرك**»[1] وهو

(١) أخرجه أبو داود (٣٢٥١)، والترمذي (١٥٣٥) وحسنه؛ من حديث ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

صحيح، وقال ﷺ: «**لا تحلفوا بآبائكم، ولا بأمهاتكم، ولا بالأنداد، ولا تحلفوا إلا بالله ولا تحلفوا بالله إلا وأنتم صادقون**»(١).

وقول القائل: «يمين بالله» يشبه حرام بالله، فهو من الحلف بالله، وهذا جائز لكن يجب أن يكون الإنسان صادقًا، «**ولا تحلفوا بالله إلا وأنتم صادقون**».

وقول القائل: «في ذمتك»، هذا أسلوب لفظ يشعر بالقسم لكن ليس له حكم القسم، فلا تجب فيه الكفارة، لكن يجب على الإنسان أن يَصْدُقَ، حلف أو لم يحلف.

أما قول القائل: «أمانة»، إن كان يقصد أن يقول: والأمانة، فهذا من الحلف بالأمانة، وفي الحديث: «**ليس منا من حلف بالأمانة**»(٢).

أما إذا كان المخاطب يقول لصاحبه الذي أخبره: أمانة، يعني: اذكر الأمانة أنك صادق بخبرك، لا تكذب علي، فليس في هذا شيء؛ لأنه قال: اصدقني.

وأما «حشا» أو «حاشا» فليست من الحلف في شيء، وهي تدل على تنزيه المذكور عما نسب إليه من العيب، كما قالت النسوة: ﴿قَالَ مَا

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٢٤٨)، النسائي (٣٧٦٩)؛ من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. وصححه ابن حبان (٤٣٥٧)، وابن الملقن في «البدر المنير» (٩/ ٤٥٥).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٢٥٣)، وأحمد (٢٢٩٨٠) واللفظ له؛ من حديث بريدة بن الحصيب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وصححه ابن حبان (٤٣٦٣)، والحاكم (٧٨١٦)، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في «المجمع» (٧٧٤٢): «رجاله رجال الصحيح خلا الوليد بن ثعلبة وهو ثقة».

خَطۡبُكُنَّ إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفۡسِهِۦۚ قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖ﴾ [يوسف: ٥١]، فإذا ذكر إنسان بما لا يليق به يقول القائل مدافعًا عنه: حاشا، يعني: حاشا أن يكون فلان كما قيل عنه، والله أعلم.

الحلف بـ «لَعَمْرِي»

السُّؤَالُ:

ما هو حكم القسم بلفظة «لَعَمْري» أو «لعمرك»؟ حيث إننا نسمع كثيرًا من العلماء من يردد هذا اللفظ، ومن هذا قول الإمام الشافعي:

.... * هذا لَعمرُك في القياس بديع

الجواب:

الحمد لله؛ قول القائل: «لعمري» أو «لعمرك»، يقول أهل اللغة إن هذا غير صريح في القسم؛ لأن النحاة يقدرون لعمري: قسمي، أو يميني، وقد جاء في القرآن قوله تعالى: ﴿لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ٧٢﴾ [الحجر]، وجاء في تفسيرها عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا: أن الله حلف بحياة نبيه عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ.

وقد اختلف أهل العلم في حكم هذا اللفظ:

منهم من قال: إنه لا يجوز التعبير به؛ لأنه من نوع الحلف بغير الله، والحلف بغير الله شرك.

وأكثر العلماء على أنه جائز، وذلك أنه ليس عندهم صريحًا في القسم، كما قال النحاة، بل هو لفظ يؤتى به للتأكيد.

وما دام الأمر كما ذكر فالأولى تجنبه.

لكن لا ريب أن من قال ذلك مريدًا للقسم فإنه قد حلف بغير الله، وأما إن جرى على لسانه على أنه أسلوب عربي في تأكيد الكلام فليس من قبيل الحلف بغير الله، فلا يكون شركًا، وعلى كل حال قد قال ﷺ: «**دع ما يريبك إلى ما لا يريبك**»(١)، والله أعلم.

الحلف بجاه النبي ﷺ

السُّؤَالُ:

ما حكم من يقول أو يحلف بجاه سيدنا محمد ﷺ مثلًا؟

الجواب:

الحمد لله؛ لقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا تحلفوا بآبائكم ولا بأمهاتكم ولا بالأنداد، ولا تحلفوا بالله إلا بالله، ولا تحلفوا إلا وأنتم صادقون**»(٢)، وجاء عنه ﷺ أنه قال: «**من حلف بغير الله فقد أشرك**»(٣).

فالحلف من المخلوق لا يجوز إلا بالله، أو صفة من صفاته؛ كعزته، وقدرته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٥١٨)، والنسائي (٥٧١١)؛ من حديث الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح»، وصحح إسناده الحاكم (٢١٦٩)، وقال الذهبي في «التلخيص على المستدرك» (٥: ٢٥١٨): «سنده قوي».

(٢) أخرجه أبو داود (٣٢٤٨)، والنسائي (٣٧٦٩)؛ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وصححه ابن الملقن في «البدر المنير» (٩ / ٤٥٥).

(٣) أخرجه أبو داود (٣٢٥١)، والترمذي (١٥٣٥) وحسنه؛ من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. «المستدرك» (١ / ٦٥).

وعلى هذا؛ فلا يجوز الحلف بأي مخلوق، ولا بصفة من صفات المخلوق، لا بالرسول ﷺ، ولا بملك من الملائكة، ولا بالكعبة، ولا بحياة فلان، أو شرف فلان، أو رأس فلان، أو بالسيد فلان، كما يقع من كثير من الجهّال والضلال، وجاه الرسول ﷺ هو صفة له؛ وهي منزلته ووجاهته عند ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فهي صفة من صفاته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، مثل سيادته وولايته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، أو رسالته.

فالمقصود أنه لا يجوز الحلف بالمخلوق مهما كان شريفًا، ومهما كان له من الفضل، ومحمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ هو سيد ولد آدم ومع ذلك فقد قال ﷺ: «**من حلف بغير الله فقد أشرك**»، فالواجب الحذر من الشرك كله ظاهره وخفيّه، قوليّه وفعليّه، عصمنا الله وإياكم من أسباب سخطه، والله أعلم.

الحلف بالطلاق ليس من الحلف بغير الله

السؤال:

هل لفظ: «عليَّ الطلاق» يعد من الحلف بغير الله تعالى؟

الجواب:

الحمد لله؛ الحلف بالطلاق ليس من الحلف بغير الله الذي هو شرك؛ لأن هذا ليس مقصوده التعظيم للمحلوف به، فالحلف الذي هو شرك هو الحلف الذي يقصد منه تعظيم المحلوف به: كالحلف بالنبي ﷺ، وبشرف فلان وبالعزى واللات كما يحلف المشركون، ولكن هذا

يسمى حلفًا من حيث المعنى؛ لأن المقصود من الحلف هو الحض والمنع، والذي يقول: عليّ الطلاق، أو إن فعلت كذا فعليّ الطلاق، أو عبيدي أحرار؛ يقصد منع نفسه، كما يقول: والله لأفعلنّ كذا، أو لا أفعل كذا. فلهذا أوجب كثير من العلماء على من حنث في هذه الأيمان كفارة اليمين، والله أعلم.

الحلف بحياة الله

السُّؤَالُ:

ما حكم الحلف بحياة الله؟

الجواب:

الحمد لله؛ ليس للمخلوق أن يحلف إلا بالله؛ لقوله ﷺ: «**من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت**»[١]، وقوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**لا تحلفوا بآبائكم، ولا بأمهاتكم، ولا بالأنداد، ولا تحلفوا إلا بالله، ولا تحلفوا بالله إلا وأنتم صادقون**»[٢]، وفي الحديث: «**من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك**»[٣]، وفي حكم الحلف بالله الحلفُ بسائر أسمائه وصفاته؛ كعزته سبحانه وقدرته وعلمه وكلماته؛ فإن الحلف بها يرجع إلى معنى الحلف بالله؛ لأن الحلف بالشيء تعظيم له، وتعظيم الصفة تعظيم

(١) أخرجه البخاري (٢٦٧٩)، ومسلم (١٦٤٦)؛ من حديث ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

(٢) أخرجه أبو داود (٣٢٤٨)، والنسائي (٣٧٦٩)؛ من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وصححه ابن حبان (٤٣٥٧)، وابن الملقن في «البدر المنير» (٩/ ٤٥٥).

(٣) أخرجه أبو داود (٣٢٥١)، والترمذي (١٥٣٥) وحسنه، من حديث ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

للموصوف، فالحلف بالصفة يشبه التعوذ بالصفة والتوسل بها، فقولك: ووجهِ الله، أو بوجه الله أو وعزةِ الله أو بعزة الله لأفعلن كذا، يشبه قولك: أعوذ بوجه الله، أعوذ بعزة الله من كذا وكذا.

وعلى هذا؛ فالحلف بحياة الله كالحلف بعزته وقدرته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لكن الأولى الحلف باسمه تعالى الجامع لمعاني أسمائه وصفاته، وهو الله، بل هذا هو الأصل في الحلف، والله أعلم.

الحلف بغير الله

السُّؤَال:

ما نوع الباء في قول الشاعر «بأبي» من قوله:

بأبـي إِخـوةٌ ترحَّلـت عنهـمْ
فترحَّـلـتُ عـن سـروري وأنـسي
فارقونـي فأرَّقونـي وأذكَـوا
شـعلةُ الوجـد فـي خواطـر نفـسي

وهل هي للقسم؟ وإذا كانت كذلك فهل يجوز الاستشهاد بالبيت؟

الجواب:

الحمد لله؛ قول الشاعر: بأبي إخوة... الخ، الباء للتعدية لا للقسم، على معنى: أفديهم بأبي، كقول الشاعر الآخر:

بنفسي تلك الأرض ما أطيب الربا
وما أطيب المصطاف والمتربعا

وكقول أبي بكر الصديق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في الحسن بن علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، كما في الصحيح: «بأبي شبيه بالنبي لا شبيهٌ بعلي»[(١)].

وقد قدره الشراح: هو مفدًّى بأبي أو أفديه بأبي.

ولا يصلح أن تكون الباء في البيت المسؤول عنه للقسم؛ إذْ ليس فيه ما يصلح أن يكون جوابًا للقسم.

وعلى هذا؛ فلا حرج في إنشاده أو إنشاء مثله؛ لأن مثل هذا لا يراد به حقيقة التفدية والتفضيلُ للمفدى، وإنما هو أسلوب يقصد به التعبير عن الإعجاب والحب وبيان المنزلة، والله أعلم.

حديث: «أفلح و أبيه»

السُّؤَالُ:

حديث أفلح وأبيه إن صدق[(٢)] هل يدل على جواز الحلف بغير الله؟

الجواب:

الحمد لله؛ حديث: «**أفلح وأبيه إن صدق**» لا يعمل به؛ لشذوذه أو نسخه، أو أنَّ المراد باللفظ مجردُ التأكيد أو التعجب، فتحريم الحلف بغير الله أحاديثه صحيحةٌ صريحةٌ محكمة، وهذا الحديث مِن المتشابه، فلا

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٤٢)؛ من حديث أبي بكر الصديق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. وعنده أيضًا (٣٧٥٠) بلفظ: «بأبي شبيه بالنبي *** ليس شبيهٌ بعلي»، و(ليس) هنا بمعنى (لا) العاطفة، والتقدير: «لا شبيه بعلي»؛ كما جاء في كثير من الروايات، وروي: «ليس شبيها بعلي» فيستقيم على الجادة نحوًا ووزنًا.

(٢) أخرجه البخاري (٤٦)، ومسلم (١١)، وزيادة: «**وأبيه**» عنده؛ من حديث طلحة بن عبيد الله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

يُعارِض الأحاديثَ الصحيحةَ الثابتةَ المحكمة، فلا بد من تأويله وصرفه عن ظاهره، فلا يستدل به على جواز الحلف بغير الله، والله أعلم.

عبارة (كوارث طبيعية)!

السؤال:

هل لهذا الإطلاق وجه صحيح (الكوارث الطبيعية)؟ جزيتم خيرًا.

الجواب:

الحمد لله؛ ينبغي أن يُستبدل بهذه العبارة: (المصائب الكونية)؛ وذلك لأمرين:

الأول: أنه ليس في اللغة الكوارث بمعنى المصائب، وإنما هي بمعنى المشاق، ثم إن (طبيعية) فيها مخالفة لغويَّة، فإن النسبة إلى الطبيعة طَبَعِي.

الثاني: أن قولهم: «كوارث طبيعية» يتضمن معنى منكرًا يقصده كثير ممن يتكلم بها، وهو أن هذه الحوادث الكونية أمور عادية طُبع عليها الكون، لا معنى لها ولا حكمة، ولا سبب يرجع إلى أفعال العباد، ولهذا ينكر هؤلاء على من يربط بين هذه الحوادث وما يقع من العباد من المعاصي، كما يدل له قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠﴾ [الشورى]، وقد تجري هذه العبارة على ألسن بعض الناس من غير قصد إلى هذا المعنى الباطل.



فالواجب اجتناب هذه العبارة (كوارث طبيعية)، وإرشاد من يطلقها من غير اعتقاد للمعنى الباطل لتركها، والله أعلم.

هل هذه الألفاظ شركية؟

السؤال:

هل هذه الألفاظ تعد من الشرك الأكبر: «حدِّث يا تاريخ»، «يا سماء أمطري»، «اشهد يا تاريخ»، «أيها التاريخ لا تعتب علينا»، «يا نجوم أنيري»، «يا شمس أشرقي».

مع ملاحظة أن هذه الألفاظ تأتي في جمل مجازية وحَماسية، كقول: يا سماء أمطري أسودًا، وغيرها؟ أرجو التوضيح والتفصيل والتأصيل، جزاكم الله خيرًا.

الجواب:

الحمد لله؛ ينبغي للمسلم أن يتجنب في كلامه -شعره ونثره- الألفاظ الموهمة التي يمكن أن يُساء فيه الظن بسببها، وإن كان قصده سليما.

وهذه الألفاظ الواردة في السؤال أكثر ما ترد على وجه التمني، أو التخيل، فلا يكاد أحد يقصد ظاهرها، فالذي يقول: حدث يا تاريخ، يتخيل أن التاريخ إنسان يتكلم، والحقيقة أن التاريخ كلام سطره المؤرخون قديمًا وحديثًا، ومثله: دع التاريخ يتحدث، وسيتحدث التاريخ...إلخ، فكل هذا من نوع المجاز، ومن التمني قول القائل: يا

سماء أمطري، ويا نجوم أنيري، فمن المعلوم أن من يقول مثل ذلك لا يريد دعاء النجوم ولا دعاء السماء، ولا يزعم لنفسه أنه يملك أمر السماء، أو النجوم، لكنه يتمنى أن تنير النجوم وتمطر السماء، كقول الشاعر:

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلِ
بصبح وما الإصباح منك بأمثل

وقول الآخر:

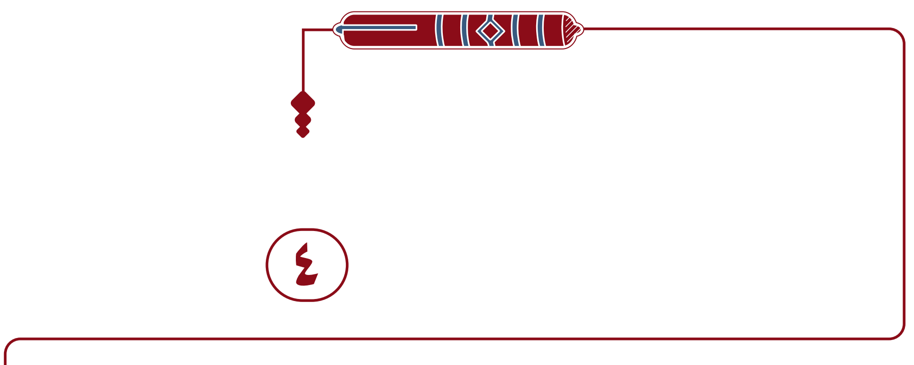
يا ليل دم يا نوم زُلْ
يا صبح قِف لا تَطْلعِ

وقول الآخر:

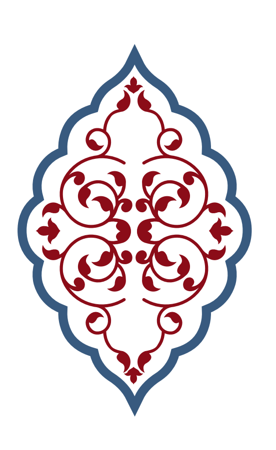
فيا موتُ زُرْ إنّ الحياة ذميمةٌ

وإذا قامت القرائن على مراد المتكلم وجب حمل كلامه على ما تدل عليه قرائن الكلام، ويُعرف مراد المتكلم بما يعرف أيضًا من حاله الواقعية والعقدية، والله أعلم.

- ❊ ■ ❊ ■ ❊ -



السحر والكهانة والتنجيم والعين



معرفة المغيبات عن طريق الأبراج

السؤال:

معرفة المغيبات عن طريق الأبراج، هل هو تنجيم أو كهانة، وليتكم تذكرون الفرق بين التنجيم والكهانة؟ جزاكم الله خيرًا.

الجواب:

الحمد لله، ما يدعيه الناظرون في النجوم من البروج وغيرها من أمور غيبية مستقبلية أو آنية تتعلق بأفراد أو مجتمعات يعرف ذلك عند العلماء بالتنجيم، والمشتغلون به يُسمَّون منجمين أو عَرَّافين، والكِهانة هي تلقِّي ما توحي به الشياطين من مُسترِقِي السمع أو غيرهم، قال ﷺ في مسترق السمع: «**فيسمع الكلمة، فيلقيها إلى من تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته، حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن**»[١] الحديث، والمحترفون لذلك هم الكُهَّان، وقد يخبرون عن مستقبل أو عمَّا في الضمير، أو عن مكان الضالة والمسروق، ويدخلون كذلك في اسم العرَّاف، ومن طرائقهم الخط في الأرض والرمي بالحصى، ويقال لأحدهم: الرَّمَّال، والضارب بالحصى.

وبهذا يعلم أن المنجِّم والكاهن والرَّمَّال يشتركون في ادعاء علم الغيب، جاء في كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال البغوي: العرَّاف الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات يَستدل بها

(١) أخرجه البخاري (٤٨٠٠)؛ من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

على المسروق، ومكان الضالة، ونحو ذلك، وقال أبو العباس ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: العرَّاف اسم للكاهن والمنجِّم والرَّمَّال ونحوهم ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرق»اهـ.

إذا تبين ذلك فاعلم أن الذي يدعي معرفة الغيب عن طريق الأبراج يسمى منجِّمًا وعرَّافًا، وقد يسمَّى كاهنًا؛ للشبه الذي بينهما، والله أعلم.

الحـــــواية

السُّؤَال:

الحواية ظاهرة توجد في بعض البلدان، وهي طريقة لعلاج اللَّديغ، والذي يعملها يسمَّى حاويًا؛ إذْ يقوم هذا الحاوي بالتفل (النفث) على اللَّديغ في مكان اللَّدغ، فيُشفى اللَّديغ مباشرة، وهذا الحاوي لكي يكون حاويًا لا بد أن يَذهب به والده وهو طفل صغير لم يبلغ الأربعين يوما إلى أحد كبار الحاوين لكي يَرِيْقه، فبعدما يتم تريِيقه يعطى شروطًا؛ منها: ألا يقتل العقارب والحيات، وألا يأكل لحم الجزور، وألا يأكل صيدة الناب والمخلاب، فمنذ أن يبلغ الطفل سن التمييز يقول له والده: أنت حاوي؛ فلا تقتل العقارب والحيات، ولا تأكل لحم الجزور، وإذا أتاك لديغ اتفل عليه فيشفى.

ملاحظة: بعضهم لا يعترف بالشروط، والبعض يعترف بها ولكن لا يتقيد بها.

وهذه الحواية معروفة عند الصوفيَّة الرِّفاعية، والبعض منهم له طريقة أخرى في الحواية، وهي الضرب بالكف، فهو بمجرد أن يضرب اللديغ في مكان اللدغ يشفى مباشرة.

وهذه الحواية قد انتشرت في بعض البلدان انتشارًا عجيبًا عند الكبار والصغار، والآن يوجد من الأطفال ومن الطلاب في المرحلة الابتدائية والمتوسطة عدد كبير جدًا كلهم مُريقين لعمل هذه الحواية، وحينما ننكر على الحاوي وآباء الأطفال يقولون: إنَّ هذه كرامة، والبعض يقول: إنها خاصية في ريق الحاوي، والبعض يقول: إنها وراثة، وهم يعطونها لأيِّ شخص قريب أو بعيد، ويقولون: إنهم لا يريدون إلا فعل الخير، ويطلبون الأجر من الله.

فما حكم فضيلتكم في هذه الحواية، وهل مَن لم يتقيد بهذه الشروط يصح له فعلها، وهل يعتبر التفل (النفث) على الملدوغ فيشفى هل يعتبر من الكرامة؟ نرجو من فضيلتكم التفصيل في هذه الظاهرة؛ لأن كثيرًا من الناس لا يرون تحريمها؟

الجواب:

الحمد لله، إن الأسباب العلاجية والوقائية - غير ما يخصُّ اللهُ به أنبياءه من المعجزات - ثلاثةُ أنواع: عادية، وشرعية، وبدعية شركية شيطانية.

فالعادية: كالأدوية التي عُلم نفعها بالتجربة من المواد المباحة.

والشرعية: ما أرشد إليه الشرع من الأقوال والأفعال، ومن ذلك التحصُّن بالأوراد؛ كأذكار الصباح والمساء، ومن ذلك الرقية: رقية المريض واللَّديغ بالآيات القرآنية، وأنفعها سورة الفاتحة، وسورة

الإخلاص، والمعوذتان، وكذلك الأدعية المباحة، وأفضلها المأثور عن رسول الله ﷺ، وعن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وأنفع ما تكون الرُّقية من العين والحُمَة؛ لقوله ﷺ: «**لا رُقية إلا مِن عينٍ أو حُمَة**»[(١)]، والحُمَة: اللَّدغة من ذوات السموم؛ كالحية والعقرب، ومن الشواهد في ذلك قصة الصحابي الذي رقَى اللديغ بسورة الفاتحة، فكأنما نُشِط من عقال، فأقرَّه النبي ﷺ. رواه البخاري ومسلم[(٢)].

والنوع الثالث: الأسباب البدعية والشركية الشيطانية، ومن ذلك الرُّقى المشتملة على أسماء الشياطين أو أسماء مبهمة، أو أسماء من يُدعَون من دون الله من الأموات والأحياء، ولهذا قال ﷺ: «**اعرضوا عليَّ رُقاكم، لا بأس بالرُّقى ما لم يكن فيه شرك**»[(٣)]، ومما يدخل في الأسباب البدعية: تعليق التمائم والوَدَع وغير ذلك مما لا نفع فيه شرعًا ولا عادة، وفي الحديث: «**من تعلَّق تميمةً فلا أتمَّ الله له، ومن تعلق وَدَعة فلا وَدَعَ الله له**» رواه أحمد[(٤)]، وفي الحديث الآخر: «**من تعلَّق تميمة فقد أشرك**»[(٥)].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٠٥)؛ من حديث عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومسلم (٢٢٠)؛ من حديث بريدة بن الحصيب الأسلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) البخاري (٢٢٧٦)، ومسلم (٢٢٠١)؛ من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه مسلم (٢٢٠٠)؛ من حديث عوف بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أحمد (١٧٤٠٤)؛ من حديث عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، صححه ابن حبان (٦٠٨٦)، وقال الهيثمي: «رواه أحمد، وأبو يعلى، والطبراني، ورجالهم ثقات» اهـ. «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» (٨٠٧) (٥/ ١٠٣).

(٥) أخرجه أحمد (١٧٤٢٢)؛ أيضًا؛ من حديث عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الحاكم (٧٥١٣).

فعلم مما تقدم أن ما ذكر في السؤال مما يُسمى بالحواية، إنما يدخل في النوع الثالث، فإنه عملٌ مِن وحي الشيطان، يدل لذلك أمور:

١. أن الحاوي يدَّعِي أن رِيقه بمجرده يَشفي اللَّديغ، وهذا لم يكن ولا للنبي ﷺ، وإن كان ريقه ﷺ أطيب ريق وأنفعه وأشفاه، ولكنه إذا تفل على مريض قرَن ذلك بالقراءة أو الدعاء، كما فعل مع علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ إذ بصق في عينيه ودعا له فبرأ. متفق عليه، فعلى زعم الحاوي يكون ريقه أنفع من ريق النبي ﷺ.

٢. أن الحاوي ينقل هذه الخاصية المزعومة بتحنيك الصبي حديث الولادة بريقه، ليصير حاويًا، وفي هذا ما في الذي قبله من تعظيم ريق الحاوي، وتفضيله على ريق النبي ﷺ؛ فإنه لم يُدَّع لمن حَنَّكه ﷺ بريقه ما يدَّعيه هؤلاء الضالون المفترون.

ثم يقال: مَنْ أولُ حاوٍ؟ ومِن أين اكتسب هذه الخاصية؟!

٣. شرطهم أن الذي يُراد أن يكون حاويًا ألَّا يقتل عقربًا ولا حيَّة، وهذا مِن أظهر ما يدل على أنه عمل شيطاني، فالحية والعقرب أمر النبي ﷺ بقتلهما، وهما من أخبث الدواب، ولعل الحامل لهم على هذا الشرط أن من الشياطين من يتمثل بهذه الدواب الخبيثة، فالنهي عن قتلها فيه مسالمة وحماية لأولئك الشياطين، وظاهر ما ذُكر عن أصحاب الحواية أن مَن لم يَفِ بهذا الشرط لا تثبت له خاصية الحواية، ولا يكون حاويًا.

وما ذكر عن فرقة الرِّفاعية له شبَهٌ بأصحاب الحواية؛ فكلهم يدعي شفاء اللَّديغ بأمر خارج عن حكم العادة وحكم الشرع، ومهما بلغ

الإنسان من الولاية فلا يكون رِيْقُهُ شافيًا ولا ضربتُه شافيةً حتى يدعو الله الذي إنما كان وليًا بإيمانه به وتقواه.

وبناءً على ما سبق؛ أقول: إنَّ دعوى الحواية حرام، وإنه لا يجوز لمن لُدغ أن يذهب إلى هؤلاء الحاوين، بل عليه أن يرقي نفسه، أو يذهب لمن يعرف بالصلاح ليرقيه بالقرآن والأدعية الشرعية؛ فيُشفى بإذن الله، ويَسْلَم دينه من الاعتقادات الفاسدة، ولَأَن يذهب إلى المستشفى ليعالج بالأدوية المعروفة في الطب أولى له من استرقاء الصالحين؛ لقوله ﷺ في السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب: «**هم الذين لا يسترقون، ولا يتطيرون، ولا يكتوون، وعلى ربهم يتوكلون**»[(١)].

والواجب على المسلم الحذر من الانخداع بدعاوى الدجالين؛ فإنهم من المفسدين، والله لا يصلح عمل المفسدين، والواجب على ولاة الأمر الضرب على أيديهم، ومنعهم من التلاعب بعقول الناس وخداعهم، والحمد لله رب العالمين.

برج المولود

السؤال:

ما رأي الإسلام فيما يقال: إن لكل مولود في كل برج (الأبراج الفلكية)، كبرج الدلو مثلًا، صفاتٍ معينة؟

الجواب:

الحمد لله؛ هذا الزعم هو قول المنجمين الذين يربطون الحوادث الأرضية بتأثير النجوم والطوالع وبالبروج، وهو ضرب من السحر

(١) أخرجه البخاري (٥٧٠٥)، ومسلم (٢٢٠)؛ من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

والرجم بالغيب، جاء في الحديث عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ قال: «**من اقتبس علمًا من النجوم اقتبس شعبة من السحر، زاد ما زاد**»[١].

فالقول: إن لهذه الأبراج تأثيرًا على صفات المواليد وأحوالهم، وأخلاقهم، ومستقبلهم، هو قول باطل في الإسلام؛ فكل برج أو نجم يولد فيه الطويل والقصير، والطيب والخبيث، ويولد فيه من يكون غنيًا ومن يكون فقيرًا، يولد فيه من يعمّر ومن لا يعمّر، يولد فيه الجميل والقبيح.

فقول المنجمين في هذا قول باطل في الإسلام، وهو من ادعاء علم الغيب، وادعاء علم الغيب منازعة لله فيما هو من خصائصه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، كما قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [النمل].

فعلى المسلمين أن يحذروا من أولئك الدجالين الذين يستغلون سذاجة البسطاء والجهلاء، فيستغفلونهم ويسلبون أموالهم، ويفسدون عقائدهم، فالمنجمون من طوائف المفسدين في الأرض، ولا يجوز الذهاب إليهم وسؤالهم، فإن المنجم من جنس الكاهن، ويدخل هو والكاهن في اسم العراف، وقد روي عنه ﷺ: «**من أتى كاهنًا، أو عرافًا، فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد**»[٢]، وروى مسلم في

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢٠٠٠)، وأبو داود (٣٩٠٥)، وابن ماجه (٣٧٢٦)؛ من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وصحح إسناده النووي في «رياض الصالحين» ط. الرسالة (ص ٣٦٩) (١٦٧١)، والعراقي في «المغني عن حمل الأسفار» (٢ / ١٠٢٩).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٩٥٣٦) بلفظه، وأبو داود (٣٩٠٦)، والترمذي (١٣٥)، وابن ماجه (٦٣٩)، والنسائي في «الكبرى» (٨٩٦٨)؛ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الحاكم (١٥)، ووافقه الذهبي. وقال المناوي في «فيض القدير» =

صحيحه عن بعض أزواج النبي ﷺ عن النبي ﷺ، قال: «**من أتى عرافًا فسأله عن شيء، لم تُقبل له صلاةٌ أربعين ليلة**»[(١)]، فالحذر الحذر.

والواجب على المسلم أن يعتصم بالله، وأن يحقق إيمانه بربه، ولا يغتر بأولئك المضلين والمفسدين والدعاة لهم من الصحفيين وغيرهم، كفى الله المسلمين شرهم، والله أعلم.

معنى النفي في حديث إتيان العرافين

السؤال:

أحسن الله إليكم، قوله ﷺ: «من أتى عرافًا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة»، هل هذا الحديث محمول على نفي الصحة؟ أو على نفي الثواب؟ جزاكم الله خيرًا.

الجواب:

الحمد لله وحده، وصلى الله وسلم على محمد، أما بعد: فنفي القبول جاء في النصوص على وجهين:

= (٦/ ٢٣): «قال الحافظ العراقي في أماليه: رواه البيهقي في السنن، وقال الذهبي: إسناده قوي»، وقال الحافظ ابن حجر: «أخرجه أصحاب السنن، وصححه الحاكم؛ من حديث أبي هريرة، رفعه... وله شاهد؛ من حديث جابر، وعمران بن حصين؛ أخرجهما البزار بسندين جيدين، ولفظهما: «**من أتى كاهنًا**»، وأخرجه مسلم؛ من حديث امرأة من أزواج النبي ﷺ، ومن الرواة من سماها حفصة، بلفظ: «**من أتى عرافًا**»، وأخرجه أبو يعلى؛ من حديث ابن مسعود بسند جيد، لكن لم يصرح برفعه، ومثله لا يقال بالرأي، ولفظه: «**من أتى عرافًا، أو ساحرًا، أو كاهنًا**»، واتفقت ألفاظهم على الوعيد بلفظِ حديثِ أبي هريرة، إلا حديث مسلم، فقال فيه: «**لم يُقبل لهما صلاة أربعين يومًا**». «فتح الباري» (١٦ / ٢٩١).

(١) مسلم (٢٢٣٠).

أحدهما: ما يتضمن نفي الصحة والإجزاء، وهو ما ورد في الصلاة مع الحدث، قال ﷺ: «**لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ**» متفق عليه من حديث أبي هريرة، وفي صحيح مسلم عن ابن عمر مرفوعًا: «**لا تقبل صلاة بغير طهور**»، وهذا بإجماع المسلمين، أن الطهارة شرط لصحة الصلاة، وما كان شرطًا لصحة الصلاة فهو شرط للقبول.

الثاني: نفي القبول المتضمن لحرمان الثواب، وهذا ورد في أعمال متعددة، فورد في شارب الخمر، قال ﷺ: «**من شرب الخمر لم تقبل له صلاة أربعين صباحًا**» رواه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه، وورد في مسائل أخرى، ومنها الحديث المسؤول عنه، وحديث ابن عباس عند ابن ماجه وابن حبان واللفظ له، قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة لا يقبل الله لهم صلاة: إمام قوم وهم له كارهون، وامرأة باتت وزوجها عليها غضبان، وأخوان متصارمان**». قال البوصيري في زوائد ابن ماجه: إسناده صحيح، ورجاله ثقات.

فتبيَّن بهذا أن الحديث المسؤول عنه من قبيل نفي القبول بحرمان الثواب، ولا يلزم من ذلك عدم إجزاء الصلاة أو سقوطها عن المكلَّف، بل عليه أن يؤديها، وتجزئه، فلا يجب عليه قضاؤها، والله أعلم.

الماس والأبراج

السُّؤَالُ:

أريد أن أسأل عن الأحجار الكريمة، صديق لي يريد أن يشتري حجر ماس كريمًا، وقد أشار بائع الأحجار الكريمة إلى وجود بعض

علامات ولادة مرتبطة بالأبراج، فما حكم الإسلام بهذا الشأن؟ هل يوجد أي أثر صحيح من القرآن أو السنة يشير إلى شراء مثل هذه الأشياء بالنظر إلى علامات الأبراج؟ وشكرًا لكم.

الجواب:

الحمد لله؛ لا يجوز شراء هذه الأحجار للاستدلال بها على الأبراج السماوية، ودلالاتها المزعومة فيما يتعلق بولادة الإنسان ومستقبله هو التنجيم، والتنجيم من ادّعاء علم الغيب ومن السحر، صح عن النبي ﷺ أنه قال: «**من اقتبس علمًا من النجوم اقتبس شعبة من السحر، زاد ما زاد**»[1]، ولا يجوز للمسلم أن يأتي المنجمين ليسألهم عن بعض الأمور، ولا يجوز له أن يصدقهم، ولا أن يتعلم طريقتهم، وهم من أنواع السحرة والكهان، وهم كذبة ودجالون يصدقون ويكذبون، وهم خراصون يأكلون أموال الناس بالباطل ويضللونهم ويموهون عليهم بالدعاوى الكاذبة، فالواجب الحذر والتحذير منهم، ومقاومتهم بكل أسباب المقاومة لأنهم من المفسدين، والله أعلم.

التنجيم

السؤال:

عرفنا أن السلف كانوا يستعينون بالنجوم ليعرفوا أوقات الزرع والحصاد، والحر والبرد، والآن يستعينون بها لمعرفة المد والجزر، والخسوف، وذلك من عادات ومشاهدات قديمة متوارثة.

(١) أخرجه أبو داود (٣٩٠٥)، وابن ماجه (٣٧٢٦)، وأحمد (٢٠٠٠)؛ من حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، وصحح إسناده النووي في «رياض الصالحين» ط. الرسالة (ص: ٣٦٩) (١٦٧١)، والعراقي في «المغني عن حمل الأسفار» (٢/ ١٠٢٩).



ولكن إذا قال قائل أو ادعى مدعٍ أن عمل السلف كان يجوز أن يقال إن النجم إذا كان كذا، فإن المولود سيكون ذكرًا مثلًا، أو إنه سيكون ذكيًا أو خجولًا أو عصبيًا... إلخ، وادعى أن كل ذلك على أساس موافقة زمنية لا غير، وشبه فعله هذا بفعل السلف، وبأن ذلك من مشاهدات وتجارب، لا ادعاء للغيب، فكيف يكون الرد عليه حفظكم الله؟

الجواب:

الحمد لله؛ النجوم من آيات الله السماوية؛ قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [الأنعام]، وقال سبحانه: ﴿وَعَلَـٰمَـٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ [النحل].

فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خلق النجوم لثلاثٍ: زينةً للسماء، ورجومًا للشياطين، وعلاماتٍ يُهتدى بها، وهي مع ذلك من أعظم آيات الله الدالة على قدرته وحكمته ورحمته.

فالاستدلال بالنجوم على معرفة الجهات مباح، والاستدلال بها على جهة القبلة أمر مشروع، وكذا معرفة ساعات الليل، للاستعانة على قيام الليل، وطلوع الفجر وهو ثابت لا يختلف على أهل الخبرة، والله تعالى قد امتن بذلك على عباده في آيات كثيرة.

وعلم النجوم -الذي يقال له التنجيم- نوعان: علم تسيير، وعلم تأثير.

فأما علم التسيير: فهو معرفة دلالات النجوم على الجهات والأوقات، وهذه الدلالات لا تختلف من شخص لآخر، فهي سنن كونية قدرها الله

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كما قدر سير الشمس والقمر لمعرفة حساب الزمان، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ [يونس: ٥].

وأما علم التأثير: فهو التنجيم المنكر الذي هو ضرب من السحر، كما في الحديث الصحيح: «**من اقتبس علمًا من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد**»[(١)].

والمنجم الذي يستدل بحركة النجوم وبمواقع النجوم على الحوادث الأرضية والسُعد والنُحس هو من جنس العراف بل هو عراف، وفي الحديث الصحيح: «**من أتى كاهنًا أو عرافًا فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد**»[(٢)]؛ لأن الكاهن والعراف يدَّعي بما يدعيه علم الغيب، ثم إذا قال المنجم: إن المولود إذا ولد في نجم كذا يحصل له سعد أو نحس، أو إن ذلك علامة على سعادته أو شقاوته، فذلك من الرجم بالغيب، ولا يمكن أن يعرف ذلك بالتجربة، فإنه يولد في الوقت الواحد ويحدث في الوقت الواحد أنواع من الأضداد، فيحدث في الوقت الواحد الخير والشر، ويولد في النجم الواحد من يكون سعيدًا ومن يكون شقيًا ومن يكون صالحًا ومن يكون فاسدًا.

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٩٠٥)، وابن ماجه (٣٧٢٦)، وأحمد (٢٠٠٠)؛ من حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وصحح إسناده النووي في «رياض الصالحين» ط. الرسالة (ص: ٣٦٩) (١٦٧١)، والعراقي في «المغني عن حمل الأسفار» (٢/ ١٠٢٩).

(٢) سبق تخريجه (١/ ١٤١).

وعلى هذا؛ فما أراده السائل من جواز التنجيم المحرم قياسًا على التنجيم الذي هو علم التسيير هو من أبطل القياس، فهو قياس الباطل على الحق، والكذب على الصدق، فيجب الحذر من سؤال المنجمين وتصديقهم، فإن ذلك لا يكون من بصير بدينه، بل ولا من عاقل يدرك الحقائق، ولهذا فعلماء المنجمين وأهل بضاعتهم هم من الجهلة، من الذين لا يفكرون بعقولهم، وليس لهم معرفة بما يقتضيه شرع الله من تحريم سؤال العرافين والكهان والمنجمين، نسأل الله أن يطهر مجتمعات المسلمين من جميع فئات المفسدين، والله أعلم.

قراءة الفنجان والكهانة

السؤال:

امرأة تدعي علم الأمور الغيبية عن طريق قراءة الفنجان وما أشبه ذلك، وتضع عنوانها في بعض المجلات، فما نصيحتكم لها؟ مع بيان خطورة هذا الأمر.

الجواب:

الحمد لله؛ هذه المرأة طريقتها هي طريقة المنجمين والكهان والعرافين، فعملها هذا هو من عمل أولئك الذين يدعون علم الغيب، ودعوى علم الغيب كفر؛ لأنه لا يعلم الغيب إلا الله، ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥].

فيجب على هذه المرأة أن تتوب إلى الله وتصحح إسلامها وتترك هذه الحرفة الخبيثة، فهي إما أن تكون دجالة كذابة تكذب على الناس بدعوى أنها تعلم الأمور المستقبلية لجمع المال من أيديهم، وإما أن تكون مستعينة بالشياطين فهم الذين يأتونها ببعض ما تخبر به، وهذا لا يحصل لها إلا إذا أطاعتهم فيما يريدون منها من شرك ومعصية، كما يجب على المسلمين أن ينكروا ذلك عليها وعلى أمثالها، وينكروا على من يذهب إليها أو يسألها بواسطة الهاتف أو المراسلة، فإن ذلك من سؤال الكهان، وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «**من أتى كاهنًا أو عرافًا فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد**»[(١)]، وهذا كاف لمن عقل ألا يقصد إلى هؤلاء الفجرة.

فالواجب الحذر من هؤلاء الضالين المضلين، كما يجب الإيمان بأنه لا يعلم الغيب إلا الله، قال الله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ﴾ [الجن: ٢٦-٢٧]، نسأل الله السلامة والعافية من عمل المفسدين، والله أعلم.

الفراسة الإيمانية والفراسة الشيطانية

السُّؤَال:

كثر في الآونة الأخيرة من يدعي من الصالحين والصالحات معرفة الغيب عن طريق الإلهام أو الكشف أو الفراسة، فيأتيه الشخص

---

(١) سبق تخريجه (١/ ١٤١).

فيرى صورته أو ينظر في خطه فيخبره عن أحواله الماضية وعن أهله وكل ما يتعلق به، بل عن أمور لم يطلع عليها إلا الشخص نفسه.

حتى ذكرت لي واحدة عن إحدى الصالحات من معارفها أنها تخبرها بجميع أحوالها وطلبت مني أنا شخصيًّا أن آذن لها لتعطي هذه المرأة اسمي فقط فتخبرني عن شؤوني الخاصة وما يتعلق بي، فرفضت، فقالت: هذه هبة من الله أعطاها إياها بدون استعانة بالجن، وأخرى حدثتني شخصيًّا أنها أعطت واحدة ممن يظن بها الصلاح بطاقة زوجها فأخبرتها عنه بأمور لم يطلع عليها سواه، وواحدة تذكر عن شخص له مؤلفات في الساحة الإسلامية يدعي مثل ذلك، ورابعة ذكرت لي ذلك عن امرأة كبيرة في السن وترقي المرضى.

ولقد عظمت الفتنة بهؤلاء بين الصالحين، فضلًا عن أهل الضلال والجهل؛ فحبذا تبيين حقيقة دعواهم، وهل ما يدعونه من كرامة الكشف والإلهام صحيح، أم أن دعواهم كدعوى جهال المتصوفة؟ بارك الله في علمكم وعملكم.

الجواب:

الحمد لله؛ قد قال الله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [النمل]، وقال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦-٢٧]، وقال سبحانه: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩].

والغيب غيبان:

الأول: غيب مطلق، وهو الذي لا يعلمه إلا الله، ومن شاء أن يطلعه على ما شاء منه، من رسله من الملائكة ومن الناس.

والثاني: غيب نسبي، وهو ما يغيب عن بعض الناس دون بعض، من الحوادث والأحوال والأعمال العامة والخاصة، فذلك غيب بالنسبة لمن لم يشاهده أو يدركه بشيء من حواسه، وحينئذ فلا طريق له إلى العلم به إلا خبر الصادق، وقد توافرت في هذا العصر وسائل نقل الأخبار، والحكم على الأخبار بحسب مصادرها وناقليها، فمن ادعى شيئًا من علم هذا الغيب فإنا نسأله عن مصدر خبره؛ فقد يكون ظنًّا، وقد يكون توهمًا، وقد يكون خبرًا منقولًا، فيُعتبر فيه حال المخبِر، ولا بد من اعتبار حال المخبِر للحكم على خبره، وكذا من يروي عنه.

ومِن مدعي علم الغيب الكاهن والعراف، ومستندهم في أخبارهم إما أدلة وهمية لا تفيد إلا الظنون الكاذبة، وإما ما يتلقونه من شياطين الجن، وهم يَصْدُقون ويَكْذِبون، ومعلوم أن الجن لهم قدرة على الاطلاع على كثير من أحوال الناس الظاهرة والخفية؛ لأنهم يرون بني آدم من حيث لا يراهم بنو آدم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٧]، ولهم قدرة على سرعة الانتقال، كما في قصة العفريت مع سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وبين شياطين الجن والإنس تعاون، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢]، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ

﴿وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا﴾ [الأنعام: ١٢٨]، واستمتاع الجن بالإنس بعبادتهم وطاعتهم لهم، واستمتاع الإنس بالجن بما يخبرونهم به مما غاب عنهم، وبإعانتهم على أنواع الفجور والمعاصي.

وهذا كله في الأخبار الأرضية، وأما ما يخبر به الكاهن من أخبار سماوية ومستقبلية فالغالب عليه فيها الكذب، وما يَصْدُق منها إما أن يكون على سبيل المصادفة، وإما أن يكون مما يتلقاه عن مسترق السمع، فيكذب معه مئة كذبة، كما جاء في الحديث الصحيح: «...**فيسمعها مسترق السمع...فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته ثم يلقيها الآخر إلى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن، فربما أدرك الشهاب قبل أن يلقيها وربما ألقاها قبل أن يدركه فيكذب معها مئة كذبة، فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا: كذا وكذا، فيصدق بتلك الكلمة التي سمع من السماء**»[(١)].

وأما الفراسة الإيمانية فهي من نور الإيمان، وهي من نوع الإلهام الإلهي، ولا يكون الإنسان بها عالمًا بكل أحوال الناس، إنما يكشف الله لصاحب هذه الفراسة بعضَ أحوال الناس ممن يراهم، أو بعض الأمور المتوقعة، وهي من الخوارق الكشفية التي تعين على نصر الحق، ودحض الباطل.

وأما الفراسة الشيطانية فهي ما تلقيه الشياطين في قلوب أوليائها، مما فيه إعانةٌ لهم على الباطل، وإضلالٌ للناس بهم.

إذا تبين ما سبق فما ورد في السؤال من دعاوى علم الغيب فيجب أن ينزل على ما تقدم؛ فهؤلاء النساء اللاتي يُدَّعَى فيهن الصلاح،

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٢٢)؛ من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

ويدعين القدرة على معرفة أحوال الناس بما ذكر في السؤال من التفصيل لا بد أن يكن كاهنات، ولهن أعوان من الجن، ولا يغتر بما يظهر من حالهن، فكثير من الدجالين منافقون يظهرون الصلاح والديانة، وهم في الباطن من أولياء الشياطين.

وما ذكر عن هؤلاء النساء ليس هو من جنس الفراسة؛ فإن الفراسة شيءٌ يلقى في القلب ليس هو باختيار صاحبه، يعلم به ما شاء من أحوال الناس.

فالواجب عدم الانخداع بما تدعيه أولئك النسوة وأشباههن، ولا يجوز سؤالهن ولا تصديقهن، لما صح عن النبي ﷺ أنه قال: «**مَن أتى كاهنًا أو عرافًا، فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد**»[1]، رواه الأربعة. هذا؛ والله أعلم.

دراسة الشخصية عن طريق الخط والقيافة، وعلاقتهما بالكهانة

السؤال:

إذا كانت دراسة الشخصية عن طريق الخط من الكهانة، فما الفرق بين ذلك وبين القيافة؟

الجواب:

الحمد لله؛ دراسة الشخصية من خط صاحبها ليست من الكهانة لكنها تُشبه الكهانة وتروج للكهانة وليست كالبصمة التي تدل على صاحبها دلالة قطعية عند أهل الخبرة، والخط كذلك يدل على صاحبه دلالة ظنية، لكن المذموم دعوى أنه يدل على أخلاقه وطبائعه.

(١) سبق تخريجه (١/ ١٤١).

وأما القيافة فهي نوع من الذكاء ودقة الملاحظة، وقد يختص بها بعض الأشخاص أو بعض القبائل، ولولا ثبوتها بالتجربة وورود الشرع بإقرارها لقيل إنها ضرب من الكهانة، هذا والله أعلم بالصواب.

دراسة الشخصية عن طريق الخط والقيافة وعلاقتهما بالكهانة

السؤال:

دراسة الشخصية من خلال الخطوط عند التعيين على الوظيفة لمعرفة أخلاقه: كريم غضوب، عملي، مواظب،... هل هو جائز؟

الجواب:

الحمد لله؛ دراسة الشخصية من خلال الخط طريقة باطلة؛ فإنها تتضمن الحكم على الناس بالتخرص، وهي أشبه عندي بما يقال له: قراءة الكف، وهي من أعمال الكهنة والدجالين وإن دلت على شيء فمن باب الصدفة، وهي من أبواب اتهام الناس وأسباب غيبتهم وبهتهم، فلا يجوز تعلمها ولا تعليمها ولا استخدامها.

(شيخ) يخبر بمكان المسروق!

السؤال:

ما حكم امرأة تذهب إلى شيخ، وسألت عن شيء وقع لها وهي صائمة؟ تريد أن تعرف عن الشخص الذي سرق بيتها؟

الجواب:

الحمد لله؛ من الأصول المقررة في عقيدة المسلم أنه لا يعلم الغيب إلا الله، قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾

[النمل: ٦٥]، وحتى الرسول ﷺ وسائر الأنبياء تبرؤوا من دعوى علم الغيب، فلا يعلمون من ذلك إلا ما جاءهم به الوحي: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ﴾ [الأنعام: ٥٠]، ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، فمن ادعى علم الغيب كان كافرًا.

نعم هناك المشعوذون كالكهان والسحرة يدعون علم الغيب، وقد يصيبون في أشياء ويخطئون في أكثر من ذلك، بل جاء في شأن الكهان أن مسترق السمع من الجن يخبرهم بما سمع من السماء، فيكذب الكاهن معها مئة كذبة، فيصدقه الناس بأكاذيبه بسبب أنه صدق مرّة[(١)].

وعلى كل حال؛ فلا يجوز الذهاب لمن يدعي أنه يعرف مكان المسروق فإن هذا من شأن الكهان، وقد قال ﷺ: «**من أتى كاهنًا أو عرافًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ**»[(٢)].

وإن كان هذا المخبر يتظاهر بالدين والخير والصلاح. فإذا كان يدعي أنه يعلم مكان المسروق، ويعرف أين يكون فلان، وأين يوجد فلان، ويحدد مواضعهم مثلًا فإنه كذاب أفّاك تنزل عليه الشياطين، قال تعالى: ﴿هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ﴿٢٢٢﴾ يُلۡقُونَ ٱلسَّمۡعَ وَأَكۡثَرُهُمۡ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾﴾ [الشعراء].

وبهذا يعلم أن مثل هؤلاء الكهان لا يصح أن يُعْرَفوا باسم الشيخ، أو العالم أو الفقيه، فإنه -وإن ادعى العلم والصلاح- دجال، يجب الحذر

---

(١) ينظر: «صحيح البخاري» (٤٨٠٠).

(٢) سبق تخريجه (١/ ١٤١).

منه، ويجب التحذير من الاغترار بمظهره، ويجب بيان حقيقة مثل هؤلاء، وإذا كان للإنسان قدرة فعليه أن ينكر عليهم، ويمنعهم من إظهار ما عندهم ومن إتيان الناس إليهم، فإن الكهانة من أعظم المنكرات، وكذلك إتيان الكهان، فمن أقدره الله وجعل له سلطانًا فعليه أن يضرب على يد هؤلاء، ويكف شرهم، ويمنع العامة من ارتياد أماكنهم، كما يجب على من لديه علم أن يبيّن للناس حكم الكاهن، وإتيان الكهان، فإن ذلك مما يحول بين هؤلاء المضلِّلين وبين ما يريدون، فإنهم بهذه الأعمال الخبيثة يكونون من المفسدين في الأرض، والواجب على المسلم أن يسعى في الإصلاح ودرء الإفساد.

وأما ذهابها وهي صائمة فلا علاقة له في موضوع السؤال، ولا أثر للسؤال على صيامها من حيث الفطر، لكن يمكن أن يكون له أثر من حيث القبول والثواب، إلا أن يكون صيامها لأجل ذلك الشيخ، فيكون معصية إلى معصية، قد تنتهي بها إلى الكفر، والله أعلم.

تعلم السحر

السؤال:

ما حكم تعلم السحر؟

الجواب:

الحمد لله؛ اختلف العلماء في ذلك؛ فمذهب الجمهور أن تعلم السحر حرام، فإن نوى بتعلمه العمل به، أو لزم من تعلمه ما يكون كفرًا

كان تعلمه كفرًا، وعلى هذا؛ تحمل الآية: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢] إلى آخر الآية.

قال ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «تعلم السحر وتعليمه حرام، لا نعلم فيه خلافًا بين أهل العلم»[(١)].

وفصل بعضهم فقال: إنْ تعلمه لغرض صحيح جاز، إذا لم يلزم منه محرم؛ قال الحافظ ابن حجر: «وقد أجاز بعض العلماء تعلم السحر لأحد أمرين؛ إما لتمييز ما فيه كفر عن غيره، وإما لإزالته عمن وقع فيه.

فأما الأول: فلا محذور فيه إلا من جهة الاعتقاد، فإذا سلم الاعتقاد فمعرفة الشيء بمجرده لا تستلزم منعًا، كمن يعرف كيفية عبادة أهل الأوثان للأوثان، لأن كيفية ما يعمله الساحر إنما هي حكاية قول أو فعل، بخلاف تعاطيه والعمل به.

وأما الثاني: فإن كان لا يتم -كما زعم بعضهم- إلا بنوع من أنواع الكفر أو الفسق فلا يحل أصلا، وإلا جاز للمعنى المذكور»[(٢)].

وهذا تفصيل حسن، ولو حُمل ما أطلقه ابن قدامة على ما يستلزم كفرًا أو فسقًا لكان متجها، فإن مجرد العلم بالباطل لا يستلزم اعتقاده أو جوازه؛ كالعلم بطرائق المشركين في شركهم، والفساق في فسوقهم، إما بمشاهدة أو من طريق من ألف في ذلك، أو نَقْلِ من نَقَل ذلك، ومن هذا الاطلاع على كتب الزندقة والفلسفة وعلم الكلام، فإنه لا يقول أحد

---

(١) «المغني» (١/ ١٥١).
(٢) «فتح الباري» (١٠/ ٢٣٥).

بتحريم الاطلاع عليها لغرض صحيح، وما ردَّ العلماء عليهم إلا بعد الوقوف على مذاهبهم في مؤلفاتهم.

أما القراءة في هذه المؤلفات لغير غرض صحيح فهو خطر، لا يجوز للعاقل أن يعرض عقله ودينه لشبهات الملحدين والضالين، وسلامةُ الدين أغلى من سلامة البدن، الذي يتخذ الناس كل الأسباب للمحافظة عليه، والله أعلم.

تعدي تأثير السحر إلى غير المسحور

السُّؤَال:

هل يمكن أن يصل تأثير السحر إلى غير المسحور؟ بمعنى أنه مثلًا في سحر الصرف والعطف هل يمكن إذا وقع السحر على الزوج أن تكون الزوجة هي التي تحب أو تبغض.. أو العكس؟

الجواب:

الحمد لله؛ الظاهر أن تأثير السحر إنما يقع على المسحور، ولكن قد يتضرر به من تربطه بالمسحور رابطة، فيحصل له من المسحور من الأذى وأنواع الضرر ما يكون بسبب معاشرة المسحور.

وعلى هذا: فإذا سحر الزوج ليحب امرأته، فذلك يختص به، وحينئذ يتعلق بها ويحبها حبًّا مفرطًا؛ لأن حبه لها بسبب السحر ليس حبًّا طبيعيًا عاديًا، ولا يلزم من ذلك أن تحبه امرأته، بل قد تبغضه وهو مفتون بها، فتعظم المصيبة عليهما معًا.

وكذلك سحر الصرف كما يسمونه، وهو ما يفرَّق به بين الأحبة، وهو الذي ذكره الله في قوله: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ [البقرة: ١٠٢]، وهذا من أقبح أنواع السحر؛ لأنه مضادٌّ لما يحبه الله ورسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من الألفة بين الزوجين، ودوام عشرتهما، والشيطان وجنوده أحرص ما يكونون على مضادة ما يحبه الله، وهم يسعون للفساد والإفساد، وهذا سبيل الأشرار من الإنس والجن، كفانا الله شرهم، ووقانا خطرهم.

وقد شرع الله لعباده التعوذ من شر كل ذي شر، ومن السحرة والحاسدين، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾، والله أعلم.

التبخير بالشبة لإزالة السحر

السُّؤَالُ:

إذا جُرب التبخير بالشَّبَّة المعروفة، قيل: يزيل السحر، فهل هو جائز؟

الجواب:

الحمد لله؛ فالتبخير بالشَّبَّة إذا جُرب أنه يزيل السحر فلا بأس به، ولكني لا أظن ذلك، والله أعلم.

استعمال السدر والملح لطرد الشياطين

السُّؤَالُ:

وضع السِّدر والملح إذا قيل: يطرد الشيطان وجُرب ونجح، هل يعتبر من الاعتقاد الفاسد؟

الجواب:

الحمد لله؛ نقول هنا ما قلنا في الجواب السابق في التبخير بالشَّبَّة؛ إذا جُرب ونجح فلا بأس به، ولكنني لا أظن ذلك إلا أن يكون بطريقة يرشد إليها السحرة والدجالون، وينبغي شرح طريقة استعمال السدر والملح حتى يمكن الحكم عليها، والله أعلم.

رش البيت بالملح لا يفيد

السُّؤَالُ:

ذكروا لي أن رش البيت بالملح من الخارج يحميه من الأرواح الخبيثة، وقد فعلته، فقيل لي: هذا حرام، ولا ينفعك، فهل هذا صحيح؟

الجواب:

الحمد لله؛ فإن دعوى أن رش البيت بالملح من الداخل أو الخارج يحميه من الأرواح الخبيثة ليس له أصل في الشرع ولا في الطب فيما علمنا، وإنما أحدثه بعض محترفي الرقية.

وهذا العمل من حيث النظر لا نجد له مناسبة، فأيُّ منافرة بين الجن والملح؟ والأظهر أن ذلك من قبيل التمويه على الجهال. والأرواح الخبيثة وهي الشياطين إنما تطرد بالأذكار الشرعية والأدعية والتعوذات بالله وبكلماته وقراءة القرآن؛ كآية الكرسي، وسورة البقرة، والمعوذتين، وكفى بها واقية، مع التوكل على الله، ومن يتوكل على الله فهو حسبه.

وبعد؛ ففعلك أيها السائل هذه الطريقةَ خطأ، والله يغفر لك، ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، فما عليك إلا الاستغفار وعدم التكرار.

قبول توبة الساحر

السؤال:

هل تقبل توبة الساحر، وما الدليل؟ وشكرًا لكم.

الجواب:

الحمد لله؛ نعم توبة الساحر مقبولة عند الله إذا تاب التوبة النصوح، وصدق فيها بينه وبين ربه، فالله يغفر له ما كان منه وما عمله من السحر، والدليل على ذلك أن سحرة فرعون أمضوا أعمارهم في السحر وعبادة فرعون، فلما رأوا آيات الله التي جاء بها موسى سجدوا لله وقالوا: ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٢١ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ١٢٢﴾ [الأعراف]، فتابوا من سحرهم وشركهم توبةً هي غايةٌ في الصدق؛ لأنهم لم يبالوا بتهديد فرعون وقالوا لما هددهم: ﴿فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ ٧٢ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغۡفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكۡرَهۡتَنَا عَلَيۡهِ مِنَ ٱلسِّحۡرِۗ وَٱللَّهُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ٧٣﴾ [طه].

لكن اختلف العلماء في قبول توبة الساحر ظاهرًا، أي إذا ادعى التوبة، نتركه فلا نقيم عليه حد الساحر أم أننا نقتله وأمره في توبته إلى الله، فإن كان صادقًا غفر الله له، وإن كان كاذبًا لم تنفعه توبته لا في الدنيا ولا في الآخرة؟

فالذين قالوا: لا تقبل توبته ظاهرًا قالوا: إن أمره خفي ولا يتبين صدقه في توبته.

ومن قال إن توبة الساحر مقبولة، يقول: إذا جاءنا تائبًا نادمًا قبلنا توبته لعموم الأدلة، كقوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ [طه]، وقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ﴾ [النساء: ١٧]، فالساحر ليس أسوأ من سائر الكفار؛ كالذين قالوا: إن الله ثالث ثلاثة، أو الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات كما في سورة البروج؛ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾﴾ [البروج]، وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾ [المائدة].

والصواب عندي أن قبول توبة الساحر وعدم قبولها يرجع فيه إلى نظر الحاكم، فإذا تبين صدقه في توبته دُرئ عنه الحد وقبلت توبته، وإن لم يتبين له حُكِم عليه بما حكم به الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: كعمر، وابنته حفصة، وجندب بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فقد صح عنهم جميعًا قتل

السحرة، وقد كتب عمر إلى بعض عماله: أن اقتلوا كل ساحر وساحرة[(١)]، وقال جندب بن عبد الله: «حد الساحر ضربة بالسيف»[(٢)]، هذا هو التفصيل في حكم توبة الساحر، والله أعلم.

الأعمال الرياضية الخفية والسحر

السؤال:

أخبرنا أحد الشباب بطريقة تستطيع من خلالها أن تحمل أي شخص بكل يسر وسهولة، ولكن وقع في النفس منها شيء، حيث إن طريقتها كالتالي:

يجلس الشخص الذي تريد حمله على كرسي ونحوه، ثم يقف عند كتفيه شخصان وعند ركبتيه شخصان، ثم بعد ذلك يحاولون حمله، وذلك بأن يقبض كل واحد منهم يديه ويمدّ أصبع السبّابة من كل يدّ، ويدخلون أصابعهم تحت ركبتيه وتحت إبطيه، كل شخص متمركز في جهة، ولكنهم يجدونه ثقيلًا ثم يتركونه، ويقوم الأول بوضع يده اليمنى فوق رأسه دون أن يلامس شعره، ويقوم البقية بوضع أيديهم بالتتابع فوق بعضها بعضًا دون أن يلامس أحد الآخر، ويعاودون الكرة فيجدونه خفيفًا سهل الحمل.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (١٦٥٧)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٨٩٨٢)، والبيهقي في «الكبرى» (١٦٩٤٠)، والبزار في «مسنده» (١٠٦٠)؛ من حديث بَجَالة بن عبدة. قال محقق المسند أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(٢) أخرجه الترمذي (١٤٦٠)، وصححه موقوفًا على جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

علمًا أنهم قاموا بها أمام أعيننا، وقرأنا القرآن حال قيام الإخوة بتطبيقها فلم تتأثر العملية؟

الجواب:

الحمد لله؛ من المعلوم أن الثقل والخفّة من الأمور الطبيعية، فثقل الإنسان ووزنه لا يختلف بالنسبة لذاته، أما بالنسبة لمن يحمله فيختلف باختلاف قوة الحامل.

وهذه الطريقة وإن لم أتصورها التصوّر الكافي للحكم عليها، فإنها لا تخلو إما أن تكون قائمة على السحر التخييلي، أو على نوع رياضة خفيّة لا يدرك المشاهد حقيقتها.

وعلى كُلٍّ فيجب اجتنابها؛ فهي إما أن تكون عملية سحرية تخييلية، أو عملية رياضية خفيّة، وإشاعة مثل هذه الرياضات هي من وسائل إشاعة الأعمال السحريّة، وكثيرًا ما يدّعي السحرة أن أعمالهم من قبيل الرياضة، كما يشاهد ويُدّعى في (السيرك)، فيجب اجتنابها وإن كانت عملًا رياضيًا طبعيًا؛ سدًّا للذريعة، هذا والله أعلم.

ما عند العطارين من أدوية تحبب المرأة إلى زوجها

السؤال:

ما يباع عند العطارين من أدوية وأعشاب يزعمون أنها تحبب المرأة إلى زوجها والزوج إلى امرأته: هل تعتبر من سحر الأدوية والتبخير بالبخور؟

الجواب:

الحمد لله؛ ما يباع عند العطارين من أدوية يزعمون أنها تحبب الرجل إلى امرأته والمرأة إلى زوجها هو التِّوَلة، وجاء في الحديث: «إن

الرقى والتمائم والتولة شرك»[(١)]، قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «التِّوَلة: شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها والرجل إلى امرأته»[(٢)]، ويسمى هذا سحر العَطْف ويقابله سحر الصَّرْف، وهو شيء يصنع ينفر المرأة عن زوجها والرجل عن امرأته، فلا يحل استعمال الأدوية ولو جُربت، والمحبة التي تنشأ عن التِّوَلة لا تكون كالمحبة الفطرية الطبيعية، بل تكون محبة افتتان وعشق غير منضبط.

الوسيلة إلى معرفة من عمل السحر

السُّؤَال:

كيف يستطيع الإنسان أن يكتشف أن فلانًا قد قام بعمل سحر له؟ خاصة أن لديه علامات، ولكنها ليست يقينية، ويخاف الواحد أن يكون ظالمًا. إني في حيرة، أرجو إجابتي. والله يحفظكم.

الجواب:

الحمد لله؛ المبتلى بالسحر، أو بما يظن أنه سحر، لا طريق إلى اكتشاف الساحر الذي سحره أو دبر له السحر إلا بإقراره، أو ببينة تشهد بأن فلانًا عمل سحرًا لفلان، أو سعى إلى من يسحره، وأما مجرد الظنون، والقرائن الضعيفة فلا يجوز أن يعول عليها، فلا يجوز أن يعتمد المبتلى على مجرد الأوهام التي لا مستند لها، فإنه كما جاء في السؤال أن الاعتماد على هذه الظنون والأوهام بلا برهان تؤدي إلى ظلم المتهم،

(١) أخرجه الإمام أحمد (٣٦١٥)، وأبو داود (٣٨٨٣)، وابن ماجه (٣٥٣٠)؛ من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه ابن حبان (١٤١٢)، والحاكم (٨٢٩٠)، ووافقه الذهبي.

(٢) «كتاب التوحيد» (مع حاشية ابن قاسم) (ص ٨٧).

كما لا يجوز الاعتماد في هذا على أخبار الجن الذين في بعض المصروعين، كما لو قال بعضهم إنه مربوط بسحر من فلان أو فلان؛ فإن الجن الذي في الممسوس فاسق أو كافر، فلا يجوز تصديقه إذا قال: إن فلانًا عمل سحرًا لفلان، فإن قوله ليس بحجة.

فالواجب الحذر من الانسياق مع الظنون وأقوال فسقة الجن، أو السحرة، فإن من السحرة من يخبر بمحل السحر وبمن قام به وهو يعتمد في ذلك على أخبار الشياطين، أو يكون كذابًا يقول ذلك من عند نفسه.

وعلى كل حال فالجزم بتعيين الساحر بأنه هو الذي قام وعمل السحر لذلك المبتلى من أصعب الأشياء، ولا حول ولا قوة إلا بالله، والله أعلم.

الرُّقَاة الدَّجَّالون

السُّؤَالُ:

رجل يقرأ على مرضاه بالرقية الشرعية الصحيحة، ولكن يدَّعي أن معه ولدًا عمره لا يتجاوز ١٤ سنة يطلب منه الراقي أن يبحث مع المريض عن جان، فيقوم الولد بإغماض عينه، ثم يمسك بالجني على حد زعمه ثم يحرقه بيده، ويدعي الرَّاقي أن هذا من الكرامات لهذا الولد، أرجو بيان حكم هذه المسألة من الناحية الشرعية؛ لأني سوف أذهب إليه وأناقشه في هذه المسألة، وجزاكم الله خيرًا.

الجواب:

الحمد لله؛ هذا الراقي الذي يدَّعي الرقية الشرعية، ثم يدعي أن ولده يستطيع أن يحبس الجني ويحرقه، الظاهر أنه دجال مموه، يخلط

الحق بالباطل ويلبس على الناس، وكرامات الأولياء حق، لكن الشأن في ثبوت ذلك، وليس كل خارق يكون كرامة، بل من الخوارق ما يجري على أيدي السحرة والدجالين والعرافين، ولعل هذا الراقي وولده منهم، وأن ما يتم على يدي ذلك الصبي هو من تعاون الشياطين. فإن الشياطين يستجيبون لمن يطيعهم ويخدمونه ويحققون له بعض مآربه، ويموهون على الناس حتى يتعلقوا بهذا الدجال.

فلا يحل لك أيها السائل أن تذهب إليه لسؤاله أو للرقية، أما الذهاب إليه للإنكار عليه، وإبطال ما يدعيه فهو من تغيير المنكر وكشف الباطل وفضح الدجالين الملبسين على الجهال، ويجب مع هذا: تبليغ الجهات المسؤولة عنهم.

نسأل الله السلامة والعافية، وفي عباد الله الصالحين المعروفين بالاستقامة من يمكن الاستغناء برقيته عن رقية هؤلاء الدجالين الملبسين على الناس، الضالين، المضلين، كفانا الله شرهم أجمعين، والله أعلم.

هل يكون الطالب من الساحر بدرجة الساحر؟

السؤال:

من طلب من الساحر شيئًا هل هو مثل الساحر في الحكم؟

الجواب:

الحمد لله؛ من طلب من الساحر شيئًا فإنه لا يكون بدرجة الساحر، فالساحر جِمَاع شر، لكن يصدق على الطالب من الساحر شيئًا ما ورد

في الحديث عن النبي ﷺ: «**من أتى كاهنًا أو عرافًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد**»[(١)].

الذهاب إلى الساحر وتعلم السحر

السؤال:

ما حكم الذهاب إلى الساحر؟ وما حكم طلب علم السحر، مع الإيمان بأنه سبب فقط.

الجواب:

الحمد لله؛ لا يجوز الذهاب للسحرة، لا لسؤالهم ولا لطلب حلّ السحر، فإن الساحر كالعراف والكاهن، وقد قال رسول الله ﷺ:«**من أتى كاهنًا أو عرافًا فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل الله على محمد**ﷺ»[(٢)].

وكذلك لا يجوز تعلم السحر فإنه من علم الشياطين، وقد أخبر سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ عن اليهود بأنهم يتبعون ما تتلو الشياطين، قال تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢] الآية، فهو من العلم الذي تلقيه الشياطين على أوليائها، فلا يجوز طلب هذا العلم فإنه يقوم على الشرك والكفر بالله، ولهذا قال سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ في الآية نفسها: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦۚ وَمَا هُم

(١) سبق تخريجه (١/ ١٤١).
(٢) سبق تخريجه (١/ ١٤١).

بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢] الآية، فدلت الآية على أن تعلمه موجب للكفر لقوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾.

فالواجب الحذر من الذهاب للسحرة، بل الواجب الإنكار عليهم، والتبليغ عنهم لتطهير المجتمع من وجودهم، فإن وجودهم فساد للأمة، كما أن الواجب على المسلم أن يبتعد عن العلوم المحرمة والعلوم الضارة المفسدة للدين ومن شرها علمُ السحر، فنسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى العفو والعافية وصلاح أحوال المسلمين بمنه وكرمه، والله أعلم.

استخدام السحر في الأغراض النافعة!

السؤال:

هل يجوز استخدام السحر لتحقيق أغراض جيدة (حسنة النية)؟ أو لإقناع أحد والديَّ بأمر معين؟ كمثل إقناعهما بزواجي من فتاة معينة؟

الجواب:

الحمد لله؛ إن السحر من علم الشياطين وعملهم، قال تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ﴾ [البقرة: ١٠٢]، وقال تعالى: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ [البقرة: ١٠٢]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾ [طه].

وقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**اجتنبوا السبع الموبقات**»، قالوا: وما هن، قال: «**الشرك بالله، والسحر...**» الحديث[(١)]، وقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**ليس منا من تطير أو تطير له، أو تكهن أو تكهن له، أو سَحر أو سُحر له**»[(٢)].

وعلى هذا؛ لا يجوز استخدام السحر لأي غرض من الأغراض، فإن السحر باطل، والباطل بأنواعه من الكفر، والفسوق، والمعاصي لا يكون طريقًا إلى الخير، والواجب طلب الأغراض النافعة بالطرق الشرعية التي لا إثم فيها، وعاقبتها مأمونة، والله تعالى قد أغنى عباده بما أباح لهم، عما حرم عليهم، فله الحمد والشكر على إنعامه، والله أعلم.

النُّشْرة (١)

السُّؤَالُ:

هل يجوز فك السحر بالسحر عند الحاجة؟

الجواب:

الحمد لله؛ حل السحر أو فك السحر يقال له: النُّشرة، وقد روى جابر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن رسول الله ﷺ سئل عن النشرة فقال: «**هي من عمل الشيطان**»[(٣)].

(١) أخرجه البخاري (٢٧٦٦)، ومسلم (٨٩)؛ من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) أخرجه البزار (٣٥٧٨)، والطبراني في المعجم الكبير (١٤٧٧٠)، عن عمران بن حصين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال الهيثمي: «رجاله رجال الصحيح، خلا إسحاق بن الربيع، وهو ثقة». «المجمع» (٥ / ١٤١)، وقال المنذري: «رواه البزار بإسناد جيد». «الترغيب والترهيب» (٤ / ١٧).

(٣) أخرجه الإمام أحمد (١٤١٣٥)، وأبو داود (٣٨٧٠)؛ من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، وصحح إسناده النووي في «المجموع» (٩ / ٦٧)، وقال ابن مفلح: «إسناده جيد». «الآداب الشرعية» (٣ / ٦٣)، وله شاهد من حديث أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عند الحاكم (٨٢٩٢)، وصححه، ووافقه الذهبي.

وحل السحر بسحر لا بد فيه من الذهاب للساحر، وسؤاله عمّن عمل السحر، وأين يكون موضع السحر، وذلك لإبطال عمل الساحر الأول، ومعلوم أن الساحر من نوع الكاهن، وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «**من أتى كاهنًا أو عرافًا فسأله عن شيء فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد**»[١]. وعلى هذا؛ لا يجوز حل السحر بالسحر، لأن ذلك من عمل الشيطان، ويستلزم سؤال الساحر وتصديقه؛ قال الإمام ابن القيم: النُّشْرة حل السحر عن المسحور، وهي نوعان: حل بسحر مثله، وهو الذي من عمل الشيطان، وعليه يحمل قول الحسن: «**لا يَحُلُّ السحر إلا ساحر**»، فيتقرب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يحب، فيبطل عمله عن المسحور، والثاني: النشرة بالرقية والتعوذات والأدوية المباحة، فهذا جائز[٢]، والله أعلم.

هل كل محرم يباح للضرورة

السؤال:

ما هو موقفنا من إباحة الضرورة للمحرمات؟ وأنا ذكرت لكم أنني أعاني من بلاء منذ خمس وعشرين سنة؛ أي أنها قضية ليست وليدة اليوم، والمشكلة ليست لشخصي أنا فقط، بل أسرة كاملة ابتليت بهذا البلاء، ونحن لا نبحث عن أذية الناس، بل نريد حلًّا

(١) سبق تخريجه (١/ ١٤١).

(٢) «إعلام الموقعين» (٤/ ٣٠١).

ونحن نعلم أن الله هو الشافي والمعافي، ولكن ألا نتبع سببًا، ونذهب إلى عرَّاف يريحنا مما نحن فيه؟

الجواب:

الحمد لله؛ الذهاب إلى العرافين والكهان والسحرة لسؤالهم أو لطلب حل السحر، الذهاب إلى هؤلاء المفسدين الضالين هو كفر، أو كبيرة من كبائر الذنوب، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «**من أتى كاهنًا أو عرافًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد**»[(١)].

ومثل هذا لا يُباح للضرورة، فليس كل محرم يُباح للضرورة، لكن إذا أكره الإنسان على كلمة الكفر بالضرب والتهديد بالقتل ونحو ذلك فإنه يُباح له أن يتكلم بكلمة الكفر ما دام قلبه مطمئنًا بالإيمان، كما قال تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٦﴾ [النحل].

هذا الذي يقتضيه الدليل، وقد قال بعض أهل العلم: إنه يجوز حل السحر بسحر مثله للضرورة، ولكنني لا أرى هذا ولا أُفتي به؛ لأنه خلاف الدليل ونسأل الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ أن يدفع عنك وعن أسرتك البلاء، وأن ينتقم ممن ظلمكم، وأن يضاعف لكم الأجر على ما عانيتم من الآلام والمشاق.

---

(١) سبق تخريجه (١/ ١٤١).

وما ابتليتم به لا أعلم صفته لكن لا يلزم أن يكون سحرًا، فليس كل ما يعانيه الإنسان من آلام نفسية أو جسدية يلزم أن يكون سحرًا ويمكن أن يكون فيه اشتباه بأن يكون سحرًا، وكثير من الأحيان يذهب بعض المبتلين إلى السحرة ولا يشفون، إما أن الحال التي يعانون منها ليس سببها السحر، وإما أن يكون هؤلاء السحرة غير قادرين على حل ذلك السحر، فالساحر لا يقدر على حل كل سحر، فالقوى الشيطانية بعضها أقوى من بعض، فنسأل الله أن يعافيكم ويشفيكم ويضاعف لكم الأجر، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ سميع الدعاء، والله أعلم.

هل ثبت حل السحر بسحر مثله عن السلف؟

السؤال:

حل السحر بسحر مثله هل ثبت عن أحد من الصحابة أو أحد من السلف؟

الجواب:

الحمد لله؛ حل السحر بسحر مثله لم يثبت عن أحد من الصحابة ولا التابعين، وقال الحسن البصري: «لا يحل السحر إلا ساحر»[(١)]، وقال ابن القيم: من النُّشْرة حل السحر بسحر مثله، وهي التي من عمل الشيطان، وعليه يُحمل قول الحسن، فيتقرب الناشر (أي: الساحر)، والمنتشر (أي: المسحور) إلى الشيطان بما يحب فيُبطل عمله عن المسحور[(٢)].

(١) أخرجه ابن جرير في تهذيب الآثار، كما في «فتح الباري» (١٠/ ٢٣٣).
(٢) «إعلام الموقعين» (٤/ ٣٠١).

حلّ السحر بالسحر

السؤال:

هل يجوز حلّ السحر بسحر؟

الجواب:

الحمد لله؛ حلُّ السحر بالسحر يقتضي الذهاب إلى الساحر ليقوم بفك السحر وإبطاله، وهذا لا يتم له إلا باستحضار الجن، أي: الشياطين وطاعتهم، فإنهم لا يطيعون ولا يخدمون إلا من يطيعهم بما يريدون منه، فالذي يذهب للساحر لا بد أن يكون راضيًا بما يفعل، والذهاب إلى الساحر لحلّ السحر يتضمن سؤاله وتصديقه، وهو من نوع الذهاب إلى العرّاف والكاهن، وقد قال ﷺ: «**من أتى كاهنًا أو عرافًا فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أُنزل على محمد** ﷺ»[١].

وعلى هذا؛ فلا يجوز حل السحر بالسحر، وحل السحر هو النشرة، وقد قال ﷺ لما سئل عن النشرة: «**هي من عمل الشيطان**»[٢]، والله أعلم.

النشرة (٢)

السؤال:

هل يجوز فك السحر بالسحر عند الضرورة؟ مع العلم أن حالة الشخص بسبب السحر سيئة، وهو من سنين يعاني من هذا السحر،

(١) سبق تخريجه (١/ ١٤١).

(٢) سبق تخريجه (١/ ١٦٩).

وكاد أن يتحول إلى ديانة أخرى أكثر من مرة، بسبب هذا السحر والأذى، لولا أن ثبته الله، وحاول فكه بجميع الطرق ولم يستطع، وهو في بلاء عظيم. فما حكم الساحر في هذه الحالة وطالب السحر؟ وما الحكم إذا تحول المسحور إلى ديانة أخرى بسبب السحر والضغط مع إكراهه؟ جزاكم الله خيرًا.

الجواب:

الحمد لله؛ حلُّ السحر هو النُّشرة، وقد جاء في الحديث الصحيح أن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ سئل عن النُّشرة، فقال: «**هي من عمل الشيطان**»[(١)]، وقد حمل العلماء ذلك على حل السحر بالسحر، ومعنى ذلك أن حل السحر لا يكون إلا من ساحر، فيلزم من ذلك الاستعانة بالساحر لحل السحر، والرضا منه بذلك، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «النُّشرة حل السحر عن المسحور؛ وهي نوعان:

حل سحر بسحر مثله، وهو الذي من عمل الشيطان؛ فإن السحر من عمله، فيتقرب إليه الناشر والمنتشر بما يحب فيُبطل عمله عن المسحور.

والنوع الثاني: النشرة بالرقية والتعوذات والدعوات والأدوية المباحة؛ فهذا جائز، بل مستحب، وعلى النوع المذموم يحمل قول الحسن: لا يحل السحر إلا ساحر». اهـ.

وهذا النوع حرام، بل هو من أعظم المحرمات، لما يتضمنه من سؤال الساحر، فيكون من جنس سؤال الكاهن، الذي قال فيه رسول

---

(١) سبق تخريجه (١/ ١٦٩).

الله ﷺ: «**من أتى كاهنًا أو عرافًا فصدقه بما يقول؛ فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ**»[١]، بل يتضمن الرضا به، وطلب حل السحر.

وقد ذهب بعض الفقهاء إلى جواز حل السحر بالسحر للضرورة؛ كالأكل من الميتة للضرورة.

وذهب آخرون إلى أن حل السحر بالسحر ليس مما تبيحه الضرورة؛ لأن السحر كفر ولا ينفك عن الشرك. والشرك والكفر لا يستباح بالضرورة، وليس المسحور في لجوئه إلى الساحر كالمكره، بل كالمريض الذي يستعين بالطبيب، ومعلوم أنه لا يباح التداوي بما حرم الله من مطعوم أو مشروب، والمسحور كالمريض، فكيف يلجأ إلى من يعالجه بعمل السحر، الذي هو كفر وشرك؟! فقد يكون من عمل الساحر: السجودُ للجن أو الذبح لهم، وقد يأمر الساحر المسحور بشيء من ذلك، وقد لا يأمره؛ لأنه يفتضح بذلك، ولهذا قال ابن القيم: «فيتقرب إليه [أي إلى الشيطان] الناشر والمنتشر بما يحب، فيُبطل عمله عن المسحور»، والناشر: الساحر، والمنتشر: المسحور، وما المرض بالسحر إلا كالمرض بالأدواء المعضلة، كالسرطان، وقد يكون بعض هذه الأمراض بتأثير شيطاني، كما قال الله في أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ٤١﴾ [ص]، وقد جاء أن مرضه كان بتقرح جسده، ومع ذلك فلا يجوز علاج هذه الأمراض بما يرشد إليه من يستعينون بالجن؛ كالسحرة والكهان.

---

(١) سبق تخريجه (١/ ١٤١).

وأثر السحر على المسحور أنواع:

فمنها ما يكون على البدن مرضًا مستديمًا.

ومنها ما يكون على العقل.

ومنها ما يكون بحبس قوة من قوى الإنسان؛ كالذي يحبس عن امرأته.

ومنها ما يكون بالتحبيب المفرط المخرج عن سمت العقل وحكم العادة لزوج أو زوجة أو أجنبي، والسحر الذي يصنع لذلك يسمى التِّوَلة والعطف.

ومنها ما يكون بالتنفير والبغض المفرط كذلك، فيفرقون به بين الزوج وزوجته، والوالد وولده، والأخ وأخيه، وما يصنع لذلك يسمى الصَّرْف، وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢].

وكثير من ذلك يكون بواسطة الجن ممن يستعين بهم الساحر، وقد يكون بتسليط جني على المسحور يصرعه، أو يخالط عقله فيفسد تصرفه، حتى يصير أسوأ حالًا من الصبي أو البهيمة، فيفسد عليه أمر دينه ودنياه، ولهذا يعمِد بعض الظلمة من الرجال أو النساء إلى بعض السحرة فيستعينون به لكيد من يبغضونه أو يحسدونه من أجنبي أو قريب.

ولا ريب أن فعل مثل ذلك بإنسان معصوم أعظم ظلمًا من قتله، فإن مات المسحور بذلك السحر وجب القصاص على الساحر، وتعزير من



استعان به، فإن تعذر القصاص من الساحر وجب القصاص على المتسبب، وإن لم يمت المسحور لكن بقي فاسد العقل فاقدًا لقوى بدنه أو بعضها؛ وجب قتل الساحر لسحره، ولو أظهر التوبة، ووجب تعزير المتسبب المستعين بالساحر، ووجب على المتسبب ديات بعدد ما عطَّل من قوى المسحور، كعقله وسمعه وبصره.

وكلُّ هذا يرجع فيه إلى اجتهاد الحاكم لإثباته والحكم بما يقتضيه الواقع والبينات، وبهذا النوع من الظلم فسدت حياة أسر وأفراد، فإنْ أُخذ الحق للمسحور وكل من تضرر بسحره من أهله، وإلا فعقاب الله للساحر والمستعين به مدخر لهما في الآخرة، فلا يغترَّنَّ ظالمٌ بالإمهال، فلعنة الله على السحرة، وعلى من يستعين بهم في ظلم الناس، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾.

ولما تقدم؛ فالذي يترجح عندي: أنه لا يجوز حل السحر بالسحر في حال من الأحوال، أما حلُّه بالتعويذات والأدعية المباحة فمعلوم أنه جائز بل مستحب، كما قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فمن ابتلي بشيء من هذا البلاء في نفسه أو في قريب له، فليس أمامه إلا اللَّجأ إلى الله الذي يكشف الضر والغم، وهو أرحم الراحمين، وهو على كل شيء قدير.

وما ذكر في السؤال من تحول المسحور إلى دين آخر كالنصرانية، فليس ذلك من فعل المسحور واختياره، بل من ضغط الشيطان المتلبس به، أو يكون الناطق بالكفر هو الجني، وعلى ذلك فلا يحكم على

المسحور بحكم الردة بما يبدر منه من أقوال كفرية، نسأل الله العفو والعافية والسلامة، وأن يرفع البلاء عن كل مبتلى، والله أعلم.

الرقية باللغة السريانية

السؤال:

أحد أفراد عائلتي مصاب بمس، وقد جاء أحد الرقاة واستخدم اللغة السريانية، وأثناء الرقية ارتفعت يد أحد أفراد عائلتي وأخذت في الرجفان، أريد التأكد من شرعية ما حدث، وهل الشيخ كان راقيًا شرعيًا أم مشعوذًا؟ وجزاكم الله الخير.

الجواب:

الحمد لله؛ صح عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا رقية إلا من عين أو حمة**»[(١)]، وأنه قال: «**من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل**»[(٢)]، وقال: «**اعرضوا علي رقاكم، لا بأس بالرقى ما لم تكن شركًا**»[(٣)]، فالرقية نوعان: الرقية بالآيات القرآنية وأعظم ذلك سورة الفاتحة، وكذلك سورة الإخلاص والمعوذتان، وكذلك الرقية بالأدعية المباحة، لقوله ﷺ: «**لا بأس بالرقى ما لم تكن شركًا**»، واشترط العلماء في الرقية الشرعية أن تكون بالآيات القرآنية والأدعية النبوية والأذكار المباحة، وأن تكون باللغة العربية، وإذا كانت بلغة مفهومة يفهمها الحاضرون فأرجو أنه لا بأس بها.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٠٥)، ومسلم (٢٢٠)؛ من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٢١١٩)؛ من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه مسلم (٢٢٠٠)؛ من حديث عوف بن مالك رضي الله عنه.

أما إذا كانت بلغة غير مفهومة فلا يجوز قبولها؛ لأنه يحتمل أن تكون مشتملة على ما هو شرك، وهذا الراقي الذي رقى المريض بلغة سريانية متهم، فما الذي حمله على العدول عن اللغة العربية أو اللغة المعروفة، التي يعرفها المريض وأهله.

والأحرى أن هذا دجال، يستعين بالشياطين على مقصوده، فيجب الإنكار عليه والتحذير من الرجوع إليه، وكشف حقيقة أمره حتى لا يُغتر به.

وذكر العلماء أيضًا من شروط الرقية ألا يعتمد عليها المريض، لأنها سبب من الأسباب، والاعتماد على الأسباب شرك في التوحيد، بل يؤمن بأن الرقية الشرعية سبب يرجو من الله أن ينفعه به، وهذا هو الواجب في جميع الأسباب، والله أعلم.

ترقي نفسها عن طريق سماع الأشرطة

السُّؤَالُ:

أرقي نفسي عن طريق سماع أشرطة الرقية وأقرأ على نفسي القرآن منذ سنة، وأحس برعشات برجلي خاصة اليسرى، كذلك أحس بانقباضات برأسي ورقبتي، فهل هذا دليل على أني مسحورة؟ أو على العين؟ وكيف أعرف أني شفيت تمامًا؟

الجواب:

الحمد لله؛ أوصيك أيتها السائلة بأن تحافظي على أذكار الصباح والمساء، وأفضل ذلك أن تقرئي المعوذتين، وقل هو الله أحد، بعد كل صلاة مرة مرة، وبعد الفجر والمغرب، اقرئيها ثلاثًا ثلاثًا، وكذلك آية

الكرسي، وعند النوم انفثي في يديك واقرئي المعوذتين، وقل هو الله أحد، وامسحي على جسدك، فقد كان النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يفعل ذلك[١]، وادعي وأكثري من دعاء الله أن يشفيك، واكتفي بذلك، وأرجو أن ذلك يغنيك عن الرقية على رجليك أو غيرها من بدنك، وإن قرأت ومسحت على رجليك فلا بأس.

ولا يلزم من حصول ما ذكرت من الرعشة أن تكوني مصابة بعين ولا مس، فقد يكون ذلك من الأوهام التي تعرض لنفس الإنسان، ويكون لها أثر على بدنه، فتوكلي على الله وأكثري من التضرع إليه سبحانه، واحفظي بعض الأدعية الواردة مثل: أعوذ بكلمات الله التامة من شر ما خلق، ردديها في الصباح والمساء، ومثل: أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة، وأرجو أن الله تعالى يكفيك ويشفيك ويحفظك من شر الحاسدين، ومن شر الشياطين إنه تعالى على كل شيء قدير، والله أعلم.

الرقية بالهاتف

السُّؤَالُ:

قراءة القارئ على المريض من بُعد كما في القراءة عن طريق الهاتف أو المكبر هل تنفع في الشفاء وتؤثر في فك السحر؟

الجواب:

الحمد لله؛ الذي يظهر أن الرقية بالهاتف لا تُعد رقية؛ فإن الرقية فيها نفث على المريض، وهذا يقتضي مباشرة المريض بذلك، والرقية

(١) كما عند البخاري (٥٠١٧) وغيره؛ من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

في الهاتف والنفث على الآلة كالرقية والنفث على مريض غائب، والمشروع في هذه الحال: هو الدعاء له بالشفاء والعافية من غير نفث، ولا يُسمى ذلك رقية.

وأما الرقية على ما يمكن أن يستعمله المريض من ماء وزيت وعسل ونحوه فأجازه كثير من العلماء، وتوقف فيه آخرون أو منعوه، والأظهر التوسعة في ذلك إن شاء الله، والله أعلم.

الاستشفاء بآيات الرقية المنقوشة في إناء

السؤال:

ما حكم من يستشفي بصحن قد نقش في داخله آية الكرسي فيضع فيه ماء ويشربه؟

الجواب:

الحمد لله؛ جاء عن بعض السلف -وذكره بعض أهل العلم- أن من الطرق العلاجية بالقرآن كتابة آيات الرقية -كالفاتحة- في إناء بمادة طيبة؛ كالزعفران والعسل، ثم يُمحى بماء ويشربه المريض، وأن ذلك مما جرب ونفع بإذن الله، وقد ذكر ابن القيم في كتابه الطب النبوي في حرف الكاف عن جماعة من أصحاب الإمام أحمد أنه فعل ذلك لبعض المرضى، وعزا ذلك إلى عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا وغيرها[١].

وأما ما جاء في السؤال من الاستشفاء بوضع ماء في إناء قد نقشت فيه آية الكرسي ثم شربه فلا أرى له وجهًا، وليس هو مثل ما ذكره أهل

(١) ينظر: «زاد المعاد» (٤/ ٣٢٦).

العلم من الكتابة والمحو، فإن المادة التي كتبت بها الآيات والتعويذات والدعوات تشبه الماء والعسل الذي رقي فيه، فإذا شربه المريض حصل له أثر الكتابة والرقية، وحصل له ما شاء الله من الشفاء، وأما مرور الماء على النقش الذي في الإناء فلا أثر له في الماء ولا ينتقل منه شيء إليه، والله أعلم بالصواب

تخلص العائن من التبعة

السؤال:

أنا شاب أتمنى الخير لكل المسلمين، ولكنني مبتلى بالعين، أي أنه إذا أعجبني شيء أصيبه بالعين إذا لم أقل: ما شاء الله، ولكن هذه المشكلة أصبحت تقلقني؛ لأنني أصبحت أخاف على الآخرين من عيني، وإذا رأيت من أحد شيئًا أعجبني أبدأ في وسواس كبير هل أنا أصبته أو لا؟ هل أنا قلت ما شاء الله أم أصابته عيني؟ وإن أصابته مصيبة زاد همي وحزني عليه، فما الحل يا فضيلة الشيخ وهل هناك علاج لمشكلتي؟ وفقكم الله ورعاكم.

الجواب:

الحمد لله؛ عليك أولًا أن تدعو الله أن يعافيك من هذا الخلق الذي هو الحسد؛ فإن العين منشؤها الحسد، فإن نفس الحسود تتكيف بكيفية خبيثة يكون من أثرها إصابة المحسود، فاسأل ربك أن يعافيك من هذه الحال الرديئة. وما دمت تكره ذلك من نفسك فهذا مما تحمد عليه، ومما يخفف عنك تبعة ما قد يحصل بسبب الإصابة بعينك.

ولكن يجب عليك أن تتخذ الوسائل التي تدفع بها وتقاوم بها شرك عن الناس؛ وذلك بالإعراض عن النظر إلى أحوالهم التي ربما أشارت نفسك بالتعجب منهم أو بالإعجاب، ثم بالحسد والإصابة بالعين.

كما أن ممّا تقاوم به هذه الحال أن تبرِّك على الشيء الذي أعجبك، بمعنى أن تدعو له وعليه بالبركة، كما تقول: بارك الله فيه، اللهم بارك فيه، اللهم احفظه، اللهم زده من الخير، ونحو ذلك من الكلمات التي فيها الرضا بذلك الواقع وبمحبة تلك النعمة لحصولها لأخيك، فلا تحسده عليها.

وما خرج عن استطاعتك مع بَذْلك لأسباب المقاومة فأرجو أنه لا يضرك، حيث لم تتعمد الإصابة بالعين ولم تقصر في اتخاذ الوسائل الوقائية التي تقي غيرك من أن تصيبه بعينك، فنعوذ بالله من شر حاسد إذا حسد، والله أعلم.

اعتقاد أن الحبة السوداء تقي من العين

السُّؤَالُ:

ما حكم من يأخذ الحبة السوداء عند خروجه من المنزل لاعتقاده أنها سبب للحفظ من العين ونحو ذلك؟

الجواب:

الحمد لله؛ جاء في الحديث الصحيح: «**أن الحبة السوداء شفاء من كل داء، إلا السَّامَ**»[١]، وهو الموت، والحبة السوداء إنما يتداوى بها

(١) أخرجه البخاري (٥٦٨٧)، ومسلم (٢٢١٥)؛ من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

بأكلها أو شربها في عسل أو غيره، والتداوي بالمأكول والمشروب إنما يقصد به الشفاء من داء حاصل أو الوقاية، وكذا ما يحتقن به أو يدَّهن، وهي نوعان: أدوية علاجية، وأدوية وقائية، وكلها تتعلق بالأمراض وأسبابها المادية والحسية، وتنفع منها بإذن الله.

وأما الأسباب النفسية والروحانية؛ كالعين، والتأثيرات الشيطانية؛ كالمس والسحر، فإنما تتقى وتعالج بالأسباب الشرعية الإيمانية، كالأوراد من الأذكار الصباحية والمسائية، والرقية بالقرآن والأدعية المأثورة والمباحة.

والحبةُ السمراء هي من النوع الأول، وما يذكر من أنها تقي من العين لا وجه له، ولا أصل له، والله أعلم.

لبس الخيوط للزينة

السؤال:

ما حكم لبس الخيوط ووضعها في العنق أو اليدين للزينة؟ ومتى يكون لبسها ممنوعًا؟

الجواب:

الحمد لله؛ الخيوط الملونة لبسها للزينة هو من الزينة التي أخرجها الله لعباده، فتكون كسائر ما يُلبس للزينة من الثياب والحلي، لكن إذا كانت هذه الخيوط يلبسها بعض الناس معتقدًا أنها تدفع العين أو ترفع مرضًا، وكان ذلك شائعًا في ذلك المجتمع، فلا يجوز لبسها للزينة؛ فإن

فيه تشبهًا بمن يلبسها معتقدًا فيها، وهو كذلك وسيلة أن يلبسها بعض الناس للاعتقاد فيها، ويدَّعي أنه يلبسها للزينة.

أما إذا كان العرف أن هذه الخيوط تُلبس للزينة فلا حرج في لبسها، وإن كانت تلبس في بعض المجتمعات لغير ذلك، فلا بد من اعتبار القصد والعرف، والله أعلم.

محسود على بيته الجديد

السؤال:

فضيلة الشيخ الوالد عبد الرحمن البراك أدام الله عليه السعادة والعافية:

بنيت بيتًا جديدًا، فلما سكنته تغيرت عليَّ نفسي ومرضت زوجتي مرضًا عضالًا، فقدر الله أن ينتقل عملي إلى المدينة النبوية نصف سنة انتدابًا، فارتحت نفسيًّا هناك وشفيت زوجتي، وانتهت المدة، وزوجتي الآن لا تريد الرجوع إلى الرياض، مع أن أهلها في الرياض، لخوفها على نفسها، وأنا أستطيع البقاء في المدينة منتقلًا بعملي، والمشكلة أن أمي تريدني أن أبقى معها في الرياض، فماذا تشيرون على ابنكم؟ جزاكم الله خيرًا.

الجواب:

الحمد لله، أرى -والله أعلم- أن تجرب فتعود للرياض وتستأجرا بيتًا، وتنظر في حالك، فلعلكم محسودون على هذا البيت الجديد، والعين حقٌّ إلا إن كان يمكن إقناع والدتك لترضى عنك، فتسكن المدينة، والله أعلم.

العلاج من العين بالتبخر بالشبة والأعشاب

السؤال:

هل يجوز الاستطباب من العين بالتبخر بالشبة والأعشاب؟ جزاكم الله خيرًا.

الجواب:

الحمد لله؛ إن الشبَّة والأعشاب من النباتات، والتداوي بها فيما جرب نفعها فيه هو من الأسباب الطبيعية، وأما التبخر بالشبَّة وبعض الأعشاب للوقاية من العين فلا يجوز؛ وإنما تتقى العين بالأوراد والأذكار الشرعية.

لكن التبخر بما ذكر في علاج مرض عُلم أنه بسبب العين أو يظن ذلك، فلا بأس به إذا جرب ذلك ونفع، ولا أظن التبخر ينفع لكل مرض كان سببه العين.

والحاصل: أنه لا مانع من الاستطباب بالتبخر بالشبَّة والأعشاب، والله أعلم.

رجال الغيب

السؤال:

كثيرًا ما جرى على ألسنة بعض الخطباء والوعاظ عن رجال الغيب! فهل هم أناس غائبون عن الأنظار؟ أو هم من الجن؟ وهل

ثبت في بعض الروايات الصحيحة أن من ضل في الفلاة أو في الغابة أو الصحراء أو من انفلتت دابته وضاعت عنه له أن يدعوهم أو يطلب مساعدتهم في ذلك؟ كأن يقول: يا رجال الغيب أعينوني! أو يقول: يا عباد الله احبسوا! أشكركم على إجابتكم فالله يجزيكم عني خيرًا.

الجواب:

الحمد لله؛ من العوالم التي خلقها الله الملائكة والإنس والجن، فأما الملائكة فهم من عالم الغيب وقد يتمثلون فيما يشاء الله، كما تمثل جبريل لمريم بشرًا سويًا، والملائكة أضيافًا لإبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وكان جبريل يأتي أحيانًا إلى النبي ﷺ بصورة رجل غريب أو بصورة دحية الكلبي، وأما الجن فهم كذلك من عالم الغيب، إلا أنهم يسكنون مع الناس في هذه الأرض، وقد يتمثلون بصور مختلفة تارة بصورة إنسان، وتارة بصورة حيوان، وأما إذا كانوا على خلقتهم فإن الناس لا يرونهم، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٧]، وأما الإنس فهم من عالم الشهادة فهم محسوسون مشاهدون، ولا يكون أحد من الناس غائبًا بحيث لا يرى في حال من الأحوال.

وعلى هذا؛ فرجال الغيب ليسوا من الإنس بل هم من الجن، ومن الجن رجال، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾﴾ [الجن].

وأما من ورد فيهم حديث: «**إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد: يا عباد الله، احبسوا علي، يا عباد الله احبسوا علي، فإن لله في الأرض حاضرًا سيحبسه عليكم**»[1] فيحتمل -إن صح الحديث- أن يراد بهم الملائكة، ويحتمل أن يراد بهم الجن، وفي الجن الصالحون ومن دونهم، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ١١﴾ [الجن]، ومنهم المسلم والكافر، كما قال سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ: ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعۡنَا ٱلۡهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦۖ فَمَن يُؤۡمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخۡسٗا وَلَا رَهَقٗا ١٣ وَأَنَّا مِنَّا ٱلۡمُسۡلِمُونَ وَمِنَّا ٱلۡقَٰسِطُونَۖ فَمَنۡ أَسۡلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوۡاْ رَشَدٗا ١٤﴾ [الجن]، فالاعتقاد أن رجال الغيب من الإنس اعتقاد باطل، والله أعلم.

الاستعانة بالجن واستخدامهم

السؤال:

نريد منكم إيضاح الإشكال في مسألة الاستعانة بالجن، ومن يدعي أنه يتعامل مع الجن المسلم في العلاج، ماذا ترون فيه؟ ويوجد

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٥١٨)، وأبو يعلى في «مسنده» (٥٢٦٩)؛ من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، وضعفه الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٩٣)، والبوصيري في «إتحاف الخيرة» (٦/ ١٢٤).

بينهم أناس يعالجون المرضى، ويخبرون عن مكان السحر، وترى من سيمائهم من الخير والصلاح ما لا تراه في غيرهم؟

الجواب:

الحمد لله؛ الاستعانة بالجن كالاستعاذة بالجن، قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦﴾ [الجن]، وقد ذكر المفسرون عند هذه الآية أن أهل الجاهلية كانوا إذا نزل أحدهم واديًا قال: أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه[1].

والجن من عالم الغيب فالاستعانة بهم والاستعاذة تتضمن دعاءهم لتحقيق ما يطلب منهم، ودعاء الغائبين شرك كدعاء الموتى، ومن حضر أو ظهر منهم بصوته أو تمثُّله فإنه لا يمكن العلم بحاله، فلا يمكن الحكم له بالصلاح، وإن قام ببعض الأعمال الحسنة. نعم؛ الجن منهم المؤمن والكافر، والفاسق والمنافق، ولا ينكر أن منهم من يقدم خدمة لبعض الناس ويختلف غرضه في ذلك.

والغالب على الذين يعينون الإنس أنهم شياطين يقصدون بذلك إضلالهم بطاعتهم لهم فيما يأمرونهم به من الشرك والمعاصي، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ۝١٢٨﴾ [الأنعام]،

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (٢٣/ ٣٢٢)، وتفسير ابن كثير (٨/ ٢٥٢).

واستمتاع الإنس بالجن يكون بخدمة الجن لهم وقضاء حوائجهم، واستمتاع الجن بالإنس يكون بإغوائهم إياهم وبطاعتهم لهم.

والأصل أن لا علاقة بين الجن والإنس؛ لأنهما عالمان مختلفان، لكن الجن يرون الإنس، والإنس لا يرونهم إلا إن تمثّلوا ببعض الصور، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ﴾ [الأعراف: ٢٧]، فلا تعاون ولا تناصر بين صالحي الجن والإنس، وما يقع من نفع لبعض الناس يظن أنه من صالحي الجن فهو عارض وفي حكم النادر، ولكن التعاون في الغالب يكون بين شياطين الإنس والجن؛ لأن بعضهم أولياء بعض، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ﴾ [الأنعام: ١١٢]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ ١٢١﴾ [الأنعام].

فالشياطين من الجن تخدم أولياءهم من الإنس؛ فقد تطير بهم وتحملهم إلى بلاد بعيدة، وقد تحضر لهم ما يريدون من مالٍ أو طعام أو امرأة يفجرون بها، فيعينونهم على المعاصي، ويدعونهم إلى الشرك بعبادتهم والسجود لهم، وبعبادة بعض الأصنام والأوثان التي يخاطبونهم منها، وكذلك يخبرونهم ببعض الأمور التي يطَّلعون عليها من أحوال الناس، وقد يكون بعض ذلك في بلاد بعيدة، فإن شياطين الجن يخبر بعضهم بعضًا، ثم يلقي الجني الخبر إلى وليّه من الإنس ابتداء، وقد يكون بسؤال الإنسي للجني، ثم يخبر الإنسي من يسأله من الناس عن شيء من أمورهم فيفتنهم بذلك، وهذا هو الذي يسمى الكاهن والعرّاف والرَّمَّال.

وقد صح عن النبي ﷺ التحذير البالغ من سؤال أولئك الطواغيت، كما روى الإمام أحمد وغيره عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «**من أتى كاهنًا أو عرافًا، فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد** ﷺ»[1]، وليراجع في هذا كتاب شيخ الإسلام ابن تيمية «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان».

ومما يشبه أخبار الكهان ما يتكلم به الجني على لسان المصروع والممسوس فإنه شيطان؛ كافر أو فاسق، فلا يجوز تصديقه فيما يخبر به من موضع السحر، أو المتسبب فيه، أو غير ذلك، ولكن لا بأس بالتثبت مما يخبر به، لقوله تعالى: ﴿إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات: ٦]، والغالب عليهم الكذب، فالواجب على المعالج للمصروع والممسوس أن يستعمل لإخراج الجني الأسباب الشرعية والأسباب العادية المجربة، ولا يجوز له أن يسأل الجني ولا أن يستعين به على علاج مريض آخر؛ فإنه شيطان لا يوثق به.

والحاصل أنه لا تجوز الاستعانة بالجن، ولو ظن المستعين أن من يتعامل معه صالح، فإنه لا قدرة له على العلم بذلك، كما تقدم، وهو باب شرٍّ؛ فإنه لا يعجز أي كاهن أو ساحر أن يدعي أن له أصحابًا من صالحي الجن يخبرونه ويعينونه، فيلتبس الأمر على الناس.

ومعلوم أن شيئًا من ذلك مما ادعاه السائل لم يكن في تأريخ المسلمين، وفي القرون المفضلة، اللهم إلا ما كان على وجه المصادفة

---

(١) سبق تخريجه (١/ ١٤١).

والشيء العارض، الذي لا يبنى عليه حكم ولا قاعدة، فالواجب الحذر من تلاعب الشياطين، فإن منهم منافقين يظهرون الصلاح لمن يريدون خداعه والمكر به، كالمنافقين من الإنس، بل خطرهم أشد من خطر منافقي الإنس؛ لأن منافقي الإنس يمكن أن يعرفوا، كما قال تعالى: ﴿وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِ﴾ [محمد: ٣٠]، وقانا الله شر شياطين الإنس والجن، وحفظنا بحفظه لعباده الصالحين، والله أعلم.

الاستعانة بالجن للدلالة على المفقود

السؤال:

ترك جدنا تركة مخفية في بيت لنا قديم بحثنا عنها ولم نجدها، وتعرفت على شخص أكد وجودها وأنه يستطيع إخراجها، علمًا أنه يستخدم الجن، لكنه أقسم بالله أنه لا يشرك بالله عندما يستخدمهم وأنه لم يشرك بالله، هل يجوز لي أن أستخدمه في إخراجها؟ علمًا أنه قال لي: أنا وأنت نذهب لأحد المشايخ ونسأله عن جواز ذلك من عدمه، ولكنني لم أفعل، علمًا أنني سمعت أنه يجوز ذلك إذا لم يكن فيه إضرار بالآخرين، وهو كذلك إذ التركة خاصة بنا وهي كبيرة جدًا، آمل الرد علي بسرعة مع خالص دعواتي بالتوفيق والسداد.

الجواب:

الحمد لله؛ ثبت عن النبي ﷺ في أحاديث عدة أن «**من أتى عرافًا أو كاهنًا، فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد**»[1]، والمعروف

(١) سبق تخريجه (١/ ١٤١).



أن الكهان إنما يتلقون ما يخبرون به عن الشيطان مما يسترقه الشيطان من السماء ومما يطلعون عليه من أحوال الناس.

وعلى ذلك: فهذا الذي يدعي أنه يعرف مكان ذلك المال، وأنه يستعين بالجن في معرفة مكان هذا المال أو غيره من الأمور المخفية الظاهر من حاله أنه كاهن، بل هو كاهن ولو زعم أنه لا يشرك ولو أقسم على ذلك.

فلا يجوز إذن الاستعانة به على معرفة مكان هذا المال، ولكن ابحثوا عن أسباب أخرى وتحروا لعلكم تعثرون على هذه التركة دون أن تتوسلوا بما حرم الله، وسلوا الله أن ييسر لكم ذلك.

وقد نص بعض أهل العلم في تعريف الكاهن أنه الذي يخبر بالمغيبات في المستقبل ويدل على مكان المسروق وعلى الضالة، فهذا مما يحترفه الكهان ويسألهم الناس فيه، فالواجب على المسلم أن يحرص على سلامة دينه ولو فاته ما فاته من أمر الدنيا، والله أعلم.

التسمية عند سكب الماء الحار

السُّؤَالُ:

هل وردت التسمية عندما يسكب الإنسان ماء حارًا أو عند سقوط طفل أو شيء ما؟ أفيدونا مأجورين.

الجواب:

الحمد لله؛ لا أذكر أنه ورد الندب إلى التسمية في خصوص ما ذُكر، لكن ذكرك لله من الأسباب التي دلت النصوص أنه يطرد الشياطين ويمنع من شرهم، كما شُرعت التسمية عند الاضطجاع وعند دخول المنزل، وعند الخروج منه، وعند دخول المسجد، وعند الخروج منه، وكذلك عند دخول الخلاء، فأرجو أن ما يقوله الناس في مثل هذه الأحوال التي أُشير إليها في السؤال أرجو أنه حسن؛ لأن صب الماء الحار ولا سيما في بعض المواضع التي يمكن أن تكون مسكنا للجن يخشى أن يكون له أثر انتقامي، فإذا ذكر الإنسان اسم الله فقال: باسم الله، كان ذلك سببًا في طرد ما يخشى من شر الشياطين، وكذلك إذا سقط الإنسان أو سقط الطفل، وذُكر اسم الله عليه رُجي أن يكون سببًا في سلامته من اعتداء بعض الشياطين.

فالحاصل أن ذكر اسم الله فيه خير وهو أعظم أسباب السلامة من الشرور الظاهرة والباطنة، والله أعلم.

تكليف الجن بالعبادات

السُّؤَالُ:

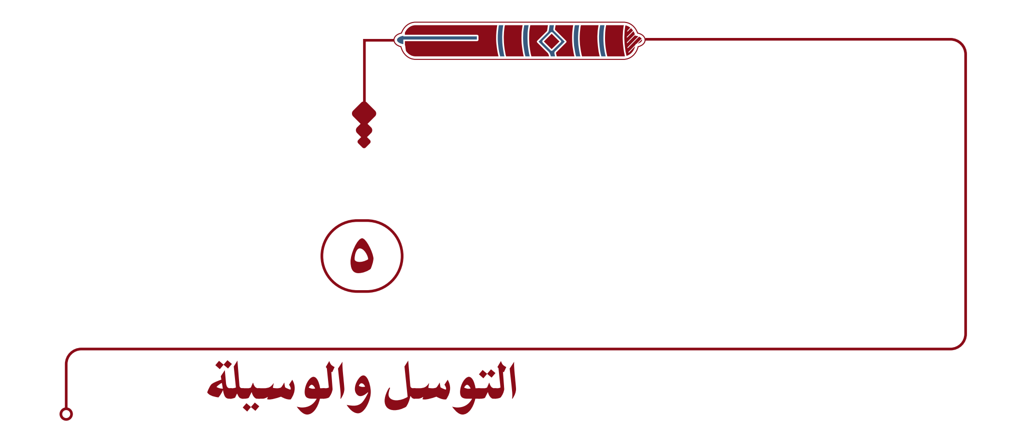
هل على الجن تكاليف شرعية كما على الإنس؟ أي: هل الجن مكلفون بالصلاة وصيام رمضان؟ لأنه كما نعرف هناك جن مسلم وآخر كافر، أفيدوني أفادكم الله، وجزاكم الله خيرًا.

الجواب:

الحمد لله؛ نعم، الجن مكلفون كالإنس، ومخلوقون للعبادة، فهم مأمورون ومنهيون، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات]، وهم موعودون ومتوعدون، فمؤمنهم موعود بالثواب، وكافرهم وعاصيهم متوعد بالعقاب، فقد قضى الله تعالى أن يملأ جهنم من الإنس والجن، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [هود]، والصحيح أن مؤمنهم يدخل الجنة كما في سورة الرحمن، والخطاب فيها للثقلين؛ الإنس والجن: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾﴾ [الرحمن]، في إحدى وثلاثين آية، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾﴾ [الرحمن] إلى قوله: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾﴾ [الرحمن] إلى آخر السورة.

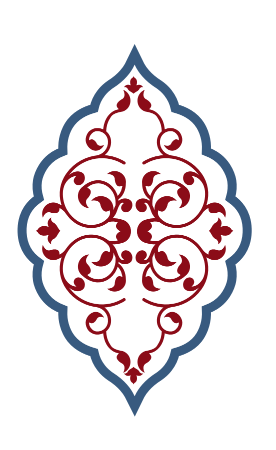
ولكن لا ندري عن كيفية أدائهم للتكاليف الواجبة عليهم؛ لأن لهم طبيعة وخلقة تختلف عن طبيعة الإنس وخلقتهم، لكنهم مكلفون بشريعة محمد ﷺ، ولهذا قرأ النبي ﷺ القرآن وجاءه نفر من الجن واستمعوا القرآن وذهبوا إلى أقوامهم منذرين، كما ذكر الله ذلك في سورتي الأحقاف والجن، ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ إلى آخر الآيات [الأحقاف: ٢٩-٣٢]، والله أعلم.

- ❊ ■ ❊ ■ ❊ -



٥

التوسل والوسيلة



الدعاء بـ «إلهي أنت جاهي»

السُّؤَالُ:

ما حكم دعاء الله بقولنا: إلهي أنت جاهي؟

الجواب:

الحمد لله؛ هذا دعاء مبتدع لا يجوز؛ فليس الله جاهًا لأحد، وجاه الإنسان هو ما له من المنزلة عند الله أو عند المخلوقين، وأما الله جَلَّ وَعَلَا فليس جاهًا لأحد، وهذا الدعاء مبتدع إنما يصدر من جاهل لا يعرف دلالات الكلام.

فالواجب تجنب مثل هذا اللفظ الذي لا وجه له لغة ولا شرعًا، فاتركه، وقل: يا ألله أنت إلهي وأنت ربي لا إله غيرك، أنت الحي القيوم، يا ذا الجلال والإكرام، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، والله أعلم.

سؤال الله بجاهه الكريم

السُّؤَالُ:

ما حكم قول الرجل في الدعاء: «اللهم إني أسألك باسمك الأعظم، وجاهك الكريم»؟

الجواب:

الحمد لله؛ أما السؤال باسم الله الأعظم فهو حق، لكن ينبغي أن يذكره إذا كان يعرف شيئًا مما ورد أنه اسم الله الأعظم، ويأتي به صريحًا، ومما قيل: إن اسم الله الأعظم (الحي القيوم).

فالحاصل: أن التوسل إلى الله باسمه (الحي القيوم)، أو باسمه (ذو الجلال والإكرام)، أو بأنه الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد، كل هذا من دعائه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بأسمائه الحسنى، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، ودعاؤه بها ينبغي أن يكون هكذا: يا ألله، يا رحمن، يا حي يا قيوم، يا ذا الجلال والإكرام.

وأما قول القائل: «وبجاهك»، فهذا دعاء لا أصل له، والله تعالى لا يقال له جاه؛ لأن هذا لم يرد، ومثل هذا اللفظ في جانب الله إنما يستعمل للاستشفاع به إلى أحد من خلقه، وهو محرم، كما قال ﷺ: «**إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه**»[1]، كذلك لا يتوسل إلى الله بهذا؛ إذْ لم يرد في شيء من النصوص لفظ الجاه مضافًا إلى الله، فهو سؤال بدعي، يجب الاستغناء عنه بأسماء الله وصفاته، والله أعلم.

الاحتفاء بأدعية غير مأثورة واتخاذها وردًا

السؤال:

ما قولكم -حفظكم الله- في الدعاء الذي انتشر في الهاتف الجوال، وهذا نصه: «اللهم إني أتوسل بك إليك، وأُقسم بك عليك،

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٢٦)؛ من حديث جبير بن مطعم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وقال: «والحديث بإسناد أحمد بن سعيد هو الصحيح، وافقه عليه جماعة، منهم: يحيى بن معين وعلي بن المدينى، ورواه جماعة عن ابن إسحاق، كما قال أحمد أيضًا؛ وكان سماع عبد الأعلى، وابن المثنى، وابن بشار، من نسخة واحدة فيما بلغني».
وحسنه ابن حجر في «هداية الرواة» (٥/ ٢٤٩).

فكما كنت دليلي إليك فكُنِ اللهم شفيعي لديك، فإن حسناتي منك، وسيئاتي مني، فجُدِ اللهم بما هو منك على ما هو مني»؟

الجواب:

الحمد لله؛ هذا الدعاء ورد في «حزب أبي الحسن الشاذلي» الصوفي، فليس دعاء مأثورًا عن النبي ﷺ، أو عن أحد من أصحابه، وحينئذ فليس له فضيلة تقتضي تخصيصه وتحريه والعناية به.

وعلى هذا؛ فلا ينبغي كتابته بالجوال ولا إرساله؛ لأن هذا يُشعر بأهميته والاهتمام به وأن له شأنًا، وهو مؤلف من ست جمل بعضها أظهر معنى من بعض، وكلها حق في الجملة، ومنها ما له نظير في الأدعية النبوية:

فقوله: «أتوسل بك إليك»، توسل مجمل يُشبه قوله ﷺ: «**أعوذ بك منك**»[(١)]، لكن الحديث جاء في الاستعاذة خاصة، ونظيره قوله ﷺ في الذكر عند النوم: «**لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك**»[(٢)]، وأما هذا التوسل فجاء عامًا في المحبوب والمكروه.

وقوله: «وأُقسم بك عليك»، شاهده قوله ﷺ: «**إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره**»[(٣)]، والإقسام على الله ليس مشروعًا، بل قد يكون جائزًا وقد يكون محرمًا، بحسب الباعث عليه والمطلوب به، وغالب الإقسام على الله أن يقول القائل في الأمور الغيبية: والله ليكونن كذا،

---

(١) أخرجه مسلم (٤٨٦)؛ من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.
(٢) أخرجه البخاري (٢٤٧)، ومسلم (٢٧١٠)؛ من حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٣) أخرجه البخاري (٢٧٠٣)، ومسلم (١٦٧٥)؛ من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أو لا يكون كذا، فإن تضمن الإقسام بالله حسن الظن به وصدق الرجاء كان جائزًا، كقول أنس بن النضر: «لا والذي بعثك بالحق لا تكسر ثنيتها»[(١)]، وإن تضمن سوء الظن بالله والكذب عليه كان حرامًا، كقول ذلك الرجل: «والله لا يغفر الله لفلان»[(٢)]، وأما قول القائل: أُقسم عليك يا ألله، أو أُقسم بك عليك، فقد أُثِرَ معناه عن بعض الصحابة، وهو البراء بن مالك، وذلك نوع من الدعاء، وحكمه بحسب المطلوب؛ ما يجوز طلبه وما لا يجوز.

وقوله: «فكما كنت دليلي إليك»، معناه حق؛ فإنه تعالى هو الذي عرَّف العباد بنفسه، ودلهم على نفسه بهدايته لهم بآياته الكونية والشرعية.

وقوله: «فكن اللهم شفيعي لديك»، قريب في معناه من قوله: «أتوسل بك إليك»، وقد ورد إضافة الشفاعة من الله إلى نفسه في صحيح البخاري، ولفظه: «**فيقول الجبار: بقيت شفاعتي، فيقبض قبضة من النار**»[(٣)].

وقوله: «فإن حسناتي منك، وسيئاتي مني»، الذي في «حزب الشاذلي»: «فإن حسناتي من عطائك، وسيئاتي من قضائك»[(٤)]، وهو كلام حق، وهو يُشبه ما أُثِرَ عن بعض الأعراب: اللهم إن أطعتُك فبفضلك، ولك المنة عليَّ، وإن عصيتُك فبعدلِك، ولك الحجة عليَّ[(٥)].

---

(١) انظر: الحاشية السابقة.

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٢١)؛ من حديث جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري (٧٤٣٩)؛ من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) «حزب الحفظ والصون» لأبي الحسن الشاذلي.

(٥) ينظر: «الرسالة القشيرية» (٢/ ٤٢٦).

وقوله: «فجِدِ اللهم بما هو منك على ما هو مني»، الذي في «الحزب»: «فجِدِ اللهم بما أعطيت على ما به قضيت؛ حتى تمحو ذلك بذلك»[١]، وهو كلام حق، شاهده قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: ١١٤].

وبعد، فتحري هذا الدعاء أو اتخاذه وردًا بدعة؛ لأن تحرِّيَه يدل على اعتقاد فضيلة له، وهو كلام يشتبه معناه ويُشكل على كثير من الناس، وفي الأدعية الواضحة والمأثورة عن النبي ﷺ غنية عن الأدعية التي يخترعها الصوفية متنطعين فيها، والله أعلم.

التوسل إلى الله تعالى بآية من القرآن الكريم

السؤال:

اللهم إني أسألك بهذه الآية: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: ٦٢]، اللهم إني مضطر وأنت المجيب، يا سامع كل صوت. هل صيغة هذا السؤال صحيحة؟ وفقكم الله.

الجواب:

الحمد لله؛ هذا توسل صحيح؛ لأنه من التوسل بصفاته تعالى، إما توسل بكلامه وهو الآية الكريمة، وإما توسل بأنه سبحانه يُجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء، والتوسل بالآية راجع إلى التوسل بمعناها، وهو وصفه تعالى بأنه يُجيب المضطر ويكشف السوء، والله أعلم.

---

(١) «حزب الحفظ والصون» للشاذلي.

ولكن أولى من هذا الأسلوب أن تقول: يا ألله، يا من يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء أزل ضرورتي واكشف السوء عني، كما تقول: يا رحيم ارحمني، ويا غفور اغفر لي، والله أعلم.

توسل بدعي

السؤال:

«أسألك بما مننت على موسى، وبما فضلت محمدًا، وبما نجيت إبراهيم، وبما كشفت عن أيوب»، هل هذا توسل شرعي؟

الجواب:

الحمد لله؛ هذا توسل بدعي، فهو يُشبه التوسل بجاه الأنبياء وحقوقهم، فإن جاه النبي ﷺ وحق النبي ﷺ وسيلة له، فالتوسل الوارد في السؤال توسل بما ليس بينه وبين المتوسَّل له مناسبة، فنجاة إبراهيم، والمنُّ على موسى، وتفضيل محمد صلى الله عليهم وسلم لا يكون سببًا لإجابة دعاء من دعا متوسلًا بذلك، والتنويع بين من ذُكِرَ من الرسل من حيث فضلُ الله عليهم لا معنى له، فقد نجَّى الله إبراهيم وموسى ومحمدًا عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ومنَّ عليهم وفضلهم، فلا وجه لتخصيص كل واحد بمعنى من هذه المعاني.

التوسل المشروع والممنوع

السؤال:

نرجو من فضيلتكم توضيح مشروعية التوسُّل والاستغاثة بالمصطفى ﷺ، وما ترونه في هذه الأدلة على جواز التوسُّل به ﷺ.

أدلة التوسُّل:

١. حديث الشفاعة المتواتر والمروي في الصحيحين وغيرهما، من أن الناس يتوسلون بسيد الأنام عند اشتداد الأمر عليهم يوم القيامة، ويستعينون به، ولو كان التوسُّل والاستغاثة من الكفر والشرك لم يشفع النبي ﷺ للناس يومئذ، ولا يأذن الله له بالشفاعة، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وأن التوسُّل والاستغاثة كفر في الدنيا ليس كفرًا في الآخرة، فإن الكفر كفر، سواء كان في الدنيا أو في الآخرة، قبل موته ﷺ وبعد موته لا فرق.

٢. حديث سيدنا عثمان بن حنيف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «إن رجلًا ضريرًا أتى النبي ﷺ، فقال: ادع الله أن يعافيني، فقال: «إن شئت دعوت، وإن شئت صبرت، وهو خير»، قال: فادعه، فأمره أن يتوضأ، ويحسن الوضوء، ويدعو بهذا الدعاء: اللهم إني أسألك، وأتوجَّه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجَّه بك إلى ربي في حاجتي لتقضى، اللهم شفِّعه فيَّ، قال سيدنا عثمان: فعاد وقد أبصر»، رواه الترمذي والنسائي والطبراني والحاكم، وأقرَّه الذهبي والبيهقي بالأسانيد الصحيحة.

٣. حديث سيدنا علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكرم الله وجهه، أن سيدنا النبي ﷺ لما دفن فاطمة بنت أسد (أم سيدنا علي) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قال: «اللهم بحقي وحق الأنبياء من قبلي، اغفر لأمي بعد أمي»، رواه الطبراني والحاكم مختصرًا، وابن حبان، وغيرهم، وفي إسناده روح بن صلاح، قال الحاكم: «ثقة، وضعَّفه بعضهم، والحديث صحيح».

٤. وروى الإمام البخاري في صحيحه: أن سيدنا عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ استسقى عام الرمادة بالعباس عم النبي ﷺ، ومن قوله توسُّلًا به: «اللهم إنا كنا نتوسَّل إليك بنبينا ﷺ فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا»، وفي الحديث: إثبات التوسُّل به ﷺ، وبيان جواز التوسُّل بغيره، كالصالحين من آل البيت ومن غيرهم، كما قال الحافظ في «فتح الباري» (٢/ ٤٩٧).

أما أدلة الاستغاثة:

١. فما روى البخاري في صحيحه وغيره، من حديث سيدنا عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في حديث الشفاعة بلفظ: «أن الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الأذن فبينما هم كذلك استعانوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد ﷺ فيشفع ليقضى بين الخلق فيمشي حتى يأخذ بحلقة الباب، فيومئذٍ يبعثه الله مقامًا محمودًا، يحمده أهل الجمع كلهم، وهذا صريح في الاستغاثة وهي عامة في جميع الأحوال، مع لفت النظر إلى أنه ﷺ حي في قبره يبلغه سلام من يسلم عليه وكلام من يستغيث به؛ لأن الأعمال تعرض عليه -كما صح- فيدعو الله لأصحاب الحاجات.

٢. روى الإمام أحمد بسند حسن -كما قال الإمام الحافظ ابن حجر في الفتح (٨/ ٥٧٩)- عن الحارث بن حسان البكري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: خرجت أنا والعلاء بن الحضرمي إلى رسول الله ﷺ... الحديث، وفيه فقلت: أعوذ بالله وبرسوله أن أكون كوافد عاد، قال (أي: سيدنا رسول الله): «وما وافد عاد؟ وهو أعلم بالحديث، ولكنه

يستطعمه»... الحديث، وقد استغاث الرجل بالله وبرسوله، ولم يكفره سيدنا رسول الله ﷺ، وقد خالف الألباني ذلك؛ فكفَّر كل مستغيث به ﷺ، كما في «توسُّله» (ص ٧) الطبعة الثانية.

٣. قوله ﷺ في حديث الأعمى -الصحيح- عندما علَّم الرجل أن يقول: يا محمد إني أتوجَّه بك إلى الله في كل زمان ومكان.

٤. جاء في البخاري أن النبي ﷺ قصَّ على أصحابه قصة السيدة هاجر، هي وابنها في مكة، قبل أن تبنى الكعبة، بعد أن تركهما سيدنا إبراهيم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وفيما قصه أنه لما سمعت صوتًا عند الطفل، قالت: «إن كنت ذا غوث فأغث» فاستغاثت، فإذا بجبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فغمز الأرض بعقبه فخرجت زمزم، ولم يقل النبي ﷺ: إنها كفرت كما يزعم الألباني، ولم ينبه أن تلك الاستغاثة منها كفر ألبتة، وهي تعلم أن صاحب الصوت لن يكون رب العالمين المنزَّه عن الزمان والمكان.

الجواب:

الحمد لله؛ التوسُّل: هو اتخاذ الوسيلة التي يتوصل بها إلى المطلوب، وأعظم ذلك وأفضله التوسُّل إلى الله بالأعمال الصالحة؛ أي: بفعل ما أمر به، وترك ما نهى عنه، والتوسل على وجوه؛ منها المشروع، ومنها الممنوع.

والمقصود بالتوسُّل المسؤول عنه هو التوسُّل إلى الله بالدعاء، فالتوسُّل إلى الله بدعائه يكون مشروعًا على وجهين:

الأول: توسُّل إلى الله بأسمائه وصفاته، كقول العبد: أسألك اللهم برحمتك، وقوله: اللهم اغفر لي، إنك أنت الغفور الرحيم، وما أشبه ذلك.

الثاني: التوسُّل إلى الله بدعاء الصالحين، وذلك بأن يطلب من العبد الصالح الدعاء، ومن ذلك ما كان الصحابة يفعلونه مع النبي ﷺ، فقد كانوا يطلبونه أن يدعو لهم، سواء أكان ذلك لفرد أم لجماعة، وهذا كثير، وكانوا يسألون النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أن يستسقي لهم، كما في حديث الأعرابي الذي دخل المسجد -والنبي ﷺ يخطب يوم الجمعة- فقال: يا رسول الله! هلكت الأموال، وانقطعت السبل، فادع الله يغثنا، فرفع النبي ﷺ يديه ودعا[1]، فهذا توسُّل إلى الله بدعاء النبي ﷺ، ولهذا قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «اللهم إنا كنا نتوسَّل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا»[2].

ومن هذا القبيل: حديث الأعمى الذي ورد ذكره في السؤال، وقد جاء يطلب من النبي ﷺ أن يدعو الله أن يرد بصره، فخيَّره، قال: «**إن شئت دعوتُ، وإن شئت صبرتَ، فهو خير لك**» قال: فادعه، قال: فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء: «اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى لي، اللهم فشفعه في»[3].

(١) أخرجه البخاري (٩٣٣)، ومسلم (٨٩٧)؛ من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أخرجه البخاري (١٠١٠)؛ من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٣) أخرجه الترمذي (٣٥٧٨)، وابن ماجه (١٣٨٥)؛ من حديث عثمان بن حنيف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح غريب»، وصححه الحاكم (١١٨٠)، ووافقه الذهبي، وصححه ابن خزيمة (١٢١٩)، وشيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (١/ ٣٢٣)، والشوكاني في «تحفة الذاكرين» (ص ٢١٢).

فهذا كله توسُّل إلى الله بدعاء النبي ﷺ في حياته، وأما بعد موته ﷺ فلم يكن أحد من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يأتي قبر النبي ﷺ ليطلب منه الدعاء، كما ذكر في حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقد عدل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عن التوسُّل بالنبي ﷺ بعد موته إلى التوسُّل بالعباس في الاستسقاء، يعني بدعاء العباس، وهكذا طلبُ الناسِ يوم القيامة من النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حين يطلب الناس يوم القيامة الشفاعة من آدم فنوح فإبراهيم فموسى فعيسى، وكلهم يعتذر، لعظم الأمر، فينتهي الأمر إلى النبي ﷺ، فيأتي ويسجد لربه ويحمده، فيؤذن له في الشفاعة، ويقال له: «**يا محمد، ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعطه، واشفع تشفع**»[1]، وسؤاله ﷺ أن يشفع عند الله يوم القيامة هو من سؤال الحي الحاضر القادر.

وهكذا القول في الاستغاثة، فالاستغاثة: طلب الغوث لكشف كربة من نصر على عدو، أو جلب رزق، فالقول في الاستغاثة كالقول في التوسُّل، منه الجائز ومنه الممنوع، فالاستغاثة بالحي الحاضر القادر جائزة، كما صنع الرجل الذي من شيعة موسى، قال الله تعالى: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ [القصص: ١٥].

ومن هذا النوع استغاثة الناس من كُرَب يوم القيامة بالأنبياء ليشفعوا لهم عند الله كما تقدم، فهي استغاثة بحي حاضر قادر، وأما الاستغاثة بالغائبين وبالأموات لكشف الشدائد وجلب المنافع فذلك من الشرك بالله، وهو الذي كان يفعله المشركون، فيستغيثون بالملائكة وبالأنبياء، وكما يفعل النصارى وأشباههم من أهل الغلو في الصالحين.

(١) أخرجه البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤)؛ من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ومن الاستغاثة بالحي الحاضر القادر ما ورد في قصة هاجر، فإنها إنما طلبت الغوث ممن شعرت بوجوده، لم تستغث بغائب، وقد حصل لها ما طلبته، فأغاثها الملك بما أمره الله به، من تفجير عين زمزم(١).

وأما حديث فاطمة بنت أسد، وقول النبي ﷺ: «**الله الذي يحيي ويميت، وهو حي لا يموت، اغفر لأمي فاطمة بنت أسد، ولقنها حجتها، ووسع عليها مُدخَلها، بحق نبيك، والأنبياء الذين من قبلي، فإنك أرحم الراحمين**»(٢) والحديث -كما ورد في السؤال- حديث لا يَصْلُح للاحتجاج به، والتوسُّل إلى الله بجاه النبي، أو بحقه، أو بحق الأنبياء، أو بجاه الأنبياء، أو أحد من الصالحين، كل ذلك من التوسُّل البدعي؛ لأنه توسُّل إلى الله بما لم يجعله الله وسيلة.

وجاه النبي ﷺ وغيره من الأنبياء والصالحين ليس وسيلة لأحد من الناس، إلا لمن دعا له النبي ﷺ فإن ذلك ينفعه، أما من لم يدع له النبي ﷺ فإنه لا معنى للتوسُّل إلى الله بجاهه، وقول القائل: أسألك بجاه نبيك، أو بحقه أو بحق عبدك الصالح فلان، لا معنى له، ولا مناسبة فيه للمطلوب، فإن منزلة العبد وجاهه وحقه إنما هو وسيلة له هو إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وليست وسيلة لغيره.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٦٥)؛ موقوفًا على ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٤/ ٣٥١) (٨٧١)، وفي «الأوسط» (١٨٩)، وأبو نعيم (٣/ ١٢١)، وقال ابن الجوزي في «العلل المتناهية في الأحاديث الواهية» (١/ ٢٦٩): «تفرد به روح بن صلاح، وهو في عداد المجهولين، وقد ضعفه ابن عدي»، وقال الهيثمي «مجمع الزوائد» (٨٠٧) (٩/ ٢٥٧): «وفيه روح بن صلاح، وثقه ابن حبان والحاكم، وفيه ضعف، وبقية رجاله رجال الصحيح»، وضعف الحديث الشيخ الألباني في «السلسلة الضعيفة» (٢٣).

فهذا هو الفصل في هذا المقام، فيفرق بين من دعا له الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أو غيره من الأنبياء والصالحين، ومن لم يدع له، فالأعمى إنما توسَّل إلى الله بالنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ حيث دعا له وشفع له، فطلب من ربه أن يشفِّعه فيه.

وأما ما ذكر من أن الرسول ﷺ حيّ في قبره، فهذا ليس على إطلاقه، وليس كما يظن الجاهلون، بل هو حيّ حياة خاصة، وهي التي يعبر عنها العلماء بالحياة البرزخية، فله من الحياة البرزخية أكملها، ولكن هذا لا يقتضي أن يكون في هذه الحياة كحاله قبل موته ﷺ، فقد مات وفارق هذه الدنيا، فلهذا لم يكن الصحابة رضوان الله عليهم يطلبون منه الدعاء، فضلًا عن أن يدعوه أو يستغيثوا به، بل لا يسألونه عن مسائل الدين، فإنه في عالم آخر، ولا يعلم من أمر أمته إلا ما شاء الله أن يطلعه عليه، مثل عرض الصلاة والسلام عليه، أو تبليغه الصلاة والسلام عليه من أمته.

وما ورد في السؤال من أن الشيخ ناصر الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ يكفّر من يستغيث بالنبي ﷺ ويعده مشركًا، ففي هذا مجازفة وافتراء على الشيخ؛ فإن هذا من رمي البريء، فهو إفك وبهتان، فالشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ من العلماء العارفين بعقيدة السلف، لا يكفّر إلا من كفَّره الله ورسوله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، والتوسل والاستغاثة التي أنكرها الشيخ ليست الاستغاثة به في حياته، ولا الاستغاثة به يوم القيامة، وإنما أنكر الاستغاثة به ودعاءه وطلب الحوائج منه بعد موته عند قبره أو بعيدًا عن قبره، كما يفعل الذين يستغيثون به ﷺ وينادونه في الشدائد قائلين: يا رسول الله المدد، أو انصرني على عدوي أو اشفني، أو اشف مريضي، كما يفعلون مثل ذلك

مع من هو دون النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من أولياء الله، بل قد يفعلونه مع من لا يعرف بولايته لله، بل مع من يعرف بالفسق والفجور، ممن يُدَّعى لهم الصلاح وليسوا بصالحين.

فاعلم أيها السائل، أن ما نسب إلى الشيخ من ذلك كذب وبهتان، ولترجع إلى كتبه التي بيّن فيها حقيقة المسألة وفصلها، مثل كتاب «تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد»، ومقالاته في التوسل، التي جمعها الأستاذ محمد عيد عباسي، وغير ذلك من مؤلفاته التي يقرر فيها مذهب أهل السنة والجماعة في توحيد العبادة وغيره، ويفرق فيه بين التوسُّل والاستغاثة الجائزين والممنوعين.

وقد أحسنت أيها الأخ حيث تثَبَّتَّ في الأمر، وهذا هو الواجب على المسلم إذا سمع بما لا يعلم ثبوته تثَبَّتَ وتبيَّن، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦﴾ [الحجرات]، منَّ الله عليّ وعليك وعلى جميع المسلمين بالبصيرة في الدين، وعصمنا من اتباع الهوى ومضلات الفتن، إنه تعالى على كل شيء قدير.

وأما وصف السائل ربَّ العالمين بأنه (المنزَّه عن الزمان والمكان) فذلك من الأقوال البدعية التي يطلقها أهل الكلام، وهو من الألفاظ المجملة التي تحتمل حقًا وباطلًا:

فمن أراد بتنزيه الله عن المكان نفي علو الله على خلقه واستوائه على عرشه، فهو مبتدع ضال، وقوله باطل.

ومن أراد بذلك تنزيه الله عن أن يكون في مكان موجود يحيط به، أو أراد بتنزيهه عن الزمان أنه لا يتعاقب عليه الليل والنهار، فهو محق؛ فإن الله فوق سماواته على عرشه، بائن من خلقه، وليس عنده ليل ولا نهار، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، بل هو نور السماوات والأرض، أي منور السماوات والأرض، والنور صفته، وحجابه النور، فسبحان الله وبحمده، وسبحان الله العظيم.

إمامُ ضلالة

السُّؤَالُ:

فضيلة الشيخ: انتشر هذه الأيام مقطع مصور وفيه أحد المبتدعة مع مجموعة يطلبون المدد من الحسين ويقولون: مدد يا حسين، يكررونها.

فاعترض معترض على هذا المبتدع عبر حسابه في تويتر بأن هذا دعاء لغير الله؛ فكيف يليق بك... إلى آخره.

فأجاب بجواب زعم فيه التفريق بين الحقيقة والمجاز في طلب المدد من غير الله، ولبَّس في الكلام، وزعم أن هذا من التوسل المشروع، واستدل بحديث الضرير[1]، وحديث آخر...واعتبر أن هذه

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٧٨)؛ من حديث عثمان بن حنيف، ونصه: «أن رجلاً ضرير البصر أتى النبي ﷺ فقال: ادع الله أن يعافيني. قال: «**إن شئتَ دعوتُ، وإن شئت صبرتَ فهو خير لك**». قال: فادعه، قال: فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه، ويدعو بهذا الدعاء: «**اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى لي، اللهم فشفعه فيّ**»، قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه، من حديث أبي جعفر؛ وهو الخطمي». وصحح إسناده البيهقي في «دلائل النبوة» (٦/ ١٦٧)، وكثير من أهل العلم متقدمين ومتأخرين، وضعفه ابن حبان، ينظر: «المجروحين» (٢/ ١٩٠).

المسألة خلافية؛ لا حرج على من أخذ برأي الجمهور، ولا على من أخذ بالرأي الثاني لابن تيمية ومدرسته.

فهل ما قاله صحيح في التفريق بين الحقيقة والمجاز في طلب المدد من غير الله؟

وهل الأحاديث التي استدل بها صحيحة؟

وهل دعاء غير الله من التوسل المشروع بغير الله؟

وما حكم التوسل بذوات الأشخاص؛ كالنبي ﷺ؟

وما حكم طلب المدد من الأموات؟

وما نصيحتكم لمن يستمع لهذا المذكور؟ أفتونا مأجورين.

الجواب:

الحمد لله؛ إنه لا يجوز -أولًا- تداول هذا المقطع؛ فإن ذلك من نشر الباطل، ومَنْ ينشره فعليه نصيبٌ مِن إثم مَن يَضِل به، أو مثله.

وأما مضمون ما تضمنه هذا المقطع من طلب المدد من الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فإنه من الشرك الصُّراح، فهو شرك في الربوبية، وشرك في العبادة؛ فإن المدد يُراد به: النصر أو الشفاء أو الرزق، أو غير ذلك من المطالب التي لا تطلب بالدعاء إلا من الله؛ ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ﴾ [العنكبوت: ١٧]، وقال سبحانه: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [النحل]، والميت لا يقدر على شيء من ذلك، وإن كان نبيًّا أو وليًّا.

وما ذكر في المقطع عن هذا المبتدع مِنْ ذكر الحقيقة والمجاز في الدعاء؛ جهل أو تلبيس لا يروج إلا على الجهال؛ فإن الدعاء وطلب المدد من الله أو من الميت، وليًّا كان أو نبيًّا، كلُّ ذلك دعاءٌ حقيقةً، لكنْ دعاء الله عبادةٌ وتوحيد، ودعاء الميت شركٌ وتنديد؛ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾ [الحج]. وكل مَن يُدْعى من دون الله من الملائكة والأنبياء والأولياء لا يَرْضون بأن يُدْعَوا مِن دون الله، ويتبرؤون من عابديهم يوم القيامة.

وهذا المبتدع بما ذكر عنه من تسويغ دعاء غير الله، وطلب قضاء الحوائج من الميت؛ يكون إمامَ ضلالة، أي: يجب أنْ يستتاب؛ فإن تاب وإلا قتل؛ لأنه من المفسدين في الأرض.

فالدعوة إلى الشرك أعظم الفساد في الأرض، قال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٥٦]؛ أي: بالشرك والمعاصي ﴿بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦]: بالتوحيد وعبادته تعالى على أيدي رسله صلوات الله وسلامه عليهم، ولما ذكر الله مُحاجة الرسول ﷺ للنصارى ودعوتَهُم إلى التوحيد في قوله: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٦١] إلى قوله: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾﴾ [آل عمران] قال: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾﴾ [آل عمران].

فالواجب على المسلم الحذر من الشرك ودعاته، كهذا الصوفي الضال، وعدم الاغترار بشبهاتهم وتلبيساتهم، وعلى المسلم الذي منَّ الله عليه بمعرفة التوحيد الحذرُ من الشرك وأسبابه، وعدم الاغترار

بشبهات المشركين؛ كالاستدلال بحديث الأعمى؛ فإنه على تقدير صحته لا حُجة فيه على التوسل بذات النبي ﷺ؛ فضلًا عن دعائه، وطلب الحوائج منه بعد موته ﷺ؛ فإن الأعمى طلب من النبي ﷺ أن يدعو له بأن يرد الله عليه بصره، فدعا له عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وأمره أن يتوسل به؛ أي: بدعائه ﷺ، هذا وجهه عند أهل العلم، وهو ظاهر من سياق القصة، فلا يَحتج بها على الشرك أو التوسل بذات النبي ﷺ إلا مبطل ضال مضل، نعوذ بالله من الخذلان وطاعة الشيطان.

السؤال بنور وجه الله وبجاه الفاتحة

السُّؤَالُ:

هل يجوز أن نذكر في ختام الدعاء، مثل: «اللهم إني أسألك بنور وجهك الكريم» أو «بجاه الفاتحة»؟

الجواب:

الحمد لله؛ أما قولك: «أسألك بنور وجهك» فلا مانع منه، لأن النور صفة لوجهه تعالى، فالنور صفة له لا مانع منه.

وأما السؤال بجاه الفاتحة فلا أصل له، وهو من التنطع في الدعاء، فلم يرد في كتاب ولا سنة ولا في كلام أهل العلم أن الفاتحة لها جاه، فهذا من الألفاظ المبتدعة التي مصدرها الجهل والتكلف في اختراع الألفاظ التي لا أصل لها.

التوسل بدعاء الصالحين

السؤال:

هل لكم بالتفضل بشرح النقطة التالية في موضوع التوسل؛ فهي محيرة لي، ولا أستطيع فهمها من الأشخاص المحيطين بي، فقد قرأت كتاب الشيخ الألباني عن التوسل، وإلى الآن لا أستطيع فهمها، وهي المتعلقة بسؤال صديق أن يدعو للشخص، كما لو قال: ادع لي يا حبيبي، أو ما شابه ذلك؟

الجواب:

الحمد لله؛ التوسل إلى الله في الدعاء أنواع؛ منه:

الأول: توسل مشروع؛ وهو التوسل إلى الله بأسمائه وصفاته، كأن تقول في دعائك: اللهم إني أسألك برحمتك، وأعوذ برضاك من سخطك، أو تقول: اللهم اغفر لي وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم، كما تقول في دعاء الاستخارة: اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأنت على كل شيء قدير.

والثاني: توسل جائز، وهو التوسل بالأعمال الصالحة التي يعلم العبد عن نفسه صدقه وإخلاصه فيها، كما جاء في حديث الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة، فتوسلوا إلى الله بصالح أعمالهم، توسل أحدهم ببره لوالديه، وتوسل آخر بعفته عن الحرام بعد القدرة عليه،

وآخر توسل إلى الله بإحسانه إلى الأجير، حيث نمّى أجرته التي تركها عنده حتى كان منها أموال كثيرة[(١)].

الثالث: توسل ممنوع، أي لا يجوز، وهو التوسل بذوات الصالحين، مثل أن تقول: أسألك بعبدك فلان، أو نبيك فلان، تريد التوسل بذاته، وكذلك التوسل بجاه فلان؛ فإن جاه النبي أو العبد الصالح ليس وسيلة لغيره، ولا مناسبة بين جاهه وبين مطلوب ذلك المتوسل.

والنوع الرابع: توسل تركه أولى، أو هو مكروه، وبعضهم يرى أنه محرم، وهو طلب الدعاء من الغير، والتوسل بذلك إلى الله، مثل أن تقول: يا فلان ادع الله لي، واستدل من مَنَع ذلك بنهي الرسول ﷺ عن سؤال الناس، وأحاديث النهي عن سؤال الناس يعم سؤالهم الأموال أو غيره من أنواع المنافع، وقد أطال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة» وفي غيره، أطال في تقرير هذه المسألة.

والذي يظهر لي أن طلب الدعاء ممن يظن أنه مستجاب الدعوة لا بأس به، لكن لا ينبغي الإكثار منه، كما أنه ينبغي للمسلم أن يدعو لأخيه المسلم في ظهر الغيب، لكن الذي فيه الشبهة هو طلب الدعاء، وأما الداعي لغيره فهو محسن، فينبغي للمسلم أن يدعو لإخوانه المسلمين بما فيه صلاح دينهم ودنياهم، يدعو لإخوانه عمومًا وخصوصًا بنصرهم على الأعداء وشفائهم من الأمراض وتيسير أمورهم.

ولم توضح أيها السائل سبب حيرتك في مسألة التوسل إلى الله بدعاء الغير، وهي واضحة، وكان الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ يسألون النبي

---

(١) أخرجه البخاري (٢٢٧٢)، ومسلم (٢٧٤٣)؛ من حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن يدعو الله لهم، فمنهم من يطلبه الدعاء لعموم المسلمين، ومنهم من يطلبه الدعاء لنفسه.

وينبغي أن يعلم في هذا المقام أنه لا يجوز طلب الدعاء من الأموات، وإنما يطلب الدعاء من الحي الحاضر، أما الغائب أو الميت فلا يطلب منه الدعاء، لهذا لما مات النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لم يكن أحد يأتي إلى قبره يسأله أن يدعو له، بل في عام الرمادة لما أجدب الناس طلب عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ من العباس أن يستسقي لهم، وقال رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبيك فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا»[(١)]، ففرق الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ بين حال الحياة وحال الموت، وهم أعلم بمقام نبيهم، وبمقتضى دينهم، رضي الله عنهم وأرضاهم، والواجب اتباعهم والاقتداء بهم، فإن طريقهم هو الصراط المستقيم، والله أعلم.

أنواع التوسل في الدعاء

السُّؤَال:

لو تحدثتم -جزاكم الله خيرًا- عن هذه الآية وما فيها من التوسل: قال تعالى: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ١٠١﴾ [يوسف].

الجواب:

الحمد لله؛ هذه الآية جاءت خاتمة لقصة يوسف، وقد تضمنت مناجاة يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لربه، وتذلله له، واعترافه بما أنعم به عليه، من

(١) أخرجه البخاري (١٠١٠).

الملك والعلم، وغاية هذه المناجاة سؤال حسن الخاتمة: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾.

وقد توسل إلى الله في هذه المناجاة لنيل غايته بأنواع من التوسل:

١. الاعتراف بنعمه سبحانه: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾.

٢. الاعتراف بربوبيته العامة: ﴿فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

٣. الاعتراف بولايته الخاصة: ﴿أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾.

وخَتْمُ القصةِ بهذه المناجاة من بديع البيان ومن حسن الختام، فصلوات الله وسلامه على الكريم ابن الكريم ابن الكريم؛ يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، عليه وعلى آبائه وسائر النبيين، وعلى خاتمهم سيد المرسلين؛ نبينا محمد صلى الله عليه وعليهم وسلم أجمعين.

هذا؛ ويحسن هنا ذكر ما جاء في الشرع من أنواع التوسل في الدعاء، وهي:

١. التوسل إلى الله بأسمائه وصفاته، ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وشواهد هذا في السنة كثيرة، ومن ذلك ما تضمنه سيد الاستغفار: «**اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علَيّ، وأبوء لك بذنبي، فاغفر لي؛ فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت**»[(١)].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٠٦)؛ من حديث شداد بن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٢. التوسل إلى الله بالافتقار إليه، والاعتراف له بإنعامه، والاعتراف بالتقصير، كما في سيد الاستغفار: «**أبوء لك بنعمتك علَيّ، وأبوء لك بذنبي**».

٣. التوسل إلى الله بالإيمان والعمل الصالح، كما في قوله تعالى عن عباده الذاكرين: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ١٩٣﴾ [آل عمران] الآيتين، وكما في قصة الثلاثة أصحاب الغار[1].

٤. التوسل إلى الله بالفقر إليه في رزقه وكشف ضره، كما في قول موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ٢٤﴾ [القصص]، وقول أيوب عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٨٣﴾ [الأنبياء].

٥. التوسل بدعاء من دعا مِن نبيٍّ وصالح، كما في قول عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ: «اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا -أي بدعائه- فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا»[2]؛ أي بدعائه.

التوسل بالزمان الفاضل، والمكان الفاضل

السُّؤَالُ:

قال قائل: «اللهم في هذا اليوم المبارك وفي هذه الساعة الفاضلة اجبر كسره وفرج همه وحقق أمانيه وارحم ضعفه وأصلح دينه ودنياه».

---

(١) البخاري (٥٩٧٤)، ومسلم (٢٧٤٣).

(٢) أخرجه البخاري (١٠١٠)؛ من حديث أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ.

فأنكر عليه أحد الحاضرين، وذكر بأن اللفظ فيه نوع من التوسل بالزمان، وأن التوسل بالزمان أو المكان أو الأشخاص يدخل في البدعة، ما رأي فضيلتكم بذلك؟ أرجو التفصيل.

الجواب:

الحمد لله؛ إن الأيام الفاضلة والأمكنة الفاضلة مظنةٌ لإجابة الدعاء فيها، ولهذا يشرع تحري الدعاء فيها؛ كيوم عرفة بعرفة، ويوم الجمعة في ساعة الإجابة، وعلى الصفا والمروة.

وقول القائل: «اللهم إني أسألك في هذا اليوم العظيم أو المكان المبارك» ليس هو من التوسل بالزمان ولا بالمكان، بل هو توسل إما بجعل الله له زمانًا أو مكانًا لإجابة الدعاء؛ كالثلث الأخير من الليل، أو هو توسل بالدعاء في ذلك الزمان أو المكان، فهو إما من باب التوسل بصفات الله، أو هو توسل بالعمل الصالح، وحرف (في) ليس للتوسل بل للظرفية، وإنما التوسل يكون بالباء، والداعي لم يقل: اللهم إني أسألك بهذا اليوم، أو بهذا المكان، فتدبر، والله أعلم.

تعجيل بعض ثواب الأعمال في الدنيا لا يحرم ثواب الآخرة

السُّؤَال:

إذا توسل العبد بأعماله الصالحة وأجيب دعاؤه بتعجيل طلبته، هل يمنع ذلك من ثوابه في الآخرة؟

الجواب:

الحمد لله؛ الإيمان والعمل الصالح هما أعظم وسيلة إلى الله ينال بهما العبد سعادة الدنيا والآخرة، ويرزق ثواب الدنيا والآخرة، قال الله

تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣٥﴾ [المائدة]، وقال الله تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ١٣٤﴾ [النساء]، وأثنى سبحانه على الذين يقولون: ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

فالتوسل بالأعمال الصالحة في الدعاء هو توسل بما جعله الله وسيلة وسببًا في جلب الخيرات ودفع الشرور، وقد أثنى الله على الذين توسلوا بإيمانهم في مغفرة ذنوبهم، وإنجاز وعد الله لهم بقوله تعالى عنهم: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١﴾ [آل عمران] إلى قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ١٩٣ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ١٩٤﴾ [آل عمران].

وتعجيل الله لبعض العباد بعض ثواب أعمالهم لا يحرمهم ثواب الآخرة، لكن من توافر ثوابه في الآخرة هو أكمل ممن تعجل بعض ثوابه، لكن قد يكون من الثواب المعجل ما هو سبب لأعمال صالحة فيدرك العبد بها ما هو أعظم مما عجل له.

ومن شواهد التوسل بالأعمال الصالحة حديث الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة في الغار، وقد أخبر الرسول ﷺ بأمرهم مقررًا لتوسلهم بأعمالهم، ومنوهًا بفضل ما توسلوا به من عظيم الأعمال؛ من بر الوالدين، والعفة عن الحرام، والإحسان إلى الغير، ولا ريب أن التوسل

بأسماء الله وصفاته في الدعاء، وبفقر العبد وضعفه، وضرورته إلى رحمة ربه أفضل من التوسل بالأعمال الصالحة في الدعاء، ولكن الإيمانَ والعمل الصالح هي أعظم سبب في إجابة الدعاء، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة]، وقال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]، وإذا جمع العبد في دعائه بين أنواع التوسل كان أحرى بالإجابة، والله أعلم.

حكم الدعاء بـ «يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث»

السُّؤَالُ:

هل هذا الدعاء جائز شرعًا؟ وهو الاستغاثة برحمة الله، يقول الداعي: «يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث»، حيث إني كثيرًا ما أردد هذا الدعاء، وهل ورد حديث أو أثر بذلك؟

الجواب:

الحمد لله؛ لا شك أن هذا دعاء طيب، وقد ورد عن النبي ﷺ عند الترمذي، عن أنس بن مالك قال: كان النبي ﷺ إذا كربه أمر قال: «**يا حي يا قيوم، برحمتك أستغيث**»(١). ومعناه موجود في الأدعية المأثورة، أعني: التوسل إلى الله باسمه الحي القيوم، بل قيل إن الحي القيوم هو اسم الله الأعظم، وقد ورد أن النبي ﷺ سمع رجلًا يقول: اللهم إني

(١) الترمذي (٣٥٢٤)، وصحح إسناده الحاكم في «مستدركه» (١٨٧٥)، والمقدسي في «الأحاديث المختارة» (٣/ ٢٣).

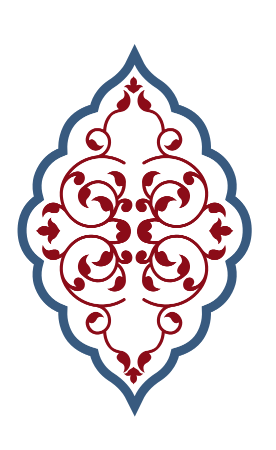
أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت، المنان، بديع السماوات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم، إني أسألك؛ فقال النبي ﷺ لأصحابه: «**تدرون بم دعا؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**والذي نفسي بيده، لقد دعا الله باسمه العظيم، الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى**»(١).

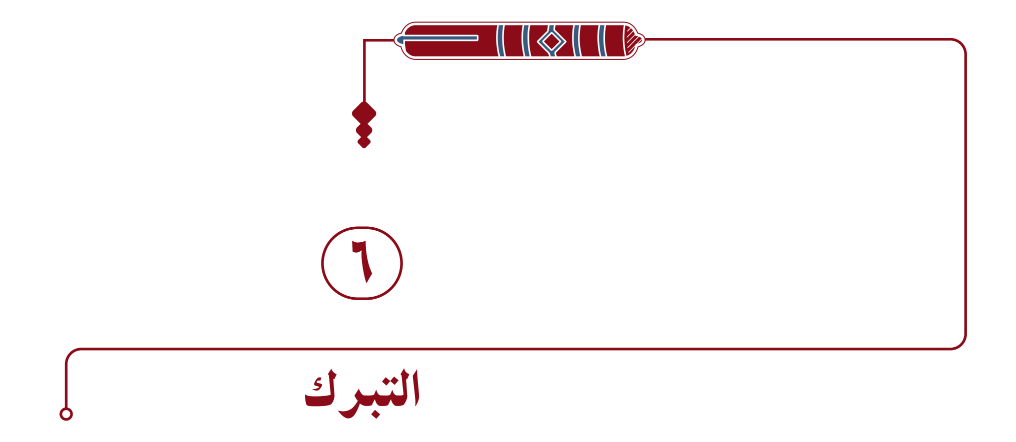
وكذلك قول الداعي: «برحمتك أستغيث»، هذا توسلٌ حق، توسلٌ إلى الله برحمته.

فما ذُكر هو من أحسن الأدعية وأنفعها، وهو موافق لقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، والله أعلم.

- ❊ ■ ❊ ■ ❊ -

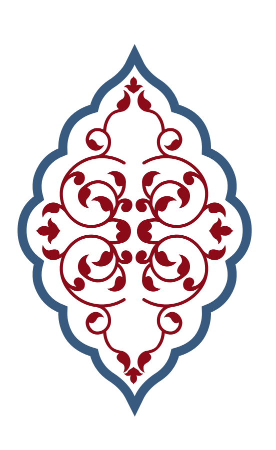
(١) أخرجه أبو داود (١٤٩٥)، والنسائي (١٣٠٠)؛ من حديث أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وصححه ابن حبان (٨٩٣)، والحاكم (١٨٥٦).





٦

التبرك



التبـرك بآثار النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ومواضع صلاته

السُّؤَالُ:

جاء في الحديث أن النبي ﷺ صلى في بيت عِتْبان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، في مكان يتخذه عتبان مصلى[1]، فهل أراده عتبان موضعًا مباركًا له يصلي فيه ويتبرك به؟

الجواب:

الحمد لله؛ لا شك أن هذا الموضع الذي صلى فيه الرسول ﷺ قصدًا إجابة لطلب عتبان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ موضع فيه خصوصية، بخلاف المواضع التي صلى فيها النبي ﷺ اتفاقًا، فتلك لا خصوصية لها، ولا يجوز تحري الصلاة فيها، أما ما صلى فيه الرسول ﷺ قصدًا ليُتخذ مصلى فهذا أفضل من غيره، وله خصوصية، فالصلاة فيه نوع من التبرك، حيث يُتحرى فيه الخير والفضل، وهذه الفضيلة مختصَّة بعتبان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ لأنه الذي طلب من النبي ﷺ أن يصلي في موضع من بيته ليتخذه مصلى، ويتعوض به عن الصلاة مع النبي ﷺ في المسجد، لمشقة ذلك عليه من أجل بصره.

وعلى هذا؛ فليس لأحد -لو فرض أن يعرف هذا الموضع- أن يتحرى الصلاة فيه، ولو عرف المبتدعة دار عتبان لاتخذوها مسجدًا، بل لو ظنوا مكان الدار، أو سمعوا -ولو من مجهول- لأسرعوا إلى تشييد

---

(١) نص الحديث: «أن النبي ﷺ أتاه -يعني عتبان بن مالك- في منزله فقال: أين تحب أن أصلي لك من بيتك؟ قال: فأشرتُ له إلى مكان، فكبَّر النبي ﷺ، وصففنا خلفه، فصلى ركعتين»؛ أخرجه البخاري (٤٢٤)، ومسلم (٣٣).

مسجد أو قبة، كما يصنعون في كثير من المواضع التي يتوهمون فيها خصوصية أو فضيلة، وذلك من تزيين الشيطان للجهال والضلال، نعوذ بالله من الغي والضلال، والله أعلم.

التبرك بقطع من كسوة الكعبة

السؤال:

بعض الإخوة عندهم قطع قماش صغيرة من أستار الكعبة يحملونها تبركًا بها، ما قولكم في هذا جزاكم الله تعالى خيرًا؟ وأن تتكرموا بذكر آثار عن السلف يستدل بها على ما تذهبون إليه؟

الجواب:

الحمد لله؛ فضائل الأعمال والأعيان لا يثبت شيء منها إلا بدليل من الشرع؛ من كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ، وقد دل الكتاب والسنة على فضل الكعبة والمسجد الحرام، وأن لهما حرمة عند الله، ولذلك شرع سبحانه الطواف بالبيت، واستلام الركنين منه، وأمر بتطهيره للطائفين والعاكفين والركع السجود، وجعل الصلاة في المسجد الحرام تفضل على الصلاة في سائر المساجد بمئة ألف صلاة إلا مسجد الرسول ﷺ والمسجد الأقصى، فلهما فضل على سائر المساجد، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾﴾ [آل عمران]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾ [البقرة]، وقال النبي ﷺ: «**صلاة**

في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام خير من مئة صلاة في هذا»[1].

فالفضل والأجر والبركة فيما شرع الله، ولم يدل دليل على فضل التراب والأحجار التي بنيت بها الكعبة، ولا الماء الذي يسيل من سطحها أو باطنها من المطر، أو مما تغسل الكعبة به، ولا القماش الذي كسيت به، فلا يجوز اعتقاد فضيلة وبركة بشيء من ذلك، ولا يجوز أخذ شيء من كسوة الكعبة لاعتقاد البركة والنفع به، لكن إذا أخذ الإنسان شيئًا منها واقتناه من أجل التفرج فقط؛ فلا بأس به، والأولى ترك ذلك؛ لأنه لا يأمن أن يكون وسيلة إلى تعظيم القطع من قماش الكعبة، فالأولى عدم الاهتمام به، وعدم اقتنائه سدًا لذريعة الابتداع، ووقوفًا مع ما جاءت به الشريعة، وما دلت عليه سنة النبي ﷺ، وسنة أصحابه رضوان الله عليهم، والله أعلم.

التبرك بمسح مقام إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

السؤال:

لو مسحت على موضع قدم إبراهيم للبركة هل هذا جائز؟

الجواب:

الحمد لله؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [آل عمران: ٩٦-٩٧]، ولا

---

(١) أخرجه أحمد (١٦١١٧)؛ من حديث عبد الله بن الزبير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح. «مجمع الزوائد» (٣ / ٦٧١)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١١٧٢)، والحديث أصله في الصحيحين.

شك أن ذلك البيت الذي هو المسجد الحرام، والكعبة، ومقام إبراهيم، سواء أريد به الحَجَر الذي كان يقوم عليه، أو أريد به عموم المسجد، ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥] كلها مباركة؛ لأن الله اختارها وفضلها على سائر البقاع والبيوت.

والبركة التي في هذه المواضع إنما تحصل آثارها للعباد بفعل ما شرع الله فيها: من الطواف بالبيت، والاعتكاف في المسجد، والصلاة فيه، كما قال تعالى: ﴿وَعَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ١٢٥﴾ [البقرة]، ولم يشرع الله مسح شيء من الكعبة إلا الركنين اليمانيين، فالحجر الأسود يشرع تقبيله واستلامه، والركن اليماني يشرع استلامه باليد، عملًا بسنة الرسول ﷺ، ولم يكن يستلم من البيت إلا الركنين اليمانيين، وقد قال عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ -عندما أراد أن يستلم الحجر الأسود-: «والله إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك»(١).

ولم يَسُنَّ النبي ﷺ مسح المقام، ولا موضع قدمي إبراهيم، وإنما صلى عند المقام، فإنه لما فرغ من الطواف أتى المقام فقرأ قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]، فصلى ركعتي الطواف، وقرأ فيهما بعد الفاتحة بسورتي الكافرون: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ١﴾، والإخلاص: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١﴾.

---

(١) أخرجه البخاري (١٥٩٧)، ومسلم (٣١٢٨)؛ من حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

فتبين أنه لا يستحب مسح موضع قدمي إبراهيم من المقام، فلا أجر ولا بركة في مسح ما لم يَشرع الله مسحه؛ وإن كان مباركًا، فالكعبة كلها مباركة، ولا يشرع استلام شيء منها إلا الركنين اليمانيين كما تقدم.

فعليك أيها المسلم بتحري هدي رسول الله ﷺ والاقتداء به، وقد جعله الله لك إمامًا وقدوة، فلا تتعدَّ سنته، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ۝٢١﴾ [الأحزاب]، والله أعلم.

التبرك بآثار الصالحين

السؤال:

التبرك بآثار الصالحين والتمسح بذواتهم. هل نقول: إنه شرك أصغر؟ أم نقول: إنه بدعة؟ وكذلك التمسح بالكعبة، والتعلق بأستارها؟ طبعًا لا يدخل في السؤال استلام الركنين؟

الجواب:

الحمد لله؛ كان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يتبركون بآثار النبي ﷺ: كالماء الذي يتوضأ به، ويقطر من بدنه، ويتبركون بشعره، كما قَسَم ﷺ شعره يوم حلق رأسه في حجته بين بعض الصحابة، ويتبركون بثيابه ﷺ؛ لأن ذاته مباركة، وهو أطيب إنسان نفسًا وقلبًا وخلقًا، وأكملهم إيمانا وتقوى، ولا يبلغ أحد منزلته في شيء من ذلك، ولهذا لم يكن الصحابة يفعلون مع ساداتهم كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن والحسين

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مثلما يفعلون مع النبي ﷺ من التبرك، فلا يقاس به ﷺ غيره من الصالحين.

وقد ذهب بعض أهل العلم إلى جواز أو استحباب التبرك بآثار الصالحين، ولكنه قول مرجوح، فإن ذلك من خصوصياته ﷺ لما تقدم من بيان منزلته، واقتصار الصحابة في ذلك على شخصه الكريم ﷺ.

وفي التبرك بآثار الرجل الصالح مفسدتان:

الأولى: أن ذلك مدعاة لاغتراره وإعجابه بنفسه؛ ففيه فتنة له.

الثانية: أنه يجر إلى الغلو فيه مما يكون وسيلة إلى الشرك الأصغر أو الأكبر.

وبهذا يعلم أن التبرك بأثر الرجل الصالح ليس بمجرده شركًا، لكن قد يكون وسيلة إلى الشرك.

كما أن القول بجواز التبرك بالصالحين يؤدي إلى تبرك الجهال بمن يظنون به الصلاح وليس بصالح، كما هو الواقع في طوائف الصوفية.

وينبغي أن يعلم أن البركة التي يرجى حصولها بسبب الرجل الصالح هي الاقتداء به في خلقه ودينه والاستفادة من علمه، وذلك يحصل بمجالسته والأخذ عنه.

وأما التمسح بجدران الكعبة والتعلق بأستارها أو الالتزام في غير الملتزم الذي بين الركن والباب؛ فكل ذلك لا أصل له وهو خلاف السنة، وإنْ أُثر شيء من ذلك عن بعض السلف، فقد أثر إنكار ذلك عن

بعضهم، والصواب مع من أنكره؛ إذ لم يثبت شيء من ذلك عن النبي ﷺ، والمعول في العبادات والفضائل على ما صح عنه ﷺ، فكل يؤخذ من قوله ويرد إلا من ثبتت له العصمة وهو النبي ﷺ، فمن فعله معتقدًا حصول البركة؛ لأن الكعبة مباركة فهو مخطئ في هذا الفهم والاعتقاد، فالمسجد كله مبارك، بل الحرم كله مبارك، أفيجوز لذلك التمسحُ بجدران المسجد وعُمُده أو التبرك بما يَعْلَق فيها من تراب أو غبار رجاء حصول البركة والشفاء؟! وهذا ظاهر الفساد.

والبركة التي جعلها الله في بيته وحرمه هي ما خصه به من الفضل والحرمة والأمن ومضاعفة ثواب الأعمال فيه من الطواف والاعتكاف والصلاة وغير ذلك، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ۝٩٦ فِيهِ ءَايَـٰتُۢ بَيِّنَـٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٦-٩٧]، والله أعلم.

التبرك بماء زمزم

السؤال:

هل يجوز التبرك بماء زمزم بغير الشرب، كأن يغتسل به طالبًا البركة، أو أن بركته خاصة بالشرب فقط؟

الجواب:

الحمد لله؛ ثبت في صحيح مسلم[(١)] أن النبي ﷺ قال في ماء زمزم:

(١) مسلم (٢٤٧٣)؛ من حديث أبي ذر الغفاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

«**إنها مباركة، إنها طعام طعم**»، زاد الطيالسي والبيهقي: «**وشفاء سُقم**»[(١)].

وروي أنه ﷺ قال: «**ماء زمزم لما شرب له**»[(٢)].

فظاهر الحديث الصحيح -وهو الحديث الأول- أن ما فيه من الشفاء لا يختص بالشرب؛ لأن قوله: «**وشفاء سُقم**» مطلق، وإن كان سبب الحديث قصة أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عندما مكث أيامًا لا طعام له ولا شراب إلا ماء زمزم، فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

ويشبه هذا قوله تعالى في العسل: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ [النحل: ٦٩]، وقد علم بالتجربة أن ما في العسل من شفاء لا يختص بشربه.

ويشهد لعدم اختصاص ما في زمزم من البركة والشفاء بشربه ما ثبت في صحيح البخاري عن أبي جمْرة الضُّبَعي قال: كنت أجالس ابن عباس بمكة فأخذتني الحمَّى، فقال: أبردها عنك بماء زمزم، فإن رسول الله ﷺ قال: «**الحمى من فيح جهنم، فأبردوها بالماء**» أو قال: «**بماء زمزم**»[(٣)].

فتبين أنه يشرع الاستشفاء بماء زمزم شربًا واغتسالًا، ولا سيما للحمَّى. وقد جاء عن الإمام أحمد في رواية ابنه عبد الله، قال: «ورأيته غير مرة يشرب من ماء زمزم يستشفي به، ويمسح به يديه ووجهه»[(٤)].

---

(١) الطيالسي (١/ ٣٦٤)، والبيهقي (٥/ ١٤٧)، وأخرجه أيضًا البزار (٣٩٢٩). قال الهيثمي في «المجمع» (٣/ ٣٦٠): ورجال البزار رجال الصحيح.

(٢) أخرجه الإمام أحمد (١٤٨٤٩)، وابن ماجه (٣٠٦٢) وغيرهما، وجاء من أكثر من طريق عن جابر وابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، والحديث مختلف في صحته. فمنهم من ضعفه: كالعقيلي والبيهقي، ومنهم من حسنه أو صححه: كالحاكم، والنووي، وابن الملقن. ينظر: «البدر المنير» (٦/ ٢٩٩)، و«التلخيص الحبير» (٢/ ٥٧٠).

(٣) البخاري (٣٢٦١)، وقال: «شك همام».

(٤) حلية الأولياء (٩: ١٨٤).

وأما ما يفعله بعض الناس من غسل ما يكفن به الموتى بماء زمزم فلا أصل له، والواجب الاقتصار على ما ورد عن النبي ﷺ وعن السلف الصالح في هذه المسألة وغيرها، والله أعلم.

فتوى في ماء زمزم

السؤال:

يقول الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «نيل الأوطار»[(١)]: «قوله: «ماء زمزم لما شرب له»، فيه دليل على أن ماء زمزم ينفع الشارب لأيِّ أمر شربه لأجله، سواء كان من أمور الدنيا أو الآخرة؛ لأن (ما) في قوله: «لما شرب له» من صيغ العموم».

والسؤال: ما حكم شرب زمزم بنية مغفرة الذنوب؟ وما حكم تغسيل الأكفان به لبركته؟ وما حدود التبرك بزمزم في الدنيا والآخرة؟ بارك الله في علمكم وعملكم.

الجواب:

الحمد لله؛ حديث «**مَاءُ زَمْزَمَ لِمَا شُرِبَ لَهُ**»[(٢)] روي من حديث جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ومن حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا مرفوعًا وموقوفًا، وقد اختلف العلماء فيه، فمنهم من صححه ومنهم من حسنه ومنهم من ضعفه،

(١) «نيل الأوطار» ط. دار الحديث، (٥/ ١٠٥).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٠٦٢)؛ من حديث جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وأخرجه الدار قطني (٢٧٣٩)، والحاكم (١٧٣٩)؛ من حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قال ابن الملقن: «روى ابن الجوزي في كتابه «الأذكياء» أن سفيان بن عيينة سئل عن حديث: «**ماء زمزم لما شرب له**»؟ فقال: «حديث صحيح». «البدر المنير» (٦ / ٣٠٣)، وينظر: «التلخيص الحبير» (٢ / ٥١١).

وممن حسنه ابن القيم[١] والمنذري[٢]، وصححه الشيخ ناصر الدين الألباني[٣] رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فالحديث صالح للاحتجاج به على فضل ماء زمزم، ويشهد له ما رواه مسلم أن النبي ﷺ قال في ماء زمزم: «**إِنَّهَا مُبَارَكَةٌ، إِنَّهَا طَعَامُ طُعْمٍ**»[٤]، وفي رواية عند أبي داود الطيالسي: «**وَشِفَاءُ سُقْمٍ**»[٥].

وقد ذُكر عن جمع من العلماء الأكابر أنهم عملوا بهذا الحديث، وشربوا ماء زمزم لأغراض مختلفة، كما جاء عن الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه شرب ماء زمزم لثلاث: للرمي، فكان يصيب العشرة من العشرة، وللعلم، وقد بلغه، ولدخول الجنة، ونرجو له ذلك[٦]، وجاء عن ابن خزيمة أنه شربه للعلم النافع[٧]، وعن الحاكم أن يرزقه الله حسن التصنيف[٨]، وجاء عن الحافظ ابن حجر أنه شربه لثلاث، منها أن ينال مرتبة الحافظ الذهبي[٩]، وقد بلغها. وهذا منهم تمسكًا بظاهر العموم، وعلى هذا جرى الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله: «في الحديث دليل على أن ماء زمزم ينفع الشارب لأيِّ أمر شربه لأجله، سواء كان من أمور الدنيا أو الآخرة؛ لأن (ما) في قوله ﷺ: «لما شرب له» من صيغ العموم»، ويروى عن ابن

---

(١) في «زاد المعاد» (٤/ ٣٥٦).
(٢) في «الترغيب والترهيب» (١٨١٧).
(٣) في «السلسلة الصحيحة» (٢/ ٥٤٣).
(٤) مسلم (٢٤٧٣)؛ من حديث أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.
(٥) «مسند أبي داود الطيالسي» (ط. دار هجر) (٤٥٩).
(٦) ينظر: «الجواهر والدرر» للسخاوي (١/ ١٦٦).
(٧) ينظر: «تذكرة الحفاظ» للذهبي (٢/ ٧٢١).
(٨) ينظر: «تذكرة الحفاظ» (٣/ ١٠٤٤).
(٩) ينظر: «الجواهر والدرر» (١/ ١٦٦).

عباس أنه كان إذا شرب من ماء زمزم قال: «اللهم إني أسألك علمًا نافعًا، ورزقًا واسعًا، وشفاء من كل داء»[(١)].

ولا ريب أن حمل هذا الحديث على عمومه المطلق -كما فصَّله الشوكاني، وكما يشعر به صنيع العلماء الذين شربوا ماء زمزم لمطالب علمية ودينية يطمحون إليها، رجاء أن يكون شرب ماء زمزم بهذه النية سببًا لبلوغها- أقول: لا ريب أن هذا الفهم لهذا الحديث والعملَ بذلك راجع إلى حسن الظن بالله والطمع في سعة فضله، وما دام أنه قد صح الحديث في أن زمزم مباركة، وأنها طعام طعم وشفاء سقم، وقد ثبت أن النبي ﷺ قصد الشرب من ماء زمزم، وقال فيها: إنها مباركة[(٢)]، وأجمع المسلمون على استحباب الشرب منها، تأسيًا بالنبي ﷺ، ورجاء ما فيها من البركة، فمن بركتها أن يكون شرب مائها سببًا في حصول ما يرجوه المسلم بذلك، ومن المعلوم أن أي سبب فإنه يتوقف أثره على وجود شروط وانتفاء موانع، فلا بد من ملاحظة ذلك هنا، وينبغي أن يعلم أن ما يُطلب به ماء زمزم:

١. منه ما هو فيه سبب مباشر، كالغذاء والشفاء، فالسببية هنا كونية وشرعية.

٢. ومنه ما يتوقف حصوله على أسباب أخرى كونية وشرعية؛ كالعلم النافع، والعمل الصالح، والرزق الواسع، وحفظ القرآن، ومغفرة

(١) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (٩١١٢)، والدار قطني (٢٧٣٨).
(٢) أخرجه مسلم (٢٤٧٣)؛ من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



الذنوب، ودخول الجنة، وشربُ ماء زمزم بنية هذه المطالب إيمانا واحتسابًا سبب شرعي.

وقد دلَّت الآثار على أنه ينبغي ألَّا يكتفى في هذه المطالب بمجرد النية القلبية، بل تقرن بسؤال الله ما شُرب له ماء زمزم، والله أعلم.

- ❊ ▪ ❊ ▪ ❊ -

ثانيًا
توحيد الأسماء والصفات

ويتضمن أمورًا، وهي:

١ـ مذهب أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات.

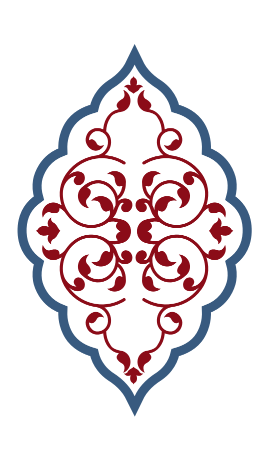
٢ـ أصول ومبادئ وقواعد في علم الأسماء والصفات.

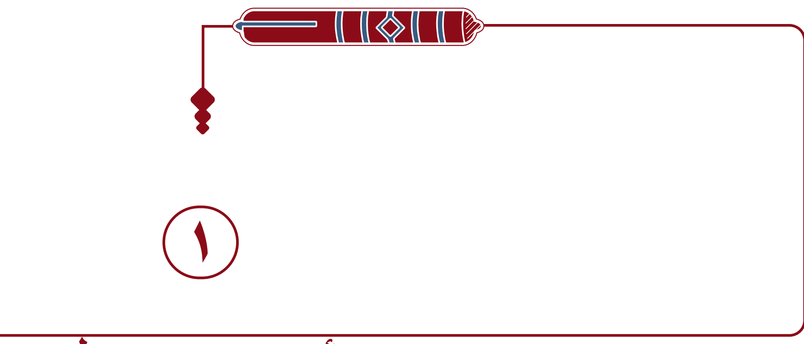
٣ـ بعض أسماء الله وصفاته (الثابتة وغير الثابتة).

٤ـ الرد على المخالفين في باب الصفات.

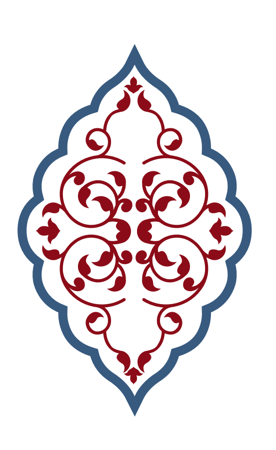
٥ـ متفرقات.







مذهب أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات



المنهجية في دراسة عقيدة أهل السنة والجماعة

السؤال:

نحن مجموعة من طلبة العلم نريد من فضيلتكم منهجًا علميًا لدراسة عقيدة أهل السنة والجماعة، بحسب تقسيم التوحيد إلى أنواعه الثلاثة، وذلك بطريقة التعلم المنهجي، ثم ما تقترحون مِن أسماء العلماء الذين يمكن الإفادة منهم، ومِن التصانيف المهمة التي يحسن بطالب العلم الوقوف عليها في هذا العلم المهم؟ نرجو أن ينفع الله بجوابكم هذا كل من يقف عليه من طلاب العلم والمتعلمين.

الجواب:

الحمد لله؛ إن التوحيد -أي توحيد الله بأنواعه الثلاثة- هو أصلُ دين الإسلام، الذي هو دين الله عَزَّوَجَلَّ ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وهو الدين الذي لا يقبل الله من أحد دينًا سواه ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وهو الدين الذي بعث الله به رسله من أولهم إلى آخرهم، وهذا التوحيد هو مفتاح دعوتهم، وعليه مدار رسالتهم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء].

وهاتان الآيتان نصٌّ في توحيد العبادة (توحيد الألوهية)، وهو متضمن لتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات؛ فإن الإله الحق هو

المستحقُّ للعبادة وحده، ولابد أن يكون كامل النعوت والصفات، فلا كفءَ له، ولا ندَّ له، ولا بدَّ أن يكون هو المالكَ لكل شيء، والقادرَ على كل شيء، وخالقَ كلِّ شيء، ومَن يكون كذلك يلزم أن يكون هو المستحقَّ للعبادة بأنواعها؛ خوفًا ورجاءً ومحبةً وتعظيمًا.

وهذا معنى قول العلماء: إن توحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، أو التوحيدَ العلميَّ الخبريَّ - كما في بعض العبارات - أو توحيدَ المعرفة والإثبات.

وقد دلَّ الكتاب والسنة على هذه الأنواع، فهما المرجع والمصدر الأول لهذا العلم، أعني علم التوحيد، بدءًا بسورة الفاتحة الجامعة لمعاني القرآن؛ فقد تضمنت الدلالة على هذا التوحيد بأنواعه، واقرأ بيان ذلك فيما أوضحه ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أول كتابه مدارج السالكين وفي آخره، في الكلام على منزلة التوحيد.

وكما أن التوحيد بأنواعه هو ما تتضمنه كلمة التوحيد (لا إله إلا الله)؛ فإنه كذلك يتضمنه الأصل الأول من أصول الإيمان، وهو الإيمان بالله؛ فإنه شامل للإيمان بربوبيته وإلاهيته وأسمائه وصفاته، وعلى هذا؛ فالتوحيد هو أصل عقيدة أهل السنة والجماعة.

ومجملُ اعتقاد أهل السنة هو أصول الإيمان الستة التي أجاب بها الرسول ﷺ جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حين سأله عن الإيمان، فقال: «**أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمنَ بالقدر خيره وشره**»[(١)]، وتفصيل هذه الأصول مبيَّنٌ في آيات القرآن وفي الأحاديث الصحيحة.

---

(١) أخرجه مسلم (٨)؛ من حديث عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وكان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يَعلمون ذلك ويؤمنون به، ويقفون عند حدوده، غير زائدين ولا ناقصين، وتبعهم على ذلك التابعون، وتابعو التابعين، وأئمة الدين الذين كانوا على الحق المبين، فبينوا للناس ما اختلفوا فيه من الحق؛ فاهتدوا وهَدوا إلى الصراط المستقيم، ودحضوا شبهات المبطلين، من المبتدعة والملحدين؛ من الخوارج والمرجئة والقدرية والمعطلة؛ من الجهمية والمعتزلة، ومن شاركهم في بعض باطلهم من المنتسبين للسُّنة؛ كالكلابية والأشاعرة والماتريدية، فحصل بتلك الردود الفرقان المبين بين الحق والباطل والحالي والعاطل من أقوال الناس في مسائل الدين، فأخرج الله بهذه الجهود وبهذا الجهاد من شاء من الظلمات إلى النور، وهذه سنته تعالى في الرسل وأتباعهم، فهم المنقذون بإذن الله من استجاب لهم من الضلال، وردوا عليهم بالبراهين من النقل الصحيح والعقل الصريح، فحفظ الله بهم هذا الدين، تحقيقًا لوعده سبحانه في قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر]، وصدق فيهم قول النبي ﷺ فيما روي عنه: «**يَحْمِل هذا العلم مِن كلِّ خلَفٍ عُدُوله؛ ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين**»[1].

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى؛ من حديث إبراهيم بن عبد الرحمن العذري (٢٠٧٠٠)، والطبراني في مسند الشاميين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٥٩٩) وغيرهما. قال الصنعاني: «صححه ابن عبد البر، وروي عن أحمد بن حنبل أنه حديث صحيح». «ثمرات النظر» لمحمد بن إسماعيل الصنعاني (ص: ١٤٤ - ١٤٦).

فلم تزل منارات العلم ومعالم طريق الحق قائمة يهتدي بها السالكون السائرون إلى الله، وذلك على مر العصور من تاريخ هذه الأمة، ومن القول المحكم المشهور في ذلك قول الإمام أحمد في خطبة كتابه «الرد على الجهمية والزنادقة»:

«الحمد لله الذي جعل في كلِّ زمانِ فترةٍ من الرُّسل بقايا مِن أهل العلم يَدْعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يُحيون بكتاب الله الموتى، ويبصِّرون بنور الله أهلَ العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيَوه، وكم من ضالٍّ تائه قد هدَوه، فما أحسن أثرهم على الناس، وأقبح أثر الناس عليهم، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين؛ الذين عقدوا ألوية البدع، وأطلقوا عقال الفتنة، فهم مختلفون في الكتاب، مخالفون للكتاب، مجمعون على مفارقة الكتاب، يقولون على الله وفي الله وفي كتاب الله بغير علم، يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون جهال الناس بما يشبِّهون عليهم، فنعوذ بالله من فتن الضالين».

وهؤلاء هم أئمة أهل السُّنة من السلف من أهل القرون المفضَّلة فمن جاء بعدهم وتبعهم على هذا الطريق، وكانت جهودهم في ذلك أنواعًا، فمنها فتاوى يجيبون بها السائلين، وأقوال يردون بها على المبتدعين ضمن مناظرات يُعوِّلون فيها على الحُجج من الكتاب والسنة.

وقد ألَّف كثيرون في هذا الشأن -أعني في تقرير اعتقاد أهل السنة والرد على المخالفين- مؤلفات كثيرة، مبسوطة ومختصرة، سموها كتب التوحيد، وكتب السنة، واعتقاد أهل السنة، ولهم في ذلك مناهج، والغالب

على المتقدمين ذكر الآيات والأحاديث والآثار المسندة، مع ذكر ما يشهد لها من الأدلة العقلية، ومن أشهر هذه المؤلفات: كتاب «الرد على الجهمية والزنادقة» للإمام أحمد، و«الرد على الجهمية» لعثمان بن سعيد الدارمي، و«الرد على بشر المريسي» له أيضًا، وكتاب «الرد على الجهمية» لابن منده، و«شرح أصول اعتقاد أهل السنة» للالكائي، و«كتاب التوحيد» لابن خزيمة، وغيرها كثير، رحمهم الله جميعًا.

ومضى على هذا النهج أتباعهم حماةُ اعتقاد أهل السنة، وأشهرهم في عصور متأخرة في القرن السابع والثامن الإمام ابن تيمية الذي نهل من علوم السلف ومؤلفاتهم المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، مع ما آتاه الله من فهم وبصيرة في معاني كلام الله وكلام رسوله، وكلام السلف الصالح من الصحابة والتابعين، وما آتاه الله من اطلاع واسع ومعرفة بمذاهب الطوائف المختلفة، فجعل الله له بذلك فرقانًا، فميَّز بين اعتقاد أهل السنة المحض وسائر اعتقادات الطوائف، فألف لذلك المؤلفات الطويلة والمختصرة، وهي دائرة على أصلين: الأول: تقرير وتحرير اعتقاد أهل السنة. الثاني: الرد على الطوائف المخالفة.

وأشهر كتبه المبسوطة: «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح»، و«درء تعارض العقل والنقل»، و«نقض التأسيس»، و«منهاج السنة»، و«اقتضاء الصراط المستقيم».

وأشهر مؤلفاته في تقرير عقيدة أهل السنة في الأسماء والصفات والقدر: «الفتوى الحموية»، و«العقيدة التدمرية»، و«العقيدة الواسطية»،

وهي أشملها لمسائل الاعتقاد، وقد صارت مؤلفاته موردًا بعد كتاب الله وسنة رسوله ﷺ لكل من جاء بعده من المجددين لهذا الدين ببيان أصوله بأدلتها، وكشف شبهات المشركين والمبتدعين.

وأعظم من انتفع بمؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية الإمامُ المجدد في القرن الثاني عشر الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ فقد ألهمه الله النهوض بدعوة الإصلاح والتجديد لما اندرس من معالم التوحيد، وآتاه الله همة عالية وبصيرة، فهدى الله بدعوته كثيرًا من الضالين عن الصراط المستقيم من العامة والخاصة، وكانت وسيلته في ذلك التعليم والتأليف ومراسلة الأعيان في البلدان تعريفًا بدعوته أو نصيحة أو ردًّا على مبطل أو مخطئ، ويُرجع في ذلك إلى رسائله الشخصية في مجموع مؤلفاته، وأشهر مؤلفاته في هذا الشأن «كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد»، الذي بناه على سبعة وستين بابًا، ضمَّنها الأدلة من الكتاب والسنة على التوحيد بأنواعه، وبخاصة توحيد العبادة، مع بيان ما يضاد أصله من الشرك الأكبر، أو ينافي كماله من أنواع الشرك الأصغر قولية أو فعلية.

وكمَّل رَحِمَهُ ٱللَّهُ موضوع هذا الكتاب بكتابه «كشف الشبهات»، أي: شبهات المشركين في توحيد العبادة، وقد صار هذان الكتابان مادةً لكل من قفَى أثره في الدعوة من أبنائه وتلاميذه، رحمهم الله وجزاهم عنا وعن المسلمين جزاء حسنًا.

ومما تقدم يُعلم أن طريق العلم ممهَّد للسالكين، بما وفق الله له العلماء المصلحين من الشرح والتبيين. فعلى طالب علم التوحيد وغيره

من مسائل الاعتقاد أن يرجع إلى ما دونه من تقدم ذكرهم من أئمة الدين وغيرهم من أهل السنة والجماعة.

ويختلف المنهج في ذلك بحسب المواهب والمراتب؛ فالمبتدئ عليه بعد حفظ ما تيسر من القرآن أن يصرف همته لحفظ المتون المختصرة، ثم يرتقي إلى ما فوقها من المؤلفات المبسوطة.

وينبغي أن يعلم أن المؤلفات في التوحيد بأنواعه الثلاثة وغيره من أصول الاعتقاد الغالب عليها الشمولية والكلام على هذه الأصول جملة، دون أن يفرَد كلُّ نوع أو أصل بمؤلَّفٍ خاص.

وإليك بعض المصنفات في هذا الباب من المختصرات والمبسوطات:

فمن المختصرات: «كتاب التوحيد»، و«كشف الشبهات»، و«ثلاثة الأصول» للإمام المجدد، ويتضمن معناها: «نظْمُ سلم الوصول إلى علم الأصول» للشيخ حافظ الحكمي، وأهم ما في هذه المصنفات الأربعة تقريرُ توحيد الإلهية، وما يضاده من الشرك بأنواعه.

ومن المختصرات في توحيد الأسماء والصفات: «العقيدة الواسطية» للإمام ابن تيمية.

وهذه كلُّها مما يذكر ويقصد للحفظ.

ثم ينتقل الطالب بعد حفظها إلى الرجوع إلى شروحها المختصرة، يضاف إلى ذلك الرجوع إلى الشروح المختصرة للعقيدة الطحاوية.

ثـم إذا أتقـن الطالـب هـذه المتـون، واسـتفاد مـن شـروحها فإنـه ينتقـل إلـى دراسـة «العقيـدة التدمريـة» و«الفتـوى الحمويـة» للإمـام ابـن تيميـة، وكذلـك «مقدمة الرسـالة» للعالـم المالكي ابـن أبي زيد، رحـم الله الجميع.

فـإذا قطـع الطالـب هـذه المرحلـة مـن الطريـق العلمـي فقـد صـار أهـلًا لقـراءة الكتـب المبسـوطة المشـار إليهـا فـي صـدر الجـواب، ككتابـي الإمام الدارمـي، وكتـاب «التوحيـد» لابـن خزيمـة، وكتـب السـنة لأئمة السـنة، وقد أشـار إلى كثير منها شـيخ الإسـلام ابن تيمية في الفتوى الحموية.

ومـن المراجـع المفيـدة فـي أنـواع التوحيـد الثلاثـة: الأجـزاء الثمانيـة الأولـى مـن «مجموع الفتاوى» لشـيخ الإسـلام ابن تيميـة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، و«مدارج السـالكين» للإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

هـذا؛ ومـع كل مـا تقـدم فـلا ينبغـي لطالـب العلـم أن يسـتقل بفهمـه ورأيـه، بـل لا بُـدَّ له مـن الرجوع إلى مَن يتيسـر له مـن أهل العلـم المعروفين من أهل السـنة والجماعة.

هـذا هـو السـبب المقـدور للعبـد، ولا بـد لـه مع هذا السـبب من السـبب الجامـع لـكل الأسـباب، وهـو التوجه إلى اللـه بدعائه والضراعة إليه بسـؤال العـون وتيسـير الأسـباب وإيتـاء الفهـم؛ فإنـه المعلـم لأنبيائـه وأوليائـه، والهـادي مـن اسـتهداه، وهـو ولـيُّ كل نعمـة، وهـو علـى كل شـيء قديـر، يختـص برحمته من يشـاء، والله ذو الفضل العظيم.

تعليق على كلام ابن القيم في الإخلاص

السؤال:

قال ابن القيم في كتابه الفوائد: «الإخلاص هو ما لا يعلمه ملَك فيكتبه، ولا عدو فيفسده، ولا يعجب به صاحبه فيبطله»، بيِّنوا لنا معنى هذا الكلام، جزاكم الله خيرًا.

الجواب:

الحمد لله وحده، وصلى الله وسلم على محمد، أما بعد: فإنَّ حقيقة الإخلاص هي إخلاصُ الدين لله، ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ١٤﴾ [الزمر]، وقال سبحانه: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ٢﴾ [الزمر]، وقال: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥]، واسم الدِّين شامل لكل عمل يُتقرب به إلى الله، ويتعبَّد به له تعالى، ولا يكون العمل خالصًا إلا إذا أريد به وجه الله، والإخلاص أجلُّ عمل القلب، وهو قوام كلِّ عمل، فلا يكون العمل صالحًا إلا أن يكون خالصًا، وهو مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله، وفي بعض ما ذكر ابن القيم نظر؛ وهو قوله في الإخلاص: «هو ما لا يعلمه ملك فيكتبه»؛ فإن ظاهر القرآن والسنة أن الملائكة الموكَّلين بكتب عمل العبد يكتبون إرادات العبد، أي: نياته، كما يفيده عموم قوله تعالى: ﴿يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ١٢﴾ [الانفطار]، وقال ﷺ: «**إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بيَّن ذلك، فمن همَّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو همَّ بها فعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات، إلى سبعمئة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، ومن همَّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو همَّ بها فعملها كتبها الله له سيئة واحدة**» متفق عليه من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وكيف يكتب الملَك مبدأ الإرادة وهو الهمُّ، ولا يكتب إرادة العبد بعمله وجه الله وحده، وهو أحب عمل القلب إلى الله؟! لأنه التوحيد الذي خلق الله الثَّقَلين لأجله، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، وأما قول ابن القيم: «ولا يُعجَب به صاحبه فيبطله»، فهو وجيه؛ لأن من كمال الإخلاص عدمُ الإعجاب بالعمل، وقول ابن القيم: «ولا عدو فيفسده»، نقول: أما العدو الخارجي فصحيح؛ لأنه لا يعلم العمل، وأما العدو الباطن -وهو الشيطان- فدعوى أنه لا يعلم العمل يحتاج إلى دليل، ولا ريب أن الشيطان هو الباعث على كل إرادة تخالف أمر الله، وهو أشدُّ ما يكون صدًّا للعبد عن الإخلاص، كيف والشيطان هو المزيِّن للرياء وإرادة الإنسان بعمله الدنيا؟! نسأله تعالى أن يعصمنا من شرِّ الشيطان وشركه، وأن يعيذنا من نزغاته، وندعو بدعاء عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: اللهم اجعل عملنا كلَّه صالحًا، واجعله لوجهك خالصًا، ولا تجعل لأحد فيه شيئًا، ثم تبيَّن بعد كتابة الجواب أن العبارة المسؤول عنها هي من كلام الجنيد، كما ذكر ذلك ابن القيم نفسه في «مدارج السالكين» (٢/ ٩٢). والله أعلم.

مذهب أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات

السُّؤَال:

ما هو منهج أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته؟ وما هي الكتيبات التي تنصحونني بقراءتها؟ وجزاكم الله خيرًا.

الجواب:

الحمد لله؛ إن العلم بالله بمعرفة أسمائه وصفاته وأفعاله وما يليق به وما يجب تنزيهه تعالى عنه، هو أشرف العلوم، والإنسان أحوج ما يكون

إلى معرفة ربه، بل ضرورته إلى ذلك فوق كل ضرورة، وهذه المعرفة تثمر محبته وخوفه ورجاءه والتوكل عليه وطاعته وتعظيمه، ومن رحمة الله بعباده أن أخبرهم في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ بما يعرفونه به ويعظمونه به مِن أسمائه وصفاته، والنصوص من الكتاب والسنة مستفيضة في هذا العلم، ففيها من بيان ما يجب على العباد اعتقاده مما يجب له ويجوز عليه ويمتنع عليه سبحانه مما ينير بصائرهم، ويزكي نفوسهم، وقد كان السلفُ الصالح من الصحابة والتابعين يؤمنون بهذه الأخبار ويمرونها على ظاهرها مثبتين لله ما أثبته لنفسه، وأثبته له رسوله ﷺ، مؤمنين بأن صفاته لا تماثل صفات المخلوقين، ولا تدرك العقول كنهها، ولهذا كان أئمة السنة يقولون: أمروها كما جاءت بلا كيف، وليس المقصود إمرارها لفظًا من غير فهم لمعناها كما يقول أهل التفويض والتجهيل.

ولما حدثت بدعة التعطيل وهي نفي أسماء الله وصفاته افترقت الأمة في هذا الأصل العظيم، وهو توحيد الأسماء والصفات، فتباينت مذاهب فرق المبتدعة؛ فهم بين مشبه ومعطل ومضطرب، وأما أهل السنة والجماعة فهم على الصراط المستقيم، فهم وسط في فرق الأمة في باب الأسماء والصفات وغيره، فلا إفراط ولا تفريط، فمذهبهم أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، لا إلحاد في أسماء الله وآياته، بل يثبتون له صفات الكمال، وينزهونه عن النقائص والعيوب، إثباتًا بلا تشبيه، وتنزيهًا بلا تعطيل،كما قال سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورى] هذا، والله أعلم.

وأما ما سألت عنه من الكتب المتضمنة لبيان مذهب أهل السنة والجماعة، فأرى أن أحسن ما كتب في هذا «العقيدة الواسطية»؛ فإنها تضمنت بيان معتقد الفرقة الناجية المنصورة أهل السنة والجماعة، والمؤلفات في العقيدة كثيرة، ومختلفة المناهج من حيث البسط والاختصار، وذكر مذاهب المخالفين وشبهاتهم والرد عليهم، ولهذا أنصح بالعناية بهذه العقيدة للإمام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو المعروف بالتحقيق في مذهب السلف في هذا الباب وفي سائر أبواب الاعتقاد، والله أعلم.

أهل السنة والجماعة والقول بالمجاز في الصفات

السُّؤَال:

أهل السنة يبطلون المجاز في الصفات ثم يُعملونه في مواضع مثل: «كنت سمعه الذي يسمع به...» الحديثَ، كيف الجمع، أو ما هي القاعدة في ذلك؟

الجواب:

الحمد لله؛ منهج أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته وفي نصوصهما هو المنهج القويم البريء من التناقض ومن الغلو والتقصير، فهم يؤمنون بكل ما وصف الله به نفسه، ووصفه به رسوله ﷺ إثباتًا ونفيًا، فيثبتون ما أثبته لنفسه، وما أثبته له رسوله ﷺ وينزهونه عن جميع النقائص والعيوب؛ إثباتًا بلا تشبيه وتنزيهًا بلا تعطيل، على حد قوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى].

ومن منهجهم إمرار النصوص على ظاهرها، وذلك بالإيمان بما دلت عليه من الصفات من غير تعرض لكيفياتها، كما قال غير واحد من الأئمة: «أمروها كما جاءت بلا كيف»، وقال الإمام مالك وغيره: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة».

وأما دعوى السائل أن أهل السنة ينكرون المجاز في نصوص الصفات ويثبتونه في مواضع فدعوى باطلة، فإن أهل السنة:

منهم من ينفي المجاز في اللغة العربية مطلقًا، وفي القرآن من باب أولى، وهؤلاء عندهم كل لفظ هو حقيقة في موضعه يدل على المعنى الذي يقتضيه السياق والمقام.

ومنهم من يثبت المجاز في اللغة، لكن ينفي وقوعه في القرآن.

ومَن يثبت منهم المجاز في اللغة وفي القرآن؛ لا يقول به في نصوص الصفات إلا إذا قام الدليل المانع من إرادة المعنى الحقيقي، مثل الحديث الذي ورد في السؤال، وهو قوله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في الحديث القدسي: «**ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به،...**»[1] الحديث.

ومن المعلوم بالضرورة أن الله لا يصير عين العبد: سمعه وبصره ويده ورجله؛ فإن حقيقة ذلك الحلول أو الاتحاد، وكلاهما من الإلحاد.

(١) أخرجه البخاري (٦١٣٧)؛ من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

فكل من يؤمن بالله يؤمن بأنه بائن من خلقه ومباين لهم، لا يخطر بباله من هذا الحديث المعنى الباطل، بل يدرك أن المراد من الحديث أن مَن أحبه الله وفقه في جميع تصرفاته، فلا يسمع ولا يبصر ولا يبطش ولا يمشي إلا على وفق أمر الله، فجميع جوارحه منقادة لشرع الله، فهو بالله ولله.

وأما المخالفون لأهل السنة والجماعة من طوائف المتكلمين فهم المتناقضون، وأظهر تناقض في باب الصفات هو في مذهب الأشاعرة، فإنهم يفرقون بين الصفات وبين النصوص؛ فيثبتون سبعًا من الصفات، وينفون سائرها، فيقولون في نصوص الصفات السبع: إنها حقيقة، وأما نصوص الصفات التي ينفونها فإنها عندهم مجاز، وليس لهم في هذا التفريق حجة ناهضة، ولا قاعدة مطردة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة التدمرية -بعدما بين تناقض المتكلمين من الأشاعرة والمعتزلة والجهمية-: فكل من نفى شيئًا مما جاء به الرسول لا بد أن يثبت ما يلزمه فيه نظير ما فر منه. ا.هـ.

فالتناقض لازم للمذاهب المخالفة لمذهب أهل السنة والجماعة، ومذهب أهل السنة بريء من التناقض ومن كل المعاني الباطلة؛ من التحريف والتعطيل والتكييف والتمثيل، والله الهادي إلى سواء السبيل، والله أعلم.

وصف الأشاعرة بأنهم من أهل السنة والجماعة

السُّؤَالُ:

هل يوصف الأشاعرة بأنهم من أهل السنة والجماعة فيما وافقوا فيه أهل السنة والجماعة، وليسوا من أهل السنة والجماعة فيما خالفوهم فيه، أي لا ينفى عنهم مطلق الوصف ولا يعطون الوصف المطلق، وكذا غيرها من الجماعات المخالفة للسنة؟

الجواب:

الحمد لله، أهل السنة والجماعة هم الذين اقتفوا طريق السلف الصالح من الصحابة والتابعين وساروا على نهجهم في جميع أصول الإيمان؛ فيؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ويؤمنون بالقدر خيره وشره، ويؤمنون بكل ما يدخل في هذه الأصول مما جاء في الكتاب والسنة، فمن استقام على هذا المنهج فهو من أهل السنة والجماعة، ولا يخرجه من دائرة أهل السنة والجماعة أن يخطئ في بعض المسائل، ومن خالف أهل السنة في بعض هذه الأصول فليس هو من أهل السنة والجماعة، ولو وافق في بعض الأصول، فلا يقال له من أجل ذلك: إنه من أهل السنة في كذا، بل يقال: إنه يوافق أهل السنة؛ فإن الموافقة في بعض الأمور لا تصيِّر الرجل من الطائفة التي وافقها في بعض معتقداتها، ولو صح هذا لأمكن أن يقال: إن المعتزلة من أهل السنة في إقرارهم بخلافة أبي بكر وعمر وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ومن أهل

السنة لقولهم بأن الإيمان قول وعمل، وهذا غلط ظاهر، ولم يقل بهذا أحد من أهل العلم.

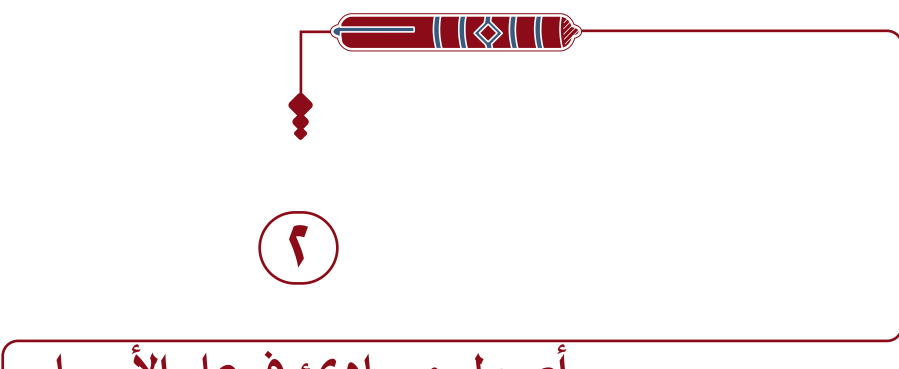
لكن الأشاعرة هم أقرب إلى أهل السنة من المعتزلة، وهم ينتسبون إلى السنة في مقابل المعتزلة، وكيف يكونون من أهل السنة، وهم يخالفونهم في: باب صفات الله، وفي رؤية الله، وفي كلام الله، وفي الإيمان، وفي أفعال العباد، وفي الحكمة والأسباب؟!

فعلى هذا لا يصح أن يقال: إنهم من أهل السنة في كذا، وليسوا من أهل السنة في كذا، لكن يقال: إنهم يوافقون أهل السنة.

وهذا الكلام أكثر ما ينطبق على متأخري الأشاعرة، خصوصًا المعاصرين؛ فإنهم أبعد عن مذهب أهل السنة من أكثر المتقدمين، كيف وبعض هؤلاء يتصدى لخصومة أهل السنة، والتشنيع عليهم، وتلقيبهم بالمجسمة والمشبهة، كما صنع بعض أسلافهم.

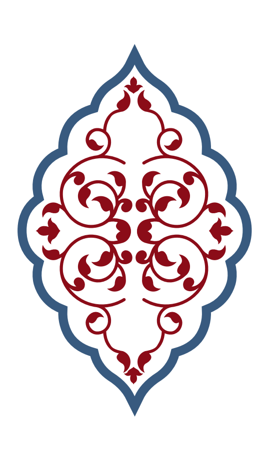
ومع هذا فلا يُنكر ما لبعض العلماء المعدودين من الأشاعرة من آثار حميدة في الدين علمًا وعملًا، فرحمهم الله، وجزاهم عن الإسلام والمسلمين خيرًا، وعفا عنا وعنهم، والله أعلم.

- ❊ ■ ❊ ■ ❊ -



٢

أصول ومبادئ في علم الأسماء والصفات



الفرق بين الاسم والصفة لله عز وجل

السُّؤَالُ:

ما الفرق بين الاسم والصفة؟

الجواب:

الحمد لله؛ الاسم ما كان علمًا على الله تعالى، ويصح أن يُدعى الله به: كالرحمن، والرحيم، والملك، والعزيز، وكل اسم من أسماء الله متضمن لصفة من صفاته تعالى.

وأما الصفة: فهي المعنى الذي يوصف به الربُّ ويُثنى به [أي المعنى] عليه؛ كعلمه، وبصره، وقدرته، وعزته، وحكمته، فهذه صفات لله وليست أسماءً له سبحانه.

ولكن قد يُطلق لفظ الصفة على الاسم من أسماء الله؛ لتضمنه الصفة، فتقول: من صفاته أنه رحيم وكريم وعظيم وعزيز وحكيم.

فهذه الألفاظ ونحوها هي أسماء وصفات؛ لأن كل لفظ متضمن للعَلَمية والوصفية، فهي أعلام باعتبار دلالتها على الذات، وهي مترادفة، وهي صفات باعتبار دلالتها على الصفة، وهي بهذا الاعتبار (باعتبار دلالتها على الصفة) متباينة، والله أعلم.

صفات الله تعالى وأسماؤه ليست محصورة بعدد

السُّؤَالُ:

إذا كانت أسماء الله تعالى غير محصورة، فهل صفاته تعالى مثلها؟

الجواب:

الحمد لله؛ لقد قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠] أي كلُّها، والحسنى اسم تفضيل، فأسماؤه تعالى أحسن الأسماء؛ لأنها تدل على أكمل الأوصاف لأعظم موصوف، وصفاته تعالى كلها صفات كمال، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [النحل: ٦٠]، وأسماؤه تعالى ليست محصورة بعدد، يدل لذلك قوله ﷺ في دعاء الهم: «**أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك**»[(١)]، فهذا يدل على أن لله أسماء استأثر بعلمها، وهذه الأسماء متضمنة لصفات لا يعلمها العباد، فأسماؤه تعالى وصفاته لا يحيط بها إلا هو، وأما العباد فلا يحيطون بها علمًا، فتبين بهذا أن صفاته تعالى وأسماءه ليست محصورة بعدد، وقد قال ﷺ: «**لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك**»[(٢)]، فالعباد لا يحصون

(١) أخرجه الإمام أحمد (٣٧١٢)؛ من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه ابن حبان (٣/ ٢٥٣)، والحاكم (١٨٧٧)، وقال الهيثمي: «ورجال أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح، غير أبي سلمة الجهني، وقد وثقه ابن حبان». «مجمع الزوائد» (١٧١٢٩).

(٢) أخرجه مسلم (٤٨٦)؛ من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

الثناء على الله؛ لأنهم لا يعلمون كل ما لله من الأسماء والصفات التي يكون بها الثناء عليه سبحانه، والله أعلم.

ما يجوز أن يدعى الله به مما يطلق عليه

السؤال:

ما حكم الدعاء بغير الأسماء الحسنى مما صح معناه، مثل قولهم: يا سامع الصوت، ويا سابق الفوت، ويا كاسي العظام لحمًا بعد الموت، يا دليل، يا ساتر... ونحو ذلك؟

الجواب:

الحمد لله؛ قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ١٨٠﴾ [الأعراف]، وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠]، وقال ﷺ: «**إن لله تسعة وتسعين اسمًا مئة إلا واحدًا من أحصاها دخل الجنة**»(١)، والله تعالى له أسماء كثيرة، كما قال ﷺ في دعاء الهم: «**أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك**»(٢).

وقد اختلف العلماء في إحصاء عدد الأسماء الحسنى اختلافًا كثيرًا، وكلُّ ما صح إطلاقه على الله مدحًا وثناء فهو من أسمائه سبحانه، وما يشتق من صفاته الفعلية إذا كان يظهر أنه مختص بالله فيجوز الدعاء به؛

(١) أخرجه البخاري (٢٧٣٦)، ومسلم (٢٦٧٧)؛ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) سبق تخريجه (١/ ٢٦٤).

مثل: فارج الكربات، ومغيث اللهفات، ومصرف الرياح، ومجري السحاب، وهازم الأحزاب.

وأما إذا كان لا يظهر اختصاصه بالله فلا يجوز الدعاء به، مثل: «سامع الصوت، وسابق الفوت»، وأما «كاسي العظام لحمًا بعد الموت» فهو من جنس ما سبق: فارج الكربات ومغيث اللهفات، كذلك لا يدعى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بالأسماء التي لا يصح ذكره بها والثناء عليه بها، وإنما يجوز الإخبار بها عنه، مثل: موجود، وشيء، وواجب الوجود.

وأما (الدليل) و(الساتر) فلم يرد إطلاقهما على الله، لكن إذا قُيدا بما يدل على ما يختص به -سبحانه- جاز الدعاء بهما، مثل: يا دليل الحائرين، و يا ساتر العورات، فأما دليل الحائرين فقد جاء عن الإمام أحمد أنه قال لرجل: «قل: يا دليل الحائرين...»[1]، وأما ساتر العورات فهو من جنس مقيل العثرات، لا ينصرف إلا إلى الله تعالى، والله أعلم.

الضابط في عد أسماء الله الحسنى

السؤال:

ما الضابط في عد أسماء الله الحسنى؟ فهل يصح عد المتضايفين، وهل يكتفى بالمضاف عن المضاف إليه؟ فهل يسمى الله (بديع السماوات والأرض) أو البديع؟ وهل يسمَّى: خير الفاصلين، وأحكم الحاكمين؟ وهل تصح تسميته بالأعز؟ نرجو

(١) «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (١١ / ٣٨٦).

توضيح ذلك، فقد رأيت تفاوتًا واختلافًا بين أهل العلم في عد الأسماء الحسنى؟ جزاكم الله خيرًا ورفع قدركم.

الجواب:

الحمد لله؛ ما ذكرتَه -أيها السائل- من الحاجة إلى ضابط يعرف به عدُّ الأسماء الحسنى، نظرًا لاختلاف العلماء في ذلك، هو كما ذكرتَ، وسبق أن أمليتُ جوابًا عن سؤال قريب من سؤالك، وأرجو أنه يفي بمطلوبك إن شاء الله، فإليك الجواب مع سؤال السائل، وستتبين من الجواب أنه تعالى يسمَّى بالأسماء المتضايفة؛ مثل: أرحم الراحمين، ورب العالمين، وأنه لا يسمَّى بالمضاف فقط، فتقول: من أسماء الله: بديع السماوات والأرض، ولا تقل: البديع، وفاطر السماوات والأرض، ولا تقل: فاطر أو الفاطر، وسيتبين لك -أيضًا- أن من أسمائه تعالى: (الأكرم)، كما جاء في سورة العلق، و(الأعز)، كما جاء عن ابن مسعود وابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في دعائهما في السعي، رواه عنهما ابن أبي شيبة وغيره[1].

ومما يحسن التنبيه عليه أن من أسماء الله ما يُدعى الله به بصيغة التوسل، ومن شواهد ذلك قوله ﷺ: «**اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء؛ اقض عنِّي الدين، وأغنني من الفقر**»[2]، ويشبهه قوله تعالى عن موسى: ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ

---

(١) «المصنف» لابن أبي شيبة (١٥٥٦٥، ١٥٥٧٠).

(٢) أخرجه مسلم (٢٧١٣)؛ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

﴿١٥٥﴾ [الأعراف]، وقوله: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغۡفِرۡ وَٱرۡحَمۡ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ١١٨﴾ [المؤمنون]، والله أعلم. وإليك الفتوى:

ضابط الأسماء الحسنى

السؤال:

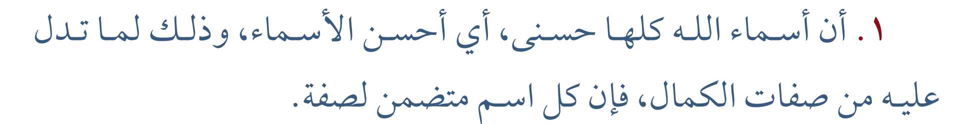
هل يوجد ضابط دقيق يتم من خلاله عد أسماء الله الحسنى؟ حيث لاحظت أن من العلماء من يثبت اسم الله: (الرفيق) و(المحسن) و(الجواد) و(الرشيد)، ولا يثبت مثل: (المتجاوز) و(الصانع) و(الصايغ) و(المنعم)؟

الجواب:

الحمد لله؛ قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠]، وقال ﷺ: «**إن لله تسعة وتسعين اسمًا؛ مئة إلا واحدًا، من أحصاها دخل الجنة**»(١) وفي حديث دعاء الهم: «**أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدًا أو من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء همي**»(٢)، فأفادت هذه الآيات والأحاديث أمورًا:

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٣٦)، ومسلم (٢٦٧٧)؛ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) سبق تخريجه (١/ ٢٦٤).



١. أن أسماء الله كلها حسنى، أي أحسن الأسماء، وذلك لما تدل عليه من صفات الكمال، فإن كل اسم متضمن لصفة.

٢. أن من أسمائه تعالى تسعة وتسعين اسمًا من شأنها أن من أحصاها دخل الجنة، ولم يصح في الرواية تعيين هذه الأسماء، والرواية الواردة في ذلك ضعيفة عند المحققين من أهل العلم.

٣. أن أسماء الله لا تنحصر في تسعة وتسعين، بل له سبحانه أسماء كثيرة، منها ما أنزله في كتبه، ومنها ما علَّمه بعض عباده، ومنها ما استأثر بعلمه، وأَخَصُّ هذه الأسماء به تعالى: الله والرحمن.

وقد جمع عدد من العلماء قديمًا وحديثًا أسماء الله مستمدين لها من الآيات والأحاديث، وشرحوها، وذكروا قواعد تتعلق بعددها ومعانيها وأحكامها؛ فمنهم من يعتمد في إحصائها عددًا على تتبع ما جاء في الكتاب والسنة، ومنهم من اعتمد رواية سرد الأسماء الحسنى كما رواها الترمذي وضعَّفها، وفيها اختلاف، ومنهم من اقتصر على جمع تسعة وتسعين، ومنهم من زاد على ذلك.

والغالب على من جمع أسماء الله الاقتصار على الأسماء المفردة، مما أخبر الله به عن نفسه، أو أخبر به رسوله ﷺ؛ مثل: العزيز والحكيم والرفيق والجميل، دون الأسماء المضافة؛ كأرحم الراحمين، وأسرع الحاسبين.

ولا ريب أن أكثر الأسماء المضافة أدلُّ على الله وأخصُّ به من أكثر الأسماء المفردة، وعمدةُ جميع العلماء في عدِّ الأسماء الحسنى ما ذُكر

منها في الكتاب والسنة، ولا يكادون يتفقون على ضابط فيما يُعدُّ من أسماء الله الحسنى.

وأحسن ما يقال في ضابط الأسماء الحسنى -والله أعلم-: أن كل ما يدعى الله به وقد تمدح الله به فهو من أسماء الله الحسنى، ويشمل ذلك الأسماء المفردة: كالغفور، والرحيم والفتاح، والعليم، والأسماء المركبة؛ كأحسن الخالقين وخير الرازقين، ومن ذلك ذو الجلال والإكرام، ونحوها.

وهذا معنى ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية، حيث قال: «الأسماء الحسنى المعروفة هي التي يُدعى الله بها، وهي التي جاءت في الكتاب والسنة، وهي التي تقتضي المدحَ والثناءَ بنفسها والعلمَ والقدرةَ والرحمةَ ونحو ذلك، وهي في نفسها صفات مدح، والأسماء الدالة عليها أسماء مدح»[1].

وبمراعاة هذا الضابط يتبين أن أسماء الله الحسنى لا تنحصر في تسعة وتسعين، فلا ينكَر على من بلغ بها المئات إذا التزم هذا الضابط، وتتضح هذه الكثرة إذا اعتبرنا الأسماء المتقاربة في لفظها ومعناها؛ مثل: الملك، والمليك، ومالك يوم الدين، وملك يوم الدين، وملك الناس، ومن هذا: الكبير، والأكبر، والكريم، والأكرم، والعلي، والمتعالي، والقدير، والمقتدر، والعليم، وعالم الغيب والشهادة، وعلام الغيوب، وكذا إذا اعتبرنا اختلاف المضاف إليه (الرب)؛ كرب العالمين

(١) «شرح العقيدة الأصفهانية» (ص ٥).

ورب الفلق، ورب الناس، ورب العرش العظيم، ورب السماوات والأرض، واختلاف المضاف إليه (أفعل التفضيل) صفة لله تعالى؛ كخير الناصرين، وخير الغافرين، وخير الراحمين، وكل هذه ونحوها ينطبق عليها الضابط المتقدم، والله أعلم.

إشكال في استشهاد شيخ الإسلام على النفي المجمل

السؤال:

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في العقيدة التدمرية (ص: ٨) أن من شواهد النفي المجمل في الصفات قوله تعالى:** ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، **فأين النفيُ في الآية؟**

الجواب:

الحمد لله؛ في الآية ذمٌّ للمشركين على اتخاذ الأنداد وتشريكها مع الله في المحبة، وهذا الذمُّ يتضمن نفي أن يكون لله تعالى نِدٌّ، فشيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ يذكر شواهد تدل على النفي بطريق أوسع من النفي الصريح، أي: ليس بلازم أن يكون بأداة نفي، بل يكفي في الشاهد أن يدل على النفي بأي وجه، ولهذا استشهد بقوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة: ٢٢] وهذا نهي، لأن النهي عن اتخاذ الأنداد أو جعل الأنداد يتضمن أن ليس لله ندٌّ، والله أعلم.

تقسيم أسماء الله إلى لازمة ومتعدية

السؤال:

ذكر الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أن أسماء الله عَزَّوَجَلَّ منها ما هو متعد ومنها ما هو لازم... إلخ، وقد ذُكر لنا من بعض طلبة العلم: أن الشيخ هنا خالف عقيدة أهل السنة والجماعة، وأن الصحيح أن أسماء الله كلها متعدية، فما الصحيح في ذلك؟ وما ثمرة هذه المسألة؟

الجواب:

الحمد لله؛ إن كان الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال ذلك فلا إشكال فيه، ومعناه حق، وليس فيه مخالفة لمذهب أهل السنة، ومن قال: إن أسماء الله كلها متعدية فقد غلط، ولعله لا يعرف معنى التعدي واللزوم.

والمشهور أن هذا التقسيم إنما هو في أفعال الله، فتقسيم الفعل إلى متعد ولازم أمر متقرر ومعروف في اللغة العربية، والمتعدي عند النحويين: هو ما يتعدى إلى مفعول به إما بنفسه أو بحرف الجر، وقد يخصون المتعدي بما ينصب المفعول به، وهو ما يتعدى بنفسه، واللازم: ما لا يتعدى إلى مفعول به أصلًا، وقد يُدخلون فيه المتعدي بحرف الجر، فالمتعدي بنفسه مثل: أخذ وأعطى، والمتعدي بحرف الجر مثل: قام وعلا، واللازم مثل: (جلّ) و(تعالى)، وهذا كله جار في أفعال الله.

وأسماؤه تعالى مشتقة فيقتضي ذلك جريان هذا التقسيم فيها:

فمن أسمائه اللازمة: الحي، والعزيز، والقدوس، ومن أسمائه المتعدية: الخالق، والرازق، والسميع، والوهاب، ومن أسمائه المتعدية بحرف الجر: التواب، والقدير.

والغالب على أسمائه تعالى: أنها إما متعدية بنفسها أو بحرف، وهكذا أفعاله سبحانه، وفائدة هذا التقسيم: معرفة دلالات الألفاظ والفرق بينها، والشيخ محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا ذكر ذلك فلا بد أن يكون قد شرحه بالأمثلة وبَيّن فائدته، فليرجع إلى كلامه في موضعه.

الذي يقابل الصفات الخبرية

السُّؤَالُ:

ما الذي يقابل الصفات الخبرية لله عَزَّوَجَلَّ؟

الجواب:

الحمد لله؛ الذي يقابل الصفات الخبرية هي الصفات العقلية، لكن كل صفة عقلية فإنها خبرية؛ لأن جميع صفات الله تتلقى من جهة السمع، لكن اصطلح العلماء على أن الصفات التي لم يدل العقل عليها أنها خبرية؛ لأن طريق العلم بها هو الخبر أو السمع، فهي سمعية أو خبرية؛ كالوجه، واليدين، والاستواء، والنزول.

وأما ما طريقه العقل والسمع فهي خبرية عقلية: كالعلم، والسمع، والبصر، والحياة، والعزة، والقدرة. فتقسيم الصفات إلى خبرية وعقلية هو من جهة طريق العلم بها، والله أعلم.

لا تثبت صفة الحاجة لله

السؤال:

هل يثبت أهل السنة صفة الحاجة لله تعالى، من حديث «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»، حيث قرأت كلامًا لأحد طلبة العلم ينص فيه على أن هذه الصفة ثابتة، وينقل عن شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في شرح العمدة: كلامًا مفاده: أن الحاجة يُراد بها أحد أمرين:

الأول: قصد نفع النفس. الثاني: قصد نفع الغير.

قال: وعلى المعنى الثاني يُحمل الحديث، فعلى هذا أثبت شيخ الإسلام الحاجة المنفية بهذا المعنى. ما تعليقكم -شيخنا- على هذه المسألة؟ نفع الله بعلمكم.

الجواب:

الحمد لله؛ لا يخفى أن الحديث نصٌّ في نفي الحاجة عن الله إلى صيام من لم يدع قول الزور والعمل به، ومفهومه أن لله سبحانه حاجة إلى صيام من ترك قول الزور والعمل به، ومعلوم بالضرورة أن الحاجة بمعنى الافتقار منتفية عن الله؛ إذن فلا افتقار في الله إلى صيام أحد ولا طاعة أحد؛ فإنه تعالى لا تنفعه طاعة المطيعين، ولا تضره معصية العاصين، وفي الحديث القدسي: **«يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري**

فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني»[(١)]، لكن الله يريد طاعة العباد: صلاة وصيامًا وغير ذلك، مما شرعه لهم.

وعلى هذا فيمكن تفسير الحاجة المثبتة أو المنفية في الحديث بالإرادة والمحبَّة؛ فصيام من لم يدع قول الزور ليس مرادًا لله ولا محبوبًا له سبحانه، وصيام من اتَّقى الله بترك ما نُهِي عنه مرادٌ ومحبوبٌ لله، وبتفسير الحاجة بالإرادة والمحبة يزول الإشكال؛ فإن الحاجة بهذا المعنى لا تستلزم الحاجة الممتنعة على الله المنافية لغناه تعالى؛ فإن الله يريد ويحب طاعات العباد، وليس مفتقرًا لذلك، فعُلِم ممَّا تقدم أن الحاجة إن أريد بها المعنى المتبادر لأكثر الناس، وهي الافتقار إلى الشيء، فهي منفيةٌ عن الله عقلًا وشرعًا، وإن أريد بها محبة الله وإرادته للشيء لما فيه من الحكمة والمصلحة، فهذا ثابت لله بما لا يُحصَى من النصوص، وهذا التفصيل مقتضى القاعدة في الألفاظ المحتملة المجملة، أعني: الاستفصال والتفصيل بين ما يثبت وما ينفى، وهذا ما تضمَّنه كلام شيخ الإسلام عن الحديث المذكور؛ وهو في شرح العمدة كتاب الحج (٤/ ٣ - طبع دار عالم الفوائد)، وفي منهاج السنة (٥/ ١٩٧ - طبع جامعة الإمام).

وقد ذكر الحافظ ابن حجر في شرح الحديث في فتح الباري (٤/ ١١٧) أقوالًا مآلها إلى معنى ما تقدم؛ فقد قالوا: إن نفي الحاجة في الحديث كنايةٌ عن نفي القبول، أو نفي الثواب، ولا ريب أن ما لا يريده

---

(١) رواه مسلم (٢٥٧٧)؛ عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الله -الإرادة الشرعية- ولا يحبه فليس مرضيًّا ولا مقبولًا، ولا يثيب عليه. هذا ما تيسر من الجواب، والله أعلم بالصواب.

هل أسماء الله كلها قديمة؟

السُّؤَال:

فضيلة شيخنا الجليل عبد الرحمن بن ناصر البرَّاك؛ رفَعَ اللهُ مقامَهُ في عليِّين:

عندي سؤالٌ يدورُ في خَلَدي منذُ مُدَّة، ولم أقفْ له على جواب؛ مع حاجتي إليه لبحث عندي في هذا الباب، وهو أثابَكُمُ الله: إذا كانت كلُّ أسماءِ اللهِ مِن كلامِهِ، ما عَلِمْنا منها وما لم نَعلَم؛ فهي مِن آحادِ كلامِهِ المحدَثِ غير المخلوقِ الذي هو صفةٌ للهِ تعالى؛ فهل يصحُّ أن يقالَ على ذلك: إنَّ أسماء الله كلَّها محدَثة، وليس اسمٌ منها قديمًا، فتكونُ كلُّها حادِثةً غيرَ مخلوقةٍ؟ وهل تكونُ كلُّ أسمائِهِ مِن هذه الجهةِ مِن صفاتِهِ أيضًا؟ وما مدى صِحَّةِ ما يقولُهُ بعضُهم: إنَّ أسماءَ اللهِ كلُّها قديمة؟ وإنْ لم تكنْ كلُّها قديمةً أزليَّة، فهل هناك اسمٌ منها يُعَدُّ قديمًا بقِدَمِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؟ أفيدُونا مأجورين! نفَعَ اللهُ بعِلْمِكم، وأفاضَ عليكُمْ مِن جُودِهِ وإحسانه.

الجواب:

الحمد لله؛ إن أسماء الله هي كل ما سمى الله به نفسه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أو سماه به رسوله ﷺ، ولا يحصي هذه الأسماء إلا الله تعالى، فمنها ما تكلم الله به وأنزله في كتبه، ومنها ما علمه من شاء من خلقه، ومنها ما

اختص الله بعلمه فلم يطلع عليه أحدًا من خلقه، كما دلَّ على ذلك حديث دعاء الهمِّ الذي رواه الإمام أحمد وغيره عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفيه: «**أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك**»[١] الحديث.

وكل هذه الأسماء لها معان هي صفات لله تعالى، فما أنزله الله في كتابه أو علمه لبعض عباده فهو معلوم للعباد لفظه ومعناه، وما استأثر الله بعلمه فلا يعلم العباد لفظه ولا معناه، قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في «العقيدة التدمرية» بعد ذكر الحديث: «فمعاني هذه الأسماء التي استأثر بها في علم الغيب عنده لا يعلمها غيره».

ثم نقول: الصفات التي دلت عليها أسماء الله نوعان:

الأول: صفات ذاتية أو ذاتية فعلية، فهي قديمة بقدمه تعالى، مثل: الله، الحي، القيوم، العليم، القدير، العزيز، الحكيم، الخلاق، الفعال لما يريد.

الثاني: صفات فعلية، كما في الحديث: «**اللهم مُنْزل الكتاب، ومُجري السحاب، هازم الأحزاب**»[٢]. فهذه الأسماء تابعة لمعانيها، ومعانيها أفعال تابعة لمشيئته سبحانه، وما تعلقت به المشيئة لا يكون قديمًا، فما كان منها قديمًا يصح أن تقول فيه: لم يزل أو ما زال، كأن

---

(١) سبق تخريجه (١/ ٢٦٤).

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٦٥)، ومسلم (١٧٤٢)؛ من حديث عبد الله بن أبي أوفى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

تقول: لم يزل حيًّا قيومًا فعالًا لما يريد، ونحو ذلك، وما ليس منها قديمًا فلا يصح أن تقول فيه: لم يزل مُنْزِلًا للكتاب ومُجريًا للسحاب، وهازمًا للأحزاب؛ لأن كلَّ تلك الأفعال واقعة بمشيئته.

ثم نقول: ما تكلم الله به من هذه الأسماء في كتابه فلفظه محدث، وإن كان معناه قديمًا؛ لأن آحاد كلام الله حادثة بمشيئته مختصة بأوقاتها وبالمخاطب بها.

ولا يكون اللفظ اسمًا لله إلا أن يكون مما تكلم الله به، أو تكلم به رسوله ﷺ؛ كالأول والآخر والظاهر والباطن، فالألفاظ التي تترجم بها معاني أسماء الله لا تكون أسماء لله، كما لا تكون ترجمة معاني القرآن قرآنا.

وأما قول القائل: كل أسماء الله من كلامه، ما علمنا منها وما لم نعلم؛ ففي هذه الكلية نظر؛ لأن ما استأثر الله بعلمه من أسمائه لا نعلم أن الله تكلم به، فلا يصح أن ندعي ذلك؛ لأن ذلك مِنَّا كلامٌ فيما لا سبيل لنا إلى الكلام فيه، وقد تقدم الكلامُ فيما علمنا من أسمائه، وتقدم التفصيلُ في الألفاظ والمعاني من حيث القدم والحدوث.

وعليه؛ فلا يصح إطلاق القول بأن أسماء الله كلها قديمة، ما علمنا منها وما لم نعلم، كذلك لا يصح أن يقال: إن أسماء الله صفات إلا باعتبار ما تدل عليه من المعاني؛ فإن كل اسم متضمن لصفة، كما تقدم. والله أعلم، ونسأله سبحانه أن يهدينا صراطه المستقيم فيما نقول ونعمل.

من أقوال نفاة الصفات

السؤال:

ما قولكم -أحسن الله إليكم- في قول بعض المؤلفين: «الإتيان يقال للمجيء بالذات وبالأمر وبالتدبير، ويقال في الخير وفي الشر وفي الأعيان والأعراض؛ نحو قوله تعالى: ﴿إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ﴾ [الأنعام: ٤٠]**، وقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾** [الفجر: ٢٢]**، وقوله: ﴿فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ﴾** [النحل: ٢٦]**؛ أي: بالأمر والتدبير، نحو: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾»؟**

الجواب:

الحمد لله وحده، وصلى الله وسلم على محمد، أما بعد: فيؤخذ على صاحب هذا القول تنظير قوله تعالى: ﴿فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ﴾ بقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾، فيقتضي هذا أن المعنى: وجاء أمره تعالى، وهذا من التأويل المذموم الذي يسلكه نفاة قيام الأفعال الاختيارية بالله، والصواب أن الله نفسَه يجيء، والله أعلم.

شرح كلام ابن جرير في الخُلّة

السؤال:

أشكل علي -حفظكم الله- قول الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ۝١٢٥﴾ [النساء] **حيث قال: «يعني بذلك**

واتخذ الله إبراهيم وليًا، فإن قال قائل: وما معنى الخُلَّة التي أعطيها إبراهيم؟ قيل ذلك من إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ العداوة في الله والبغض فيه، والولاية في الله والحب فيه، على ما يعرف من معاني الخُلَّة، وأما من الله لإبراهيم: فنصرته على من حاوله بسوء» انتهى كلامه. أليس هذا أحسن الله إليكم من التأويل للخُلَّة؟ علمًا أنه لم يؤول المحبة عند قوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤].

الجواب:

الحمد لله؛ ينبغي أن يعلم أن من طرق التفسير تفسير الشيء بلازمه، ومن المسلَّم أن ثبوت اللازم يقتضي ثبوت الملزوم، وغاية ما يقال أن ابن جرير فسَّر الخُلَّة بلازمها من نصرته تعالى لعبده ووليِّه وتأييده له، وإذا علم أن منهج المفسِّر إثبات الصفات لم يُعدَّ تفسيره لصفة من الصفات بلازمها تأويلًا؛ إذْ يُعلم قطعًا أنه لم يقصد بذكر اللازم نفي الملزوم، وإنما يقصد ذلك نفاة الصفات، فيتناقضون حين يثبتون اللازم وينفون الملزوم، وابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أئمة السنة، ولم يُذكر عنه انتحال نفي بعض الصفات، كما ذكر السائل أنه لم يؤوِّل المحبة في قوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾، وبهذا يندفع توهم أن ابن جرير ينفي الخُلَّة في حقِّ الله تعالى، حاشاه رَحِمَهُ ٱللَّهُ. والله أعلم.

لا يجوز إطلاق الجزء والكل في نصوص الصفات

السُّؤَالُ:

بعض المؤلفين يقول عند قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾ [الإنسان: ٩]: إن هذا في التعبير بالجزء وإرادة الكل على طريقة المجاز المرسل، فهل ذلك صحيح؟

الجواب:

الحمد لله؛ لا ريب أن قوله تعالى عن الأبرار: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾ [الإنسان: ٩] معناه إخلاص العمل لله، ويصح في التعبير عن هذا المعنى إضافة العمل قصدًا إلى الله أو إلى وجه الله، فتقول: أفعل هذا لله، أو لوجه الله.

ولعل في ذكر الوجه في هذا المقام إشعارًا بالرغبة في النظر إلى وجهه الكريم؛ كما قال تعالى: ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٠﴾ [الليل].

ولا يجوز تطبيق قواعد المجاز وعبارات أهله في نصوص الصفات، وقد تطرق المعطلة إلى نفي الصفات بدعوى المجاز فيها، فحرَّفوا النصوص زاعمين أنه لا يجوز اعتقاد ظاهرها، ومن ذلك قولهم: إن المراد بالوجه الذات، فنفوا أن يكون لله وجه، وقالوا: إن هذا من التعبير بالجزء عن الكل، فزعموا أنه لو كان لله وجه لكان جزءًا.

فلا يجوز للسُّني الذي يُثْبتُ الصفات ويثبت الوجه لله أن يجاريهم في دعوى المجاز، وفي التعبير بما لا يليق به سبحانه، فإنه لا يجوز

التعبير عن بعض صفات الله بالجزء أو البعض، فإنه تعالى أحد صمد لا يجوز عليه التجزؤ، وإنما يطلق الجزء والبعض في حق المخلوق؛ لأنه قابل لذلك، فيقال: يد الإنسان بعض منه. ولا يقال مثل ذلك في حق الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والله أعلم.

أنواع الرحمة المضافة إلى الله تعالى

السؤال:

من المتقرر -بحمد الله- اتصاف ربنا بالرحمة حقيقة على ما يليق بجلاله، إلا أنه أشكل علي حديث «إِنَّ لِلَّهِ مِئَةَ رَحْمَةٍ أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بِهَا يَتَرَاحَمُ الْخَلْقُ، وادَّخَرَ تِسْعَةً وَتِسْعِيْنَ رَحْمَةً يَرْحَمُ بِهَا عِبادهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[(١)]، ومن المعلوم أن صفة الرحمة التي يتراحم بها الخلق مخلوقة، فكيف تكون من رحمة الله؟ أفيدونا أفادكم الله.

الجواب:

الحمد لله؛ الرحمة المضافة إلى الله في القرآن أو في السنة تأتي على نوعين:

أحدهما: الرحمة التي هي صفة الرب تعالى، كقوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ [الكهف: ٥٨]، ومن هذا النوع الرحمة التي يدل عليه اسماه الرحمن والرحيم، فإن كل اسم من أسماء الله يتضمن صفة؛ كالعليم يتضمن العلم، والقدير يتضمن القدرة.

والنوع الثاني: الرحمة المخلوقة، فإضافتها إلى الله من إضافة المخلوق إلى خالقه كإضافة العبد والناقة والبيت في قوله: عبد الله، وناقة

(١) أخرجه البخاري (٦٤٦٩)، ومسلم (١٧٥٢)؛ من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

الله، وبيت الله، ومن شواهد هذا النوع قوله تعالى: ﴿فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ﴾ -أي: المطر- ﴿كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآ﴾ [الروم: ٥٠]، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥ﴾ [الشورى: ٢٨]؛ أي: المطر، ومنه الحديث المذكور في السؤال، وهو صريح في أن المراد الرحمة المخلوقة.

ولا ريب أن الرحمة المخلوقة التي أنزلها الله ويتراحم بها الخلق والرحمة التي في الجنة أثر رحمته سبحانه التي هي صفته، ولهذا تقول: أدخلني برحمتك في رحمتك، فتتوسل بصفته لنيل كرامته، قال تعالى: ﴿وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩﴾ [النمل]، وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١٠٧﴾ [آل عمران].

ونظير الرحمة في التنوع الأمر المضاف إلى الله، فإنه يأتي مرادًا به ما هو صفة، كقوله تعالى: ﴿مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓ﴾ [الأعراف: ٥٤]، ويأتي مرادًا به ما هو مخلوق، كقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥]؛ أي: المكون بأمره، فهو من إطلاق المصدر مرادًا به المفعول، والله أعلم.

معنى (أل) الداخلة على أسماء الله الحسنى

السؤال:

تنقسم (أل) التعريفية إلى عهدية وجنسية، وتحت كل منهما أقسام مشهورة عند أهل العلم، ففي أي قسم تندرج (أل) الداخلة على أسماء الله الحسنى، كالرحيم والغفور؟

الجواب:

الحمد لله؛ أما بعد: فالأظهر عندي أن (أل) في أكثر أسماء الله هي للعهد الذهني، ولا بد في الأسماء الحسنى من اعتبار المقام وسياق

الكلام لتعيين أن المراد بهذا الاسم هو ربُّ العالمين؛ لأن أكثر الأسماء الحسنى يطلق لفظُها على بعض العباد؛ كالملِك، والعزيز، والعليم، والسميع، والبصير، فلا يتميز هذا من هذا إلا في الكلام المركب، ومن الأسماء الحسنى ما لا يكاد يطلق لفظه في الاستعمال على المخلوق؛ كالقدوس والرحمن، وأما الاسم الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى (الله) فلا يطلق إلا على الله ربِّ العالمين.

وقد اختلف الناس في نوع (أل) في هذا الاسم العظيم على أقوال:

فقيل: إنها للتعظيم.

وقيل: إنها بدل من الهمزة.

وقيل: إنها للعهد.

والأقرب عندي أنها للعهد الذهني، كسائر الأسماء الحسنى، وهذا يجري على القول الصحيح بأن هذا الاسم العظيم لفظُه مشتق، وأصله الإله، فحذفت الهمزة وأدغمت اللام في اللام مع التفخيم؛ في حال ذكر الاسم مفردًا، أو كان مسبوقًا بفتحة أو ضمة، ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ ﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ﴾ [الأنفال: ٣٢]، وبدون تفخيم بعد الكسرة، كقوله تعالى: ﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ﴾ [غافر: ٨٤]، وقوله سبحانه: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [المائدة: ١٢٠].

ومما يدل على أن هذا الاسم مشتق -ورجحه ابن القيم[(١)]- ما صح عن ابن عباس عند ابن جرير وغيره، قال رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «الله: ذو الألوهية والمعْبودية على خلقه أجمعين»[(٢)]، فصار هذا الاسم علمًا على رب العالمين، وحينئذ فيشبه أن يكون من قبيل ما يسمى عند النحاة علمًا بالغلبة.

---

(١) ينظر: «بدائع الفوائد» (١/ ٢٢).

(٢) تفسير الطبري (١/ ١٢١).

وفائدة القول بأنه مشتق: أنه يدل على صفة الإلهية، فيكون علما وصفة، كغيره من الأسماء الحسنى، فإن كل اسم من أسماء الله تعالى دالٌّ على ذات الرب وعلى صفة من صفاته، فأسماء الله أعلام وصفات، فلهذا وُصِفت بالحسنى لدلالتها على أحسن الصفات، وعلى أعظمِ موصوف وأكمله، ولله المثل الأعلى، سُبْحَانَهُوَتَعَالَى.

ضابط الاسم الذي يعد من أسماء الله الحسنى

السُّؤَالُ:

ما الضابط في أسماء الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى فأنا طالب علم، وقد درست في جامعة الإمام أن ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ فهو من أسمائه جل شأنه، ولكنني رأيت أن هذه القاعدة غير مطردة، فقد سألت عالمًا جليلًا عن (المسَعِّر) هل هو من أسماء الله؟ وساق الحديث الذي فيه «فإن الله هو المسعر»، ثم قال: إذن هو من أسماء الله، ثم سألت عنه عالمًا له مكانته ليطمئن قلبي لهذه القاعدة، فزادني منها شكًّا، حيث ذكر الحديث، ثم قال: ليس من أسماء الله! أفتونا ودلونا على كتاب في ضبط ذلك، وجزاكم الله خيرًا.

الجواب:

الحمد لله؛ القاعدة في أسماء الله وصفاته أن كل ما أضيف إلى الله -في الكتاب والسنة- بصيغة المشتق: كالخالق والخلاق والرازق والرزاق والفتاح، فإنه اسم من أسمائه سُبْحَانَهُوَتَعَالَى.

ومعلوم أن ما ورد في القرآن من هذا لا يختلف الناس في اعتباره اسمًا من أسمائه سُبْحَانَهُوَتَعَالَى؛ كأسمائه المذكورة في آخر سورة الحشر،

وأسمائه التي خَتَم بها كثيرًا من الآيات: كالعليم، والخبير، والحكيم، والغفور، وعالم الغيب، وعلام الغيوب، والقوي، والمتين.

وهكذا ما ورد في السنة من الألفاظ التي أضيفت إلى الله وهي بصيغة المشتق كما تقدم، ومن ذلك: الجميل، والرفيق، والمسعر، والقابض، والباسط، كما جاء في ذلك الحديث من قوله ﷺ: «**إن الله هو المسعِّر، القابض الباسط، الرازق**»[1]، ومن نفى أن يكون ذلك اسمًا فعليه أن يذكر الفرق بين هذه الألفاظ الواردة في السنة، وما ورد في القرآن، فقوله ﷺ: «**إن الله هو المسعر**» كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝١١٨﴾ [التوبة]، والله أعلم.

ضابط اشتقاق أسماء الله من صفاته

السُّؤَال:

هل يصح اشتقاق أسماءٍ لله تعالى من صفاته الثابتة له؟

الجواب:

الحمد لله؛ إن من القواعد المقررة في الأسماء والصفات أن كل اسم متضمنٌ لصفة؛ كالعزيز، والحكيم، والرحيم، والعليم، ولا يشتق له تعالى من كل صفة فعلية اسمٌ؛ مثل: الكلام، والإرادة؛ فلا يقال: إن من أسمائه المتكلم والمريد، لكن يخبر عنه بأنه متكلم ومريد، بمعنى أنه

(١) أخرجه أبو داود (٣٤٥١)، والترمذي (١٣١٤)، ابن ماجه (٢٢٠٠)؛ من حديث أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وقال ابن حجر: «إسناده على شرط مسلم» «التلخيص الحبير» (٣/ ١٤).

يتكلم ويريد، وكذا المحبة والبغض والإهلاك والتدمير، فلا يسمى المحب أو المبغض أو المهلك أو المدمر، لكن يخبر عنه بأنه محب لأوليائه، مبغض لأعدائه، ومهلك لأعداء رسله، ومدمر عليهم، بمعنى أنه يحب ويبغض ويهلك ويدمر، وكذا يوصف بالرضا والسخط والغضب، لكن لا يقال: من أسمائه الراضي والساخط والغاضب، بل تقول: إنه يرضى ويغضب ويسخط على من يشاء، وكل الصفات الفعلية تابعة لمشيئته سبحانه.

وقد يتسامح في بعض الصفات الفعلية، فيشتق له تعالى منها أسماء إذا كانت لا تصدق على غيره سبحانه، مثل: مفرج الكربات ومغيث اللهفات، وقد جاء عن النبي ﷺ ما يشبه هذا ويشهد له؛ مثل: مجري السحاب، ومنزل الكتاب، وهازم الأحزاب[1]، والله أعلم.

معنى: بائن من خلقه

السُّؤَالُ:

ما معنى قول العلماء عن الله: بائن من خلقه؟ وما معنى قولهم عن القرآن: إليه يعود؟

الجواب:

الحمد لله؛ أما قول أئمة السنة: إنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فوق سماواته على عرشه بائن من خلقه، معنى بائن من خلقه: أي أنه ليس حالًّا في

(١) أخرجه البخاري (٢٩٦٥)، ومسلم (١٧٤٢)؛ من حديث عبد الله بن أبي أوفى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

مخلوقاته، ليس هو داخل شيء من مخلوقاته، ولا في ذاته شيء من مخلوقاته، فالمراد بهذه العبارة هو نفي الحلول في الجانبين، فليس في ذات الله شيء من مخلوقاته، ولا في مخلوقاته شيء من ذاته؛ لأنه العلي الأعلى فوق كل شيء، والحلول ينافي ذلك.

وأما قول أهل السنة في القرآن: إنه منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، فالمقصود: رفعه في آخر الزمان، فإنه في آخر الزمان يرفع من الصدور ومن المصاحف فتخلو الأرض من القرآن، وذلك عند اقتراب قيام الساعة حين لا يبقى لوجود القرآن في الأرض أثر من الانتفاع به، فلا ينتفع به أحد لغلبة الكفر على الخلق، وأما أهل الإيمان فيُنزل الله ريحًا تقبض أرواحهم فتخلو الأرض من الخير ولا يبقى فيها إلا شرار الناس وعليهم تقوم الساعة، نسأل الله السلامة والعافية.

هل يثبت لله تعالى بإطلاق ما ورد نفيه من صفات الكمال عن آلهة المشركين؟

السؤال:

شيخنا المبارك: هل الصفات المنفية عن الآلهة المزعومة في القرآن تثبت لله عَزَّوَجَلَّ بإطلاق؟ وذلك مثل قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾ [الأعراف: ١٤٨] **وقوله:** ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ﴾ [يونس: ٣٥] **وقوله:** ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ﴾ [الأعراف: ١٩٥] **إلى قوله:** ﴿أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾

[الأعراف: ١٩٥]، **وقوله:** ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأحقاف: ٥]، **وغير ذلك من الصفات.**

الجواب:

الحمد لله؛ إن كل ما ورد نفيه من صفات الكمال عن آلهة المشركين فهو ثابت لله تعالى؛ لأن إثبات الكمال كمال، ونفيَه نقصٌ، كالسمع والبصر والكلام، كما قال تعالى عن إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أنه قال لأبيه: ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾﴾ [مريم]، وقال عن عجل بني إسرائيل: ﴿أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾ [الأعراف: ١٤٨]، وقد جاءت النصوص مصرحة بإثبات هذه الصفات لله تعالى، كما دلَّت النصوص على إثبات الرجلين واليدين والعينين لله تعالى، وباليدين يكون الفعل؛ كالخلق والقبض والبسط والأخذ، وأما الأذنان فلم يصرَّح في النصوص بإضافتهما إلى الله تعالى.

فأفاد مجموع الأدلة إثباتَ البصر وإثباتَ العينين وإثباتَ السمع، ولم يصرَّح بإثبات الأذن لله تعالى، فيجب الإمساك -إثباتًا ونفيًا- عمَّا لم تصرح النصوص بإثباته ولا نفيه، ولا يلزم من نفي الآذان عن آلهة المشركين إثباتها لله تعالى؛ لأن المراد بقوله: ﴿أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٩٥] عيبُ الآلهة الباطلة بعدم السمع، ونفيُ السمع يستلزم الصمم، والله تعالى موصوف بالسمع منزه عن الصَّمَم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾﴾ [الحج]، وقال ﷺ: «**إنكم لا تدعون أصم**

ولا غائبًا، إنكم تدعون سميعًا بصيرًا، وهو معكم، والذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته»[١].

وخلاصة القول: أن كل ما نفاه الله عن آلهة المشركين، فقد دلت النصوص على إثباته لله تعالى إلا الأذن، فهي من المسكوت عنه، وأما حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند أبي داود[٢]، أنه سمع النبي ﷺ يقرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٥٨﴾ [النساء]، فوضع النبي ﷺ إبهامه على أذنه، والتي تليها على عينه، فهذا تحقيقٌ لإثبات السمع والبصر تفسيرًا للآية.

وأما نفي المشي بالرجل والبطش باليد عن آلهة المشركين، وهما نوعان من الفعل، فنفيهما يدل على عدم القدرة على الفعل، وهذا نقص، وهو عجز، والله منزه عن العجز، موصوف بكمال القدرة، وأنه فعال لما يريد، ومن أفعاله البطش، وهو الأخذ بالعذاب، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝١٢﴾ [البروج].

وأما البطش باليد الذي معناه الأخذ للشيء، فهو ثابت لله بلفظ الأخذ، كما في الحديث الصحيح أن الله تعالى يأخذ أرضه وسماءه بيديه[٣]، وقال تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧].

---

(١) أخرجه أحمد (١٩٥٩٩) واللفظ له، والبخاري (٦٣٨٤) دون الجملة الأخيرة؛ من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أبو داود (٤٧٢٨)، قال ابن حجر «فتح الباري» (١٣/ ٣٧٣): «أخرجه أبو داود بسند قوي على شرط مسلم».

(٣) أخرجه مسلم (٢٧٨٨)؛ من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. ولفظه: «**يأخذ الله** عَزَّ وَجَلَّ **سماواته وأرضيه بيديه، فيقول: أنا الله –ويقبض أصابعه ويبسطها– أنا الملك**».

وأما المشي بالرجل مضافًا إلى الله تعالى فلا أذكر نصًا صرح به إلا ما قد يشعر به ما في الحديث القدسي: «**ومن أتاني يمشي أتيته هرولة**»[(١)]، لكنه -أي المشي- فعل من الأفعال المقدورة للرب سبحانه، فمن قال: هل الله يمشي؟ نقول له: إن الله على كل شيء قدير، وإنه فعال لما يريد، كما تقدم، والله أعلم.

سؤال عن اعتقاد شيخ الإسلام ابن تيميَّة في مسألة تَسَلْسُل الحوادث، أي: قدم نوع العالم

السُّؤَالُ:

هل صحيح أنَّ اعتقاد شيخ الإسلام ابن تيمية -واعتقادنا تبعًا له- يقضي بأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ليس مؤثرًا تامًّا في الخلق، وأنه سبحانه لا خيار له إلا أن يخلق الأشياء؟ لقد تم اقتباس ذلك من الصفدية (٢/ ٩٧): «وحينئذ فالذي هو من لوازم ذاته نوع الفعل، لا فعل معين، ولا مفعول معين، فلا يكون في العالم شيء قديم، وحينئذ لا يكون في الأزل مؤثرًا تامًّا في شيء من العالم، ولكن لم يزل مؤثرًا تامًّا في شيء بعد شيء، وكل أثر يوجد عند حصول كمال التأثير فيه»؟

الجواب:

الحمد لله؛ أولًا: اعتقاد المسلمين الذي يجب اعتقادُه في أصول الدِّين هو اعتقاد سَلَف الأُمَّة، من الصحابة والتابعين لهم بإحسانٍ، وهو عقيدة أهل السنة والجماعة في كلِّ زمانٍ ومكانٍ، فليس الأمر مُختصًّا

(١) البخاري (٦٩٧٠)، ومسلم (٢٦٧٥)؛ من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

بشيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ بل شيخ الإسلام قرَّر أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة، وبيَّنه، وفصَّل مجملَه، ونافحَ عنه؛ فجزاه الله عن المسلمين خير الجزاء.

وعلى هذا؛ فنحن في الحقيقة -ومعنا شيخ الإسلام- متَّبِعون لاعتقاد السَّلَف في هذا الباب وفي غيره.

ثانيًا: اعتقاد أهل السنة والجماعة في هذا الباب: أنَّ الله تعالى على كلِّ شيء قدير، وأنَّه سبحانه خالقُ كلِّ شيء، لا خالق غيرُه ولا ربَّ سواه، وهو خالق كلِّ عاملٍ وعملِه، ولا يجري شيء في الكون إلا بأمره؛ كما قال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ۝٦٢﴾ [الزمر].

وفي بيان معتقَد أهل السنة والجماعة في أفعال العباد يقول شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والعباد فاعلون حقيقة، والله خالق أفعالهم، والعبد هو المؤمن والكافر، والبَرّ والفاجر، والمصلِّي والصائم، وللعباد قُدرة على أعمالهم وإرادة، والله خالقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم؛ كما قال تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢٩﴾ [التكوير]»[١]

فكيف يُقال بعد هذا: إنَّ شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ يعتقد أنَّ الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ليس مؤثِّرًا تامًّا في الخلق وأنه سبحانه لا خيار له إلا أن يخلق الأشياء؟!!
سبحانك هذا بهتان عظيم.

---

(١) «العقيدة الواسطية» (ص ١٠٨).

ثالثًا: النصّ المنقول من كتاب الصفديَّة (٢/ ٩٧) -وفي الكتاب نصوص أخرى مشابهة له- يرُدُّ به شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ على الفلاسفة الذين يقولون: إنَّ الفِعْل المعيَّن دائم مع الله قديم، واحتجُّوا بهذا على قِدَم هذا العالَم؛ فردَّ عليهم شيخ الإسلام بالتفريق بين عَيْن الفِعْل ونَوع الفِعْل، فقال[1]: «ولا يمكن قِدَم شيء من العالم إلا بقِدَم فِعْل له معيَّن، ولزوم ذلك الفعل لذات الرب كما تلزم الصفة للموصوف». اهـ.

وهذا تمامّ النصّ المنقول في سؤال السائل؛ يقول ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهؤلاء القائلون بقِدَم العالم اشتبه عليهم نوع التأثير بعين التأثير، فلما رأوا أنَّ الذات تستلزم كونه مؤثِّرًا لامتناع حدوث ذلك؛ لم يميِّزوا بين النوع والعين؛ فظنُّوا أنَّ هذا يقتضي قِدَم الأفلاك أو غيرها من أعيان العالم، وهذا خطأ قطعًا؛ فإن الذات تستلزم نوع التأثير لا عينه، فإذا قُدِّر أنها لم تزل فاعلة لشيء بعد شيء؛ لم يكن شيء من مفعولاتها قديمًا؛ بل كلُّ ما سواها حادث كائن بعد أن لم يكن، وإن كان فِعْلُها من لوازم ذاتها.

والذين قابلوا هؤلاء لمَّا أرادوا أن يُثبِتوا حدوث كلِّ ما سوى الله؛ ظنُّوا أنَّ هذا يتضمَّن أنَّه كان مُعَطَّلًا غير قادر على الفعل، وأنَّ كونه مُحدِثًا لا يصح إلا على هذا الوجه؛ فهؤلاء أثبتوا التعطيل عن نوع الفِعل، وأولئك أثبتوا قِدَم عين الفعل، وليس لهم حُجَّة تدل على ذلك قط.

وإنما يدلُّ ما يذكرونه من الحُجَج على ثبوت النوع لا على ثبوت عين الفعل ولا عين المفعول، ولو كان يقتضي دليلهم الصحيح قِدَم عين الفعل والمفعول لامتنع حدوث شيء من الحوادث، وهو مخالف للمشهود.

---

(١) الصفدية (٢/ ١٤٦).

وحينئذٍ؛ فالـذي هـو مـن لـوازم ذاتـه: نـوع الفِعْـل لا فعـل معيَّـن ولا مفعـول معيَّـن؛ فـلا يكـون فـي العالـم شـيء قديـمٌ، وحينئـذٍ لا يكـون فـي الأزل مؤثِّـرًا تامًّـا فـي شـيء مـن العالـم، ولكـن لـم يـزل مؤثِّـرًا تامًّـا فـي شـيء بعـد شـيء، وكل أثـر يوجـد عنـد حصـول كمـال التأثيـر فيـه، والمقتضـي لكمـال التأثيـر فيـه هـو الـذات عنـد حصـول الشـروط وارتفـاع الموانـع، وهـذا إنمـا يكـون فـي الـذات التـي تقـوم بهـا الأمـور الاختياريـة وتفعـل بالقـدرة والمشـيئة، بـل وتتصـف بمـا أخبـرت بـه الرسـل مـن أنَّ اللـه يُحِـبّ ويُبْغِـض، ويرضى ويسـخط، ويكره ويفرح، وغير ذلك مما نطق به الكتاب والسـنة.

فأمـا إذا لـم يكـن إلا حـال واحـدة أزلًا وأبـدًا، وقُـدِّر أنَّ لهـا معلـولًا؛ لـزم أن يكـون علـى حال واحدة أزلًا وأبدًا». اهـ. من الصفدية (٢/ ٩٦).

ولمزيـد مـن التفصيـل يمكـن مراجعـة كتـاب: «قِدَم العالـم وتَسَلْسُـل الحـوادث بيـن شـيخ الإسـلام ابـن تيميـة والفلاسـفة، مع بيـان مَـن أخطأ فـي المسـألة مـن السـابقين والمعاصريـن» لكاملـة بنـت محمـد الكـواري (ص ٤٣ ومـا بعدهـا)، والله أعلم.

القول بتسلسل الحوادث لابن تيمية

السُّؤَال:

شـيخ الإسـلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيـن أثبـت القـول بتسلسـل الحـوادث دعـاه إلـى ذلـك ألا يُعطِّـلَ اللهُ عن صفات الفعـل، والخَلْق، والإرادة، والكلام، التـي هـي مـن لـوازم كمـال الحيـاة، فهـل يقـال ذلـك فـي جميـع الصفـات؛

كالمغفرة والتوبة، فتقتضي وجود مَنْ يتوبُ عليهم ويغفر لهم، وهل يقال بوجود مخلوقات أخرى قبل الثقلين كانت في إطار التكليف؟ أم ذلك الإثبات خاص بالصفات التي هي من لوازم الحياة؟

الجواب:

الحمد لله؛ إن مِنَ المعلوم بالضرورة عقلًا وشرعًا أن الله لم يزل موجودًا وموصوفًا بجميع صفات الكمال؛ من الحياة، والعلم، والقدرة، والسمع، والبصر، والإرادة، والكلام، والعزة، والحكمة، والرحمة، والخلق، والرِّزْق، والعفو، والمغفرة، ونحو ذلك من الصفات الذاتية والصفات الفعلية الذاتية، فكلها ثابتة للرب سبحانه أزلًا وأبدًا، فلم يزل ولا يزال -سبحانه- حيًا قيومًا، عليمًا حكيمًا، غفورًا رحيمًا، خالقًا رازقًا، سميعًا بصيرًا، عفوًا قديرًا، فعالًا لما يريد.

فصفاته الذاتية -سبحانه- لازمةٌ لذاته ولا تتعلقُ بها المشيئة.

وأما صفاتُهُ الذاتية الفعلية، فالأسماء المتضمنة لها لازمة له، لا تتوقف على المشيئة، مثل: العفُوُّ، والغفور، والخالق، والرازق، فإنه لم يزل سبحانه ولا يزال مستحقًا لهذه الأسماء وما تتضمنه من الصفات، ولكنَّ أثَرَها ومتعلَّقَها تابعٌ للمشيئة، فتقول: إنه تعالى يخلق ما شاء إذا شاء، ويرزق مَنْ يشاء ويغفر لمن يشاء.

وما كان تابعًا للمشيئة فليس هو من لوازم ذاته، ومِنْ هذا النوع: صفة الفعل وصفة الكلام، فإنه تعالى لم يزل متكلمًا بما شاء إذا شاء، ولم يزل فعالًا لما يريد، وآحادُ كلامه، وآحادُ فعله ليس من لوازم ذاته،

فمن آحاد كلامه: نداؤه الأبوين، وقولُه للملائكة: ﴿إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا﴾ [الحجر: ٢٨]، وقوله لآدم: ﴿ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥]، وكلامه -سبحانه- لا نفاد له، كما قال: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ١٠٩﴾ [الكهف].

وآحاد أفعاله سبحانه التي تدلُّ عليها أسماؤه، وأنواعُ أفعاله التي ليس له منها اسم، هي التي تُعرف عند أهل العلم بـ(الصفات الفعلية): كاستوائه على العرش، ونزوله إلى السماء الدنيا، وخلقه للسماوات والأرض، وحبِّه وبُغضه لمن شاء، وأنه تعالى يبسط الرزق لمن يشاء، ويَقْدِرُه على مَنْ يشاء، ويؤتي الملك من يشاء وينْزِعه ممن يشاء، ويُعِزُّ من يشاء ويذل من يشاء...إلى غير ذلك من أفعاله التي تكون بقدرته ومشيئته وحكمته.

فلا يقال في شيء من هذه الأفعال إنه قديم، ولهذا لا يقال: إنه تعالى لم يزل مستويًا على العرش، ولم يزل نازلًا إلى السماء الدنيا، ولم يزل قائلًا: يا موسى، أو قائلًا للملائكة: إني خالقٌ بشرًا، أو لم يزل غاضبًا، أو محبًا، أو مبغضًا، أو فرحًا، أو ضاحكًا؛ لتوقف هذه الأفعال على أسبابها ومتعلَّقاتها، وهذه الأسبابُ والمتعلَّقات متوقفةٌ على مشيئته سبحانه، فتدخل هذه الأفعالُ كلُّها في أنه فعّالٌ لما يريد، فهذا وصفٌ لازم له سبحانه.

فلم يزل ولا يزال فعّالًا لما يريد، ولا يلزم في الأزل أن يريد كلَّ فعل؛ لأنه لا يلزم في الأزل أن يريد أسبابَها ومتعلقاتِها، بل ذلك في

حُكم الإمكان، لكمال قدرته وأنه لم يزل على كل شيء قديرًا، وأما وقوع هذه الأفعال ومتعلقاتِها وأسبابها فيتوقف نفيه وإثباته على الدليل.

ولهذا؛ فإنَّ تسلسلَ المخلوقاتِ ودوامَها في الماضي، الذي ينكره أكثرُ أهل الكلام، ويقولون: إنه ممتنع، لا ريب أنه ممكن؛ لأن ذلك لازمُ قدرةِ الرَّبِّ سبحانه.

وشبهة القائلين بامتناعِ حوادثَ لا أول لها (ويعبر عنه بتسلسل الحوادث، ودوام الحوادث)، هي اعتقادهم أنه يلزم من ذلك قِدَمُ العالم مع الله، وهو الذي تقول به الفلاسفة، فَرَدُّوا الباطلَ بباطلٍ حين قالوا بامتناع دوام الحوادث، فإنه يستلزم أن الله كان غيرَ قادر ثم صار قادرًا.

والحق أنه لا يلزمُ مِن دوامِ المخلوقات في الماضي (الذي معناه: ما من مخلوق إلا وقبله مخلوق، إلى ما لا نهاية) لا يلزم منه قدم شيء من المخلوقات مع الله، بحيث يكونُ مقارنًا لوجوده في الأزل؛ لأنَّ المخلوقَ متأخرٌ عن الخالق ضرورة، وعلى هذا؛ فكل مخلوق يُفْرَضُ فإنَّهُ مسبوقٌ بعدَمِ نفسه؛ لأنه حادثٌ بعد أَنْ لم يكن، فالقِدَمُ المطلقُ -الذي لا بداية له- لله وحده.

فعُلِم مما تقدم أنَّ كلَّ ما تقتضيه أسماؤه -سبحانه- وصفاتُهُ مِنْ أفعاله ومفعولاته فإنما يكون بمشيئته، والجزْمُ بوقوعه أو عدَمِ وقوعه يتوقَفُ على الدليل، فإن النَّافي في مثل هذا عليه الدليل كما على المثبت.

وظاهر كلام شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن تسلسل المخلوقاتِ في الماضي واقعٌ، ويَبْني ذلك على أنَّ الله لم يزل على كل شيءٍ قديرًا وفعالًا لما يريد، ولكنَّه لا يُعَيِّنُ جنسًا ولا نوعًا من المخلوقات، ولا نوعًا من الأفعال.

ومَنْ قال من أهل السنة: إنَّ أولَ مخلوقٍ مطلقًا هو القلمُ (ومعناه أنَّ الله لم يخلق شيئًا قبله)؛ فشبهته حديثُ عُبَادة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَوَّلُ ما خلَقَ اللهُ القَلَمُ**»[1] على رواية رفع (أول) و(القلم)، والحديث جاء بألفاظ هذا أحدها.

ورجَّح ابنُ القيم[2] روايةَ «**أَوَّلَ ما خلق اللهُ القلَمَ**» بنصب الكلمتين، وأنَّ العرشَ مخلوقٌ قبلَهُ، فلا يدلُّ الحديثُ على أنَّ القلمَ هو أولُ المخلوقاتِ مطلقًا.

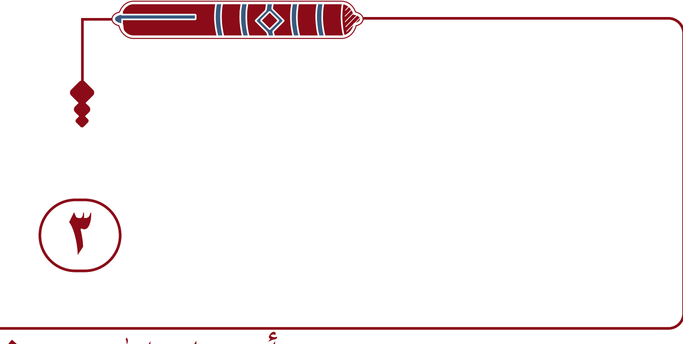
وبناءً على ما سبق؛ فلا يُجزَمُ بوجود مخلوقاتٍ على هذه الأرض قبْلَ آدمَ عَلَيْهِٱلسَّلَامُ.

واستنبط بعضهم من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] أنه كان على الأرض خلقٌ قبل آدم، فالله أعلم، والله على كل شيء قدير.

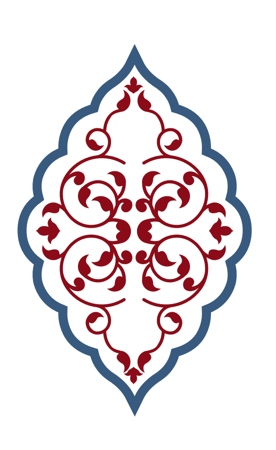
- ❊ ▪ ❊ ▪ ❊ -

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٠٠)، والترمذي (٣٣١٩)، وقال: «هذا حديث حسن غريب وفيه عن ابن عباس».

(٢) ينظر: «التبيان في أقسام القرآن» (٢/ ٢٠٧).



من أسماء الله وصفاته (الثابتة وغير الثابتة)



السُّؤَالُ:

جاء في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزخرف: ٥٥] أن الأسف: هو الغضب المشوب بحزن، وهذا -أيضًا- ما يفهم من كلام الراغب في مفرداته.

والسؤال: هل يجوز إضافة الحزن إلى الله؟ جزاكم الله خيرًا.

الجواب:

الحمد لله؛ إن تفسير الأسف في هذه الآية بالغضب هو المشهور من كلام المفسرين، والغضب مضافًا إلى الله قد جاء في القرآن صريحًا في مواضع؛ من ذلك قوله تعالى في المنافقين والمشركين: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: ٦]، وقوله في اليهود: ﴿قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ [المجادلة: ١٤].

وأما ما ذكره ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أن الأسف هو الغضب المشوب بحزن فهذا أسف المخلوق، ولا يصح تفسير الأسف من الله به؛ فإن الحزن لا تجوز إضافته إلى الله؛ فإنه ألمٌ من مكروه فائت لا حيلة في دفعه، وهو لا يكون إلا من ضعف، والله تعالى قوي عزيز، وهو ذو القوة المتين، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ومما يدل على أن الغضب لا يستلزم الحزن، ولا الأسف يستلزم الغضب؛ أن الله جمع بينهما في الخبر عن موسى إذ قال تعالى: ﴿غَضْبَٰنَ أَسِفًا﴾ [الأعراف: ١٥٠]، وقال عن يعقوب: ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾﴾ [يوسف]، والله أعلم.

الحوار والجدال ووصف الله بالمحاور

السؤال:

ما حكم وصف الله بأنه يحاور، كما قال بعضهم: إنه تعالى حاور الملائكة وحاور إبليس؟

الجواب:

الحمد لله؛ الحوار والحجاج والجدال ألفاظ متقاربة المعنى، وكلها تدل على أقوال بين طرفين مختلفين، ولكن الحجاج والجدال يختصان بقصد المغالبة؛ لأن كلًّا من الطرفين يريد إقناع الآخر بمذهبه والرد عليه، وأما الحوار فهو أعم من ذلك، وعلى هذا؛ فكل حجاج أو جدال حوار، وليس كل حوار جدالًا، كما قال تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾ [المجادلة: ١] فسَمَّى الجدال حوارًا.

ومن جهة اللفظ فإن كلًا منها متعدٍّ إلى معمولين؛ إلى الأول بنفسه، وإلى الثاني بحرف الجر، ويظهر هذا مع فعل الحجاج والجدال كثيرًا بخلاف الحوار؛ فقلما يصرح بالمعمول الثاني.

وحرف الجر إما الباء وإما (في)، فـ(الباء) تدخل على الحُجة، أي: ما يحتج به من دليل أو من طريقة في الاستدلال والاحتجاج، و(في)، تدخل على موضوع الكلام من الطرفين، وقد تختص بما يريد الخصم ردَّه والمعارضة فيه، وشواهد ذلك من القرآن قوله

تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، وقوله تعالى: ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [آل عمران: ٦٦]، وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ﴾ [الشورى: ١٦]، وقوله: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [غافر: ٤]، وقوله: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝٥ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ﴾ [الأنفال: ٥-٦]، وقوله: ﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾ [الكهف: ٥٦]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، وقوله: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقوله: ﴿قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا﴾ [هود: ٣٢]، وقوله تعالى حكاية عن هود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم﴾ [الأعراف: ٧١]، وقوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾ [الكهف: ٣٧]، وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾ [المجادلة: ١].

فتضمنت هذه الآيات أمورًا:

١ . أن الكفار هم الذين يجادلون في آيات الله تكذيبًا بها، ويحاجون في الله جحدًا لوجوده أو توحيده، ويشبه ذلك جدال بعض المؤمنين في الحق للإعفاء منه؛ كما في آية الأنفال ﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ﴾ [الأنفال: ٦]؛ أي: القتال.

٢. التصريح بإضافة الجدال إلى الرسل والمؤمنين وأعداء الرسل؛ أي إلى الحق والباطل، وأما الحِجاج فلم يصرح بإضافته إلى الرسل بل إلى المكذبين، وإن كان لفظ الحجاج يقتضي الفعل من الطرفين.

ومن الجدال المراء، إلا أنه أخص بالجدال بالباطل أو مع هوى، وقد يأتي لمطلق الجدال، قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِي ٱلسَّاعَةِ لَفِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٍ ١٨﴾ [الشورى]، وقال سبحانه: ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ١٢﴾ [النجم]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمۡ إِلَّا مِرَآءٗ ظَٰهِرٗا﴾ [الكهف: ٢٢].

٣. لم يأت في القرآن إضافة شيء من هذه الأفعال إلى الله تعالى؛ لا الجدال ولا الحوار ولا الحجاج ولا المراء.

وعليه؛ فلا يجوز إضافة شيء من ذلك إلى الله تعالى؛ لأنه يلزم منه أن تكون هذه الأفعال من صفاته سبحانه، فلا يقال: إنه تعالى يحاور أحدًا أو يجادل أو يحاج أحدًا، وقد غلط مَن قال: إن الله حاور الملائكة بل وحاور إبليس، والصواب أن يقال: إن الله خاطب الملائكة وخاطب إبليس، فهو سبحانه يخاطب مَن شاء بما شاء، ويكلم مَن شاء بما شاء؛ من أمر أو نهي أو إخبار أو توبيخ أو غير ذلك، وكل هذا ظاهر وكثير في القرآن، والله أعلم.

اسم الله (الكبير) هل من معانيه الكبير بذاته سبحانه

السؤال:

فضيلة الشيخ: كيف نفسر اسم الله (الكبير)، وهل نقول: إن لله تعالى جميع أنواع الكبر، فقد قرأت لأحدهم تقرير هذا المعنى، حتى كبر الذات، وأعوذ بالله أن أثبت لله شيئًا لم يثبته الله لنفسه، أو أنفي عنه شيئًا أثبته لذاته تعالى.

الجواب:

الحمد لله؛ اسم الله (الكبير) جاء في القرآن في ستة مواضع، مقرونًا باسمه العليِّ في خمسة مواضع، وباسمه المتعال في موضع واحد، وهذا الاقتران بين العليِّ والكبير نظيرُهُ الاقترانُ بين العلي والعظيم من أسمائه تعالى، فظهر من الاقتران بين العليّ والعظيم أو العليِّ والكبير تناسبٌ بين الاسمين والوصفين، ومن المشهور في كلام أهل السنة أن العلو لله يشمل ثلاثة أنواع: علو الذات، وعلو القدر، وعلو القهر. والنزاع مع المعطلة في علوِّ الذات، الذي من أدلته استواؤه تعالى على العرش في سبعة مواضع من القرآن، ولا أذكر أن أحدًا صرَّح باعتبار هذه الأنواع الثلاثة في اسمه العظيم، إلا ما يتضمنه قول ابن القيم: «فالعلو: رفعته، والعظمة: عظمةُ قدرِهِ ذاتًا ووصفًا»[1].

(١) الصواعق المرسلة (٤/ ١٣٦٤).

والذي يظهر لي أن الأمر كذلك؛ أعني أنه يقال في العظمة ما قيل في العلو؛ فهو تعالى العظيم ذاتًا وقدرًا وقهرًا، وفي معنى العظيم اسمُه الكبير، كما يشهد لتقارب معنيي العظيم والكبير اقترانهما بالعلي، ونظير هذا الاقتران بين العلي والعظيم أو الكبير في القرآن اقترانُ هذين الاسمين في كلمات الذكر في الصلاة أو خارج الصلاة: سبحان الله العظيم، سبحان ربي العظيم، سبحان ربي الأعلى، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر.

وقد جاء أفعلُ التفضيل في الوصفين العلي والكبير، ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ [الأعلى] وسبحان ربي الأعلى في السجود، وفي التكبير: الله أكبر، فهو العليُّ والأعلى والكبير والأكبر.

ومما يستدل به على عظمة ذاته وكِبَر ذاته قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٦٧﴾ [الزمر]، وما جاء من السُّنة في تفسيرها؛ كقوله ﷺ: «**يطوي الله عَزَّوَجَلَّ السماوات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين بشماله، ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟**» رواه مسلم[(١)]، وأخرج ابن جرير[(٢)] وغيره عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «ما السماوات السبع والأرضون السبع في كفِّ الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم».

---

(١) مسلم (٢٧٨٨)؛ من حديث ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.
(٢) تفسير الطبري ط. هجر (٢٠/ ٢٤٦).

فيجب الإيمان بكل ما وصف الله به نفسه، وما وصفه به رسوله ﷺ، ومن ذلك الإيمان بهذه الأسماء: العلي، والعظيم، والكبير، على قاعدة أهل السنة في الإثبات والنفي: إثباتًا بلا تشبيه ولا تكييف، وتنزيهًا بلا تعطيل.

وعليه؛ فلا يجوز التخيُّل لكيفية ذاته أو صفاته تعالى، ولا التفكر فيها، أي: الكيفية، قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «تفكروا في كل شيء ولا تفكروا في ذات الله» رواه البيهقي في الأسماء والصفات وغيرُه[١]، قال ابن حجر في فتح الباري: «موقوف، وسنده جيد»[٢]، ولأن التفكر في الشيء طلبٌ لحقيقته، والتفكر في ذات الله وصفاته من جنس السؤال عن الكيفية بالكلام، وقد قال الأئمة في الاستواء وغيره: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة»، قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في العقيدة التدمرية: «لأنه سؤال عما لا يعلمه البشر، ولا يمكنهم الإجابة عنه»، والله أعلم.

حجاب النور، ورداء الكبرياء، والفرق بينهما

السؤال:

وردَ في الحديث «حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»، وفي حديث آخر: «وما بين القوم وبين

---

(١) «الأسماء والصفات» للبيهقي (٦١٨)، وأخرجه أبو الشيخ الأصبهاني في «العظمة» (١/ ٢١٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٦٧)، وصححه الألباني.

(٢) فتح الباري (١٣/ ٣٨٣).

أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن»، فهل معنى ذلك أن حجابه هو النور وأن رداءه هو الكبرياء؟ أم أنهما شيء واحد؟

الجواب:

الحمد لله؛ أولًا: الحجاب ثابت لله تعالى يحتَجِب به عن خَلْقِه، خلافًا لأهل البِدَع الذي يُنكِرون حِجابَ الله تعالى، ويقولون: «وحقيقة الحجاب بالنسبة إلى الله تعالى مُحال؛ لأنَّه عبارة عن الجسم المتوسِّط بين جسمَين آخَرَين»[1].

وجاء في حديث صُهَيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال: يقول الله** تَبَارَكَ وَتَعَالَى: **تريدون شيئًا أزيدكم؟ فيقولون ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم** عَزَّوَجَلَّ»[2].

ويدلُّ على هذا أيضًا: الحديثان المذكوران في السؤال، وكلاهما في صحيح مسلم[3]، والثاني في صحيح البخاري أيضًا[4].

ثانيًا: دلَّ الحديث الأول على أنَّ الله يَحْتَجِب عن خَلْقه بالنور، والحديث الثاني يدلُّ على أنَّ الحِجاب هو رداء الكبرياء على وَجْهه

---

(١) «أساس التقديس» للفخر الرازي (ص ١٣٢).

(٢) أخرجه مسلم (١٨١)؛ من حديث صهيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أولهما أخرجه مسلم (١٧٩)؛ من حديث أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وثانيهما: أخرجه مسلم (١٨٠)؛ من حديث عبد الله بن قيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) البخاري (٧٤٤٤).

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. وجاء في حديث آخر: «**العز إزاره والكبرياء رداؤه، فمن ينازعني عذبته**».(١)

فالكِبرياء والعظمَة والنور كلُّها من صفات الذات لله تعالى، التي نُثبتها لله تعالى كما يليق به سبحانه، دون تحريف ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل. وهي صفات لا تُفارِق ذاتَ الله تعالى.

أما الحِجاب الذي يكشِفه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إذا تجلَّى لعباده المؤمنين يومَ القيامة فهو الحِجاب المخلوق، وهو حِجاب من نور.

وعلى هذا؛ فرِداء الكبرياء ليس هو حجاب النور المخلوق؛ بل رِداء الكبرياء من صفات الذات لله تعالى التي لا تنفكُّ عنه.

وأما حجاب النور فمنه ما هو صفة للذات لا تُفارق ذات الربِّ جلَّ جلاله، ومنه الحجاب المخلوق الذي يكشِفه الله تعالى إذا تجلَّى لعباده المؤمنين يومَ القيامة.

يقول الإمام ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «... رِداء الكبرياء على وَجْهه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هو المانع من رؤية الذات، ولا يمنع من أصل الرؤية؛ فإنَّ الكبرياء والعظمة أمر لازم لذاته تعالى، فإذا تجلَّى سبحانه لعباده يوم القيامة وكشفَ الحجاب بينهم وبينه؛ فهو الحجاب المخلوق. وأما أنوار الذات الذي يُحجَب عن إدراكها فذاك صفة للذات، لا تُفارِق ذات الرب جلَّ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٢٠)؛ من حديث أبي سعيد وأبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

جلاله، ولو كشف ذلك الحجاب لأحرقَت سُبُحات وجهه ما أدركَه بصرُه من خلقه»[(١)] والله أعلم.

صفة التجلي لله جَلَّ وَعَلَا

تجلي الله سبحانه بصورة النار!

أود السؤال عن: هل من مذهب أهل السنة والجماعة أن الله تعالى يتجلى لعباده في صور شتى؟ ومن ذلك أنه تجلى لموسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في صورة النار لما كلَّمه؟ حيث سمعت من يقول بذلك، ولكن يقول: ليست هي ذات الله، وإنما هي صورة يتجلى الله فيها لعباده، ومما يستدل به الحديث الطويل في الرؤية يوم القيامة، وفيه قوله ﷺ: «فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة»[(٢)]؟ أفيدونا جزيتم خيرًا.

الجواب:

الحمد لله؛ من المعلوم أن من مذهب أهل السنة والجماعة إثباتَ الرؤية لله تعالى؛ أي: إن الله يُرى، وأن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة عيانًا بأبصارهم، كما دل على ذلك الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، وكذلك يثبت أهل السنة الصورة لله تعالى، فيقولون: لله صورة لا تشبه صورة أحد من المخلوقين، كما أن له تعالى وجهًا لا يشبه وجه أحد من العباد، وأنه سبحانه يتجلَّى لمن شاء، أي يظهر لهم بصورة يعرفونه بها،

(١) «التبيان في أقسام القرآن» (ص ٢٥٦).

(٢) أخرجه البخاري (٧٤٣٩)؛ من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أو بصورة لا يعرفونه بها، كما في الحديث الطويل الذي وردت الإشارة إليه في السؤال.

فنقول: إنه تعالى يتجلَّى لمن شاء كيف شاء، ولا نقول: بصور شتَّى، ولا نعلم أنه تعالى تجلَّى في الدنيا لأحد نبيٍّ أو غير نبيٍّ، ولا لشيء، إلا للجبل الذي كلَّم اللهُ عليه موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وأما القول بأنه تجلَّى بصورة النار ففيه نظر، بل الأظهر أن هذا القول خطأ، ولو كان هذا صحيحًا لصح أن نقول: إن موسى رأى الله في صورة نار، ولم يقل بذلك أحد من أهل العلم المعتبرين، فهو قول باطل.

وهذه النار التي رأى موسى هي نورٌ ظنَّه موسى نارًا يمكن القبس منها، ﴿سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ۝٧﴾ [النمل]، والنور قد يُسمَّى نارًا، كما في حديث أبي موسى رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في صحيح مسلم، وفيه يقول النبي ﷺ عن الله: «**حجابه النور**»[1]، وفي رواية في الصحيح أيضًا: «**النار**»[2]، وتفسَّر النار بالنور، فتتفق الروايتان.

وقد سمَّى الله ذلك النور الذي رآه موسى نارًا، قال تعالى: ﴿أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [النمل: ٨]، واختلف المفسرون في المراد بمن في النار وبمن حولها:

---

(١) مسلم (١٧٩).

(٢) في الحديث السابق.

فنقل عن جمهور مفسري السلف؛ كابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وسعيد بن جبير، أن المراد بمن في النار: الله نفسُه، أي: في نوره، فالنار هي نورٌ، كما رواه ابن أبي حاتم وغيره[١].

وقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية[٢] ما رواه ابن أبي حاتم من ذلك بأسانيده، ولم يعلِّق عليه بشيء، قال: وروي عن السدي وحده أن المراد بمن في النار: الملائكة.

وقد ضعَّف شيخنا الشيخ محمد الأمين الشنقيطي[٣] رَحِمَهُ ٱللَّهُ القول الأول، ورجَّح قول السدي، ولم يذكر سببًا للترجيح والتضعيف، ولعل السبب تعظيمُه لله عن أن يكون في النار، وأن يوصف بأنه بورك، والذين حكوا قول السلف من الأئمة؛ كابن جرير، وابن كثير، وشيخ الإسلام ابن تيمية، حكوه ولم يضعفوه، بل سكتوا. وفي قول الإمام ابن تيمية: «وروي عن السدي وحده»، إشارة منه إلى ترجيح قول الجمهور.

وهذا النور -والله أعلم- هو الحجاب الذي ذُكر في حديث أبي موسى، وهو النور الذي رآه النبي ﷺ ليلة المعراج، كما في حديث أبي ذر: قال: كنت أسأله ﷺ: هل رأيت ربك؟ قال: «**رأيت نورًا**»[٤]، وفي رواية في الصحيح أيضًا، قال: « **نورٌ أنَّى أراه؟**»[٥]، فهذا النور كشف الله منه ما شاء

---

(١) ينظر: «تفسير ابن أبي حاتم» (٩/ ٢٨٤٤).
(٢) ينظر: «شرح حديث النزول» (ص ١٠١).
(٣) ينظر: «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» (٣/ ٤٣٤).
(٤) أخرجه مسلم (١٧٨).
(٥) أخرجه مسلم (١٧٨)؛ من حديث أبي ذر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

لموسى حين سطع في البقعة المباركة من الشاطئ الأيمن التي فيها الشجرة، فجاء لموسى النداء من جهة الشاطئ الأيمن في تلك البقعة، ومن تلك الشجرة، ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [القصص: ٣٠]، أي جاءه النداء من الشجرة في البقعة المباركة، من جهة الشاطئ الأيمن للوادي، والمنادي هو الله تعالى؛ لقوله تعالى: ﴿أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٠﴾ [القصص]، وقوله سبحانه: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ﴾[طه: ١١-١٢].

ولا يلزم من ذلك نزوله تعالى إلى الأرض، ولا حلوله في الشجرة؛ فإنه تعالى قادر على أن يكلم من شاء من البشر وهو على عرشه، إن الله على كل شيء قدير، قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «لما كلَّم الله موسى، كان النداء في السماء، وكان الله في السماء»، رواه عنه البخاري في «خلق أفعال العباد»[(١)].

وعلى هذا؛ فلا يُستعظم أن يخبر الله عن نفسه أنه في النار، التي هي نور.

و﴿بُورِكَ﴾؛ قال فيها ابن عباس: «قُدِّس»[(٢)]، وهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ تسبحه الملائكة وتقدس له.

والمراد بمن حولها؛ قيل: الملائكة، وقيل: موسى والملائكة، والله أعلم بحقيقة مراده من كلامه.

---

(١) «خلق أفعال العباد» (تحقيق: فهد الفهيد) رقم: (٩٨).

(٢) ينظر: «تفسير الطبري» (١٩ / ٤٢٨).

دعاء الله تعالى بـ «يا ساتر»

السؤال:

هل يجوز دعاء الله بقولنا: «يا ساتر» على أنه وصف لله وليس اسمًا، كما نقول: اللهم يا مقلب القلوب؟

الجواب:

الحمد لله؛ إن من أسماء الله: الغفور والغفَّار، ومن صفاته سبحانه: المغفرة، قال المفسرون وأهل اللغة: الغَفْر بمعنى السَّتْر، وغَفْرُ الذنوب من ستر العيوب، وهو تعالى يغفر الذنوب ويستر العيوب، وفي الحديث: «**من ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة**»[(١)]، لكن لم يرد لفظ (ساتر) و(ستار) في أسماء الله، ولكن معناهما حقٌّ، وجاء في الحديث الصحيح: «**إن الله عَزَّوَجَلَّ حليمٌ، حَييٌّ سَتِيرٌ**[(٢)]**، يُحبّ الحياءَ والستر، فإذا اغتسل أحدكم فليستتر**»[(٣)]، فدل الحديث على أن من أسمائه تعالى

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩)؛ من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنهُ.

(٢) قوله: «سَتِير» هو بمعنى ساتر، كرحيم بمعنى راحم، فهو على وزن فَعِيل، ذكر هذا الضبط ابن الأثير في «النهاية» (٢ / ٣٤١)، والعيني في «عمدة القاري» (١٥/ ٣٠١)، وابن منظور في «اللسان» (٤ / ٣٤٣)، والزبيدي في «تاج العروس» (س ت ر)، وغيرهم، وانفرد المناوي في «فيض القدير» (٢/ ٢٢٨)، فذكر أنه على وزن: فِعِّيل، كصِدِّيق، ولم أر من سبقه إلى ذلك.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٠١٢)، والنسائي (٤٠٦)؛ من حديث يعلى بن أمية رَضِيَٱللَّهُعَنهُ، وقال النووي: «بإسناد صحيح». «الخلاصة» (٥١٤)، وقال ابن رجب: «وقد قيل: إن في إسناده انقطاعًا، ووصله بعض الثقات، وأنكر وصله أحمد وأبو زرعة» «فتح الباري» لابن رجب (١ / ٣٣٦).

(السَّتِير)، وهي صيغة مبالغة تدل على الكثرة، كـ (ستَّار). وعليه؛ فلا حرج في دعائه تعالى بـ (يا ساتر) و(يا ستَّار) و(يا سَتِير)، ولفظ (ستَّار) و(سَتير) أدلُّ على المعنى، فهما أولى من ساتر، وإذا قرن بهما ما يزيدهما تخصيصًا -كالإضافة و(أل)، كما تقول: يا ستَّار العيوب، أو: اللهم أنت السَّتَّار، ونحو ذلك- كان حسَنًا.

وأسماء الله منها ما هو مختص به تعالى لا يطلق على غيره، مثل: الله، وهو أخص أسمائه به سبحانه، ورب العالمين، وخير الناصرين، ومقلب القلوب.

ومنها ما لا يختص به، فيطلق على المخلوق على ما يليق به، ويطلق على الخالق كما يليق به، مثل: السميع، والعليم، والعزيز، والحكيم.

ومنها ما لا يكاد ينصرف إلى غيره تعالى عند إطلاقه؛ كـ(القُدُّوس) و(الصَّمَد).

فعلم مما تقدم خطأ من يظن أن ما ورد في الكتاب أو السنة من الأسماء المشتقة من بعض أفعاله سبحانه صفاتٌ لا أسماءٌ، مثل: (مقلب القلوب)، و(الفعَّال لما يريد)، فهذان اسمان ثابتان وصفتان. وذلك أن من القواعد المقررة أن كل اسم من أسماء الله متضمن لصفة، مثل: الرحمن الرحيم، واللطيف الخبير، والسميع العليم، والله أعلم.

عبارة «الله حاضر في كل زمان ومكان»

السؤال:

ما حكم قول: الله حاضر في كل زمان ومكان؟ فإن هذه الجملة وردت في كتاب التاريخ للصف الثاني ثانوي؟

الجواب:

الحمد لله، إن الحاضر ضد الغائب، والله تعالى ليس بغائب، قال تعالى: ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ۝٧﴾ [الأعراف]، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝١٧﴾ [الحج]، وهو مع العباد أينما كانوا بعلمه وسمعه وبصره، ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾ [المجادلة: ٧].

ولكن قول القائل: الله حاضر في كل مكان، يفهم منه كثير من الناس أنه موجود في كل مكان، وهذا هو معنى الحلول، أي حلول ذات الرب في المخلوقات، وهو باطل، فالواجب تجنب هذه العبارة، وغيرها من الألفاظ الموهمة للباطل.

وأما أنه تعالى موجود في كل زمان فهذا حق؛ فإنه تعالى لم يزل ولا يزال؛ فإنه الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، وإذا استبدلت (حاضرًا) بـ(موجود) زال اللبس وتميَّز الجائز -وهو أنه موجود في كل زمان- من الممنوع -وهو أنه موجود في كل مكان- فالواجب اجتناب الكلمات الموهمة للباطل، لما فيها من الإجمال

والاحتمال، فنرى تغيير العبارة المذكورة في المقرر لتكون: (الله مع عباده في كل مكان، وهو موجود في كل زمان، ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، والله أعلم.

ثم نقول: يجب على المسؤولين في وزارة التعليم تنقية المقررات والمناهج من الأخطاء اللفظية والمعنوية في العقيدة وفي سائر المسائل الشرعية، حماية للطلاب والطالبات من الوقوع في هذه الأخطاء، وهم لا يشعرون.

تتمة للفتوى السابقة

السُّؤَالُ:

في جواب لفضيلة الشيخ العلامة عبد الرحمن البراك عن عبارة «الله حاضر في كل زمان» رأى أنها تستبدل بلفظ «موجود». وعندي إشكال، فإن الله قال: ﴿وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ۝٧﴾ [الأعراف]، والقاعدة أن النفي يقتضي إثبات كمال الضد، وضده: كمال الحضور، وهذا يدل على جواز إطلاق هذه العبارة، إضافة إلى قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝١٧﴾ [الحج]، والشهود يتضمن الحضور، والشيخ استدل بها على نفي الغياب، فيلزم إثبات الحضور بلا حرج.

وإني على علم ومعرفة بعظيم مقام الشيخ عبد الرحمن البراك علمًا وفهمًا، وأنه من أشهر أئمة السنة في هذا العصر، ولكنني استشكلت استشكال الشيخ، فأحببت زيادة بيان وتوضيح. والله يحفظكم.

الجواب:

الحمد لله؛ إن منشأ الإيهام في الكلمة تقييدها بقولهم: حاضر بكل مكان، وبسبب ذلك نشأ السؤال عنها، فلو قلت: «الله حاضر» دون تقييد لكانت العبارة صحيحة، ولا إشكال فيها.

صفة الحَقْو

السؤال:

قال ﷺ: «قامت الرحم فأخذت بحقو الرحمن»[(١)]، والحقو في اللغة هو معقد الإزار من الجنب، ويقال للإزار: حقو لأنه يشد على الحقو، هل في هذا الحديث دليل على ثبوت صفة الحقو لله -تعالى- على ما يليق بعظمته وجلاله؟ جزاكم الله خيرًا.

الجواب:

الحمد لله؛ نقول كما قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «آمنا بالله وبما جاء عن الله على مراد الله، وآمنا برسول الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله»، وهذا يشمل ما ظهر لنا معناه، وما لم يظهر معناه، فما ظهر معناه قلنا: هذا مراد الله، أو مراد رسول الله ﷺ، وما لم يظهر معناه نفوض علمه إلى عالمه.

(١) أخرجه البخاري (٤٨٣٠)؛ من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وهذا الحديث مما يشتبه معناه، هل المراد حقيقة هذه الكلمات: الأخذ، الرحم، الحقو، أو هو تمثيل لحق الرحم -وهي القرابة- عند الله تعالى؟ لأن من المعلوم أن الرحم مطلقًا يدل على المعنى الكلي المشترك بين كل قرابة، وقد دلت النصوص على أن القرابة صلةٌ تستوجب حقًا للقريب على قريبه، بحسب حاله ودرجة قرابته، فأوجبت الشريعة صلة الرحم، وحرمت القطيعة، فقال تعالى في الثناء والمدح: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ [الرعد: ٢١]، وقال في الذم: ﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ [البقرة: ٢٧]، وقال سبحانه: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾﴾ [محمد].

وعلى هذا؛ فالحديث يشبه قوله ﷺ عن الله: «**قال الله عَزَّوَجَلَّ: الكبرياء ردائي والعظمة إزاري**»[١]، ويشبه من حيث الأسلوب قوله ﷺ: «**وأنا آخذ بحُجَزكم عن النار، وأنتم تفلتون من يدي**»[٢]، وهذا الاحتمال عندي أنه أظهر، وذلك لأن جنس الرحم ليست شيئًا معينًا موجودًا في الخارج، بل الموجود أفراد الرحم، وهي القرابات التي بين الناس، كما تقدم.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٢٠)، وأبو داود (٤٠٩٠)، وابن ماجه (٤١٧٤)؛ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ولفظ مسلم فيه اختلاف يسير وهو: «**العز إزاره والكبرياء رداؤه، فمن ينازعني عذبته**».

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٨٣)، ومسلم (٢٢٨٥) واللفظ له؛ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ويحسن هنا أن نثبت قول شيخ الإسلام ابن تيمية: «هذا الحديث في الجملة من أحاديث الصفات التي نص الأئمة على أنه يمر كما جاء، وردوا على من نفى موجَبه»[(١)] اهـ.

وعلى هذا؛ فالحَقْو لله صفة له سبحانه، ليس شيئًا بائنًا عنه، ولا عدول لنا عن مذهب أهل السنة، وما نص عليه الأئمة.

وحاصل كلام أهل اللغة في الحقو أن له معنيين: حقيقي، ومجازي:

فالحقيقي موضع عقد الإزار من المتزر، ويسمى الخَصْر.

والمجازي: هو الإزار.

قال ابن الأثير: الأصل في الحَقْو مَعْقِد الإزَار، ثم سُمِّي به الإزار للمُجاورة، فمن الأصل حديث صلة الرَّحم. اهـ. ومن الثاني قوله في الحديث: قالت: فألقى إلينا حقوه، فقال ﷺ: «**أشعرنها إياه**» يعني إزاره[(٢)].

وبعد؛ فنعيد ما قاله الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ونقول: الله أعلم بمراده ومراد رسوله ﷺ، وهو سبحانه أعلم بنفسه، وهو علام الغيوب.

---

(١) في «بيان تلبيس الجهمية» (٦/ ٢٢٢) (ط. مجمع الملك فهد).

(٢) أخرجه البخاري (١٢٥٣)، ومسلم (٩٣٩)؛ من حديث أم عطية الأنصارية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

تسمية الله بالنور

السُّؤَالُ:

أمي تدعو بهذا الدعاء: «اللهم يا رب نور النور يا رب النور اجعل في قلبي راحة وسرور»، وقد قرأت في كتاب عن النصيرية في أدعيتهم تبدأ بقول: يا نور النور؛ فهل أنكر على أمي هذا الدعاء؟

الجواب:

الحمد لله؛ إن أسماء الله لا يثبت منها إلا ما جاء في القرآن أو السنة عن النبي ﷺ، فلا يسمى الله إلا بما سمى به نفسه، أو سماه به رسوله ﷺ، والنور ليس من أسماء الله الثابتة لكنه من صفاته، لكن جاء في الكتاب والسنة أنه تعالى نور السماوات والأرض، أي منوِّر السماوات والأرض بالنور الحسي والمعنوي، كما جاء عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥] قال: «هادي أهل السماوات والأرض»[(١)]، ونوره تعالى أعظم نور، لذا لا تدركه سبحانه الأبصار، أي لا تحيط به وإن رأته؛ لكمال عظمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وهذا الدعاء المذكور في السؤال لا أصل له، ولا يصح وصف الله به، وكذلك لا يصح من جهة المعنى، وهو أن يكون للنور نور، نعم؛ الله خالق الأنوار التي في المخلوقات من الشمس والقمر والنجوم وغير ذلك.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٩ / ١٧٧).

فعليك أيها الأخ أن ترشد أمَّك إلى الأدعية المشروعة الجامعة، مثل: ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، ومثل: اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى، وأن تدلها على بعض أنواع الاستغفار، مثل: اللهم اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم، وإذا أرادت أمُّك تمجيد الله بالنور فلتقل: اللهم أنت نور السماوات والأرض نور قلبي بالإيمان، أو تقول: اللهم نورَ السماوات والأرض، اللهم اجعل في قلبي نورًا، وفي لساني نورًا، وفي بصري نورًا، وفي سمعي نورًا، وعن يميني نورًا، وعن شمالي نورًا، وفوقي نورًا، وتحتي نورًا، وأمامي نورًا، وخلفي نورًا، واجعل لي نورًا، والله أعلم.

هل الله فوق الجنة أو بداخلها؟

السؤال:

هل الله موجود فوق الجنة، أم داخلها؟ وأيضًا هل اعتقاد أن الله أكبر من الكون هو جزء من العقيدة؟

الجواب:

الحمد لله العلي العظيم، الكبير المتعال، وسبحان الله العظيم، والله أكبر، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، أمَّا بعد: فإنه مما يجب الإيمان به أنه تعالى العلي الأعلى، وأنه استوى على العرش، كما أخبر بذلك عن نفسه في كتابه في غير موضع، فهو سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ فوق كل شيء، قال عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ في دعائه: «**وأنت الظاهر**

فليس فوقك شيء»[(١)]، وكذلك يجب الإيمان بأنه تعالى الكبير، وأنه أكبر من كل شيء، وأنه العظيم الذي لا أعظم منه، ومن كمال عظمته وقدرته أنه يأخذ السماوات والأرض بيديه يوم القيامة، كما قال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر].

فيجب أن يُعلم أنه تعالى مع كمال علوِّه، وكمال عظمته يمتنع أن يحلَّ في شيءٍ من مخلوقاته، فلا يجوز أن يقال: إنه تعالى في الجنة، بل هو فوق العرش الذي هو سقف الفردوس، والفردوس أعلى الجنة، قال عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ: «**فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن**»[(٢)].

ولا يجوز للمسلم أن يُفكِّر في ذات الله، أو يتخيل عظمته، فإن عقل الإنسان عاجز عن معرفة حقيقة ذات الرب، وصفاته، وكيفيتها، كما قال الإمام مالك لمَّا سئل عن كيفية الاستواء على العرش: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة».

الجمع بين علو الله وقربه سبحانه

السُّؤَالُ:

يقول الله عَزَّوَجَلَّ في القرآن: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾﴾ [المعارج]. **فهل يدل ذلك على أن الله**

(١) أخرجه مسلم (٢٧١٣)؛ من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.
(٢) أخرجه البخاري (٢٧٩٠)؛ من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

يتحكم في الأمور الدنيوية وهو جالس (مستو) على العرش؟ وعليه؛ فكيف يكون الله أقرب إلينا من أوردتنا؟

الجواب:

الحمد لله؛ ثبت بالكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فوق سماواته على عرشه وأنه العلي الأعلى، وأنه فوق كل شيء، وليس فوقه شيء، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾﴾ [السجدة]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ [يونس: ٣]، وقال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣]. وقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**وأنت الظاهر فليس فوقك شيء**»[1]، والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، ومع ذلك فقد أخبر الله سبحانه أنه مع عباده أينما كانوا: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾ [المجادلة: ٧]، بل قد جمع الله سبحانه بين ذكر علوّه على عرشه ومعيّته لعباده في آية واحدة، وذلك في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤].

وليس معنى كونه معنا أنه مختلط بالخلق بل هو مع عباده بعلمه، وهو فوق عرشه لا يخفى عليه شيء من أعمالهم.

(١) أخرجه مسلم (٢٧١٣)؛ من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

وأما قوله سبحانه: ﴿وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ١٦﴾ [ق]، فقد قال أكثر المفسرين: إن المراد هو قربه سبحانه بملائكته الموكّلين بحفظ أعمال العباد، ومن قال: المراد قربه تعالى نفسه، فسّره بقربه بعلمه، كما قيل في المعيّة.

هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة، يثبتون علوّ الله على خلقه، ومعيّته لعباده، وينزهونه تعالى عن الحلول في المخلوقات، وأما المعطلة كالجهمية ومن تبعهم فإنهم ينفون علوّه بذاته فوق المخلوقات واستواءه على عرشه، ويقولون إنه حالٌّ في كل مكان، نسأل الله تعالى الهداية لنا وللمسلمين.

سؤال عن عبارة

السُّؤَالُ:

ما قول العلماء فيمن يقول: إن علوَّ الله فوق السماوات على الاتساع الذي لا يعلم منتهاه -أي ذلك العلو- إلا الله، وما هو مجمل اعتقاد السلف في صفات الله تعالى؟

الجواب:

الحمد لله؛ قد تضافرت الأدلة السمعية من الكتاب والسنة والآثار، والأدلةُ العقلية، ودلالة الفطرة، على علوِّ الله على خلقه بذاته، ونقول: «بذاته»؛ لأن علوَّ الذات هو محل النزاع بين أهل السنة وطوائف المبتدعة؛ فإن المبتدعة لا يخالفون في علو القدْر وعلو القهر.

ومعنى علوه تعالى بذاته فوق جميع مخلوقاته: أنه تعالى فوق سماواته مستوٍ على عرشه، بائن من خلقه، كما قال ابن المبارك لما قيل له: كيف نعرف ربَّنا؟ قال: «بأنه فوق سماواته، على عرشه، بائن من خلقه»، ومعنى

«بائـن مـن خلقـه»: أنه ليس في ذاته شـيء مـن مخلوقاته، وليس فـي مخلوقاته شـيء مـن ذاته؛ فإنه تعالى منزَّه عن الحلول في المخلوقـات، خلافًا للمعطلة نفـاة العلـو؛ فـإن لهـم مقالتين: إحداهمـا: أنه بذاته فـي كل مـكان، والثانية: أنه لا داخـل العالـم ولا خارجـه، والحـق أنه خارج العالم، فوق سـماواته، مسـتو علـى عرشـه، كما أخبر بذلك عن نفسـه في قولـه: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ مـع سـت آيـات أخـرى، ومـع ذلك فأهل السـنة يؤمنـون بأنه تعالـى ينزل إلـى السـماء الدنيـا كل ليلـة، كمـا أخبر بذلـك أعلـم النـاس بربه ﷺ فيمـا تواتر عنه، وأنه سبحانه يدنو عشية عرفة، فيباهي بأهل الموقف ملائكته.

إذا تبيـن ذلـك عُلـم أن قـول القائـل: «إن علـوَّ اللـه فـوق السـماوات علـى الاتسـاع الـذي لا يعلـم منتهـاه -أي ذلـك العلـو- إلا الله» تفسـيرٌ محـدَث لـم يتكلـم بـه أحـدٌ ممـن يُعتـد بقولـه مـن أهـل العلم، فهـذا القائـل إما مبتـدئ فهو مبتدع، أو مقتدٍ، فليُبِن عمَّن اقتدى به.

وحقيقـة هـذه العبارة (الاتسـاع الـذي لا يعلم منتهاه إلا اللـه) أن ذات الله سـارية فـي الفضـاء، فهـذا مضمـون قـول من يقـول: إن الله في كل مـكان، أما مـن يقـول: إنـه لا داخـل العالـم ولا خارجـه، فحقيقة قولـه أنه لا وجـود له إلا فـي الأذهـان، ولإبطـال هـذا التصـور فـي علـو الله، لمـا قال ابـن المبـارك: إنه تعالـى فـوق سـماواته علـى عرشـه، بائـن مـن خلقـه، قيـل لـه: بحـدٍّ؟ قـال: «بحـدٍّ»، سـبحان اللـه وتعالـى عمَّـا يقـول الجاهلـون والمفتـرون علـوًّا كبيـرًا، وهـو العظيـم الـذي لا تحيـط به العقـول علمًـا، ولا تبلغه الأوهـام، ولا تدركه الأفهام، ولا تدركه الأبصار، أي: لا تحيط به رؤية.

أمـا مجمـل اعتقـاد أهـل السـنة فـي أسـماء اللـه وصفاتـه، فهو موجـود في كل مصنفـات أهـل السـنة، ومضمونـه أنهم لا يصفونه إلا بما وصف به نفسـه،

أو ما وصفه به رسوله، لا يتجاوزون القرآن والحديث، فيثبتون له تعالى ما أثبته لنفسه، وما أثبته له رسوله، من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، وينزهونه عن كل نقص وعيب، على حد قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى]، فقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ ردٌّ للتشبيه والتمثيل، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ١١﴾ ردٌّ للإلحاد والتعطيل، فمذهب أهل السنة وسط بين أهل التعطيل وأهل التمثيل، فهم أهل سواء السبيل، ونقول: اللهم اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم، غير المغضوب عليهم ولا الضالين.

القول بالحلول

السؤال:

كيف نرد على من يقول: إن الله عز جل قد تجسد في بعض مخلوقاته، كالمسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ، أو في الشجرة حينما كلم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ جزاكم الله خيرًا.

الجواب:

الحمد لله؛ إن من أسماء الله تعالى: العلي العظيم، فهو العظيم الذي لا أعظَمَ منه، وهو العلي بكل معاني العلو، فهو العلي على جميع خلقه، وذلك يقتضي أن يكون بائنًا من خلقه، ليس في ذاته شيء من مخلوقاته، ولا في مخلوقاته شيء من ذاته، فإن ذلك ينافي علوه وعظمته.

وما ذكرته أيها السائل من التجسد في المسيح هو قول لبعض النصارى، ويعبرون عن ذلك بأنه حل اللاهوت في الناسوت، يعني: حل الإله في الإنسان، ويشبه النصارى في ذلك من يقول من الرافضة

بحلول الإله في علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ والأئمةِ من بعده، ومن يقول من الصوفية: إنه تعالى يحل في الصور الجميلة.

وهذا كله من نوع الحلول الخاص.

ولا أعلم أحدًا قال: إن الله حل في الشجرة التي كلم منها موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وإنما قالت الجهمية: إن الله خلق كلامًا في الشجرة، وهو الذي سمعه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقالت الجهمية: إنه حال في كل مكان، تعالى الله عن قولهم جميعًا علوًا كبيرًا، فإنه تعالى أعظم وأكبر من أن يحيط به شيء من مخلوقاته، فإنه وسع كرسيه السماوات والأرض، وهو الذي استوى على عرشه العظيم كيف شاء، ومن له العلو المطلق كيف تحويه مخلوقاته فضلًا عن أن يحويه بعض مخلوقاته وهو العلي الكبير، وهو العلي العظيم، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون والجاهلون علوًّا كبيرًا، والله أعلم.

القول بقدم العالم، والاستواء على ظهر بعوضة

السُّؤَالُ:

ما حكم من يقول بأن الله يمكن أن يستوي على ظهر بعوضة، كما يقول الإمام ابن تيمية في صريح المنقول؟ وأين الدليل من

الكتاب والسنة في ذلك؟ وما حكم القائل بقدم العالم؟ وهل يجوز قراءة هذا الكلام الخطير؟ وشكرًا.

الجواب:

الحمد لله؛ لقد أخبر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنه استوى على العرش في سبعة مواضع من القرآن، فآمن بذلك أهل السنة، وأثبتوا الاستواء بمعناه، وقالوا: الاستواء معلوم -يعني: معلوم معناه في اللغة العربية؛ لأن القرآن نزل بلسان عربي مبين- والكيف مجهول، فكيفية الاستواء على العرش هو مما استأثر الله بعلمه، كما يقولون: إن استواء الله تعالى لا يماثل استواء المخلوق، وقالوا: إن استواءه فعل من أفعاله القائمة به والتي تكون بمشيئته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهو فعَّال لما يريد.

والذي قال إنه يمكن استواؤه على بعوضة، أو لو أخبرنا أنه استوى على بعوضة لسلمنا بذلك: هو عثمان بن سعيد الدارمي، لا ابن تيمية رَحِمَهُمَااللَّهُ، وقد قال هذا مبالغة في الرد على من أنكر استواء الله على عرشه، ولا أذكر نص عبارته، ولو لم يأت بهذا التعبير لكان أولى، فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على كل شيء قدير، والظاهر أنه لم يقل إنه تعالى يمكن استواؤه على ظهر بعوضة، بل لعله قال: لو أخبرنا بذلك لآمنا به، فإنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أصدق الصادقين، ولا يلزم من هذا الافتراض أن يكون ممكنًا، فضلًا عن أن يكون واقعًا، فإنه تعالى قد قال: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢].

وأما القول بقدم العالم، أي: بقدم هذا العالم المشهود الذي منه السماوات، فقول باطل، فإن هذا العالم مخلوق في ستة أيام، كما أخبر الله، بل إن السماوات والأرض كان خلقها بعد تقدير مقادير الخلائق بخمسين ألف سنة، فهذا العالم الموجود محدث وليس بقديم، والقول بقدمه هو قول ملاحدة الفلاسفة الذين يسمون الخالق سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ العلةَ الأولى ومبدأَ الوجود، ويقولون إنه علة تامة للموجودات في الأزل، والعلة التامة تستلزم معلولها، فهذا العالم عندهم قديم بقدم علته، ومعناه أن وجوده لم يُسبق بعدم.

وكأن السائل يُعرّض بالإمام ابن تيمية حيث يقول بقدم جنس العالم أو جنس المخلوقات، أو بتسلسل الحوادث، أو بدوام الحوادث في الأزل، وهذه عبارات مؤداها واحد، ومعنى هذا: أن الله لم يزل يخلق ويفعل ما يشاء، فما من مخلوق إلا وقبله مخلوق إلى ما لا نهاية؛ لأن الله لم يزل موجودًا، ولم يزل على كل شيء قديرًا، ولم يزل فعَّالًا لما يريد، فيقتضي ذلك أن المخلوقات لم تزل، أو أقل ما يقال إنه يمكن ذلك، فإنه لا يلزم من تسلسل الحوادث محذور؛ لأنه لا يستلزم أن يكون شيء من الموجودات مشاركًا لله في قدمه؛ لأن كل مخلوق حادث بعد أن لم يكن، فهو مسبوق بعدم نفسه، والله تعالى لم يسبق وجوده عدم، بل هو سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ قديم أزلي، فلا بداية لوجوده، ولا نهاية، ومن أسمائه الأول والآخر، فهو الأول فليس قبله شيء،والآخر الذي ليس بعده شيء.

والذين ينكرون على ابن تيمية هذا القول -وهو ليس قول ابن تيمية وحده، بل قول كل من يؤمن بأن الله لم يزل على كل شيء قديرًا، ولم

يزل فعَّالًا لما يريد- فالذين ينكرون هذا القول لم يفهموا حقيقته، ولو فهموا حقيقته لما أنكروه، فالذين ينكرون تسلسل الحوادث في الماضي أو دوامها في الماضي، ويقولون إن ذلك ممتنع يلزمهم أن الله كان غير قادر، ثم صار قادرًا، وغير فاعل ثم صار فاعلًا، وهذا يقول به كثير ممن يقول بامتناع حوادث لا أول لها، ومن قال بامتناع دوام الحوادث في الماضي، وقال مع ذلك بأن الله لم يزل قادرًا وفاعلًا كان متناقضًا، ويلزمه الجمع بين النقيضين.

وبسبب اعتقاد أن دوام الحوادث في الماضي أو المستقبل ينافي أوليته سبحانه وآخريته، قيل بامتناع دوام الحوادث في الماضي وفي المستقبل فنتج عن ذلك القول بفناء الجنة والنار، وهذا ما ذهب إليه جهم بن صفوان ومن تبعه، وهذا ضرب من الكفر بما أخبر الله به ورسوله ﷺ، والله تعالى قديم بلا ابتداء، دائم بلا انتهاء، كما في عبارة الإمام الطحاوي، أما ما سوى الله فكلٌّ مسبوقٌ بعدم نفسه،ومن شاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بقاءه على الدوام وأنه لا يفنى فهو باقٍ بإبقاء الله له بمشيئته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كالجنة والنار، فلا يكون شيء من المخلوقات مشابهًا لله في خصائصه؛ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ⑪﴾ [الشورى].

الكبرياء ردائي

السُّؤَالُ:

في الحديث يقول الله تعالى: «العز إزاري...»، فهل هناك رداء حقيقة؟

الجواب:

الحمد لله؛ ثبت عن النبي ﷺ أن الله يقول: «**الكبرياء ردائي والعظمة إزاري، فمن نازعني واحدًا منهما قذفته في النار**»[1] وفي لفظ مسلم[2]: «**العز إزاره، والكبرياء رداؤه، فمن ينازعني عذبته**»، فيجب الإيمان بذلك وإثبات العظمة والعز والكبرياء لله، فالكبرياء والعظمة والعز صفات من صفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فهو العظيم، وهو العزيز الجبار المتكبر، وله الكبرياء في السماوات والأرض، وهو العزيز الحكيم، ولا يلزم من إطلاق لفظ الإزار والرداء أن تكون العظمة والعز والكبرياء أشياء منفصلة عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ونقول: آمنا بالله وما جاء عن الله على مراد الله، وآمنا بما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله ﷺ؛ كما قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والله أعلم.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٠٩٠)، وابن ماجه (٤١٧٤)؛ من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٢٠)؛ من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

الكبرياء ردائي والعظمة إزاري

السؤال:

حديث: «الكبرياء ردائي والعظمة إزاري»[١] أهو كناية؟ وإذا كان كناية؛ فهل هذا يعد خروجًا عن الظاهر؟

الجواب:

الحمد لله؛ نقول: نعم؛ هو كناية عن اختصاصه -سبحانه- واتصافه بالعظمة المطلقة والكبرياء المطلق. ومن أساليب العرب قولهم: فلانٌ مُتَوشِّحٌ بالكرم، ومُتَّزِرٌ بالمجد.

وهذا - أي القول بالكناية- هو ظاهر اللفظ، فالعظمة والكبرياء صفتان قائمتان به تعالى، لا شيئان منفصلان عنه، كما في المجد والكرم في قول العرب، فإنه لا يقول عاقل: إن الكرم والمجد شيئان منفصلان يلبسهما ويخلعهما، وأن هذا هو ظاهر اللفظ، ومن قال بذلك فقد لبَّس وقال خلاف العقل.

ومما يتصل بمعنى هذا الحديث أن التكبير والتسبيح جاءا في مواضعهما مناسبين لمعنى هذا الحديث، فالتكبير في حال الارتفاع، والتسبيح في حال الانخفاض، وهما في الصلاة كذلك، قال جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كنا مع رسول الله ﷺ إذا علونا كبرنا، وإذا هبطنا سبَّحنا،

---

(١) أخرجه بهذا اللفظ أحمد (٧٣٨٢)، وفي مواضع أخرى ط. التركي)، وأبو داود (٤٠٩٠)، وابن ماجه (٤١٧٤). قال محققو المسند: «حديث صحيح وإسناده حسن».

فوضعت الصلاة على ذلك»[١]. وقد نبه على هذا التناسب شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، كما في مجموع الفتاوى ج١٦ ص١١٣، والله أعلم.

هل من أسماء الله (الضَّار) و(المذِل)؟

السؤال:

هل الاسمان (الضَّارُّ) و(المذل) من أسماء الله الحسنى، أو لا؟ أفتونا مأجورين، وجزاكم الله خيرًا.

الجواب:

الحمد لله؛ (الضَّارُّ) ليس من أسماء الله، بل من أسمائه التي ورد ذكرها في بعض روايات حديث أبي هريرة الذي فيه سرد الأسماء الحسنى، وفيه مقال عند أهل العلم[٢]، وجاء فيه «**النافع الضار**»، فالكلمتان اسم واحد، فهو من الأسماء المزدوجة، فالاسم مجموع الكلمتين، فهو سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ (النافع الضار)؛ لأنه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ هو خالق كل شيء، خالق الخير والشر، وهو سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ الذي لا يأتي بالحسنات إلا هو، ولا يدفع السيئات إلا هو، ولا يكون في ملكه إلا ما يشاء، ومن الإيمان: الإيمان بالقدر خيره وشره، فلا يجوز أن يقال: إن الله تعالى

(١) أخرجه أبو داود (٢٥٩٩)؛ من حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا.

(٢) الترمذي (٣٥٠٧) وابن ماجه (٣٨٦١)؛ عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، وقال الترمذي حديث غريب، قال ابن كثير في «التفسير» (٣/ ٣١٥): «والذي عول عليه جماعة من الحفاظ أن سرد الأسماء في هذا الحديث مدرج فيه»، ونحو ذلك لابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٦/ ٣٧٩) والحافظ في بلوغ المرام (ص٢٥٤).

هو الضار، بل يقال: هو النافع الضار، وهو الذي يعز ويذل؛ يعز من يشاء ويذل من يشاء.

وليس من أسمائه (المذل)، ولا أذكر أنه ورد اسم (المعز المذل) في سرد أسمائه الحسنى؛ بل الذي ورد في القرآن: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران]، والله أعلم.

صفة المكر والخداع

السؤال:

أحسن الله إليكم يقرر بعض علماء أهل السنة، أن المكر والخداع ونحوهما من صفات الله لا تطلق عليه تبارك وتقدس إلا في حال دون حال؛ لكونها دالة على ما يمدح ويذم، ولأنها إنما وردت على سبيل المقابلة لأفعال الكافرين، وقد نص بعض الأئمة على أنها لا تطلق إلا على وجه الجزاء، فهل يقال: إن هذه الصفات إنما تطلق على وجه المقابلة والجزاء أو المشاكلة؟ وهل لها خصوصية بذلك عن صفات الأفعال التي يطلقها أهل السنة؛ كالاستواء والغضب والسخط أو الفرح والضحك؟ فهي كذلك إنما وردت في سياقات مقيدة بأمور أو أحوال وأفعال إنما تكون كمالًا بها؟ أو يثبت الجميع مطلقًا لكون المطلق يصح حمله على بعض أفراده؟ أفيدونا شكر الله لكم.

الجواب:

الحمد لله؛ كل ما أخبر الله به من أفعاله تعالى فإن أهل السنة يثبتونه على وجهه ومعناه الذي يقتضيه سياقه، وما ثبت نوعه ثبت جنسه؛

كالنزول إلى سماء الدنيا، واستوائه على العرش، ومجيئه يوم القيامة، فيصفونه بمطلق النزول والاستواء والمجيء إذا شاء، فثبوت المقيَّد من أفعاله تعالى يستلزم جواز المطلق بقيد المشيئة، فتكليمه تعالى لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يدل على أنه يتكلم إذا شاء بما شاء، ويكلم من شاء، وغضبه على قاتل المؤمن عمدًا يدل على أنه يغضب إذا شاء على من شاء.

وكل هذه الأفعال لا يسبق منها إلى فهم أحد من أهل السنة معنى مذموم، أما المعطلة فعندهم أن إضافة الصفات والأفعال إلى الله يستلزم التشبيه.

وأما الأفعال المسؤول عنها؛ كالمكر والاستهزاء والسخرية، فأهل السنة يثبتونها لله حقيقة بالمعنى الذي تقتضيه سياقاتها، لكن لمَّا لم ترد إلا في مقابلة أفعال من الكفار والمنافقين جزاء عليها على سبيل «الجزاء من جنس العمل» صار أهل السنة لا يضيفونها إلى الله إلا على وجه المقابلة، أو مع التقييد في الكفار والمنافقين، ولا سيما أنه يسبق إلى فهم بعض الناس المعنى المذموم في السخرية والاستهزاء والخديعة، فاحتيج لذلك إلى مراعاة التقييد، وإلا فلا يمتنع أن يقال: إن الله يمكر بمن شاء، ويستهزئ ويسخر بمن شاء، وهو الحكيم العليم، بل إنه تعالى أثنى على نفسه بأنه خير الماكرين، ومعلوم أن كل أفعاله تعالى الجزائية متضمنةٌ للعدل والحكمة.

ولدفع توهم النقص من إضافة هذه المعاني إلى الله جرى كثير من أهل السنة على عدم إطلاقها على الله إلا بقيد المقابلة للدلالة على أن كل ذلك واقعٌ من الله على وجه المجازاة.

ومِن أهل السنة من يقول: إن إضافة هذه المعاني إلى الله جاء على وجه المشاكلة اللفظية، ومعنى هذا أن الله سمَّى عقوبته للماكرين

والمستهزئين والمخادعين والساخرين بهذه الأسماء على وجه المجاز المرسل، تسمية للمسبَّب باسم السبب، وهذا يقتضي أن الله لا يفعل شيئًا من ذلك حقيقة، وهذا خطأ؛ لأنه تأويل، ولهذا يرتضي هذه الطريقة نفاة الصفات والأفعال، ولا يَرِد هذا الإشكال على قول من يضيف هذه الأفعال إلى الله، ويقول: إن ذلك على وجه المقابلة؛ لأن معنى ذلك أن الله يستهزئ أو يمكر حقيقةً جزاءً للمستهزئين والماكرين من قبيل: «الجزاء من جنس العمل».

ولذا أقول: الصواب عند إضافة هذه الأفعال إلى الله التقييد بالمقابلة لا بالمشاكلة، ولا أرى هذا التقييد شرطًا، بل ذلك أولى، والله أعلم.

نسبة (الحَنَان) و(العَطْف) لله تعالى

السؤال:

هل (الحنان) و(العطف) من أسماء الله تعالى؟ وهل يجوز للمسلم أن يدعو قائلًا: يا رب أنعم علينا بعطفك وحنانك؟ وجزاكم الله خيرًا.

الجواب:

الحمد لله؛ أما العطف فلا أعلم أنه وردت نسبته إلى الله في شيء من النصوص، وأما الحنان فقد ورد في مسند الإمام بسند ضعيف جدًّا عن أنس مرفوعًا: «**أن عبدًا في جهنم ينادي ألف سنة: يا حنَّان يا منَّان**»[1].

(١) مسند الإمام أحمد (١٣٤١١).

ولكن يلاحظ أن لفظ (العطف) ورد في بعض كلام بعض المفسرين كمجاهد، فإنه قال في قوله تعالى: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾ [مريم: ١٣]: «تعطفًا من ربه عليه»[(١)]. وكذلك ورد في كلام ابن القيم[(٢)] بنحو هذا. فلعله يعتبر مما يصح في الخبر دون الوصف، حيث إن باب الخبر أوسع -كما في القاعدة المقررة- والعطف قريب معناه من الرحمة، والله أعلم.

عبارة: اللهم اكلأه بعين رعايتك

السؤال:

هل يجوز قول هذه العبارة أثناء الدعاء: اللهم اكلأه بعين رعايتك؟ وما معناها؟ وجزاكم الله خيرًا.

الجواب:

الحمد لله؛ قوله: اكلأه؛ يعني: احفظه، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الأنبياء: ٤٢]، يعني: من يحفظكم، فهو دعاء بالحفظ.

قوله: «بعين رعايتك»، يعني: احفظه برعايتك وعنايتك، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يخص من يشاء بحفظٍ ورعاية ونظر، ومثل هذا الدعاء لا يُدعى به إلا للمسلم، ولا يدعى به لكافر ولا فاجر، فإن هذا الدعاء يدل على الحفاوة بالمدعو له، والحرص على سلامته، وأهل السنة والجماعة

---

(١) «تفسير الطبري» ط هجر (١٥/ ٤٧٦).

(٢) ينظر على سبيل المثال: «طريق الهجرتين وباب السعادتين» (ص: ٣١٧)، و«الفوائد لابن القيم» (ص: ١٣٨).

يثبتون لله عينين يرى بهما وينظر بهما كيف شاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، كما قال تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤]، وقال: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨]، والآيتان تتضمنان الإخبار من الله برعايته وعنايته بعبده ورسوله نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ ومن معه، وبعبده ورسوله محمد ﷺ، والله أعلم.

وصف الله بأن له عيونا

السُّؤَالُ:

رأيت في بعض المساجد مكتوبًا في شاشة الإعلانات عبارة «إن عليك عيونًا من الله تراك»، فما رأي سماحتكم في إضافة العيون إلى الله مجموعة في هذا السياق، لعدم المسوغ للجمع في مثل قوله تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤]؟

الجواب:

الحمد لله؛ إن من مذهب أهل السنة والجماعة أن لله يدين وعينين، وقد جاء ذكر اليدين في القرآن مثنى ومفردًا في حال الإضافة إلى المفرد، ومجموعًا في حال الإضافة إلى ضمير الجمع، كقوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] ﴿بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ [الملك: ١] ﴿مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا﴾ [يس: ٧١]، وورد ذكر العينين بلفظ المفرد حال الإضافة للمفرد: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴿٣٩﴾﴾ [طه]، وبلفظ الجمع مضافًا إلى ضمير الجمع ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤]، واتفق أهل السنة على أن لله عينين، وإذا أخبر العبد عن ربه عن يديه أو عينيه فلا يذكرهما إلا بلفظ الإفراد أو التثنية، ولا يذكرهما بلفظ الجمع؛ لأن العبد لا يذكر ربه إلا بصيغة التوحيد

والإفراد؛ فتقول: خلق الله آدم بيده أو بيديه، ولا تقول: بأيديه، وتقول: يراك بعينه أو بعينيه، ولا تقول: بأعينه.

وعلى هذا؛ فلا يجوز هذا القول: «إن عليك عيونا من الله تراك»؛ وهي الجملة المسؤول عنها؛ فإن هذا يساوي: فإن عيون الله تراك، ولا مسوغ لهذا الجمع، فيجب اجتناب هذا التعبير، وأن يستبدل به: إن عين الله تراك، أو: فإن الله يراك، وهو أولى؛ لقوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾﴾ [الشعراء]، والله أعلم.

قول البخاري: «إلا وجهه»: إلا ملكه. هل هو تأويل؟

السؤال:

احتج بعض الجهمية المعاصرين أن الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ مؤول في الصفات حيث قال في تفسير قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]: «إلا ملكه»، فهل هذا صحيح؟ وهل هو تأويل؟ وكيف يرد عليهم؟

الجواب:

الحمد لله؛ قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨] في قوله: ﴿إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ ثلاثة أقوال:

١. ﴿إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾: إلا هو.

٢. إلا ما أريد به وجهُهُ.

٣. إلا مُلْكَه.

ذكر منها ابن جرير[١] الأول والثاني، ولم يُسند أيًّا منهما، ولم يعين القائل، وأسند القول الثاني عبدُ بن حميد عن ابن عباس، وابنُ أبي حاتم عن مجاهد، والبيهقيُّ عن سفيان الثوري، كما في الدر المنثور[٢]، وحكى البغوي في تفسيره وكذا الماوردي الأقوال الثلاثة، وعزا الماوردي القول الأول للضَّحَّاك[٣].

والقول الثالث هو الذي ذكره البخاري في تفسير الآية، واختلفت نسخ البخاري في هذا الموضع، ففي النسخ التي بأيدينا: «﴿إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾: إلا ملكه»[٤]، وفي رواية أبي ذر للصحيح التي حققها الشيخ عبد القادر شيبة الحمد رحمه الله وجزاه خيرًا (٣/ ١٠٠): بلفظ: «يقال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾: إلا ملكه» اهـ. أي مصدرًا بصيغة التمريض «يقال»، وقال الحافظ ابن حجر في الفتح[٥]: «وفي رواية النسفي: وقال معمر: إلا ملكه»، ثم استدرك الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأن الموجود في كتاب مجاز القرآن لمعمر: «[﴿إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾]: إلا هو»، وهو كذلك في النسخة المطبوعة من مجاز القرآن، وعزا الثعلبي في تفسيره هذا القول -أي إلا ملكه- إلى ابن كيسان، ونقل ذلك عن الثعلبي ابنُ تيمية، كما في مجموع الفتاوى (٢/ ٤٢٨).

إذا تقرر ذلك فنستنتج الأمور الآتية:

---

(١) «تفسير الطبري» (١٨/ ٣٥٣).
(٢) «الدر المنثور في التفسير بالمأثور» (٦/ ٤٤٧).
(٣) «تفسير الماوردي» (٤/ ٢٧٢)، «تفسير البغوي» (١/ ١٣٩).
(٤) «صحيح البخاري» (٦/ ١١٢).
(٥) «فتح الباري» (٨/ ٣٦٤).

أولًا: أن القول الثاني ﴿إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾: إلا ما أريد به وجهه، هو المأثور عن أكثر السلف.

ثانيًا: أن القول الأول ﴿إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾: إلا هو، هو الذي عليه أكثر المتأخرين من المفسرين، وهو يتضمن تفسير الوجه بالذات، فمن كان من مثبتة الوجه والصفات لله، وأراد أن الآية تدل على إثبات البقاء وإثبات الوجه لله، فقد أصاب؛ فإن الآية تدل على الأمرين معًا، ومن كان من نفاة الصفات، وأراد تفسير الوجه بالذات لصرف الآية عن الدلالة على إثبات الوجه، فقوله من التأويل الباطل.

ثالثًا: أن القول المأثور عن السلف لا ينافي قول من قال: ﴿إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾: إلا هو؛ فإن السلف يستدلون بالآية على بقائه سبحانه، وعلى بقاء ما أريد به وجهه من الأعمال، وسياق الآية يقتضي ما جاء عن السلف: ﴿إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾: إلا ما أريد به وجهه؛ فسياق الآية في تقرير التوحيد والنهي عن الشرك، ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨].

رابعًا: أن القول الثالث «إلا ملكه» لا يصح الاعتراض به على البخاري، ولا ينسب البخاري به إلى التأويل:

١. لأنه ذكره حاكيًا له.

٢. ولما تقدم من اختلاف نسخ الصحيح في هذا الموضع، وأن هذا اللفظ «إلا ملكه» إنما وقع في رواية النسفي، حكايةً عن معمر أبي عبيدة.

والأشبه أن لفظة «إلا ملكه» تحريف من الناسخ؛ لأنه خلاف ما في كتاب أبي عبيدة، كما تقدم، وبهذا ليس لأحد أن يحتج بما وقع في هذا الموضع من الصحيح على أن البخاري من أهل التأويل؛ فإن مذهب البخاري في الصفات والوجه معروف، والله أعلم.

إضافة التردد والملل والظل إلى الله تعالى

السُّؤَالُ:

إن معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته هو إثبات ما ورد في الكتاب والسنة:

هل (التردد –الملل – الظل..) تدخل في ذلك؟

الجواب:

الحمد لله؛ هذه الألفاظ لا شك أنها وردت مضافة إلى الله في أحاديث صحيحة، ولكن دلالة الأحاديث على اعتبارها صفة لله، أو غيرَ صفة دلالتها مختلفة.

فأما التردد فإنه بالمعنى الذي ورد في الحديث القدسي: «**وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته، [ولا بد له منه]**»[1] هو صفة فعلية، ومعناها كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: تعارض إرادتين: إرادة قبض نفس المؤمن، وكراهةِ الله لما يسوء المؤمنَ، وهو الموت. وليس هذا التردد من الله ناشئًا عن الجهل بمقتضى الحكمة، ولا الجهل بما ينتهي إليه الأمر فهذا تردد

(١) أخرجه البخاري (٦١٣٧)؛ من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

المخلوق، بل هو سبحانه العليم الحكيم، فهذا التعارض بين إرادتيه سبحانه هو تردد مع كمال العلم بالحكمة، ومنتهى الأمر، ولهذا قال في الحديث: «**ولا بد له منه**». فتردد المخلوق الناشئ عن جهله نقصٌ، بخلاف التردد من الله فلا نقص فيه بل هو متضمن للكمال؛ كمال العلم، وكمال الحكمة.

وأما الملل المذكور في قوله ﷺ: «**اكْلَفوا من العمل ما تطيقون؛ فإن الله لا يملُّ حتى تملوا**»[1]، فالعلماء مختلفون في دلالة الحديث على إثبات الملل صفة لله تعالى:

فقال بعضهم[2]: إنه لا يدل على إثبات الملل، وإنه من جنس قول القائل: فلان لا تنقطع حجته حتى ينقطع خصمه. لا يدل على إثبات الانقطاع.

ومنهم من قال[3]: إنه يدل على إثبات الملل، وتأوله بقطع الثواب، فمعناه أن الله لا يقطع الثواب حتى تقطعوا العمل ففسروا اللفظ بلازمه.

ويمكن أن يقال: إنه يدل على إثبات الملل صفة لله تعالى في مقابل ملل العبد من العمل بسبب تكلفه وشَقِّه على نفسه، والملل من الشيء يتضمن كراهته، ومعلوم أن الله تعالى يحب من عباده العمل بطاعته ما لم يشقوا على أنفسهم ويكلفوها ما لا تطيق، فإن الله يكره منهم العمل في هذه الحال، والله أعلم بالصواب.

---

(١) خرجه أبو داود (١٣٧٠)، والنسائي (٧٦٢)؛ من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وأصله في البخاري (٤٣)، ومسلم (٧٨٢).

(٢) وهذا قول ابن قتيبة في «تأويل مختلف الحديث» (ص٣٥٠).

(٣) «مشكل الحديث وبيانه» لابن فورك (ص: ٢٧٢).

وأما الظل المضاف إلى الله بقوله ﷺ: «**سبعة يظلهم الله في ظله**»[١]، فالصواب عندي أنه ليس صفة لله تعالى، بل هو ظل العرش كما جاء في رواية[٢]، أو أيُّ ظل يقي اللهُ به من شاء من حر الشمس في ذلك اليوم؛ كظل الصدقة، كما في الحديث «**المؤمن يوم القيامة في ظل صدقته**»[٣]، فعلى هذا تكون إضافة الظل إليه من إضافة المخلوق إلى خالقه، ولم أقف على كلام في هذا لأحد من أئمة السنة المقتدى بهم، والله أعلم.

معنى (لا ظل إلا ظله)

السؤال:

ما معنى قوله ﷺ: «يوم لا ظل إلا ظله» وهل فيه إثبات الظل لله، أم المراد ظل العرش؟

الجواب:

الحمد لله؛ الظل المضاف إلى الله في الحديث ليس صفة لله؛ لأن المراد به -والله أعلم- ما يستظل به المؤمنون مِن ظل أعمالهم، كما

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢٩)، ومسلم (١٠٣١)؛ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) عند الحاكم (٧٣١٥)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٩١٣١)، وقال الحاكم: «وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه». وقال ابن حجر «فتح الباري» (٢/ ١٤٤): «وقيل: المراد: ظل عرشه، ويدل عليه حديث سلمان، عند سعيد بن منصور بإسناد حسن: «**سبعة يظلهم الله في ظل عرشه**» فذكر الحديث».اهـ.

(٣) أخرجه بهذا اللفظ القضاعي في مسند الشهاب (١٣٧)؛ من حديث عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه ابن حبان (٣٣١٠)، وابن خزيمة (٢٤٣١)، والحاكم (١٥١٧)، وأكثر روايات الحديث بلفظ: «كل امرئ في ظل صدقته».

في الحديث: «**كل امرئٍ في ظل صدقته حتى يُفصل بين النَّاس**»(١)، فلا ظل في ذلك اليوم الذي تدنو فيه الشمس من الخلائق إلا ما يُظل الله به عباده بأعمالهم الصالحة، والله أعلم.

إثبات الملل صفة لله

السُّؤَال:

حديث: «إن الله لا يمل الله حتى تملوا» ما معنى الحديث؟ وهل الملل صفة لله تعالى؟

الجواب:

الحمد لله؛ ذهب ابن قتيبة في كتابه تأويل مختلف الحديث(٢) إلى أن هذا الحديث لا يدل على إثبات الملل صفة لله، وأنه من جنس قول القائل: لا تنقطع حجة فلان حتى ينقطع خصمه.

وإذا قيل: إنه يدل على إثبات صفة الملل لله؛ فليس هو كملل المخلوق الذي يتضمن الضجر، بل يدل على ما يليق بالله تعالى من كراهة عمل من يشق على نفسه حتى يمل العبادة.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (١٧٣٣٣)، وصححه الحاكم (١٥١٧)، وابن حبان (٣٣١٠)، وابن خزيمة (٢٤٣١).

(٢) «تأويل مختلف الحديث» (ص ٣٥٠).

(التـردد) من صفات الله

السؤال:

كيف يفسر التردد المضاف إلى الله في الحديث القدسي، وهو قوله تعالى: «وما ترددت في شيء ترددي في قبض روح عبدي المؤمن»[(١)]؟

الجواب:

الحمد لله؛ التردد: تعارض إرادتين؛ وهو نوعان:

الأول: نوع منشؤه الجهل بخير الأمرين وبمقتضى الحكمة مع الجهل بما ينتهي إليه الأمر، وهذا التردد من خصائص المخلوق.

الثاني: تعارض إرادتين مع العلم بموجَب الحكمة، وأنه هو الذي يتحقق في الواقع. وهذا واضح من قوله في الحديث: «**يكره الموت وأكره مساءته، ولا بد له منه**»[(٢)]، فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يكره ما يسوء عبده المؤمن وهو موته، ولكنه قد قضى بحكمته البالغة بالموت على كل نفس.

فتعارُضُ كراهةِ الموت والحُكمِ بالموت هو التردد المذكور في الحديث، فتفسيره في نفس الحديث، والله أعلم.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٠٢)؛ من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ولفظه: «**وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته**».

(٢) أخرجه بهذا اللفظ القضاعي في «مسند الشهاب» (١٤٥٦)، وأصله كما تقدم عند البخاري وغيره.

قل: يا رب، فهو معك دوما

السؤال:

«عندما تضيق بك الطرقات وتجد نفسك وحيدًا، قل: يا رب، فهو معك دومًا»، هذه العبارة هل فيها محظور شرعي؟ أفيدوني جزاكم الله خيرًا.

الجواب:

الحمد لله؛ قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، فالله مع عباده أينما كانوا، لا تخفى عليه من أحوالهم خافية، وهو معهم يسمعهم ويراهم أينما كانوا، وهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فوق سماواته على عرشه، فهذه العبارة المذكورة صحيحة، وهي تتضمن التذكير بمعية الله للعبد المعية العامة، فإذا شعر الإنسان بالوحدة فليتذكر أن الله معه، يراه ويسمعه، ويعلم سره وعلانيته، ويعلم ما في نفسه، قال تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ⑦﴾ [المجادلة]، والله أعلم.

عبارة «الله معي» أو «الله قريب مني»

السؤال:

هل يجوز أن نقول: الله معي «بقربي»، أو الله قريب مني؟ أشعر أن الله أحيانًا كثيرًا في قلبي حتى أتذكر أن الله يراني ويحميني مما

يصادفني من الصعاب والقهر والغضب...إلخ، وأرغب في تطوير شعور أكثر بالقرب من الله؟ وشكرًا لكم.

الجواب:

الحمد لله رب العالمين؛ يجب الإيمان بأن الله مع عباده أين ما كانوا بعلمه وسمعه وبصره، فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على عرشه لا يخفى عليه من أعمال عباده وأحوالهم خافية، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [المجادلة]، وقال سبحانه: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الحديد]، وهذه معية عامة بجميع الخلق، فمن قال وآمن بأن الله معه، بمعنى أنه يراه ويسمعه ويعلم أحواله، فهذا الحق، وهو من الإيمان الذي فرضه الله على عباده.

كما يجب الإيمان بأن الله مع أوليائه المتقين وعباده المؤمنين، فهو معهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يكلؤهم بحفظه ويؤيدهم بنصره، وهذه المعية تسمى معية خاصة، وهذه المعية لا يجوز للإنسان أن يجزم بها لنفسه، بل يسأل الله أن يكون معه ويرجو ذلك، فإذا شعر الإنسان بأن الله معه وهو متوكل عليه ومستقيم على طاعته؛ فذلك من حسن ظنه بالله، وإيمانه بأن الله لا يضيع عبده المؤمن، بل يجعل له من كل هم فرجًا، ومن كل ضيق مخرجًا ويكفيه كل ما يخافه، ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾﴾ [الطلاق]، والله أعلم.

وصف الله جل وعلا بالجلوس

السُّؤَالُ:

هل يصح تفسير الاستواء بالجلوس؟ وهل يوصف الله بالجلوس؟

الجواب:

الحمد لله؛ لقد أخبر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن نفسه بأنه استوى على العرش في سبعة مواضع من القرآن، وجاء في السنة وصفه بأنه فوق العرش، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه]، وقال ﷺ: «**والعرش فوق الماء، والله فوق العرش، ويعلم ما أنتم عليه**»[1]، وجاء عن السلف تفسير الاستواء بأربع عبارات: علا، وارتفع، واستقر، وصعد، أشار إليها ابن القيم في الكافية الشافية[2] بقوله:

فلهم عبارات عليها أربعٌ ... قد حُصِّلت للفارسِ الطَّعانِ
وهْيَ استقرَّ، وقد علا، وكذلك ار ... تفعَ الذي ما فيه من نُكرانِ

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٢٣)، والترمذي (٣٣٢٠)، وقال: حسن غريب، وابن ماجه (١٩٣) - وليس فيه عندهم «**وهو يعلم ما أنتم عليه**»- وأحمد (١٧٧٠) وفيه: «**وليس يخفى عليَّ من أعمال بني آدم شيء**»، وغيرهم، جميعهم؛ من حديث العباس بن عبد المطلب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال ابن تيمية في «العقيدة الواسطية» (ص٢١): حديث حسن.

(٢) «الكافية الشافية بشرح ابن عيسى» (١/ ٤٤٠).

وكذاكَ قد صعِدَ الذي هو رابعٌ
وأبـو عبيـدةَ صاحـبُ الشَّـيباني
يختـارُ هـذا القـولَ فـي تفسـيرِه
أدْرى مــن الجّهمــيِّ بالقُــرآن

ولم يذكر لفظ الجلوس، ولكن أهل السنة لا ينكرون ذلك بل المبتدعة هم الذين ينكرونه، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة التدمرية:

فيظن هـذا المتوهم أنه تعالى إذا كان مستويًا على العرش كان استواؤه مثل استـواء المخلـوق، فيريـد أن ينفـي ذلك الـذي فهمه فيقول: إن استـواءه ليس بقعود، ولا استقرار. اهـ بتصرف واختصار.

وقـد جـاءت آثـار فيهـا ذكـر القعـود، والجلـوس، وذكرهـا الأئمـة فـي كتـب السـنة فـي معـرض الرد علـى نفاة العلـو والاستواء، كالأثر الـذي جاء عـن مجاهد في تفسير المقام المحمـود: بإقعاد النبي ﷺ على العرش.[١]

وإن كانـت هـذه الآثـار لا تخلـو عـن مقال، فذكـر الأئمة لها للاستشـهاد والاعتضـاد لا للاعتمـاد، وقـد حكـى غير واحد من أهل السـنة صحة تفسـير المقـام المحمـود بإقعـاده ﷺ علـى العـرش، وأنـه لا ينكـر ذلـك إلا جهمـي؛ فظهـر أن لفـظ القعـود والجلـوس لا يجوز نفيه عـن الله سبحانه، وأما إثباته ووصـف الله بـه فينبني على صحـة ما ورد من الآثار في ذلك، والله أعلم.

(١) ينظر: «تفسير الطبري» (١٧ / ٥٢٩).

الدعاء بـ «يا حبيبي يا ألله»

السُّؤَالُ:

أنا أحب الله جدًّا ودائمًا أناجيه بكلمة يا حبيبي يا ألله، فهل هذه الكلمة فيها معنى غلط؟ وجزاكم الله كل خير.

الجواب:

الحمد لله؛ لا شك أن محبة العبد لربه من الأحوال الإيمانية والأحوال القلبية التي تكون بين العبد وربه، والله تعالى يُحِب ويُحَب، يحب المتقين والمتطهرين والتوابين والمقسطين، ويحب أولياءه ويحبه أولياؤه، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، فنسأل الله أن يجعلنا من أوليائه الذين يحبهم ويحبونه.

ولكن ليس من أسماء الله تعالى الحبيب، بل من أسمائه الودود، والولي الحميد والبر الرحيم، وقد قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، فينبغي أن تدعو الله بأسمائه التي سمى بها نفسه وأمرك أن تدعوه بها، والتوسل إلى الله في دعائه بأسمائه وصفاته هو أفضل التوسل، وأعظم أسباب الإجابة بعد الإيمان به سبحانه، وطاعته وطاعة رسوله ﷺ، والله أعلم.

الدعاء بـ«يا ساكن العرش»

السُّؤَالُ:

قرأت في كتاب الإبانة لأبي الحسن الأشعري قوله في معرض ذكره لأدلة استواء الله على العرش: «ومن دعاء المسلمين جميعًا إذا هم رغبوا إلى الله عَزَّوَجَلَّ في الأمر النازل بهم أنهم يقولون: يا ساكن العرش»[(١)] فهل ورد هذا اللفظ في شيء من الأدعية المأثورة عن السلف؟ وهل يصح الدعاء به؟

الجواب:

الحمد لله؛ هذا الدعاء يتضمن إضافة السَّكَن إلى الله، أي: وصفه به، وإذا كان الله ساكنَ العرش فالعرش مسكنه، ولم يرد السكن في الألفاظ التي فسر بها السلف الاستواء، ولا أعلم أنه ورد في السنة ولا في كلام السلف إضافة السكن إلى الله لا بالنسبة إلى العرش ولا غيره.

والأشعري رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يُسند هذا الدعاء عن أحد من الصحابة والتابعين، ولو كان من دعاء جميع المسلمين -كما قال- لوجب أن يؤثر ذلك عن كثير من السلف، ويشتهر عند أئمة السنة.

ولعل الإمام أبا الحسن الأشعري وجد هذا الدعاء مشهورًا عند أهل بلده، ورأى أنه متضمن لمعنى حق، وهو إثبات علو الله على خلقه، واستوائه على عرشه، ومن أجل ذلك أورده في استدلاله على العلو،

---

(١) «الإبانه عن أصول الديانه» (ص ٣٥).

فأوجب له ذلك نسبة هذا الدعاء إلى جميع المسلمين؛ لأن المعنى الحق الذي يتضمنه هذا الدعاء هو اعتقاد جميع المسلمين.

وبناء على ما تقدم أقول: لا ينبغي دعاء الله بـ «يا ساكن العرش»؛ لأنه ليس من الأسماء الحسنى التي أمر الله بدعائه بها، وفي السنة من الأدعية الصحيحة المتضمنة لإثبات علوه تعالى ما يغني، كقوله ﷺ: «**وأنت الظاهر فليس فوقك شيء**»[1]، وقوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في رقية المريض: «**ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك**»[2]، والله أعلم.

(يا مُعين)

السُّؤَالُ:

هل قول الرجل «يا مُعِين» في دعائه فيه شيء؟ وهل اسم (مُعين) من أسماء الله؟

الجواب:

الحمد لله؛ قول الرجل إذا أراد أن يقوم بأمر من الأمور: يا معين، يقصد رب العالمين، لا بأس به، فإن العبد لا يقوى على أي أمر من أموره إلا أن يعينه الله، وخير ما يستعين فيه العبد ربَّه ما يقربه إليه من أنواع الطاعة، وهي عبادته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، كما قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝﴾، وقال

---

(١) سبق تخريجه (١/ ٢٦٧).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٢٣٩٥٧)؛ من حديث فضالة بن عبيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأبو داود (٣٨٩٢)؛ من حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٣/ ١٣٩): حديث حسن، رواه أبو داود وغيره.

النبي ﷺ لمعاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**يا معاذ، والله إني لأحبك، والله إني لأحبك**»، فقال: «**أوصيك يا معاذ؛ لا تدعن في دبر كل صلاة تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**»[(١)]، وقال ﷺ في وصيته لابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله**»[(٢)].

وأما كون لفظ (المعين) اسمًا لله فلا أذكر أنه ورد في شيء من الآثار إلا أن معناه صحيح؛ كالمنعم، فإنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى المنعم بجميع النعم، وهو المعين لمن شاء على ما شاء، فإنه تعالى لا حول ولا قوة إلا به، وإذا كان هذا اللفظ لم يرد اسمًا من أسماء الله، فالأولى أن يقول الإنسان: يا ألله أعنِّي، يا قوي، يا حي، يا قيوم أعنّي، وما أشبه ذلك؛ كما جاء في وصية النبي ﷺ لمعاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وعلى هذا؛ فلا ينكر على من قال: يا معين أعني ما دام أنه يقصد الاستعانة بالله، لكن يُرشَد إلى ما هو الأفضل، والله أعلم.

(العالم) ليس من أسماء الله

السُّؤَالُ:

وردت العبارة في كتاب «نهاية السول» للشيخ عبد الرحيم الأسنوي في معرض شرح التعريف أن البيضاوي قال: (معرفة دلائل

---

(١) أخرجه أبو داود (١٥٢٤)، والنسائي في «الكبرى» (٩٩٣٧)، وصحح إسناده النووي في «الخلاصة» (١٥٤٨)، والهيثمي في «المجمع» (١١ / ٤٢).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٥١٦)؛ من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

الفقه) ولم يقل العلم، وإنما عدل إلى المعرفة، والعبارة هي: «وذلك لأن العلم يقتضي سبق جهل بخلاف المعرفة، فإنها لا تقتضي سبق جهل، ولهذا يقال لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: عارف، ولا يقال له: عالم» والمطلوب معنى هذه العبارة إذا كان العلم يقتضي سبق جهل فكيف يقال لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: عالم؟ والله أسأل التوفيق.

الجواب:

الحمد لله؛ هذه العبارة مقلوبة، والصحيح أن الأمر بالعكس كما هي في المصدر المذكور (ص٩)، والقلب ممن نقل العبارة، فالعلم لا يقتضي سبق الجهل، والمعرفة قيل: إنها تقتضي سبق الجهل، فالله تعالى: عليم، وعالم، وعلام. وليس من أسمائه العالم، بل عالم الغيب، ولم يرد وصفه بالمعرفة إلا في حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «تعرف إليه في الرخاء يعرفك في الشدة»[1]، وليس معنى «يعرفك في الشدة» يعني: يعلم حالك، فالمراد أنه يغيثك وينصرك، ويفرج كربتك، جزاء على طاعته وعبادته والإنابة إليه في حال الرخاء والصحة والغنى، فيجب تصحيح هذه العبارة، والله أعلم.

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢٨٠٣)، والطبراني (١١٥٦٠)، وقال شيخ الإسلام: هذا حديث معروف مشهور. «التوسل والوسيلة»: (١/ ٦٤)، وحسن إسناده ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (١/ ١٨٩).

الدعاء على الغير بلفظ: الله يرجّك!

السؤال:

لقد كثر قول بعض الناس: «الله يرجك» من باب المزح والضحك، لذا أرجو بيان حكم هذه الكلمة؟

الجواب:

الحمد لله؛ هذا الدعاء من أدعية العامة التي يشتقون لفظها من الفعل الذي يُنكرونه على غيرهم حتى إنهم يُضيفون إلى الله ما لا يليق به عَزَّوَجَلَّ، فيقولون: الله يخون من خانك، أو: الله يأكل من أكل هذا، وهذا من قبيح ما يجري على ألسنتهم.

وأما الدعاء بما يَدخُلُ في أفعاله سبحانه، مثل: الله يضره كما ضرني، أو يحرقه أو يغرقه كما ظلمني، أو يرجه برعشة ترج بدنه، فمثل هذا الدعاء إن كان على من يستحقه فهو جائز، وإن كان على غير من يستحقه فهو من الظلم والعدوان، والواجب على المسلم أن يحفظ لسانه عن قبيح القول وعن اللغو وعن أذى المسلمين؛ فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده[1]، والله أعلم.

(١) كما جاء عن النبي ﷺ؛ أخرجه البخاري (١٠)، ومسلم (٤٠)؛ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

صفة البرد

السؤال:

ماذا يسمى حديث الرسول ﷺ -وهو حين رأى الله جَلَّجَلَالُهُ في المنام- يقول: «حتى أحسست ببرد أنامله بين ثديي»؟ أفتونا جزاكم الله خيرًا.

الجواب:

الحمد لله؛ هذا يسمى من أحاديث الصفات، ففيه ذكر الأنامل، والله تعالى له أصابع، كما ثبت في الصحيح من حديث ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في قصة الحَبْر[1]. ويقول الإمام ابن تيمية في هذا الحديث: «إن للرؤيا أحكامًا ليست كأحكام اليقظة»[2]؛ وصفة البرد لم ترد فيما سوى هذا الحديث.

وعلى هذا: فهذه الصفة لا تُثْبَت ولا تُنْفَى؛ فيجب الإمساك عن النفي والإثبات.

(١) أخرجه البخاري (٤٨١١)، ومسلم (٢٧٨٦).

(٢) قال شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (٣/ ٣٩٠): «ورؤيا المنام لها حكم غير رؤيا الحقيقة في اليقظة».

إضافة (النَّفس) إلى الله تعالى

السؤال:

ذكرتم -فضيلة الشيخ- في فوائد الأربعين: «إطلاق النفس على الله، والمراد بالنفس الذات»، فهل نفهم من ذلك أن ما ورد من صفة النفس ليس على ظاهره؟

الجواب:

الحمد لله؛ ما ظاهر النفس عندك أيها السائل؟! وأقول: من المعلوم أن النفس في اللغة تطلق على معانٍ؛ منها:

- الروح، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]. وذوق النفس للموت فراقها لبدنها.

- وتطلق على ذات الشيء، كما تقول: جاء محمد نفسُه؛ أي: هو، لا غيره، ومنه قوله تعالى: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الذاريات]، وقوله: ﴿يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾ [النحل: ١١١]، أي: كل إنسان أو مكلف يجادل عن نفسه.

- وتطلق على موضع السِّر، وهو قلب الإنسان الذي في صدره، ومنه -والله أعلم-: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥]، وقوله: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ﴾ [الإسراء: ٢٥]، أي قلوبكم؛ بدليل قوله سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥١].

وقد جاء ذكر النفس مضافًا إلى الله في ستة مواضع، هي قوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨ و٣٠] في موضعين من آل عمران، وقوله سبحانه: ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ١٢]، وقوله: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤]، وقوله: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾﴾ [طه]، وقوله: ﴿وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦]، ومعنى النفس في الآيات الخمس الأولى: الذات، وأما الآية الأخيرة -آية المائدة- ﴿وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾؛ أي: ما في علمك، وعلمه تعالى كسائر صفاته قائمٌ بنفسه، أي بذاته، قال ابن جرير: «﴿وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦]، يقول: ولا أعلم أنا ما أخفيته عني» ا.هـ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد ذكر الآيات من سورة آل عمران والمائدة والأنعام وبعض الأحاديث: «فهذه المواضع المراد فيها بلفظ النفس عند جمهور العلماء: اللهُ نفسُه، التي هي ذاته المتصفة بصفاته؛ ليس المراد بها ذاتًا منفكة عن الصفات، ولا المراد بها صفةٌ للذات، وطائفة من الناس يجعلونها من باب الصفات، كما يظن طائفة أنها الذات المجردة عن الصفات، وكلا القولين خطأ»[(١)].

أقول: عُلم مما تقدم من الآيات وما ذكره شيخ الإسلام أن المراد بالنفس في الآيات ذاتُ الرب لا غيره، وأنه ليس المراد بالنفس صفةً قائمة بالرب، بل المراد ذاته المقدسة، الموصوفة بصفاته اللائقة به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والله أعلم.

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٩/ ٢٩٢).

وصف الله بأنه دفء قلوبنا

السؤال:

ماحكم قول «الله دفء قلوبنا». المقصود هل يجوز وصف الله أو مناداته بأنه دفء قلوبنا؟ جزاك الله خيرًا.

الجواب:

الحمد لله؛ هذا تعبير مبتدع، وقد يريد به من أطلقه معنًى صحيحًا، لكن الواجب استعمال الألفاظ التي لا شُبْهة فيها ولا إشكال، ويُغْني عن ذلك أن يقول: ذِكرُ اللهِ به تطمئنُّ قلوبُنا، كما قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ۝٢٨﴾ [الرعد]، والله أعلم.

معنى أن اسم الله يطلق على الذات والحقيقة والوجود

السؤال:

قرأت في كتاب التفسير الوجيز للدكتور وهبة الزحيلي في تفسير البسملة من سورة الفاتحة قوله: «واسم الله يطلق على الذات والحقيقة والوجود».

ما معنى هذا الكلام؟ أفتونا مأجورين، وجزاكم الله خيرًا.

الجواب:

الحمد لله؛ إن صاحب الكلام هو الذي يُفَسِّر مراده، ثم أقول: إنْ أراد الدكتور وهبة الزحيلي بكلامه هذا أن الاسم الشريف (الله) يطلق

على ذات الله، التي هي حقيقته الموصوفة بالوجود الواجب، وبكل ما له سبحانه من الصفات، فهذا حقٌّ.

وإن أراد أن هذا الاسم الكريم (الله) يطلق على ثلاثة معان متباينة: الوجود، والحقيقة، والذات، وأن كل واحد منها اسمه الله، فهذا باطل.

بل هذا الاسم الكريم دالٌّ على ذات الرب وصفاته؛ فهو متضمِّن لكل ما لله من الأسماء الحسنى والصفات العلى، والظن أن الدكتور الزحيلي يريد المعنى الأول، والله أعلم.

صفة الشَّمِّ هل تثبت لله؟

السُّؤَال:

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الوابل الصيب» (ص٦٣) تعليقًا على حديث «لخلوف فم الصائم أطيب عند الله...» قال: «... ونسبة استطابة ذلك إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كنسبة سائر صفاته وأفعاله إليه، فإنها استطابة لا تماثل استطابة المخلوقين...».

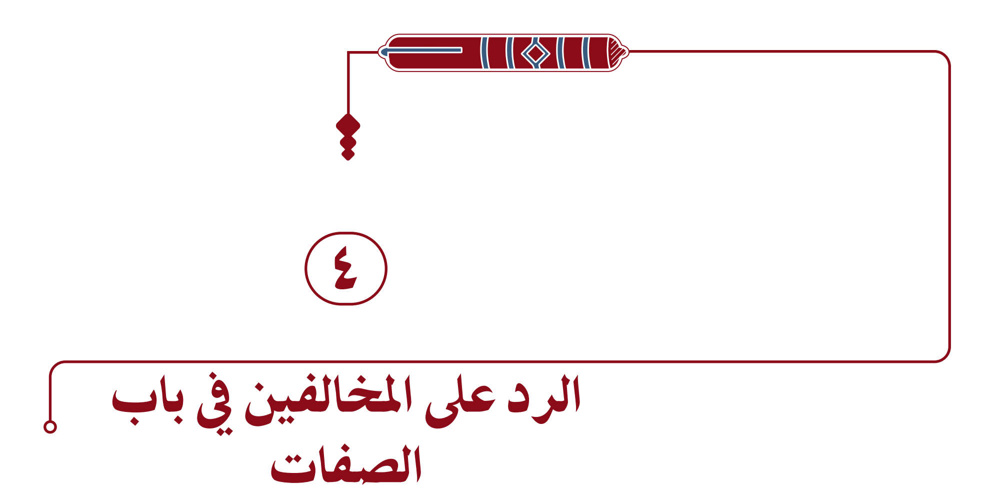
شيخنا؛ هل يفهم من كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه يثبت صفة الشم لله تعالى؟

الجواب:

الحمد لله؛ إن عبارة ابن القيم لا تدل على إثبات صفة الشَّمِّ لله تعالى؛ لأنه لو كان كذلك لصرح بها، لكنه وقف مع لفظ النص، والعندية هنا الأظهر حملها على عندية الحكم، كما تقول: إن أداء العبد ما فرض الله عليه أفضل عند الله من كثير من التطوع من جنس هذه العبادة، والله أعلم[1].

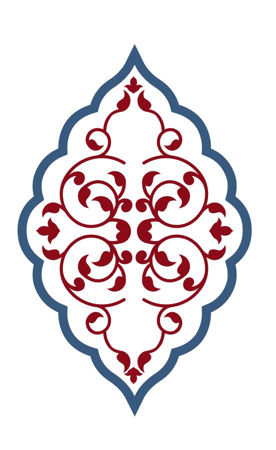
- ❋ ■ ❋ ■ ❋ -

(١) ولشيخنا كلام موسع في المسألة في تعليقه على فتح الباري.



٤

الرد على المخالفين في باب الصفات



الرد على الشيخ محمد صالح الغُرسي فيما قرره حول كلام الله عَزَّ وَجَلَّ

السُّؤَالُ:

فضيلة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك: قرأتُ في حاشية الشيخ محمد صالح الغُرسي على شرح جوهرة التوحيد (ص٢٧٣) في مبحث عنوانه: «معنى إنزال القرآن» قال فيه: «بل التحقيق أن المنزل اللفظ الدال على المعنى؛ فالمعنى منزل وموصل إلى أذهان المكلفين بإنزال اللفظ، وليس له إنزال مستقل عن إنزال اللفظ، كما يوهمه التعبير: (المنزل اللفظ والمعنى)، نعم بالذات بالإنزال والإيصال إلى الأذهان هو المعنى؛ لأن المقصود بالذات إفادته، وهذا لا ينافي أنه تابع للفظ في الإنزال، من حيث إنه مدلول له، ومعنى الإنزال ـ كما قال إمام الحرمين في «الإرشاد» (ص١٣٠) والمحقق البَيَاضي في «إشارات المرام» (١٧٨) أن جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ أدرك كلامه تعالى، ثم نزل إلى الأرض، وأفهم النبيَّ ﷺ ما فهمه من غير نقل لذات الكلام؛ لعدم انتقال الصفة، ولاستلزام الانتقال والانفكاك للنقصان، وبهذا يجاب عن استدلال المعتزلة بالآيات التي فيها الإنزال والنزول على حدوثه، قالوا: إن النزول عبارة عن الانتقال، وهو من صفات الحوادث»أهـ.



فهل هذا التقرير صحيح؟ وهل هذا المذهب الذي قرره هو مذهب السلف في كلام الله تعالى؟

الجواب:

الحمد لله؛ ما قرره الشيخ الفاضل محمد صالح الغُرسي في كلام الله ليس هو مذهب السلف، بل هو مذهب الأشاعرة، وواضح من كلام الشيخ الغُرسي -وفقه الله- أنه أشعريٌّ، ومذهبُ الأشاعرة في كلام الله معروف، وهو أنه معنًى نفسيٌّ قديم ليس بحرف ولا صوت؛ فلا يُسمع من الله، فجبريل لم يسمع من الله كلامًا، وإنما أدرك المعنى النفسيَّ، وعبَّر عنه بلفظه، أو أن جبريل أفهم النبيَّ ﷺ ما فهمه من الله، فعبَّر عنه النبيُّ ﷺ بلفظه هو، كما هو مضمون ما نقله الغُرسي عن البيَاضي الذي وصفه بالمحقق البيَاضي، فآل الأمر إلى أن هذا القرآن الذي نسمعه ونكتبه ونقرؤه ليس كلام الله على الحقيقة؛ لأنه إما كلام جبريل، وإما كلام النبي ﷺ تعبيرًا عن المعنى النفسيِّ، وعلى كلٍّ من التقديرين هو عبارة عن ذلك المعنى النفسيِّ، وعلى كلٍّ من التقديرين هو مخلوق؛ لأنه إما كلام جبريل أو كلام محمد ﷺ، فآل قول الأشاعرة الذي عبَّر عنه الشيخ الغُرسي وفقه الله، وعوَّل فيه على قول أبي المعالي والبيَاضي، آل إلى قول المعتزلة أن هذا القرآن مخلوق.

وما ذكره أبو المعالي والبيَاضي وارتضاه الشيخ الغُرسي مما ادَّعوه لازما لنزول كلام الله وإنزاله من انتقال الصفة أو النقصان باطلٌ في العقل ضرورةً؛ لأمور:

أولها: أنه لا يقول عاقل: إنَّ نقل كلام المتكلم هو نقلٌ لصفة الكلام، سواء أريد بها القدرةُ على التكلُّم، أو التكلُّم الذي هو فعلٌ قائمٌ بالمتكلِّم، وإنما المنقول هو ما سمِعه وعلِمَه الناقلُ المبلِّغُ، فيبلِّغُه بصوته، كما سمعه دون زيادة ولا نقصان.

ثانيها: أنه لو كان الأمر كما قالوا: إن نقل كلام المتكلم يلزم منه نقلُ صفة المتكلم وسلبُه إياها؛ للزم أن كلَّ من نُقل كلامه على وجه التبليغ يصير غيرَ متكلم، وهذا باطل حسًّا وعقلًا.

ونقول أيضًا: إن المعاني التي دلَّت عليها ألفاظ القرآن إن كانت هي المعنى النفسي، لزم من نزولها المحذور الذي ادعوه لازمًا من نزول الكلام (القرآن)، وإن كانت غيرَ المعنى النفسي لزم أن تكون مخلوقة، كما أن الألفاظ على قولهم مخلوقة، فيكون القرآن كلُّه مخلوقًا ألفاظه ومعانيه، وهذا تحقيق مذهب المعتزلة.

ثالثها: أن ما زعموه من امتناع نزول كلام الله مبنيٌّ على أصلين باطلين:

أحدهما: أنه تعالى لا تقوم به الأفعال الاختيارية؛ كالمجيء والنزول والاستواء على العرش والتكلم والتكليم وغير ذلك مما يكون بمشيئته سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، وهذا الأصل أنتج لهم:

الأصل الثاني: وهو قولهم: إن كلام الله معنى نفسي قديم، ليس بحرف ولا صوت، ولا تتعلق به مشيئته تعالى، بل هو كحياته وعلمه، أي: صفةٌ ذاتيةٌ لا فعليةٌ.

وفيما قالوه من هذين الأصلين من لوازم النقص في حق الرب ما لا يخفى فساده على عاقل منصف؛ فإنه يتضمن تعجيز الرب؛ أي: نسبته إلى العجز عن فعل ما يشاء، وتشبيهه بالأخرس الذي تكون في نفسه معاني الكلام، ولا يستطيع أن يُبين عنها إلا بالإشارة.

هذا ومن المعلوم بضرورة العقل أن الكلام، أي: التكلم والبيان كمالٌ، وعدمه نقص، ولهذا ذكر الله من البرهان على بطلان إلهية عجل بني إسرائيل أنه لا يرجع قولًا، ولا يكلم أحدًا، قال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًاۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ۝١٤٨﴾ [الأعراف]، وقال سبحانه: ﴿فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ۝٨٨ أَفَلَا يَرَوۡنَ أَلَّا يَرۡجِعُ إِلَيۡهِمۡ قَوۡلٗا وَلَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا ۝٨٩﴾ [طه].

ثم نعود إلى قول هؤلاء بامتناع نزول كلام الله لامتناع نقل الصفة، واستلزام ذلك نقصَ الموصوف، فنقول: إن أهل السنة القائلين بأن القرآن كلام الله حقيقة، كيفما تصرف مسموعًا ومحفوظًا ومقروءًا ومكتوبًا، كما بيَّن الله ذلك في الآيات، قال تعالى: ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، وقال تعالى: ﴿بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩]، وقال سبحانه: ﴿وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ۝٢ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ۝٣﴾ [الطور]، وقال: ﴿رَسُولٞ مِّنَ ٱللَّهِ يَتۡلُواْ صُحُفٗا مُّطَهَّرَةٗ ۝٢﴾ [البينة].

نقول: إن أهل السنة لا يقول أحد منهم: إن صفة الله حلَّت في صدور الحافظين، أو قامت بلسان القارئين، أو حلَّت في الرَّق المكتوب

فيه كلام الله؛ فإن صفة الله لا تقوم بغيره، بل صفةُ أي موصوف لا تقوم إلا به، لا تقوم بغيره.

ومما يوضح الأمر في هذا المقام أن للشيء الموجود أربعةَ أنواع من الوجود: وجود عينيٌّ، ووجود علميٌّ، ووجود بيانيٌّ أو لفظيٌّ، ووجود خَطِّيٌّ. وتطبيق ذلك في القرآن أن الوجود العينيَّ لكلام الله هو ما قام به تعالى عند تكلمه بالقرآن، والوجودُ العلميُّ هو ما في صدر الحافظ وعِلمِ المبلِّغ، والوجودُ البيانيُّ أو اللفظيُّ هو ما على لسان المبلِّغ القارئ، والوجودُ الخطيُّ هو ما في الرَّق والصحف.

فإذا قيل عن الحافظ للقرآن: في صدره كلام الله، فالمراد الوجودُ العلميُّ، وإذا قيل: في المصحف كلام الله، فالمراد الوجود الخطيُّ، وإذا قيل: هذا يتلو كلام الله، فباعتبار الوجود البيانيِّ، ويقال: الوجود اللسانيُّ أو اللفظيُّ، قال تعالى: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، فالمسموع كلام الله بصوت القارئ، على حدِّ قول أهل السنة: الصوت صوت القاري، والكلام كلام الباري.

ومما تقدم يعلم أنَّ مذهب الأشاعرة تضمَّن أمورًا:

أولًا: أنه تعالى لا يقوم به ما يكون بمشيئته؛ كالأفعال الاختيارية، وقد شاركهم في ذلك المعتزلة، وزادوا عليهم نفي الصفات الذاتية، وشاركهم الكُلَّابية، وهم شيوخ الأشاعرة، لكن الكُلَّابية أثبتوا قيام الأفعال به تعالى، وجعلوها قديمة، أي: لا تتعلق بها المشيئة.

ثانيًا: أن كلام الله معنًى نفسيٌّ قديمٌ، فلا تتعلق به المشيئة، وإمامهم في ذلك عبد الله بن كُلَّاب، الذي نهج الأشعريُّ نهجه، كما أشار إلى ذلك ابن تيمية في العقيدة التدمرية.

وشاركهم في القول بقدم الكلام مع إثبات الحرف والصوت السالمية، ويقال لهم: الاقترانية، أتباع عبد الله بن سالم، وكلام الله عند هؤلاء حروف وأصوات قديمة، نوعه وآحاده، ومضمون كلام هؤلاء ولازمه أن الله لم يزل قائلًا: يا آدم، يا نوح، يا موسى، ونحو ذلك مما ثبت أن الله تكلم به.

وفي ذلك من الإزراء بالله بنسبة النقص إليه ما لا يخفى؛ إذْ كيف يكلم في الأزل من لم يوجد، وهذا مع أنه مناقض لدلالات نصوص الكتاب والسنة التي فيها الخبر عن تكذيبه لبعض عباده، فهو مناقض لمقتضى العقل؛ فليس هذا من الكمال.

وهؤلاء كلهم -أعني القائلين أنه لا يقوم بالله تعالى ما يكون بمشيئته- شبهتُهم في ذلك قولهم: إنه تعالى منزَّه عن حلول الحوادث، أو لا تَحلُّه الحوادث، ونقول:

أولًا: إن (حلول الحوادث) لفظٌ لم يرد نفيه ولا إثباته في كتاب ولا في سنة، فهو لفظ محدَث.

ثانيًا: إنه لفظ مجمل يحتمل حقًا وباطلًا؛ فإن أريد أنه تعالى لا يحلُّ في ذاته شيء من مخلوقاته فهو حقٌّ؛ لأنه تعالى مباينٌ لخلقه، وإن أريد أنه لا تقوم به الأفعال الاختيارية التي تكون بمشيئته فهو باطلٌ؛ لأنه نفي

لما أخبر الله به عن نفسه، وما أخبر به عنه نبيه ﷺ مجملًا ومفصَّلًا؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝١٠٧﴾ [هود]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ۝١٨﴾ [الحج]، وقوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه]، وقوله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢]، وقوله ﷺ: «**ينزل ربنا كلَّ ليلة إلى سماء الدنيا**» الحديث، رواه الشيخان عن أبي هريرة[١]، وقوله: «**يقبض الله الأرض، ويطوي السماء بيمينه**» الحديث، متفق عليه عن أبي هريرة[٢]، وعند مسلم[٣] من حديث عبد الله بن عمر: «**يأخذ الله** عَزَّوَجَلَّ **سماواته وأرضيه بيديه**»، وتَتبُّع الشواهد في ذلك يطول.

وبعد؛ فَوازِن -أيها العاقل المنصف- بين هذه المذاهب ومذهب أهل السنة والجماعة في أفعال الله وفي كلامه، فعند أهل السنة أن الله لم يزل فعالًا لما يريد، وهو يفعل ما يشاء، ومن ذلك أنه لم يزل يتكلم بما شاء إذا شاء كيف شاء، ويُكلم من شاء بكلام يسمعه من يُكلمه الله سبحانه بلا واسطة، فأيُّ هذه المذاهب أدلُّ على الكمال؟! وأيُّها الذي تشهد له أدلة الشرع من الكتاب والسنة؟!

فما مضى عليه الصحابة والتابعون ومن سلك سبيلهم في أسماء الله وصفاته وكلامه هو الذي ندين لِله به، ونحن به موقنون، وبمقتضاه قائلون.

وعلى ذلك فإننا ندعو الشيخ محمد صالح الغُرسي أن يتدبر ما كتبناه، ونسأل الله أن يلهمه رشده، ويوفقه للصواب.

---

(١) البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨).
(٢) البخاري (٤٨١٢)، ومسلم (٢٧٨٧).
(٣) مسلم (٢٧٨٨).

تخيل الرب تعالى وتصوره حسب الفهم!

السُّؤَالُ:

ما حكم من يقول: إن كل مسلم يعتقد الله في نفسه اعتقادًا خاصًّا به، فيتصوره بحسب علمه ويصوره بحسب فهمه، وهذا هو الإله، ويورد في ذلك قصة موسى مع بدوي كان يقول: يا رب لو تقربت إلي ودنوت مني لغسلت رجلك وسرحت شعرك وقلمت ظفرك، فأنكر عليه موسى ذلك قائلًا: تعالى الله عما تقول، فحزن ذلك الرجل حزنًا كبيرًا لما كان يخطئ في كل ما مضى، فأوحى الله إلى موسى معاتبًا له على إنكاره عليه قائلًا: «لم أنكرت عليه، فكل يعبدني حسب فهمه وتصوره»، فما تعليقكم على هذا الاعتقاد؟ جزاكم الله خير الجزاء.

الجواب:

الحمد لله؛ أولًا هذه القصة لا أعرف لها أصلًا، فإن كانت منقولة في بعض المصادر فهي قصة إسرائيلية، وأخبار بني إسرائيل ثلاثة أقسام:

ما دل الدليل من الكتاب والسنة على صدقه وجب تصديقه.

وما دل الدليل من الكتاب والسنة على كذبه وجب رده وتكذيبه.

وما لم يدل على صدقه ولا كذبه دليل وجب التوقف عنه، وهو ما قال فيه الرسول ﷺ: «**حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج**»[1]، وقال: «**إذا**

(١) أخرجه البخاري (٣٢٧٤)؛ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم»[(١)]. وهذه القصة نقطع بأنها كذب، فهذا الجاهل الأعرابي غايته أن يكون معذورًا، وكونه معذورًا لا يمنع من الإنكار عليه باعتقاده الباطل، فمن اعتقد بالله اعتقادًا باطلًا وجب أن يبين له، وأن ينكر عليه وأن يعلم ويعرف، فعلى تقدير ثبوت القصة فما ورد في القصة من أن موسى أنكر عليه هذا هو الحق. ورسل الله إنما جاؤوا ليعرفوا الناس بربهم، وينكروا عليهم التصورات الباطلة التي يتخيلونها في ربهم. فما ورد في القصة أن الله أنكر على موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إنكاره على ذلك الأعرابي مناقض لمقصود بعث الرسول فنقطع بأن هذا باطل.

وعلى هذا؛ فكل تصور ينافي ويناقض ما أخبر الله به في كتبه المنزلة، وعلى ألسنة رسله فإنه تصور باطل يجب اعتقاد بطلانه. والواجب التعويل في معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فيجب الإيمان بما ورد من ذلك، وإجراؤه على ظاهره، فيجب وصف الله بما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله؛ من غير تحريف ولا تعطيل، وغير تكييف ولا تمثيل، فلا يجوز صرف النصوص عن ظاهرها، ولا تعطيل الرب عما وصف به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف صفاته ولا تمثيلها بصفات المخلوقين، فلا يجوز للعبد أن يتخيل كيفية ذات الرب ولا كيفية صفاته؛ لأن ذلك مما لا سبيل للعباد إليه. فالعباد عاجزون عن

---

(١) أخرجه أحمد (١٧٢٦٤)؛ من حديث أبي نملة الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (١٢ / ٥٨).

معرفة كيفيته سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، ولهذا قال الأئمة كمالك وربيعة رَحِمَهُمَاٱللَّهُ: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، ومن الله البيان وعلى الرسول البلاغ، وعلينا الإيمان»، فالإله الحق هو رب السماوات والأرض وخالق كل شيء الذي له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. وهو الذي وصفته رسله بما وصف به نفسه بما أنزله عليهم بوحيه فبلغوه وعرفوا العباد بربهم.

وإذا ثبت أن هذه القصة الواردة في السؤال باطلة، فما بني عليها باطل كذلك، نسأل الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى أن يعيذنا من شر الوسواس الخناس، وأن يعيذنا من الأوهام والخيالات التي مصدرها الجهل والوسواس، كما نسأله أن ينوّر قلوبنا بالإيمان الصحيح والعلم المستمد من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، والله أعلم.

تأويل صفة اليدين بالقدرة اعتمادًا على ورود ذلك في اللغة

السؤال:

ذكر شيخ الإسلام -كما في مجموع الفتاوى[1]- أن اليد بمعنى القدرة لا تأتي مثناة في لغة العرب، ألا يتعارض هذا مع حديث النواس بن سمعان في «صحيح مسلم» رقم (٢٩٣٧) في خروج يأجوج ومأجوج «فيوحي إلى عيسى أني قد بعثت عبادًا لا يَدَانِ لأحد

(١) «مجموع الفتاوى» (٦/ ٣٦٥).

بقتالهم» وقد ذكر ابن الأثير والنووي[١] وغيرهما: أن المعنى: لا طاقة لأحد بقتالهم. فجاءت اليد بمعنى القدرة مع كونها مثناة؟

الجواب:

الحمد لله؛ نعم ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه العلامة ابن القيم في ردهما على من يؤول صفة اليدين بالقدرة في قوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ [ص: ٧٥]، ذكرا أن اليدين بلفظ التثنية لا تأتي في اللغة العربية بمعنى القدرة، وقد ورد في كلامهما في مواضع التعبير باليدين عن القدرة كما في مطلع القصيدة النونية:

حكمُ المحبةِ ثابتُ الأركانِ
ما للصُّدُودِ بفسخِ ذاكَ يدانِ

أي: قدرة، ومن ذلك ما جاء في الحديث الذي أورده شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى[٢]: «**إذا رأيت شحًا مطاعًا، وهوى متبعًا، ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه ورأيت أمرًا لا يدان لك به، فعليك بنفسك ودع عنك أمر العوام**» الحديث[٣]. وكذلك الحديث الذي أورده السائل.

وهذا قد يشكل مع ردهما على من فسر اليدين بالقدرة؛ بأن ذلك لا أصل له في اللغة العربية.

---

(١) «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٥/ ٢٩٣)، «شرح النووي على مسلم» (١٨/ ٦٨).

(٢) «الفتاوى» (٢٨ / ١٢٨).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٠٥٨)؛ من حديث أبي ثعلبة الخشني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال: هذا حديث حسن غريب، وحسنه ابن حجر في «هداية الرواة» (٤ / ٤٨٦).

والجواب: أن لفظ اليد -مثناة- لها في اللغة العربية استعمالات:

فتارة تستعمل غير مضافة وتلزم الألف، وهذه هي التي بمعنى القدرة، تقول: لا يدان لي بهذا الأمر، أي لا قدرة لي عليه.

وتارة تستعمل مضافة إلى ضمير من قامت به أو اسمه الظاهر، كقولك: بيديّ، أو بيديه، أو بيدي محمد، ويجري فيها إعراب المثنى. وهي في هذا الاستعمال لا تكون بمعنى القدرة، بل يتعين أن يراد بهما اليدان اللتان يكون بهما الفعل والأخذ والعطاء ومن شأنهما القبض والبسط.

وبهذا يظهر أن لا تعارض بين إنكار الشيخين على النفاة تأويلَ اليدين بمعنى القدرة؛ لأن ذلك لم يرد في اللغة العربية، في مثل لفظ الآية، وبين استعمالهما (اليدان) بمعنى القدرة.

وهناك استعمالان آخران لليدين في اللغة العربية:

أحدهما: أن يعبر بهما عن الفاعل للفعل، وإن لم يكن باشره بيديه، كقولك: هذا ما فعلتْ يداك، ومنه قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾ [الحج: ١٠]، ويأتي لفظ اليدين مجموعًا إذا أضيف إلى ضمير الجمع، كقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾[آل عمران: ١٨٢]، ومنه قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا﴾ [يس: ٧١].

الثاني: استعماله مضافًا إليه بعد (بين) فيكون بمعنى أمام، كقولك: جلس بين يديه، و مشى بين يديه، ويجري هذا الاستعمال في العاقل وغير العاقل، كقوله تعالى: ﴿لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا﴾ [مريم: ٦٤]، وقوله:

﴿وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [سبأ: ١٢]، وقوله: ﴿بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾ [الأعراف: ٥٧]، ونظائر ذلك كثيرة.

فهذه أربعة وجوه من الاستعمالات للفظ «اليدين»: ثلاثة منها مجاز، وهي: الأول والثالث والرابع، والثاني: حقيقة.

ويمتنع المجاز في اليدين إذا أسند الفعل إلى الفاعل وعدي إلى اليدين بالباء، كقولك: عملتُ بيديّ، ومنه قوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص: ٧٥].

وأما إذا أسند الفعل إلى اليدين، كقولك: هذا ما فعلت يداك فهو من قبيل المجاز؛ لأنه عبر باليدين عن الفاعل مطلقًا، وإن لم يكن فَعَلَ بيديه.

وبهذا يظهر الفرق بين قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ [يس: ٧١]، وقوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص: ٧٥]، فلا تدل الآية الأولى على خلق الأنعام باليدين. وتدل الآية الثانية على خلقِ اللهِ آدم بيديه؛ فثبتت له هذه الخصوصية على سائر الخلق.

فمن جعل آية (ص) نظيرًا لآية (يس)؛ فقد أخطأ من جهة اللفظ ومن جهة المعنى، فبين الآيتين فروق:

ففي آية (ص) أضاف الله الفعل إلى نفسه، وعداه إلى اليدين بالباء، وذكر اليدين بلفظ التثنية، وأضافهما إلى ضمير المفرد.

وفي آية (يس) أضاف سبحانه الفعل إلى اليدين بلفظ الجمع، وذكر نفسه بلفظ الجمع الدال على التعظيم.

فيجب التفريق بين المختلفات من الألفاظ والمعاني، كما تجب التسوية بين المتماثلات، وهذا مقتضى العقل والحكمة، والله أعلم.

الرد على من نفى صفة العينين لله تعالى

السؤال:

صاحب الفضيلة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك -سلمه الله- يذهب بعض الناس في هذا العصر[1] إلى القدح في إثبات أهل السنة صفة العينين لله تعالى، زاعمًا أن أهل السنة اعتمدوا في ذلك على قياس الغائب على الشاهد أي قياس الخالق على المخلوق، فهل هذا المذهب والزعم صحيح؟ أفيدونا أثابكم الله.

الجواب:

الحمد لله؛ قال الله تعالى: ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤]، وقال سبحانه: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨]، وقال: ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ٣٩﴾ [طه: ٣٩].

ففي هذه الآيات إضافة العين إلى الله مفردة ومجموعة، ففهم أهل السنة من هذه الآيات أن لله عينين، ولم يقل أحد منهم بأنه ليس لله إلا عين واحدة، أو له أعين، فإنّ ذكر العين مفردة ومجموعة في هذه الآيات

(١) ومنهم الشيخ عبد الله بن يوسف الجديع، في كتابيه: «تيسير علم أصول الفقه»، و«المقدمات الأساسية في علوم القرآن».

لا يدل على ذلك، وسبب هذا أنه يصح في اللغة أن تقول: رأيت بعيني، وإن كان لك عينان، ومن قواعد لغة العرب ذكر المثنى بلفظ الجمع إذا أضيف إلى صيغة الجمع أو التثنية، كقوله تعالى: ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠]، وقوله: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٤].

ونظير هذه الآيات في العينين في الجمع والإفراد قوله تعالى في اليدين: ﴿أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ [يس: ٧١]، وقوله: ﴿بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [الملك: ١]، والجمع والإفراد لليدين في الآيتين لا ينافي التصريح بأن لله تعالى يدين، كقوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]؛ لأن الجمع والإفراد في الخبر عن المثنى له في اللغة أساليب تقتضيه كما تقدم.

والسلف والأئمة أعلم باللغة التي نزل بها القرآن وجاءت بها السنة، فهم أعلم بدلالات الكتاب والسنة وأعلم بمراد الله من كلامه، وبمراد رسوله ﷺ ممن جاء بعدهم، فكل فَهْمٍ في القرآن أو في السنة يخالف فهم السلف فهو باطل مردود.

هذا؛ وقد استدل بعض أئمة السنة على إثبات العينين لله بقوله ﷺ في الدجال: «**إن ربكم ليس بأعور وإنه أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية**»[١].

وممن نص على إثبات العينين لله تعالى واستدل بالحديث: أبو محمد بن قتيبة[٢] وعثمان بن سعيد الدارمي[٣]، وأبو بكر بن خزيمة[٤]،

(١) أخرجه البخاري (٧٤٠٧)، ومسلم (١٦٩)؛ من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
(٢) «الرد على بشر المريسي» ضمن «عقائد السلف» (ص٤٠٦).
(٣) «الرد على المريسي» (ص٤٨).
(٤) «كتاب التوحيد» (١/ ١٠١).

وأبـو بكـر الباقلاني في كتابـه «الـرد على مـن نسـب إلـى الأشـعري خلاف قولـه» كمـا نقله عنه شيخ الإسـلام ابـن تيميـة[١]، واللالَّكائـي[٢]، وأبو عمرو الدَّاني[٣]، وشـيخ الإسـلام ابـن تيميـة[٤]، وابـن القيـم[٥]، رحمهـم الله جميعًا. وممـن نـصَّ أيضًـا علـى إثبـات العينيـن لله تعالـى أبـو الحسـن الأشـعري[٦]، وأبو إسـماعيل الهروي[٧]، رحمهم الله جميعًا.

وزَعْـمُ المعتـرض أنَّ أهـل السـنة اعتمـدوا فـي هـذا الاسـتدلال على قيـاس الخالـق علـى المخلـوق زعـمٌ باطـل، وقـول قبيـح، وافتراء علـى أئمة السـنة، كيـف وهـم أعظـم النـاس إنـكارًا علـى أهـل التمثيـل، وأبعـد النـاس عـن هذا القياس الباطل.

وهـل يقـول المعتـرض: إنّ سـمْعَ الله إدراكُ الأصـوات، وبصـرَهُ إدراكُ المرئيَّـات؟ أو لهمـا معنـى آخـر؟ أو لا يُعلـم معناهمـا؟ فإن قال بـالأول لزمه مـا يزعـم أنه من قيـاس الخالق على المخلوق.

وبعـد؛ فالمنكـر علـى أهـل السـنة إثبـات العينيـن لله يلزمـه واحـد مـن أربعـة أمـور: أن للـه عينًـا واحـدة، أو لـه أعيـن كثيـرة، أو تجويـز الأمريـن. وكل هذا لم يقل به أحد من أهل السـنة.

---

(١) «بيـان تلبيس الجهمية» (٢/ ٣٤).

(٢) «شـرح أصول اعتقاد السنة» (٣/ ٤٧١).

(٣) «الرسالة الوافية» (ص ٤٩).

(٤) «الجواب الصحيح» (٤/ ٤١٣).

(٥) «مختصر الصواعق المرسـلة» (١/ ٦٦).

(٦) «الإبانة» ص (١٢٩)، ط. الجامعة الإسـلامية.

(٧) كتـاب «الأربعين في دلائل التوحيد» ص (٦٤).

والرابع -مما يلزم المعترض-: أن ينفي العين لله مطلقًا، وهذا سبيل الجهمية ومن وافقهم من المعتزلة والأشاعرة، الذين لا يثبتون لله عينين ولا وجهًا ولا يدين.

وأما قول ابن حزم: «إن لله عينًا واحدة، وله أعين»[(١)]، فهذا من غلوه في ظاهريته، ولهذا يصرح بأنه لا يقال: له سمع، وبصر، وحياة[(٢)]، ومن ذلك يُعلم من مذهبه في الصفات أنه لا يثبت عينًا ولا أعينًا صفة قائمة به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ تكون بها الرؤية، فحقيقة قوله إثبات هذه الألفاظ لورودها في القرآن، فابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ ممن لا يُعتدُّ بقوله في باب الاعتقاد خصوصًا في باب الأسماء والصفات، وهذا نظير قوله: «إن لله يدًا ويدين وأيديًا»[(٣)]، ومقصوده إثبات ألفاظ القرآن، ولا ينازعه أحد في ذلك، فإن جميع المسلمين يؤمنون بأن هذه الألفاظ جاءت في القرآن، ولا يجحدها إلا كافر بالرسول ﷺ وما جاء به. ومعلوم أن من سلك هذا المسلك لا يثبت لله يدين يكون بهما الفعل؛ كخلق آدم بيديه سبحانه، وأخذه السماوات والأرض بيديه يوم القيامة. فحقيقة مذهب ابن حزم مذهب المعطلة من الجهمية ومن وافقهم.

فعلى هذا المعترض أن يوضح مذهبه في ذلك وفهمه للآيات.

---

(١) «المحلى» (١/ ٣٣).
(٢) السابق (١/ ٣٤).
(٣) السابق (١/ ٣٣).

ولا ريب أنه في هذه المسألة التي خالف فيها أهل السنة قد اتبع غير سبيل المؤمنين. فالله يهدينا ويهديه إلى معرفة الحق واتباعه، والله الهادي إلى سواء السبيل.

الرد على من أثبت صفة الرُّوح لله تعالى!

السؤال:

ما مدى صحة مقولة: إن الإنسان مخلوق من روح الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وإنه -أي الإنسان- فيه بعض من أسرار الألوهية، وهذا بما أنه مخلوق من روح الله؟

الجواب:

الحمد لله؛ هذه المقولة مقولة باطلة، تتضمن القول بالحلول، أي: أن الإنسان قد حلَّ فيه جزء من الله، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا، فالله تعالى أحد صمد لا يتجزأ ولا يحلُّ في شيء من مخلوقاته، وهذا يشبه قول النصارى: حَلَّ اللاهوت في الناسوت، كلمة الله حلت في الإنسان المولود من مريم عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ، وهذا كفر ولا يجوز إطلاقه ولا اعتقاده.

وشبهة هذا القول: أن الله تعالى أخبر أنه نفخ في آدم من روحه، كما قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ۝٧١ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ۝٧٢﴾ [ص]، فظن من يزعم أن في الإنسان بعضًا من الله، أن الروح في هذه الآية صفة لله، فالروح في الإنسان وهي مادة حياته عند هؤلاء هي بعض من روح الله، وهذا باطل، فالروح

المذكور في الآية في قوله تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ ليس صفة لله، بل إضافته إلى الله من إضافة المخلوق إلى خالقه، كما جاء مثل ذلك في شأن المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ۚ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١]، فالروح التي نفخها الله في آدم هي من الأرواح التي خلقها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لكن إضافة ذلك إلى الله فيه تشريف، فإضافة الروح إلى الله إضافة تشريف.

فيجب الحذر من ذلك الاعتقاد، ويجب الرجوع في فهم القرآن وتفسيره إلى فهم الصحابة عليهم رضوان الله والتابعين وأئمة التفسير من أهل السنة والجماعة، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بائن من خلقه ليس في ذاته شيء من مخلوقاته، ولا في مخلوقاته شيء من ذاته، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عما يقول الظالمون والجاهلون علوًا كبيرًا، والله أعلم.

الرد على من زعم أن إثبات الصفات يستلزم التجسيم

السُّؤَالُ:

ما حقيقة أن السَّلفيين جسَّدوا الله جَلَّ جَلَالُهُ؟ وهل يعتبر ذلك من أبواب الشرك بالله؟

الجواب:

الحمد لله؛ من يقول من الناس: إن الله جَسَدٌ أو جِسْم، أو إن الله ليس بجسم، فإنه محدِث في صفاته ما لم يرد في كتاب الله ولا في سنة

رسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ولفظ الجسم أو الجسد، كما يعبر بعض الناس -مع أنه لم يرد في صفاته سبحانه نفيًا ولا إثباتًا-، هو لفظ مجملٌ، وقد يراد به حق، وقد يراد به باطل؛ فمن تكلم بهذا اللفظ وأمثاله فإن الواجب أن يُستفصل عن مراده؛ فإن كان حقًّا قُبل ما أراد، وإن أراد باطلًا رُدّ.

ومن أجل ذلك لا يجوز إطلاق هذه الألفاظ في صفات الله لا نفيًا ولا إثباتًا، وهذا سبيل أهل السنة والجماعة، لا يصفون الله إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وإثبات الصفات التي جاءت في كتاب الله وسنة رسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، هو الواجب على كل مسلم يؤمن بالله ورسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فتُثبتَ لله الصفات مع نفي التمثيل، ونفي العلم بالكيفية، ومن قال: إن من يثبت لله الصفات يكون مجسمًا، فإنه مفتر في ما يقول، فأهل السنة الذين يثبتون لله الصفات: كالوجه، واليدين، ويثبتون علو الله على خلقه؛ لا يقولون إنه تعالى جسم، كما لا يقولون إنه تعالى ليس بجسم، فلا يطلقون هذا اللفظ لا نفيًا ولا إثباتًا، كما تقدم.

وهذه الشبهة، وهي أن إثبات الصفات يستلزم التجسيم، هي التي حملت المعطلة -كالمعتزلة- على نفي صفات الله التي أخبر بها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأخبر بها رسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فَضَلُّوا بذلك عن الصراط المستقيم، وعارضوا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بعقولهم، وتنقصوا رب العالمين الذي يجب إثبات الكمال له.

وكل ما وصف الله به نفسه، أو وصفه به رسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فإنه كمالٌ لا نقص فيه، وهو ثابت له كما يليق به سبحانه، لا يماثل في ذاته ولا في صفاته ولا أفعاله أحدًا من خلقه، ولا يماثله أحدٌ من خلقه، كما قال سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورى]، والله أعلم.

صاحب «القاموس المحيط» وأمثاله لا يعتمد عليه في تفسير آيات الصفات وأحاديثها تفسير الحياء بالحياة!

السُّؤَالُ:

في القاموس: «معنى الاستحياء الاستبقاء» فقال الفيروز أبادي معلقًا: «وقيل: ومنه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا﴾ [البقرة: ٢٦]».

فهل هذا تأويل مردود مطلقًا أم له وجه في العربية وأقوال السلف كقوله: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [القلم: ٤٢]؟ وهل لعقيدة علماء المعاجم أثر في ترجيح المعاني؟ إن كان نعم، فهل أفردت مباحث أو مصنفات أو رسائل في ذلك، مع الإحالة؟ أحسن الله إليكم.

الجواب:

الحمد لله؛ إن الله وصف نفسه بأنه لا يستحيي من الحق، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، وفهم أهل السنة من ذلك أن الله يوصف بالحياء، وإن النفي المقيد يدل على الإثبات المطلق، وقد جاء في السنة إثبات الحياء والاستحياء لله تعالى، كقوله ﷺ: «**إن ربكم تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ حيي كريم يستحيي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما**

صفرًا»(١)، وجاء في حديث الثلاثة الذين مروا بمجلس النبي ﷺ فجلس أحدهم خلف الحلقة، فقال النبي ﷺ فيه: «**فاستحيا فاستحيا الله منه**»(٢).

وقول صاحب القاموس: «يستحيي يستبقي»، ليس من الحياء بل من الحياة، أي يبقيه حيًّا، ومنه قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ﴾ [القصص: ٤]، أي يبقيهن أحياء وأما قول القاموس: «ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا﴾ [البقرة: ٢٦]» فغلَطٌ تبع فيه الجوهري، نبه عليه صاحب تاج العروس.

فقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا﴾ من الحياء لا من الحياة، فصاحب القاموس وأمثاله لا يعتمد عليهم في تفسير آيات الصفات وأحاديثها؛ فإن كثيرًا منهم قد تأثر بالمذاهب الكلامية، وأسلمُهم أبو منصور الأزهري صاحب تهذيب اللغة، فالمعروف أنه ينهج منهج أهل السنة، وهناك رسالة بعنوان «مناهج اللغويين في تقرير العقيدة»، في الجامعة الإسلامية، وهي منشورة، وأظن أن هناك رسالة مشابهة لها في جامعة الإمام، والله أعلم.

---

(١) أخرجه أبو داود (١٤٨٨)، والترمذي (٣٥٥٦) وقال: «حسن غريب»، وابن ماجه (٣٨٦٥)، والحاكم بنحوه (١٩٦٢) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»، وغيرهم، جميعهم؛ من حديث سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال ابن حجر: سنده جيد. فتح الباري (١١ / ١٤٣).

(٢) جزء من حديث أبي واقد الليثي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري (٦٦)، ومسلم (٢١٧٦).

خمس عشرة شبهة في التفويض والرد عليها[١]

السؤال:

فضيلة الشيخ العلامة/ عبد الرحمن بن ناصر البراك -حفظه الله-.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، هذه شبهةٌ تفويضية يُكثِر المبتدعة الأشاعرة -يا شيخنا الكريم- من تردادها، وهي قولهم:

الأول: قلتم يا سلفيُّون في جميع صفات الله سبحانه إنها معلومة المعنى مجهولة الكيف، فما جوابكم إن سألناكم عن معنى اليد والساق والرجل؟ وعن معنى الضحك والغضب؟ وهل المعنى الذي تثبتونه هو ما ورد في معاجم اللغة أم هو شيء آخر؟ فإن كان شيئًا آخر فبينوه، فإن لم تذكروا شيئًا في بيان هذا المعنى فأنتم في الحقيقة مفوضة وإن كابرتم.

الجواب:

الحمد لله؛ مذهب أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته هو المذهب الحق الموافق لصحيح المنقول وصريح المعقول، وهو مبني على ثلاثة أصول: الإثبات لما أثبته الله لنفسه، ونفي مماثلته تعالى لخلقه، ونفي العلم بالكيفية.

(١) هذه الأسئلة الخمسة عشر وردت إلى شيخنا من موقع أهل الحديث، وقد نشرت الجوابات عنها في ذلك الموقع، وقد آثرنا أن تبقى هنا مجتمعة كما هي في أصلها، ولارتباط بعضها ببعض في موضوعاتها.

فأما الإثبات فدليله قوله تعالى: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ٨﴾ [التغابن]، ونظائر هذه الآية، فمن الإيمانِ الإيمانُ بما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ.

ودليل نفي التمثيل قوله تعالى: ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤﴾، ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ [الشورى: ١١]، ونحو ذلك.

ودليل نفي العلم بالكيفية قوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا ١١٠﴾ [طه]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ﴾ [الإسراء: ٣٦]، وقوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٣﴾ [الأعراف].

ومعلوم أن الأسماء والصفات التي جاءت مضافةً إلى الله أيضًا جاءت مضافة إلى العباد، بل بعض الصفات المضافة إلى الإنسان تأتي مضافة إلى الحيوان: كالوجه واليد والرأس والعين، ومعلوم أنه لا يلزم من الاتفاق بين الإنسان والحيوان في هذه الأسماء أن يكون الإنسان مماثلًا للحيوان، وإلّا لصح أن يقال: الإنسان كالقرد والخنزير والحمار أو غيرها من الحيوانات التي تضاف إليها تلك الصفات، ولكن لما كانت هذه المخلوقات مشاهدة كانت كيفياتها معلومة.

وكذلك بعض الصفات المضافة إلى الإنسان كالوجه واليد والعين، أو المضافة إلى بعض الحيوان كالجناح، جاءت مضافة للملائكة، كما قال تعالى: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ﴾ [الأنعام: ٩٣]، وقال: ﴿جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ﴾ [فاطر: ١]، ومعقول من معنى اليد المضافة إلى الملائكة والإنسان أنها التي يكون بها الأخذ

والعطاء والفعل والقبض والبسط، ويكون بالجناح الطيران، ولم يلزم من ذلك أن أيدي الملائكة كأيدي الناس والحيوان، ولا أجنحتهم كأجنحة هذه الطيور، فمعناها معقول وكيفيتها مجهولة، هذا مع أن الجميع مخلوق، فصفات الملائكة مباينة لصفات الإنسان والحيوان ومعانيها مفهومة للمخاطبين، وشأن الله أعظم من ذلك، فكل موصوف صفاته مناسبة له، فإن كان الله لا يماثل شيئًا من مخلوقاته ولا يماثله شيء من خلقه فكذلك صفاته، فهو سبحانه ليس كمثله شيء؛ لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله.

ومذهب أهل السنة في هذا الباب هو الصراط المستقيم، وكل من خالفهم فقد انحرف عن الصراط بدرجات متفاوتة، ومذهب أهل السنة مستقيم لا تناقض فيه ولا اضطراب، والمذاهب المخالفة متناقضة فيثبتون الشيء وينفون نظيره، وينفون الشيء ويثبتون نظيره، وهذا لازم لكل من نفى شيئًا مما جاء به الرسول ﷺ، ولا مخرج لهم عن هذا التناقض إلّا بالرجوع إلى الحق بإثبات كل ما أثبته الله لنفسه، وأثبته له رسوله ﷺ على الوجه اللائق به سبحانه، أو ينتهي به الأمر إلى غاية الإلحاد بنفي وجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

والمعطلة لجميع الصفات من الجهمية والمعتزلة بنوا مذهبهم على شبهات زعموها حججًا عقلية، عارضوا بها نصوص الكتاب والسنة، وزعموا أن ما دلت عليه هذه الحجج هو الحق الذي يجب اعتقاده، وأن ظواهر النصوص كفر وباطل، فأوجبوا لذلك صرفها عن ظاهرها، بشتى التأويلات التي لا دليل عليها، فجمعوا بين التعطيل لصفات الرب وتحريف كلامه وكلام رسوله ﷺ.

وأما الأشاعرة فقد شاركوا الجهمية والمعتزلة في كثير من باطلهم في هذا الباب، فنفوا أكثر الصفات وأثبتوا القليل منها، وحجتهم فيما نفوه هي حجة الجهمية والمعتزلة في نفي جميع الصفات، فشاركوهم في المذهب والاستدلال، وما أثبتوه من الصفات لم يسلم من التخليط، كما في مسألة كلام الله تعالى ومسألة الرؤية، فكانوا بهذا الإثبات والنفي متناقضين أظهر تناقض، فما يحتجون به على ما نفوه يقتضي نفي ما أثبتوه، وما احتجوا به فيما أثبتوه يقتضي إثبات ما نفوه، فيلزمهم إما إثبات الجميع أو نفي الجميع، ولكنهم اختلفوا في موقفهم من نصوص الصفات التي نفوها.

فمنهم من يوجب في هذه النصوص التأويل، وذلك بصرفها عن ظاهرها إلى معان محتملة مرجوحة، ومعان بعيدة بغير حجة يجب المصير إليها، وسبيلهم في هذا سبيل الجهمية والمعتزلة، فيجمعون بين التحريف والتعطيل والحكمِ على النصوص بأن ظاهرها هو التمثيل الباطل.

ومنهم من يوجب في هذه النصوص التفويض، وحقيقته أن هذه النصوص لا تدل على معنى مفهوم، فلا يفهمها أحد لا الرسول ﷺ ولا الصحابة، فضلًا عن غيرهم، ولازم هذا المعنى بل حقيقته أن نصوص هذه الصفات ليس فيها بيان للناس ولا هدى ولا شفاء، ولا تكون من أحسن الحديث، فإن ما لا معنى له، وما لا يفهمه أحد لا يحصل به شيء من ذلك.

وليس أهل التفويض من الأشاعرة وغيرهم بأقل ضلالًا وانحرافًا من أهل التأويل، فإنهم يشتركون فيما نفوا من الصفات، فيشتركون في

التعطيل، ويشتركون كذلك في أن هذه النصوص لا يجوز اعتقاد ظاهرها، فظاهرها غير مراد عندهم، ولا ريب أن من كان يعتقد أن ظاهرها التشبيه فإنه لا يجوز أن يكون هذا الظاهر مرادًا.

ولكن أهل السنة يأبون ذلك، فالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أعلم وأحكم من أن يكون ظاهر كلامه هو تمثيله بخلقه، فإنه تعالى لم يخبر بما أخبر به من أسمائه وصفاته إلا مع تنزيهه عن مماثلة خلقه، كما في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى]، فأثبت لنفسه السمع والبصر ونفى أن يماثله شيء من خلقه.

ومعاني أسمائه سبحانه وصفاته معلومة للمخاطبين، فإن الله أنزل هذا القرآن بلسان عربي مبين، وبهذه النصوص المفهومة عرف المؤمنون ربهم بأنه ذو سمع حقيقة وسع الأصوات، وذو بصر حقيقة فلا يغيب عنه شيء، وذو حياة حقيقة فلا تأخذه سنة ولا نوم، وهو الحي الذي لا يموت، وهو ذو قدرة تامة فلا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، وذو علم محيط بكل شيء فلا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، وهو تعالى منزه عن أضداد هذه الصفات من الصمم والعمى والموت والعجز.

وكما أنه سبحانه موصوف بهذه الصفات بمعانيها فهو موصوف أيضًا بما وصف به نفسه من الاستواء على العرش والنزول إلى السماء الدنيا كل ليلة في الثلث الأخير من الليل، والمحبة والرضا والغضب والفرح والضحك مما جاء في القرآن أو في السنة، وكلها معانيها معلومة وكيفياتها

غير معقولة لنا، مع الجزم بأن ما يختص به الرب من هذه المعاني ليس مماثلًا لما يختص به المخلوق، حتى الوجود؛ الله موجود، والعبد موجود، وليس وجود الخالق كوجود المخلوق، ولا وجود المخلوق كوجود الخالق، وإن كان كل منهما هو وجودًا ضد عدم، ولا يلزم من الاتفاق في معنى كلي اتفاقهما فيما يختص بالخالق أو يختص بالمخلوق.

والتعبير عن الأسماء والمعاني التي في معاجم اللغة منه ما هو تفسير بما يختص بالمخلوق، كتفسير الغضب بغليان دم القلب، أو تفسير الرحمة بأنها رقة في القلب، وما أشبه ذلك، ومنها ما هو تفسير بالمعنى العام الذي يصلح أن يضاف إلى الخالق وأن يضاف إلى المخلوق، كما إذا قيل العلم ضد الجهل، والحياة ضد الموت، والسمع إدراك الأصوات، والبصر إدراك المرئيات، وكثير من المعاني يصعب التعبير عنها بحد جامع مانع لكنها معقولة، مثل المحبة والبغض، بل الحياة والسمع والبصر إنما تفسر بذكر أضدادها ومقتضياتها اللازمة لها، ولا يعني ذلك نفي حقائقها، فتثبت المحبة مثلًا وما تستلزمه من الثواب، والبغض وما يستلزمه من العقاب، ونفي الحقيقة وإثبات لازمها تعطيلٌ مع ما فيه من التناقض، فإن إثبات اللازم يقتضي إثبات الملزوم، ونفي الملزوم يقتضي نفي اللازم.

وقد جاء عن أئمة أهل السنة القول الفصل المتضمن للحق الخالص:

فمن ذلك قول الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما سئل عن الاستواء: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول.

وقال غيره في نصوص الصفات: تمر كما جاءت بلا كيف، أي: لا يتعرض لها بالتأويل، بل يؤمن بها، والإيمان بها يتضمن الإيمان بألفاظها وبمعانيها فإن ما لا معنى له لا يقال فيه: بلا كيف.

فيجب الإيمان بأنه تعالى كما وصف نفسه وكما وصفه رسوله ﷺ، وكل ما جاء من ذلك فهو حق على حقيقته اللائقة به سبحانه، فكما تقول: الله تعالى حي والمخلوق حي، وليس الحي كالحي، والله تعالى سميع بصير والإنسان سميع بصير، وليس السميع كالسميع ولا البصير كالبصير، نقول كذلك: إنه تعالى يحب ويرضى ويبغض، والمخلوق يوصف بهذه الصفات، وليس ما يضاف إلى الله من هذه الصفات مثل ما يضاف إلى المخلوق.

فنعرف ربنا بأنه يحب أولياءه ويرضى عنهم ويبغض أعداءه ويسخط عليهم، كذلك نؤمن بأنه يفرح بتوبة عبده، كما أخبر أعلم الخلق به ﷺ[1]، وفرحه يتضمن محبته سبحانه لتوبة عبده، والرسول ﷺ أخبر بذلك ترغيبًا في التوبة إلى الله، فإن الذي ينبغي للعبد أن يسارع إلى ما يحبه مولاه ويفرح به، وفرحه تعالى بتوبة عبده ذلك الفرح يدل على عظيم كرمه وإحسانه، وهو تعالى أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين، فنسأله تعالى أن يرحمنا وأن يتوب علينا.

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٦٣٠٩)، ومسلم (٢٧٤٧)؛ من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

السؤال الثاني: نريد تقويمكم -شيخنا- لهذا الجواب وهو أن يقال:

إن السؤال عن معاني هذه الكلمات عيٌّ؛ لأنه إنما يكون هذا السؤال عن كلمة غريبة في اللغة وإلا فالسمع والوجود واليد والرجل والساق والرضا والغضب كلمات واضحة جلية للسامع، وأئمة الأشاعرة لما أرادوا أن يوضحوا الواضح اضطربوا في هذا غاية الاضطراب، حتى إن الغزالي في «المنخول» (ص٩٤) بعد أن زيف جميع تعاريف من سبقه لـ«العِلْم»، قال: «والمختار أن العلم لا حد له، إذ العلم صريح في وصفه مفصح عن معناه ولا عبارة أبين منه، وعجزنا عن التحديد لا يدل على جهلنا بنفس العلم...» إلى آخر ما قال، وأمثال هذه النصوص عن هؤلاء كثيرة. أما كيفية هذه الصفات وكنهها فهو مجهول لنا، ولعل السائل إنما يسأل عن الكيف بصورة السؤال عن المعنى للتلبيس.

أما المعاجم فإما أن تعطي بالنسبة لهذه الألفاظ الواضحات:

١. مفردة مرادفة للمعنى الكلي للفظ المراد البحث عن معناه أو ما يضاده في المعنى، كأن يقال: القدم: هي الرِّجل، والعلم: هو الإدراك، والرضا: ضد الغضب، واللفظ المستفاد هنا كما هو واضح إما أن يكون أخفى من اللفظ الأول، أو أنه مساوٍ له في الظهور، وهنا سيعيد هذا السائل السؤال بالنسبة لمعنى اللفظ الآخر.

٢. أو تعطي هذه المعاجم بعض الأمثلة من حقائق هذا المسمى في الخارج لتقرب معناه الكلي من الذهن، لكن لا يجوز أن يعتقد



قط بأن كيفية صفات الله سبحانه تماثل كيفية صفات المخلوقين المذكورةَ، تعالى الله سبحانه عن كل نقص وعيب.

فإن قيل: فما المعنى المشترك لصفات ربنا سبحانه، وهو الذي قلتم بأنه واضح وجلي للسامع، والذي فارق به أهلُ السنة المفوضةَ المبتدعة؟

قيل: هو المعنى المتبادر الذي يفهم من خلاله أحكام الصفةِ والأفعالُ التي يصح تعلقها بها ولوازمُها وآثارُها ويفهم من خلاله -ولولاه لما فهمنا هذا- ما يقارب اللفظ في المعنى وما يرادفه وما يضاده ونحو هذا. وهذا المعنى هو الذي يُفهم من لفظة الصفة في سياقها الوارد، ويفهمه كل من سلمت فطرته من تغيير، ممن يفهم بتلك اللغة.

فما تعليقكم يا فضيلة الشيخ على هذا الجواب؟

الجواب:

الحمد لله؛ الذي أرى أنه جواب سديد، ومداره على أن هذه الصفات المسؤول عنها واضحة المعنى مفهومة، وأنها أوضح من كثير مما تفسر به، كما ورد الاستشهاد بذلك بما قال الغزالي في العلم، ويمكن أن يقال مثله في الحياة والمحبة والرحمة والفرح، ولهذا يلجأ بعض أهل اللغة أصحاب المعاجم إلى تفسيرها بذكر أضدادها، أو يقولون: معروف.

والموردون للسؤال من الأشاعرة عليهم أن يوردوا هذا السؤال على أنفسهم فيما أثبتوه؛ فما يجيبون به هو جوابنا عن هذا السؤال فيما نفوه:

فإن كان ما أثبتوه لله من الحياة والقدرة والسمع والبصر أثبتوها بمعانيها المعقولة المفهومة على الوجه اللائق به سبحانه، والمعقول من معاني هذه الأسماء أن الحياة ضد الموت، والعلم ضد الجهل، والقدرة ضد العجز، والسمع ضد الصمم، والبصر ضد العمى، فليقولوا مثل ذلك في سائر ما نفوا من صفات الله، سواء كانوا من أهل التأويل أو التفويض، وهذا هو المطلوب.

وإن نفوا ما نفوا من الصفات فرارًا من محذور، فما زعموه من المحذور لازمًا من إثبات تلك الصفات هو لازم لهم فيما أثبتوه.

فلابد لهم من إثبات الجميع لله على ما يليق به أو نفي الجميع، وحينئذ يخرجون عن مذهبهم الباطل المضطرب: إما إلى الحق المستقيم، أو إلى ما هو أبطل مما ذهبوا إليه، ومن أراد الحق واجتهد في طلبه وتحريه هدي إليه، فمن تدبر القرآن طالبًا الهدى منه تبين له طريق الحق، فإن الله لا يخلف الميعاد، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾ [العنكبوت].

أما المعنى المشترك فهو القدر الذي يَثبُت لكل ما يصدق عليه الاسم العام، ويسمى المتواطئ؛ لأن أفراده تتفق في معناه إما مع التساوي أو مع التفاوت، فالأول كالإنسان فإنه اسم للنوع البشري، والثاني: كالنور فإنه يصدق على نور الشمس، ونور السراج الضئيل، ومن هذا القبيل لفظ الوجود والموجود، فإنهما يصدقان على كل وجود وكل موجود مع التباين العظيم، كما في وجود البعوضة ووجود العرش، وأعظم من ذلك التباين بين وجود الواجب ووجود الممكن، فالقدر

المشترك هو مسمى الاسم المطلق -وهذا القدر وجوده في الذهن لا في الخارج- فالوجود ضد العدم، والموجود ضد المعدوم، فهذا القدر لا يختلف فيه موجود وموجود أو وجود ووجود، والله أعلم.

السؤال الثالث: إذا صح أن يقال في صفات مثل الحياة والقدرة والغضب والرضا: إن السؤال عنها عيٌّ، حيث إن المرء لا يستطيع أن يعبر عن معاني هذه الصفات الخاصة به، فهل يقال مثل ذلك في اليد والساق والضحك، لاسيما أن المرء يستطيع أن يعبر عن معاني هذه الصفات؟

الجواب:

الحمد لله؛ السؤال عن هذه الصفات على وجهين:

الأول: سؤال عن حقائقها وكيفياتها، وهذا هو السؤال الذي قال فيه الإمام مالك: «والسؤال عنه بدعة»؛ لأنه سؤال عما لا سبيل إليه، ولا يمكن أحدًا الجوابُ عنه.

والثاني: سؤال عن معانيها، وهذه الصفات مع وضوحها لا يكون السؤال عنها إلّا من متعنت متكلف، كالذي يسأل عن الماء والشمس والإنسان، ولا نقول إن هذه الألفاظ لا يمكن التعبير عن معناها، بل كل لفظ يمكن تفسيره؛ إما بمرادفه، أو بذكر ضده، أو بذكر بعض آثاره وما يحصل به، والمقصود هو إفهام المراد وتقريبه.

ولا ريب أن المسميات منها أمور معنوية مدركة بالعقل، وأمور حسية تدرك بالحس، ومعلوم أن تصور الأمور المحسوسة أكمل من

تصور الأمور المعقولة، هذا؛ ومن الأمور العقلية ما تكون معرفته والقطع به أعظم من المحسوس، وهذا يرجع إلى تفاوت المدارك والقضايا، من حيث الظهور والخفاء، والله أعلم.

السؤال الرابع: هل من إشكال إذا قال قائل: اليد صفة لله يبسطها ويقبضها... وهي يد حقيقية فليست القدرة أو القوة... ولا يعرف حقيقتها إلا الله، وإننا إذا رأيناها يوم القيامة عرفناها، كما في الحديث أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يتجلى للمؤمنين بالوصف الذي كانوا يعرفونه به في الدنيا، وإننا لا نعرف ما وراء ذلك؟

الجواب:

الحمد لله؛ إذا قال قائل: اليد صفة لله تعالى يقبضها ويقبض بها ما شاء ويبسطها، وهي يد حقيقة.. إلى آخر ما ذكر فلا إشكال فيه، أما رؤية اليد، فالرؤية لم ترد إلّا مجملة أو رؤية لوجهه الكريم، فنثبت هذا والباقي نسكت عنه، والله أعلم.

السؤال الخامس: ما قولكم شيخنا فيمن يقول: أنا لا أثبت إلا ما أثبته الله لنفسه، أو أثبته له رسوله ﷺ، أو ما أثبته أهل القرون الثلاثة الأولى، و لا أزيد على ذلك حرفًا وإن كان صحيح المعنى، إذ يسعني ما وسعهم، فيقول في قوله استوى أي: علا وارتفع، ويقول: إن الساق صفة حقيقية قد جعل الله كشفها يوم القيامة علامة يعرفه بها عباده المؤمنون، ويقول في القدم إنهما قدمان وإن الكرسي موضعهما وإنه

سبحانه يضع قدمه في النار حتى تقول: قط قط، فهل يجب عليه ما هو فوق ذلك؟

الجواب:

الحمد لله؛ هذه الجملة تحتاج إلى تفسير، فكيف يكون (صحيح المعنى) ولم يثبته الله تعالى لنفسه، ولا أثبته له رسوله ﷺ! لكن ينبغي أن يعلم أنه ليس كل ما صح أن يخبر به عن الله صح أن يكون اسمًا له أو صفة يثنى بها عليه، فإن باب الإخبار أوسع من باب التسمية والنعت والثناء، وذلك كلفظ الشيء والموجود وواجب الوجود والقديم، فإن هذه الألفاظ يصح إطلاقها على الله على وجه الإخبار، فيقال: الله شيء وموجود وهو سبحانه واجب الوجود وهو قديم، وهذه وإن لم ترد ألفاظها فقد ورد ما يستلزمها ويتضمنها، بل لفظ (شيء) قد جاء في القرآن، كما في قوله تعالى: ﴿قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ قُلِ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ١٩]، وجاء في السنة: «**لا شيء أغير من الله**»[١].

ثم إن قول السائل: «وما أثبته أهل القرون» قد يفهم منه أنهم قد يثبتون ما لم يرد به نص من كتاب أو سنة، وليس المعول في إثبات الصفات على مجرد الإجماع، بل كل ما اتفق عليه أهل السنة فقد جاءت به النصوص، كما ذكر شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في القاعدة الثانية من العقيدة التدمرية، ثم إن بعض الفرق حدثت في القرون الثلاثة، فإن كان يريد الصحابة والتابعين فالمعنى صحيح، والله أعلم.

(١) أخرجه البخاري (٤٩٢٤)، ومسلم (٢٧٦٢)؛ من حديث أسماء رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا.

السؤال السادس: هل الرجوع إلى كتب اللغة التي تعنى بالأصول اللغوية للكلمات مفيد في معرفة المعنى الكلي المشترك للصفة؛ ككتاب معجم مقاييس اللغة لابن فارس رَحِمَهُ ٱللَّهُ؟ وقد ورد في هذا الكتاب أن أصل الضحك هو دليل الانكشاف والبروز، فهل يقال بأن هذا هو أصل معنى الضحك الذي نثبته ونفهمه فقط، خصوصًا أنه قد أدخل في هذا المعنى ضحك السحاب وضحك الزرع!؟ إن كان الجواب بنعم فلم قال الأعرابي: «لن نعدم من رب يضحك خيرًا»؟ ثم أليس هذا المعنى أخفى من لفظ الضحك نفسه الذي يفهمه كل أحد بحسب ما يضاف إليه؟

الجواب:

الحمد لله؛ ما ذكره ابن فارس من معنى كلِّيٍّ للضحك ليس بصحيح، فلا يصح أن يقال ضحك الله انكشاف، بل الانكشاف لا يفسر حقيقة الضحك، لكن هذه محاولة من ابن فارس، ويظهر أنه قال ذلك بناء على أن ضحك الإنسان يتضمن انكشاف موضع الضحك، فيكون هذا التفسير أقرب إلى ما يناسب المخلوق، وأما ضحك الرب فإنه معنًى الله أعلم بكيفيته، لكن دلت موارده على أنه يتضمن الرحمة والرضا، كما في حديث «**يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر**»[(١)]، وحديث «**فيظل يضحك يعلم أن فرجكم قريب**»[(٢)]، ولهذا قال الأعرابي: لن نعدم من رب يضحك خيرًا، والله أعلم.

(١) أخرجه البخاري (٢٦٧١)، ومسلم (١٨٩٠)؛ من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه بنحوه الإمام أحمد (٤/ ١١-١٢)، وابن ماجه (المقدمة، ١/ ٦٤)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٥٥٤)، والآجري في «الشريعة» (ص ٩٥)، قال شيخ =

السؤال السابع: إذا كان المعنى المشترك الكلي هو أصل معنى اللفظ في لغة العرب، وكان المنقول عن العرب أكثر من معنى لإطلاق اللفظ، فكيف السبيل لمعرفة المعنى المشترك الكلي؟ فمثلًا ذكر بعض أهل اللغة أن اليد هي الكف، وذكر بعضهم أنها من أطراف الأصابع إلى الكف، وآخرون أنها من أطراف الأصابع إلى المنكب، وغيرهم أنها من أطراف الأصابع إلى الكتف، وقد ثبت عن بعض الصحابة فمن بعدهم إطلاق اليد والمراد من أطراف الأصابع إلى المنكب.

الجواب:

الحمد لله؛ هذه التفسيرات من بعض أهل اللغة لليد راجعة إلى اختلاف المراد بها في مختلف سياقات الكلام، فتارة يراد بها هذا، وتارة يراد بها هذا، وتارة يراد بها هذا، فالسياق هو الذي يحدد المراد من هذه المعاني، وقد تحدد المراد أدلة خارجة عن السياق الذي ورد فيه لفظ اليد، ويد الإنسان يعلم بالحس أن لها أصابع وكفًا وذراعًا ومرفقًا وعضدًا، ويعرف المراد من هذه بحسب ما يرد فيه ذكر اليد، ولا يشتبه هذا على أكثر الناس.

فإذا قيل: فلان له يدان، شمل ذلك كل ما يدخل تحت هذا الاسم، وإذا قيل: لمسه بيده كان المتبادر أنه لمسه بكفه، وإذا قيل: قطعت يده، فالغالب أنه يراد قطع الكف، ولما أخبر سبحانه أنه خلق آدم بيديه وأنه يأخذ

= الإسلام ابن تيمية: «حديث حسن». «الواسطية» (ص ١٣). ولفظه عند أحمد: «**فيظل يضحك، قد علم أن غِيَرَكم إلى قرب**».

السماوات والأرض بيده[١]، علمنا أن لله يدين يخلق بهما ويبسطهما ويقبضهما ويقبض ما شاء بهما، ولا نزيد على هذا إلّا ما جاء به الدليل، كإثبات الأصابع له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ[٢]، ولا يجوز لنا أن نتخيل كيفية يده، فإن ذلك مما يستحيل الوصول إليه، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمًا ١١٠﴾ [طه]، والله أعلم.

السؤال الثامن: هل يصح قول إن المعنى المشترك الكلي للصفات هو الظاهر المتبادر إلى ذهن الموحد سليم الفطرة الذي يفهم لغة العرب؟ وما دخل التوحيد والفطرة في هذا الأمر؟ وهل كان أصحاب النبي ﷺ إذا سمعوا آيات الصفات قبل إسلامهم يتبادر إلى ذهنهم أمر مغاير لما يتبادر إليها بمجرد إسلامهم؟

الجواب:

الحمد لله؛ لا ريب أن الصحابة ممن منَّ الله عليهم بالإسلام وغيرهم من أهل اللسان يفهمون معاني هذه الأسماء وهذه الألفاظ، فيعقلون معنى الحياة والسمع والبصر والعلم والقدرة والغضب والاستواء والعزة والرحمة والإرادة ومعنى الوجه والعين واليد، وغير ذلك مما جاء مضافاً إلى الله تعالى.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٨٨)؛ من حديث ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا. ولفظه: «**يأخذ الله عَزَّوَجَلَّ سماواته وأرضيه بيديه، فيقول: أنا الله -ويقبض أصابعه ويبسطها- أنا الملك**».

(٢) كما في الحديث الذي أخرجه مسلم (٢٦٥٤)؛ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن...**» الحديث.

ولكن من لم يؤمن بالقرآن ويدخل في الإسلام قد يكذب بذلك كله أو بعضه، وما يقر به قد تكون له فيه تصورات تدور في خياله ويتوهمها، فقد يتصور تكييفًا أو يتصور تمثيلًا، ومنشأ ذلك الجهل ووساوس الشيطان، كما قد يتلقى شيئًا من ذلك من أبويه فيكون مقلدًا لهما، ولمن قبلهما؛ ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الزخرف].

وأما مَنْ مَنَّ الله عليه بالإيمان بالله ورسوله، ودخل في الإسلام، فإنه يفهم معاني هذه الأسماء والألفاظ فهما بريئًا من آثار الجاهلية، بل يفهمها على الوجه الموافق لبيان الله ورسوله ﷺ، فإنه تعالى لما أخبر عن نفسه بهذه الأسماء وهذه الصفات بين أن ليس كمثله شيء، وليس له ند ولا كفؤ ولا سميٌّ، وبين تعالى أن العباد لا يحيطون به علمًا، فأثبت الصحابة والمؤمنون من بعدهم ما أثبته الله لنفسه كما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة، فآمنوا بأنه تعالى ثابتة له هذه الصفات، ولكنها لا تماثل صفات المخلوقين، ولا يحيطون بها علمًا، فلا يعلمون حقائقها وكيفياتها، فهم يعلمون ويؤمنون بأنه تعالى حيٌّ قيوم سميع بصير عليم قدير، وأنه يتكلم ويغضب ويرضى، إلى غير ذلك مما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ، ويفهمون معاني هذه الصفات، فالحياة ضد الموت، والسمع ضد الصمم، وهو إدراك الأصوات، والبصر ضد العمى، وهو إدراك المرئيات، فيفهمون من معنى أنه سميع بصير أنه سميع لأصوات العباد، وأنه تعالى يراهم، كما قال لموسى وهارون عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [طه]، وهم يؤمنون بأنه لا يلزم من إثبات هذه الصفات مماثلته تعالى لخلقه، وإن كان بين أسمائه وصفاته

وأسماء بعض العباد وصفاتهم قدر مشترك، فإنَّ توهُّم التشبيه بسبب ثبوت القدر المشترك هو من الباطل الذي قام عليه مذهب أهل التعطيل، حيث زعموا أن إثبات الصفات لله يستلزم التشبيه، وتفرع عن هذه الشبهة شبهات، وحصل الافتراق بين الأمة في هذا الباب، وعصم الله أهل السنة والجماعة فلزموا ما كان عليه الصدر الأول، قبل أن تحدث المحدثات، وتثار الشبهات، والله أسأل أن يهدينا إلى الحق بإذنه، إنه يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، والله أعلم.

السؤال التاسع: ما الحيلة فيمن تشوهت فطرته؟ وكيف سيفهم المعنى الصحيح للصفات الخبرية؟

الجواب:

الحمد لله؛ من تشوهت فطرته فالحيلة أن يدعى ويعلم ويدعى له، وإذا صحت نيته في معرفة الحق فحريٌّ أن يهديه الله، وأن يلهمه الصواب، أما إن غلب عليه التعصب للمذهب والآراء والآباء والشيوخ فالأحرى به ألا يوفق لمعرفة الحق وقبوله، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾ [العنكبوت]، وقال تعالى: ﴿أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٢٣﴾ [الجاثية]، ولا يملك هداية القلوب إلّا الله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ٥٦﴾ [القصص]، فالداعي إلى الله لا يملك إلّا البلاغ كما هو شأن الرسل صلوات الله وسلامه عليهم: ﴿فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ

ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾﴾ [النحل]، ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ [الشورى: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾﴾ [إبراهيم]، والله أعلم.

السؤال العاشر: هل المعنى المشترك الكلِّيِّ لصفةٍ ما هو المعنى الموجود في كل من يتصف بهذه الصفة على الحقيقة؟ وهل يكفي في معرفة هذا المعنى المشترك بين موصوفين بنفس الصفة مجرد اتصاف كل منهما بها، أو لا بد من شيء زائد إذ قد يكون في صفة أحدهما من المعاني ما ليس في نفس الصفة في الآخر؟ وإن كان الجواب نعم، فما هو هذا الشيء الزائد؟

الجواب:

الحمد لله؛ القدر المشترك هو مسمى الاسم المطلق، أي غيرِ المضاف، ومسمى الاسمِ المطلق غيرُ موجود في الخارج، لكنه ثابت لكل من صح إطلاق هذا الاسم عليه، كمطلق الوجود فإنه ثابت لكل موجود، وهذا حكم جميع الأسماء المتواطئة، أي المتفقة في معنى هذا الاسم العام، لكن إذا أضيف الاسم المطلق دل على القدر المشترك مقيَّدًا بما يختص به المضاف إليه وهو القدر المميِّز، فوجود الله هو وجودٌ واجبٌ قديمٌ لا يجوز عليه الحدوث ولا العدم، ووجود المخلوق وجود ممكن محدث يجوز عليه العدم، وبهذا يعلم أنه لا يوجد في الخارج إلّا ما هو معين مختص، فكلٌّ من المسميين أو الموصوفين

بصفة لا يشركه فيها الآخر في الخارج، لكنه يشركه في مطلق هذا الاسم وهذا الوصف في الأذهان؛ فالعالمان كلٌّ منهما مستقل بعلمه مختص به، لكنهما مشتركان في مطلق العالِمية، أو مطلق عالِم، والمعنى المطلق للعالم أو العالمية مشترك بينهما، لكن هذا المشترك لا يوجد إلّا في الذهن، فعلم أن لا اشتراك بينهما في أمر موجود في الخارج، وقس على هذا سائر الأسماء المتواطئة، وهي الأسماء العامة المطلقة؛ سواء تفاضل المعنى في أفرادها أو تساوى، والله أعلم.

السؤال الحادي عشر: هل صواب أن يقال: إن المعنى المشترك الكلي الذي نثبته لصفات الله عَزَّوَجَلَّ هو الذي يفهم من خلاله أحكام الصفات وأفعالها التي يصح تعلقها بها ولوازمها وآثارها؟

أو أن يقال: إن المعنى المشترك الكلي هو الذي يفهم من خلال أحكام الصفة وأفعالها وآثارها ولوازمها التي أخبرنا الله عنها، ويكون موجودًا في كل من يتصف بهذه الصفة؟:

إذْ على الثاني فإننا قد فهمنا من إخبار النبي ﷺ عن صفة الأصابع أن الله عَزَّوَجَلَّ يقلب قلوب العباد بين أصبعين منها، وفهمنا من حديث الحبر «أن الله سبحانه يضع الأرضين على إصبع، والسماوات على إصبع، والجبال على إصبع...» الحديث، فمعنى التقليب موجود في أصابع الإنسان، فعلمنا بخبر النبي ﷺ أنه معنى مشترك، ومعنى وضع الأشياء على الأصابع موجود في أصابع الإنسان، فعلمنا بالخبر كذلك أنه معنى مشترك.

أما على الأول فإنه لو لم يأت الشرع بأي شيء عن صفة الأصابع سوى ذكر أن لله أصابع فإننا سنفهم من خلال المعنى المشترك -بعد أن نعرف ما هو أولًا- أحكام الأصابع والأفعال التي يصح تعلقها بها ولوازمها وآثارها، فهل يمكن -إن صح هذا الأول- أن يقال: من معاني صفة الأصابع لله أنه يصح أن يشير بها سبحانه، وأن هذا معنى مشترك بينها وبين أصابع الإنسان؟

الجواب:

الحمد لله؛ تقدم أن المعنى المشترك أو القدر المشترك هو مسمى الاسم المطلق، فيثبت هذا المعنى لكل ما يصدق عليه هذا الاسم، وكل ما يثبت من الأحكام للمعنى المشترك يكون ثابتًا للمسمى بهذا الاسم، فلوازم القدر المشترك تثبت لكل من ثبت له القدر المشترك، فلوازم القدر المشترك مشتركة؛ لأن ثبوت الملزوم يقتضي ثبوت اللازم، وأحكامها من وجوب أو جواز أو امتناع هي كذلك مشتركة، فمثلًا الإنسان اسم لكل آدمي، فالقدر المشترك ثابت لكل فرد من بني آدم، وهذا القدر:

أولًا: يستلزم وجوبًا الآدمية والحيوانية والحدوث والإمكان.

وثانيًا: يستلزم امتناع أن يكون ملكًا أو جنيًا والفرض أنه إنسان، وامتناع أن يكون واجب الوجود.

وثالثًا: ويستلزم جواز أن يكون مؤمنًا أو كافرًا، عالمًا أو جاهلًا، قادرًا أو عاجزًا، فما ذكر من هذه الأحكام: من وجوب أو جواز أو امتناع، هي مشتركة بين من يسمى بهذا الاسم (الإنسان)، ويقال مثل ذلك في كل اسم

يطلق على الخالق والمخلوق، وكل صفة تطلق على الخالق والمخلوق؛ كالموجود والوجود، والحي والحياة، والسميع والسمع، والبصير والبصر، والعالم والعلم، وكل ما يستلزمه الاسم المطلق، أي: المجرد عن الإضافة وجوبًا وجوازًا وامتناعًا فإنه مشترك، فإن كان الملزوم مشتركًا كان اللازم مشتركًا، فإن ثبوت الملزوم يقتضي ثبوت اللازم ولابد، فثبوت هذه الأسماء أو هذه الصفات يستلزم نفي ضدها، فهذا اللازم مشترك فيجب نفي ضد هذه الأسماء والصفات عن كل من ثبتت له.

ومطلق العلم أو السمع أو البصر يستلزم الحياة، فكل من ثبتت له هذه الصفات ثبت له هذا اللازم، فهذا اللازم مشترك؛ لأنه من لوازم القدر المشترك للعلم والسمع والبصر.

وعلى هذا؛ فالأصابع جاءت مضافة إلى الله ومضافة إلى الإنسان، فالقدر المشترك أن الأصابع يكون بها الفعل لليد، وعلى هذا؛ فالله تعالى يفعل بيده وبأصابعه ما شاء على ما يليق به، مما أخبرنا به أو لم يخبرنا به، فمما أخبرنا به في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ: خلق آدم بيديه، وأخذه السماوات والأرض بيديه، وجعله ما شاء على أصابعه، وكون القلوب بين أصبعين من أصابعه يقلبها كيف يشاء، وكل ذلك يُثبَت لله على ما يليق به، لا يماثل صفات المخلوقين وأفعالهم.

والإنسان يفعل بيديه وبأصابعه ما يناسب قدرته وإرادته، فمطلق اليد والأصابع، والفعل باليد وبالأصابع ثابت للخالق والمخلوق، كلٌّ على ما يليق به، كما يقال ذلك في جميع الصفات التي تضاف إلى الخالق وتضاف إلى المخلوق.

والإشارة بالأصابع تدخل في جنس الفعل، فيكون جوازها من لوازم القدر المشترك، وما ثبت جوازه على الرب فإنه لا يجوز إثباته ولا نفيه إلّا بدليل، وثبوت مطلق الفعل لا يستلزم القدرة على كل فعل دون وقوعه، ولهذا اختص الرب بكمال القدرة، وكمال الإرادة، وكمال الفعل؛ ولذلك فقد اختص سبحانه بأنه فعال لما يريد، وأنه على كل شيء قدير، واختص المخلوق بالنقص والقصور في القدرة والإرادة والفعل؛ فلا يقدر على كل ما يريد، ولا يفعل كل ما يريد، واختص الرب بكمال القدرة وكمال الإرادة، واختص المخلوق بالنقص في القدرة والفعل والإرادة، والله أعلم.

السؤال الثاني عشر: ما الجواب المناسب إذا قال المخالف فيما ورد في ضحك ربنا سبحانه: نحن لا نعرف الضحك إلا هذا الذي نشاهده في الإنسان وهو المتبادر للفظ الضحك بإطلاق، فإما أن تشبهوا الله بالإنسان وإما أن تثبتوا الضحك كصفة فقط، ويقال: ما نعلمه من معنى ضحك الله هو فقط أن هذا الضحك دليل على إرادة الرحمة والإحسان، كما قال الأعرابي: «لن نعدم من رب يضحك خيرًا»؟

الجواب:

الحمد لله؛ ما ورد في هذا السؤال هو شبهة كل من نفى حقائق الصفات الفعلية: من المحبة والرضا والغضب والفرح والضحك، بل هي شبهة كل من نفى صفات الله أو شيئًا منها، وهي أنهم لا يعقلون من هذه الصفات إلّا ما يشاهدونه ويعلمونه من أنفسهم، فيلزم عندهم من إثبات هذه الصفات لله تشبيهه بالمخلوق، ففروا من ذلك بنفي حقائق

الصفات عن الله، ورأوا أنها لا تثبت لله إلّا على نحو ما هي ثابتة للمخلوق فيجب نفيها، ثم وقفوا من النصوص الدالة على إثبات هذه الصفات لله أحد موقفين:

إما التفويض والتجهيل، وأنه لا سبيل إلى فهم معانيها.

وإما تأويلها بصرفها عن ظواهرها.

فالجهمية والمعتزلة طردوا هذا في جميع الصفات، والأشاعرة ونحوهم فرقوا بين الصفات بلا فرقان، فلزمهم التناقض في إثباتهم ونفيهم وتأويلهم، كما أن التناقض لازم للجهمية والمعتزلة أيضًا، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «كل واحد من النفاة لما أخبر به الرسول ﷺ من الصفات لا ينفي شيئًا فرارًا مما هو محذور، إلا وقد أثبت ما يلزمه فيه نظير ما فر منه»[(١)].

فيقال لصاحب هذا السؤال: يلزمك أن تقول مثل هذا في سائر صفات الله الفعلية بل والذاتية، وليس هذا خاصًا بالضحك والفرح، وأهل السنة -ولله الحمد- يؤمنون بكل ما أخبر الله به عن نفسه، وما أخبر به عنه رسوله ﷺ، وينزهونه عن مماثلة المخلوقات، ولا يكيفون صفاته بل يفوضون العلم بالكيفيات، فيقولون: لا يعلم كيف هو إلّا هو، ولا يعلم كيفية صفاته إلّا هو، على حد قول الإمام مالك وغيره: الاستواء معلوم، والكيف مجهول.

---

(١) «الرسالة التدمرية» (٢/ ٢٨).

وقول الإمام مالك هذا منهج يحتذى في جميع الصفات، فيقال: النزول معلوم، والكيف مجهول، والغضب معلوم، والكيف مجهول، والفرح معلوم والكيف مجهول، والضحك معلوم والكيف مجهول، ومعلوم أن الفرح ضد الحزن، والضحك ضد البكاء، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ ۝٤٣﴾ [النجم]، فالله يوصف بالفرح دون الحزن، وبالضحك دون البكاء، وفرحه تعالى وضحكه من توابع محبته وتعجبه، كما في حديث «**لله أشد فرحًا بتوبة عبده من أحدكم...**»[1] الحديث، وحديث «**يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر...**»[2] الحديث.

فمُورِد هذا السؤال في خصوص الضحك يلزمه أن يقول بقول الأشاعرة فيما نفوه ثم فوضوا أو تأولوا ما جاء في النصوص، بل يلزم ما قاله في صفة الضحك أن يقول بقول المعتزلة والجهمية في جميع الصفات، فإن الشبهة واحدة كما تقدم، والتناقض لازم له على كل تقدير، ولا يخلصه إلّا الإيمان بكل ما جاء عن الله ورسوله ﷺ، على منهج السلف الصالح والصحابة والتابعين لهم بإحسان، والله أعلم.

السؤال الثالث عشر: قال ابن فارس في المقاييس[3]: «الضحك دليل الانكشاف والبروز»، وقد قال أبو رزين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما علم من النبي ﷺ أن الله يضحك: «لن نعدم من رب يضحك خيرًا»، فهل يصح أن

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٤٤)؛ من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٧١)، ومسلم (١٨٩٠)؛ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) «مقاييس اللغة» لابن فارس (٣/ ٣٩٣).

يقال: إن الضحك صفة فعلية متعلقة بمشيئة الله وإرادته، وإنها تدل على عَجَب الله من خلقه أو فرحه بهم، وإن من آثار معرفة العبد بها أن يعلم إرادة الخير منه سبحانه لخلقه، بدليل إقرار النبي ﷺ أبا رزين على فهمه؟ وهل اعتقاد أن ضحك الرب يُرى -دون اعتقاد ما يلزم من ذلك مما لم يأت به الخبر: كالفم والأسنان- يكون تشبيهًا؟

الجواب:

جوابه يراجع فيه ما سبق؛ السؤال الثاني عشر، والسؤال الرابع.

السؤال الرابع عشر: هل أصل معنى اليد هو الكف؟ وما الظاهر المتبادر من يد الله على حسب لغة العرب؟ وما معنى الصفات الآتية: الساق، الضحك، الإصبع؟

الجواب:

الحمد لله؛ يرجع في جواب هذا السؤال إلى الأسئلة المتقدمة؛ الثاني عشر لمعرفة الكلام في الضحك، والأول والسابع والحادي عشر لمعرفة الكلام في الضحك واليد، وأما الساق فقد دلت السنة الصحيحة عليها، كما في صحيح البخاري: «**حتى يبقى من كان يعبد الله...فيقولون:...إنا سمعنا مناديًا ينادي: ليلحق كل قوم بما كانوا يعبدون،...قال: فيأتيهم الجبار... فيكشف عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن...**»[١] الحديث.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٠١)؛ من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأما الآية فقد اختلف فيها:

فمنهم من فسرها بالساق التي هي لربنا.

ومنهم من فسرها بالشدة.

والآية محتملة، لكن مع ورود الحديث الصريح يترجح حمل الساق في الآية على الصفة، فإن الحديث يُفَسِّر الآية، وهو والآية متطابقان.

والقول في الساق كالقول في اليد والأصابع؛ نثبت المعنى، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

ونعلم أن الساق من شأن الرِّجل، كما أن الأصابع المذكورة في حديث الحبر من شأن اليد، والجميع عند أهل العلم والإيمان ليس فيه أي إشكال، وإنما يشكل على الذين يسبق إلى أذهانهم توهم التشبيه، فيلجؤون إلى التعطيل مع التفويض، أو مع التأويل الذي حقيقته التحريف.

ومن عوفي فليحمد الله، وليسأل الله الهدى لما اختلف فيه من الحق بإذنه، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

السؤال الخامس عشر: الحمد لله؛ بالنسبة للطول والعرض في حق الله سبحانه، هل يقال بأن هذه الألفاظ مجملة:

فإن كان المقصود بأن الله لا يرى منه شيء دون شيء، ويعلم منه شيء دون شيء، ويتميز منه شيء دون شيء، وأنه يشار إليه، وأن المخلوقات كلها في قبضته؛ ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا

قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر]، وكما قال عبد العزيز الماجشون[1]: «والله ما دلهم على عظيم ما وصف من نفسه، وما تحيط به قبضته، إلا صِغَرُ نظيرها منهم عندهم، إن ذلك الذي ألقى في رُوعهم، وخلَقَ على معرفته قلوبهم»، فهذا المقصود حق والألفاظ مبتدعة.

وإن كان المقصود شيئًا آخر؛ كأن يقبل أن ينقسم، ويتفرق، ونحو هذا، فهذا باطل ينافي كمال الصمدية.

وإن كان شيئًا آخر فليبين. وهل (المقدار) مصطلح شرعي للتعبير عن المعنى الأول الصحيح استنباطًا من الآية السابقة؟

الجواب:

الحمد لله؛ قال الله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا ﴿١١٠﴾﴾ [طه]، وقال تعالى: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، ففي هذه الآيات دلالة على ما يجب الإيمان به، وهو مذهب أهل السنة والجماعة، من أنه تعالى لا مثل له، فليس كمثله شيء لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، ولا يحيط العباد به علمًا ولا رؤية، وذلك يدل على امتناع العلم بكيفية ذاته، أو كيفية صفاته، فلا يعلم كيف هو إلّا هو، ولا يعلم كيفية صفاته إلّا هو، فالعباد لا يعلمون من شأن الله إلّا ما علمهم، ولا يرونه إلّا يوم القيامة كيف شاء، وما ورد في السؤال من ذكر الطول والعرض

---

(١) ينظر: «مجموع الفتاوى» ط. (مجمع الملك فهد) (٨٠/ ١٦٦).

هو مما لا يجوز التكلم به لا نفيًا ولا إثباتًا؛ لأنه يدخل في باب كيفية ذات الباري سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ التي لا يعلمها العباد، والتفكير فيه هو من التفكير فيما لا سبيل إلى الوصول فيه إلى شيء، ونقول في مثله لا تُفكِّر، ولا تسأل، ولا تحكم، كما قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «تفكروا في مخلوقات الله، ولا تفكروا في ذات الله»[1].

ونقول: آمنا بالله الحي القيوم، العلي العظيم، الكبير المتعال، لا علم لنا إلّا ما علمناه، ونعوذ به أن نقفو ما ليس لنا به علم، أو نكون من المتكلفين، ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصافات]، هذا ما تيسر، والله أعلم.

من اعتزاليات الزمخشري والرد عليه

السؤال:

فضيلة الشيخ عبد الرحمن البراك، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، نقل أحد طلبة العلم كلامًا للزمخشري أورده الرازي في تفسيره (٢٦/ ٣٢) مستحسنًا له، في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [غافر: ٧]، أحب أن أعرضه على فضيلتكم، وهذا نصه: قال الرازي: فإن قيل: فأيُّ فائدة في قوله: ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾؛ فإن الاشتغال بالتسبيح والتحميد لا يمكن إلا وقد سبق الإيمان بالله؟ قلنا: الفائدة فيه ما

(١) أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» (٢) وغيره، بألفاظ مختلفة، قال ابن حجر: سنده جيد. «فتح الباري» (٢٠/ ٤٧٧).

ذكره صاحب (الكشاف) وقد أحسن فيه جدًا، فقال: إن المقصود منه التنبيه على أن الله تعالى لو كان حاضرًا بالعرش، لكان حملة العرش والحافون حول العرش يشاهدونه ويعاينونه، ولما كان إيمانهم بوجود الله موجبًا للمدح والثناء؛ لأن الإقرار بوجود شيء حاضر مشاهد معاين، لا يوجب المدح والثناء، ألا ترى أن الإقرار بوجود الشمس وكونها مضيئة لا يوجب المدح والثناء! فلما ذكر الله تعالى إيمانهم بالله على سبيل الثناء والمدح والتعظيم، عُلم أنهم آمنوا به، بدليل أنهم ما شاهدوه حاضرًا جالسًا هناك، ورحم الله صاحب «الكشاف» فلو لم يحصل في كتابه إلا هذه النكتة لكفاه فخرًا وشرفًا. ا.هـ. من تفسير الرازي (٢٧/ ٤٨٨).

الجواب:

الحمد لله؛ ما قاله الزمخشري -كما نقله الرازي- لبيان فائدة قوله تعالى: ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾، وفرح به الرازي، وأثنى عليه، وعلى كتابه الكشاف، وعده نكتة تَرْجَحُ بكل ما في الكشاف من النكت والفوائد، أقول: هو من اعتزاليات الزمخشري، ومن نكت جراب التعطيل المنتن، ولا غرو أن يفرح معطل بمعطل، فمقولة الزمخشري تتضمن نفي استواء الله على عرشه، وهذا هو المقرر عند الرازي أيضًا، فوافقت ما عنده، وقرت بها عينه، فهما يتفقان على نفي علو الله على خلقه، واستوائه على عرشه، فأما الرازي فيقول عن الله: إنه لا داخل العالم ولا خارجه، وأما الزمخشري فيحتمل أنه يقول بالحلول؛ أي أنه تعالى في كل مكان، وإن لم يقل ذلك، فلا بد أن يقول بقول الرازي، فلا يفرح بهذه النكتة

المتنتة إلا جاهل لم يفهم مغزاها، أو معطل وجد فيها ما يطابق ما عنده، وظاهر من كلام الزمخشري أنه بنى كلامه على مقدمتين:

الأولى: أن الله لو كان فوق العرش، لرآه الملائكة الذين حول العرش، فلا يكون إيمانهم به إيمانا بالغيب، والشيء المشاهد لا يمدح أحد بالإيمان به.

الثانية: أن الإيمان بالله هو الإيمان بوجوده، وكلتا المقدمتين لا تسلم له:

أولًا: لأنه لا يلزم من احتفاف الملائكة من حول العرش رؤيتُهم لله؛ فإن هذا يتوقف على الدليل.

ثانيًا: لا ينحصر الإيمان بالله بالغيب في الإيمان بوجوده، بل يشمل الإيمان بإلهيته، وربوبيته، وكماله في أسمائه وصفاته.

وبهذا يتبين بطلان ما تعلق به الزمخشري، وبطلان مذهبه في استواء الله على عرشه، الذي تضافرت الأدلة من الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة على إثباته. ويناسب هنا أن ننقل بعض عبارات مفسري السلف في الآية.

قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره[1]: «يقول تعالى ذكره: الذين يحملون عرش الله من ملائكته، ومن حول عرشه، ممن يحف به من الملائكة ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ يقول: يصلون لربهم بحمده

---

(١) «تفسير الطبري» (٢٠/ ٢٨٣).

وشكره، ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾؛ يقول: ويقرون بالله أنه لا إله لهم سواه، ويشهدون بذلك، لا يستكبرون عن عبادته».

وقال ابن كثير في تفسيره[1]: «يخبر تعالى عن الملائكة المقربين من حَمَلة العرش الأربعة، ومن حوله من الكروبيين، بأنهم يسبحون بحمد ربهم، أي: يقرنون بين التسبيح الدال على نفي النقائص، والتحميد المقتضي لإثبات صفات المدح، ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾؛ أي: خاشعون له أذلاء بين يديه».

وبهذه المناسبة أوصي إخواني في الله من طلاب العلم وغيرهم إذا قرؤوا لهذين العلمين -الزمخشري والرازي- من أهل الكلام، ولاسيما في التفسير ومسائل الاعتقاد أن يتنبهوا لما يرد في كلامهما من الأقوال الباطلة، في باب الصفات والقدر؛ فإنه لا يوثق بهما، وقد يصوغان أقوالهما الباطلة بقالب لا يدركه من كان جاهلًا بحالهما، أو من لم يتنبه لما تنطوي عليه عبارتهما، وقد نبه الأئمة على هذا، تحذيرًا من الوقوع في شباك عبارات المتكلمين، نسأل الله أن يمنحنا العرفان والفرقان. والحمد لله رب العالمين على ما هدانا من سبيل المؤمنين، وصراطه المستقيم.

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/ ١٠٨).

عبارة: «قال الله ولا يزال قائلًا» عند الاستشهاد بآية

السُّؤَالُ:

نسمع بعض الخطباء يقولون: قال الله عَزَّوَجَلَّ ولا يزال قائلًا، وبعد ذلك يتلو بعض آيات القرآن الكريم، فما معنى قال تعالى ولا يزال قائلًا؟

الجواب:

الحمد لله؛ لا ينبغي للإنسان عند الاستشهاد ببعض آي القرآن أن يقول: «ولا يزال قائلًا»، بل يقول قال الله تعالى، ثم يتلو الآية أو الآيات التي يريد الاستشهاد بها، فإن قوله: «ولا يزال قائلًا» لفظ يحتمل معنى باطلًا، وهو: أن كلام الله لا تتعلق به مشيئته، ولا يزال قائلًا: يا نوح، يا موسى، هذا مذهب معروف لبعض أهل البدع، يقولون: إن كلام الله قائم به قيام الحياة، فلم يزل متكلمًا بأعيان ما في القرآن من أنواع الكلام خبرًا، أو أمرًا، أو نهيًا، وأهل السنة والجماعة ينكرون ذلك، ويقولون: إنه تعالى لم يزل متكلمًا إذا شاء بما شاء، كيف شاء، وإن كلام الله قديم النوع حادث الآحاد، فالقرآن لا يقال له قديم؛ لأن الله تكلم به حين أنزله ونزل به الروح الأمين، وتكليمه تعالى لموسى إنما كان وقت ما جاء موسى لميعاد ربه، وكذلك لما كلمه من الشجرة، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٠﴾ [القصص]. فالمقصود أن قول القائل: «إن الله قال ولا يزال قائلًا» لفظ مجمل يحتمل حقًا وباطلًا فيجب اجتنابه، والله أعلم.

(العلة الغائية والعلة الفاعلية)

السُّؤَالُ:

ما المراد بقولهم العلة الغائية والعلة الفاعلية؟

الجواب:

الحمد لله؛ العلة الغائية هي التي يوجد الشيء لأجلها، وهي المقصود حصوله بالفعل؛ كحصول الأجر بالعمل الصالح والمغفرة والرضوان من الله تعالى.

والعلة الفاعلية هي التي يكون بها الشيء، وهي سببه؛ كقدرة العبد على الفعل ومشيئتِهِ بعد مشيئة الله تعالى.

وقد بيّن شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة التدمرية أن العلة الغائية أقوى من الفاعلية من حيث التأثير في حصول الفعل؛ لأن من تحققت عنده العلة الغائية فهو لا يترك الفعل إذا وُجدت عنده العلة الفاعلية أي القدرة، أما من عنده العلة الفاعلية لكن ليس له غاية في الفعل فإنه لا يفعل، ولو توفرت له الأسباب؛ فمثلًا: خَلَق الله النجوم زينة للسماء، فكونها زينة للسماء علّة غائية، وخلقه إياها -سبحانه- بمشيئته وأمره علّة فاعلية.

مثال: إذا قلت: جئت إلى السوق لإنكار المنكر، فإنكار المنكر علة غائية، وإذا قلت: تركت الذهاب إلى السوق من أجل ما فيه من المنكرات، فوجود المنكرات علة فاعلية للترك.

وإذا قلت: تطيَّبتُ لأجل الجمعة، فالعلة غائية، فإن الباعث على فعلك هو طلب سنة الجمعة، وعبر عنه بالجمعة.

و(اللام) تدخل على العلة الغائية؛ كقوله تعالى: ﴿لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [الطلاق: ١٢]، و(الباء) تدخل على السبب؛ وهو العلة الفاعلية، كقوله تعالى: ﴿فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا﴾ [النساء: ١٦٠]. و(من أجل) تدخل على العلة الفاعلية والعلة الغائية، ويميّز بينهما المعنى، تقول مثلًا: زرت فلانًا من أجل نصيحته، وهجرت فلانًا من أجل بدعته، فالأولى غائية (أي: نصيحته)، والثانية فاعلية (أي: بسبب).

نفي الأسباب (العلل الفاعلة) والحِكَم (العلل الغائية) هو قول الجهم

السُّؤَالُ:

يقول السائل إنه درس باب الأسماء والصفات ودرس فيه أن لتوحيد الأسماء والصفات ثلاثة أسس، منها: أن أسس توحيد الأسماء والصفات يتضمن نفي العلة الغائية عن أفعال الله تعالى فالله عَزَّوَجَلَّ لا يحتاج إلى غرض معين يدفعه إلى تنفيذ الأسباب والوسائل للوصول إليه، فإرادته سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ تامة كاملة لا ضرورة فيها تحمله على غرض معين، فجميع الموجودات بخلقه وتكوينه دون وسائل وأسباب؛ لأن الله تعالى لا يحتاج أبدًا ويستحيل في حقه الاستعانة بغيره، فلا غاية لأفعاله تعالى، ولكن هناك أفعال لا يعلمها سواه وراء ذلك، ولما سأل أستاذه عن معنى: نفي العلة الغائية عن

أفعال الله تعالى، قال أستاذه: نفي السبب والهدف عن أفعال الله تعالى. فيسأل هل هذا الكلام هو الصحيح؟ ويطلب توضيح معناه؟

الجواب:

الحمد لله؛ إن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أخبر في كتابه بكثير من حِكَمه في خلقه وشرعه، وأخبر عن سببية بعض الأمور لما يخلقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فقد أخبر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أنه خلق النجوم زينة للسماء ورجومًا للشياطين وعلامات يهتدي بها العباد، وأنه خلق الموت والحياة وكلَّ ما على الأرض ليبتلي العباد أيهم أحسن عملًا، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧﴾ [الكهف]، وأنه خلق الجن والإنس ليعبدوه، ومن ذلك قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ۝١٠ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝١١﴾ [النحل]، فتضمنت هذه الآية الدلالة على الحكمة والسبب، فإن الله أنزل من السماء ماء ليكون شرابًا للناس، وليكون سببًا لنبات الأشجار، وأنواع النبات، ﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ﴾ فالباء للسببية.

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [الأعراف: ٥٧].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في بيان حكمته من بعض نعمه على عباده: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ

وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٧٨﴾ [النحل]، فأخبر أنه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ جعل للعباد العقول والأسماع والأبصار ليشكروه.

فهو سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ خالق الأسباب وخالق المسبَّبات، فإثبات الأسباب معناه: أن الله خلق أشياء مؤثرة في غيرها ومنتجة لغيرها بمشيئته سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ فهو الذي خلق السبب وجعله مؤثِّرًا في مسبَّبه، وهو الخالق للمسبَّب، فهو خالق الأسباب والمسبَّبات، فإثبات الأسباب لا ينافي التوحيد، وكذلك الغايات إنما هي إثبات لحِكَم، فمن يفعل لحكمة ولمعنى يقصد إليه فإنه حكيم، والله تعالى من أسمائه الحكيم وهو أحكم الحاكمين، وقد نزَّه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ نفسه عن العبث واللعب في آيات كثيرة، كما قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ [المؤمنون]، وقال سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾ [القيامة]، وقال: ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقۡنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الدخان].

ومن يقول بنفي الأسباب -يعني: بنفي تأثير الأسباب في مسبَّباتها- فقوله معارض ومخالف للحس والعقل والشرع، وكذلك نفي الغايات المحمودة -التي تسمى بالعلة الغائية- هو مخالف لما دل عليه العقل والشرع من حكمته تعالى في خلقه وشرعه.

والقول بنفي الأسباب والحِكَم في الأصل هو قول الجهم بن صفوان، وتبعه على ذلك طوائف من الناس ومنهم الأشاعرة، فالأشاعرة هم من نفاة الحكمة، ونفاة الأسباب، ومضمون هذا القول أن أفعال الله صادرة عن محض المشيئة ليس لها غاية ولا تترتب عليها مصلحة،

وهذا عين اللعب والعبث، فمن يفعل لا لشيء إلا لمحض المشيئة فإنه عابث لا معنى لفعله تعالى الله عن ذلك، ولهذا نزه الله نفسه في قوله: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ١١٦﴾ [المؤمنون].

قال بعض أهل العلم في أمر الأسباب: إن الاعتماد على الأسباب شرك في التوحيد، ونفي أن تكون الأسباب أسبابًا نقص في العقل، وتعطيل الأسباب قدح في الشرع، فالواجب إثبات الأسباب، وأن الله سبحانه يخلق بالأسباب وليس ذلك لحاجة منه تعالى، بل اقتضت حكمته أن يخلق الأشياء بأسبابها ولو شاء سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ لخلق كل إنسان كما خلق آدم من غير هذه الأسباب الكونية المعروفة، لكن اقتضت حكمته أن يخلق الناس بهذه الأسباب التي قدرها، وهو ما يحصل بين الزوجين -مثلًا- من اللقاء فيجتمع ماؤهما ويتكون منه بمشيئته سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ما قدره من النفوس.

فالحاصل أن إنكار الأسباب أمر مخالف للحس والعقل والشرع، فهل يصح في عقل عاقل أن النار ليست مؤثرة في الإحراق، وأن الشمس ليست مؤثرة في حصول الرؤية بالأبصار، وأن الماء ليس مؤثرًا في نشوء النبات؟ كل هذا مكابرة وجحد للحقائق المحسوسة، فإن هذا القول ليضحك منه العقلاء ذَوو الفطر السليمة.

فالمقصود أن القول الذي نقله السائل عن أستاذه هو قول باطل؛ فلا يغتر به، والله أعلم.

(فائدة): موقف الكلابية والأشاعرة في نفي الأفعال الاختيارية وحقيقة قولهم:

الكلابية والأشاعرة قد وافقوا المعتزلة والجهمية في نفي الأفعال الاختيارية عن الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأن إثباتها -بزعمهم- يلزم منه حلول الحوادث في ذاته تعالى، فعندهم أنه لا يقوم بذاته ما تتعلق به المشيئة، فلا يوصف سبحانه بفعل يقوم بذاته، وينشأ عن هذا القول أنه ليس هناك إلا فاعل ومفعول، وليس ثمّة فعلٌ.

وأما أهل السنة فيقولون بوجود فعل وفاعل ومفعول؛ فالفعل: ما يقوم بالرب من المشيئة، والكلام، والمجيء، والنزول، والمحبة، والغضب، وما شاء سبحانه. والفاعل: هو الله عَزَّوَجَلَّ. والمفعول: هو المخلوق؛ كالسماء والأرض والإنسان، وما أشبه ذلك.

ومما يُرَدُّ به على نُفاة الأفعال الاختيارية:

أولًا: أنّ قولهم هذا يعارض النصوص الكثيرة المصرِّحة بإضافة الأفعال الاختيارية إليه سُبْحَانَهُوَتَعَالَى.

ثانيًا: يقال لهم: إن الذي يفعل باختياره أكمل من الذي لا يفعل، أو يفعل ولكن بغير اختياره، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ١٠٧﴾ [هود] فوصف نفسه سبحانه بالفعل وبالإرادة، «فما فعله فقد أراده، وما أراده فعله» كما يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

واعلم أن تسمية الأفعال الاختيارية (حوادث) لا يجوز أن يكون سببًا في نفيها، وامتناعِ قيامها بذاته سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، بل الممتنع أن يحُل في ذاته -سبحانه- شيءٌ من مخلوقاته.

ولْيُعلم أنّ قولهم بنفي حلول الحوادث هو قول حادث، لم يَرِد في شيء من النصوص، ولم ينقل عن السلف، وهو مع ذلك لفظ مجمل يحتمل حقًا ويحتمل باطلًا، فيجب الاستفصال عن مراد المتكلم به؛ فإن أراد نفي الأفعال الاختيارية عن الله؛ فقوله باطل، وإن أراد نفي أنْ يحُل في ذاته شيء مِن مخلوقاته؛ فهو حق.

ومما يتصل بذلك مسألة أفعال العباد، فإن الناس فيها طرفان ووسط؛ فالجبرية يقولون: إنها أفعال الله، وليست أفعالا للعبد حقيقة، لأنه لا قدرة له ولا مشيئة.

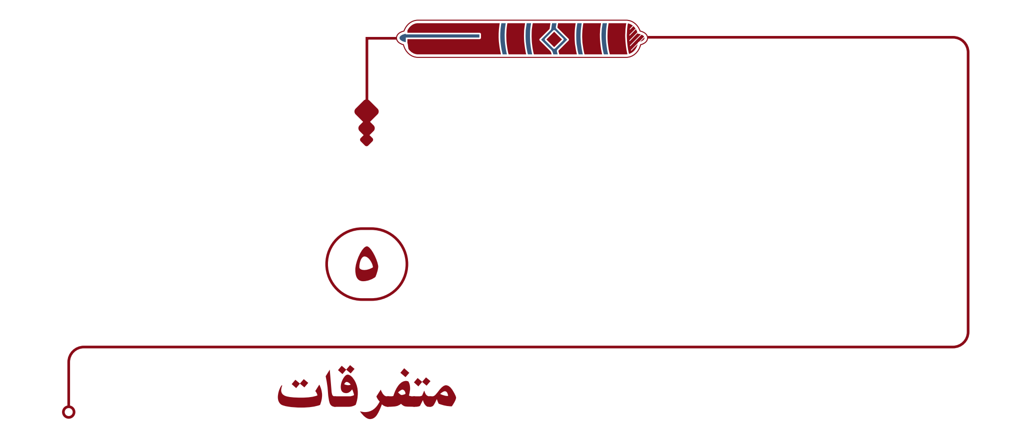
والأشاعرة يقولون: لا أثر لقدرة العبد في أفعاله، ولهذا قالوا: إنها أفعال لله وكسب من العباد.

والقدرية قالوا: إنها مخلوقة للعباد بمحض قدرتهم ومشيئتهم، فلا تتعلق بها مشيئة الرب ولا قدرته.

وتوسط أهل السنة، فقالوا: إنها أفعال العباد حقيقة، وهي مفعولة لله تعالى، أي مخلوقة. وهذا جارٍ على قولهم في الفرق بين الفعل والمفعول كما تقدم، فالعبد هو المصلي والصائم والقاعد والقائم، والله خالق ذلك كله. فهو خالق العباد وخالق قدرتهم وأفعالهم.

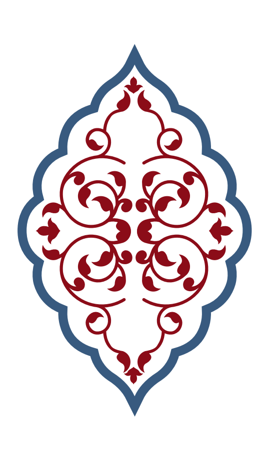
ولهذا قال شيخ الإسلام في العقيدة الواسطية: «وهم -أي: أهل السنة- وسط في باب أفعال الله بين الجبرية والقدرية وغيرهم».

- ❊ ■ ❊ ■ ❊ -



۵

متفرقات



معنى اهتزاز عرش الرحمن

السؤال:

ما معنى «اهتز عرش الرحمن» الوارد في الحديث؟

الجواب:

الحمد لله؛ هذا الحديث في الصحيحين[1]، وعرش الرحمن هو الذي قد أخبر تعالى بأنه استوى عليه بعد خلق السماوات والأرض، والاهتزاز نوع من الحركة، والأصل في الكلام الحقيقة، فهذا اللفظ يدل على أن عرش الرحمن اهتز لموت سعد بن معاذ، واهتزازه لذلك يدل على فضل سعد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، والواجب الوقوف مع ظاهر النص وعدم الزيادة عليه بما لا دليل عليه.

وقد أكثر الناس في الكلام على هذا الحديث، وتأوله من تأوله على خلاف ظاهره، وخاضوا في سبب اهتزاز العرش لموته رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ هل هو للفرح بمقدمه، أو لعظم المصاب بموته، وفي الإمساك عن كل ذلك سلامة، والله أعلم.

طبيب يسأل: هل كلام الله يشبه كلام المخلوقين؟

السؤال:

طبيب يسأل: قرأت كثيرًا في كتب العقيدة السلفية، وعرفت من القواعد المقررة أن الله عَزَّوَجَلَّ لا يُشَبَّه به خلقه، ولا يُشَبَّه بشيء من خلقه؛ لقوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى].

(١) البخاري (٣٥٩٢)، ومسلم (٢٤٦٦)؛ من حديث جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

ونجد في القرآن آيات تدل على أن القرآن كلام عربي، وإذا كان الأمر كذلك، أفلا يمكن القول إن كلام الله يشبه كلام الخلق؟

الجواب:

الحمد لله؛ نعم، إن الله تعالى لا يُشبه خلقه، ولا صفاته تشبه صفاتهم، ولا أحدٌ من الخلق يشبهه سبحانه، ولا شيءٌ من صفاتهم يشبه صفاته، قال تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى].

وهذا الشَبَه المنفي من الجانبين إنما هو في الخصائص، فالله تعالى لا يشارك المخلوق في شيء من خصائصه، والمخلوق لا يشارك الله تعالى في شيء من خصائصه، ومع ذلك فلابد من إثبات القدر المشترك، وهو المعنى الكليُّ الذي هو مدلول الاسم العام، فعلمُ الخالق وعلمُ المخلوق يتفقان في المعنى الكلِّيِّ للعلم، وهو خلاف الجهل، وإدراك الشيء على ما هو عليه.

فإذا أطلق اسم العلم صدق على عِلم الخالق وعِلم المخلوق، وإذا أضيف إلى الخالق -كما إذا قيل: علمُ الله- دل على العلم المختص بالخالق، وهو العلم المحيط بكل شيء، الذي لم يتقدمه جهل، ولا يعرض له نقص ولا نسيان. وإذا أضيف إلى المخلوق - كما إذا قيل: علمُ العبد أو علم الملائكة - دل على العلم المختص بالمخلوق، وهو العلم المحدَثُ المحدودُ المسبوقُ بالجهل القابلُ للنقص والنسيان، وهكذا يقال في سائر الأسماء والصفات.

وهكذا يقال في (الكلام)، فكلام الله لا يشبه كلام المخلوقين، يعني أنَّ تَكلُّمَ الربِّ ليس كتكلُّم المخلوق، لكنه سبحانه يتكلم حقيقة، ولا

يدرك العباد كيفيته، لكنه يتكلم كيف شاء، ويُكلِّم مَن شاء، وكلامه سبحانه بصوت، فينادي ويناجي، ويُسمع كلامه مَن شاء مِن ملائكته ورسله، ومن كلامه كتبُهُ المنزلة على رسله، فهي كلام الله؛ حروفها ومعانيها، ويقال في كلام الله وكلام البشر ما قيل في العلم من حيث الاشتراك والاختصاص.

فكلام المخلوق مخلوق، وكلام الخالق ليس بمخلوق، بل هو خارج من ذاته، كما روي في الحديث: «**ما تُقرِّب إلى الله بمثل ما خرج منه**»[1] يعني القرآن. قاله أبو النضر؛ أحد رواة الحديث.

وقد تحدى الله بالقرآن الثَّقلين، وبعشر سور منه، وبسورة واحدة، ولم يأت التحدي بكلمة ولا بحرف؛ لأن الحروف والكلمات مشتركة بين كلام الخالق وكلام المخلوق، فإن جنس الكلام يتألف من حروف وكلمات. ولهذا قال بعض المفسرين إن الحروف المقطعة في أوائل السور إشارة إلى إعجاز القرآن؛ لأنه يتألف مما يتألف منه كلام الناس.

والكلام في اللغة اسم مصدر، بمعنى التكلم وبمعنى التكليم، وهو ما يقوم بالمتكلِّم.

ويطلق الكلام مرادًا به ما تَكَلَّم به المتكلم، وهذا هو الذي يُحفظ ويُسمع ويُكتب ويُتلى، بل يسمع من غير المتكلم؛ فيسمع بصوت الناقل أو الراوي والتالي لكلام غيره، وهذا المعنى هو الذي ينطبق على القرآن المكتوب في المصاحف، المحفوظ في الصدور، المتلو بألسن القارئين،

(١) أخرجه أحمد (٢٢٣٠٦)، والترمذي (٢٩١١)؛ من حديث أبي أمامة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. وفي إسناده بكر بن خنيس، وليث بن أبي سليم، وهما ضعيفان، وفيه انقطاع.

المسموع، فهو يسمع بصوت القارئ. وقد قال أهل السنة في ذلك: الصوت صوت القاري، والكلام كلام الباري.

والقرآن يختص بأنه معجز، وبأنه ليس بمخلوق، ولهذا قال أهل السنة: القرآن كلام الله منزلٌ غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، والله أعلم.

«يا رحمة الله علينا قري» هل هو من دعاء الصفة؟

السُّؤَالُ:

ما حكم قول بعض الناس: يا رحمة الله علينا قري؟

الجواب:

الحمد لله، رحمة الله يُراد بها صفته القائمة بذاته، والصفة لا يجوز دعاؤها بل أطلق بعض أهل العلم أن ذلك كفر، ووجه ذلك: أن دعاءها يتضمن أنها تسمع وتُجيب وتُعطي وتمنع، وهذا يستلزم استقلالها عن الله، فيقتضي أنها إله، لكن المشروع هو التوسل إلى الله بصفاته، كما في دعاء الاستخارة: «**أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك**»[(١)]، ومثله: «**برحمتك أستغيث**»[(٢)] أي: أستغيثك برحمتك، ومن جنسه: «**أعوذ بكلمات الله**»[(٣)]، والعلم والقدرة والكلمات لا يجوز نداؤها، ولا

(١) أخرجه البخاري (١١٦٢)؛ من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) هذا جزء من دعاء الكرب، أخرجه الترمذي (٣٥٢٤)؛ من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال الألباني: «حسن».

(٣) هذا بعض حديث دعاء نزول المنزل، وقد أخرجه مسلم (٢٧٠٨)؛ من حديث خولة بنت حكيم السلمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ونصه: «من نزل منزلا ثم قال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك».

تُخاطب؛ لما تقدم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مسألةُ اللهِ بأسمائه وصفاته وكلماته جائز مشروع، كما جاءت به الأحاديث، وأما دعاء صفاته وكلماته فكفر باتفاق المسلمين. انتهى، من الرد على البكري[1].

وتُطلق الرحمة -مضافةً إلى الله- أيضًا على الرحمة المخلوقة، وهي ما يرحم الله به عباده من نِعَمه، وهذه من باب أولى أنه لا يجوز دعاؤها، فالنعم لا تعطي لأحد نفسها ولكن الله يعطيها من شاء، وهي لا تقبل الخطاب إلا مجازًا، كقول الشاعر:

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي

بصبح وما الإصباح منك بأمثل

وأما اللفظ المسؤول عنه «يا رحمة الله علينا قري» فالأشبه عندي: أنه من هذا القبيل، ولكن ينبغي ترك استعمال هذا اللفظ؛ لما فيه من الاشتباه، ولا يجوز قطعًا أن يراد به دعاء الصفة، والله أعلم.

إشكال في الجمع بين كون كلام الله قديمًا، وبين كلام الله لموسى

السُّؤَالُ:

القرآن هو كلام الله غير مخلوق، هل يعني هذا أنه ليس له بداية ولا نهاية مثل الله عَزَّوَجَلَّ؟ وإذا كان الأمر كذلك كيف نفهم أن الله يتكلم متى شاء؟ كمثل ما عندما تكلم إلى موسى ألم يكن لكلامه

(١) «الرد على البكري» (١ / ١٨١).

ذاك بداية ونهاية؟ وإذا كان له بداية ونهاية ألا يعني ذلك أنه مخلوق (أستغفر الله)؟ وأرجو الإجابة لإزالة حيرتي.

الجواب:

الحمد لله؛ القرآن هو كلام الله الذي أنزله على محمد ﷺ، وهو المحفوظ في صدور المؤمنين؛ ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩]، وهو المكتوب في المصاحف المبدوء بسورة الفاتحة المختوم بسورة الناس، وهذا القرآن عند أهل السنة -وهو الحق- منزل من عند الله غير مخلوق، منه بدأ، أي أنه تعالى تكلم به حقيقة وبلغه جبريل وهو الروح الأمين وهو روح القدس بلغه لمحمد ﷺ، كما قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء]، وقال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [النحل].

نعم، والقرآن له بداية ونهاية وليس القرآن كل كلام الله، بل التوراة والإنجيل والزبور التي أنزلها الله على موسى وعيسى وداود عَلَيْهِمُ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ هي أيضًا كلام الله، وكلام الله لا يحصى عددًا أبدًا، كما قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الكهف]، وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ [لقمان].

فجنس كلام الله لا نهاية له ولا بداية له، بمعنى أن الله لم يزل يتكلم إذا شاء بما شاء كيف شاء، ولا يزال كذلك، وأما آحاد الكلام مثل: تكليمه لموسى، ونداؤه للأبوين، وتكليمه للملائكة، فكل هذا له بداية ونهاية، وأصل هذا أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يتكلم بمشيئة، هذا كله مذهب أهل السنة.

وأما المخالفون لأهل السنة من سائر الطوائف فلهم في كلام الله مذاهب؛ فمنهم من يقول: إن الله تعالى لا يتكلم، وكل ما يضاف إليه من الكلام فهو مخلوق، وهذا قول المعتزلة، ومنهم من يقول: إن كلام الله معنى نفسي ليس بحرف ولا صوت وهو قديم فلا تتعلق به المشيئة، وهذا قول الأشاعرة.

والمذهبان باطلان، فالقرآن على قول المعتزلة كلامٌ خلقه الله لم يصدر من ذاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والقرآن على قول الأشاعرة عبارة عن ذلك المعنى النفسي وليس هو في الحقيقة كلامًا لله.

وما ذكرتَ -أيها السائل- من الإشكال، وهو: كيف يُجمع بين كون القرآن قديمًا أو أن كلام الله قديم وبين كلام الله لموسى ومعلوم أن له بداية ونهاية، هذا الإشكال لا يرد على مذهب أهل السنة الذي تقدم تفصيله وإنما يرد على قول الأشاعرة، وعلى مذهب الأشاعرة فموسى لم يسمع كلام الله من الله وإنما سمع كلاما خلقه الله عبارةً عن المعنى النفسي القائم بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وتقدم أن قول الأشاعرة في كلام الله قول باطل مخالف للعقل ودلالة الشرع، فالحق لا يتناقض وإنما التناقض من خصائص المذاهب الباطلة.

فيظهر أنك -أيها السائل- لم تعرف المذهب الحق في كلام الله فلذلك وقع في ذهنك هذا الإشكال، وهو بحمد الله غير وارد في مذهب السلف الصالح من الصحابة والتابعين، وهو الذي تقتضيه الأدلة العقلية والنقلية، والحمد لله على نعمة الإسلام ونعمة السنة، نسأل الله أن يثبتنا عليهما حتى نلقاه، والله أعلم.

عبارة قبيحة

السُّؤَال:

نشرت إحدى شركات الاتصالات دعاية جاء فيها ما نصه: «من يقول إن السعودي له شبيه»، هل في هذه العبارة إشكال عقدي؟ وجزاكم الله خيرًا.

الجواب:

الحمد لله؛ هذه العبارة المذكورة في السؤال قبيحةٌ؛ لأن فيها خطأ من وجهين:

الأول: أن الذي لا شبيه له في عقيدة المسلم هو الله تعالى، ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى].

الثاني: أن هذه العبارة لا تفيد مدحًا ولا ذمًّا، لأنها لم تقيد بصفة مدح ولا ذم، ثم إنها لو قيدت فهي بهذا الإطلاق باطلة، فلكل إنسان أشباه من الناس في الصفات الحميدة أو الذميمة، والسعوديون فيهم الصالح والطالح والمحمود والمذموم، كغيرهم من الناس، فالذي أطلق

هذه العبارة يريد بها المدح لا يفهم دلالات الكلام، كحال أكثر من يكتبون الدعايات والإعلانات، والله أعلم.

رؤية الله عز وجل في المنام

السؤال:

ما رأيكم برؤية الله في المنام؟ حيث قرأنا أنها لا تنكر في بعض الكتب. ثم هل هي رؤية حقيقية أم ماذا؟ والبعض يرى شيخًا فيظن أنه رأى الله، وكيف نفهم كلام بعض العلماء حيث يقول في بعض المراجع اتفق أهل العلم على جواز رؤية الله في المنام؟ لكنها ليست ذات الله.

الجواب:

الحمد لله؛ نعم دلت السنة على أن الله يُرى في المنام، كما جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: «**رأيت ربي في المنام في أحسن صورة**»[(١)].

وقد حُكي الاتفاق كما ورد في السؤال على إمكان وقوع رؤية الله في المنام، وذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية وقال: إن رؤية العبد لربه في المنام هي بحسب إيمانه[(٢)]، وبين أن رؤيا المنام ليست كالرؤية في اليقظة؛ فللرؤيا في المنام أحكام، وللرؤية في اليقظة أحكام، وقال ﷺ

(١) أخرجه الترمذي (٣٢٣٣)؛ من حديث معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بلفظ: «**إني نعست؛ فاستثقلت نوماً، فرأيت ربي في أحسن صورة**»، وقال: حسن غريب من هذا الوجه.

(٢) «بيان تلبيس الجهمية» (١ / ٧٣).

في الحديث الصحيح: «**إنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا**»[(١)] وهذه الرؤية العيانية.

وأما الرؤيا في المنام فهي حاصلة في الدنيا وواقعة كما ذكر أهل العلم، ولكن يبقى النظر في الضابط الذي يميز به بين الصحيح وغيره مما يُدَّعَى من ذلك. ولا أذكر أن أحدًا تعرض لذكر ضابط يحصل به التمييز فيما يُدَّعَى من رؤية الله في المنام، كما ذكروا أن الضابط فيما يُدَّعَى من رؤية النبي ﷺ مطابقة صفة المرئي في المنام للمعروف من صفته ﷺ مثل كونه ربعة؛ أي: ليس بالطويل وليس بالقصير، وأنه أبيض مشرب بحمرة، وكث اللحية، فمن رأى في المنام من هو على هذه الصفة معتقدًا أنه الرسول ﷺ أو قيل له هذا الرسول ﷺ فهو كما رأى، لقوله ﷺ: «**من رآني في المنام فقد رآني، فإن الشيطان لا يتمثل بي**»[(٢)]. ومن رآه على خلافها كان ظنه أنه رأى النبي ﷺ خطأ. ولا ريب أن من رأى في المنام ما يظنه الرب، فإننا لا نقبل دعواه ولا نردها لعدم ما يعول عليه في القبول أو الرد، بل نقول: الله أعلم بذلك.

---

(١) أخرجه أحمد (٢٢٨١٦)، وابن ماجه (٤٠٧٧)؛ من حديث أبي أمامة الباهلي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وصححه شيخ الإسلام ابن تيمية في «تلبيس الجهمية» (٧/ ١٢٦)، وابن حجر في «الغنية في مسألة الرؤية» (١/ ٢٤).
وأخرجه مسلم (٧٥٤٠) بنحوه؛ من حديث عمر بن ثابت الأنصاري، عن بعض أصحاب النبي عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ، ولفظه: «**تعلَّموا أنه لن يرى أحد منكم ربه** عَزَّوَجَلَّ **حتى يموت**».

(٢) أخرجه البخاري (٦٩٩٣)، ومسلم (٢٢٦٦)؛ من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

عبارة «غضبت السماء»

السُّؤَالُ:

هل تصح هذه العبارة «غضبت السماء»؟ وهي تكثر عند الأدباء والشعراء.

الجواب:

الحمد لله؛ الذي يظهر أن هذه العبارة تقال إذا نزلت شهب أو صواعق مرعبة أو بَرَد مدمر أو طوفان مغرق، فهذه الأمور يجوز أن يقال عنها: إنها نقمٌ سماوية، أو مصائب سماوية، على معنى أنها جاءت من جهة السماء، وأما أن تنسب إلى غضب السماء فلا يجوز؛ لأن ذلك يتضمن أن السماء تغضب، ولا دليل على هذا، ويتضمن أن هذه الكوارث بفعل السماء، وليس كذلك، بل هي بفعل الله، فيلزم منه الشرك في الربوبية.

وإذا أريد بقول القائل: «غضبت السماء» التجوز بذلك عن غضب الله، فهو أقبح، فإنه يتضمن إضافة صفة الله إلى غيره، أو تشبيه غيره تعالى به.

وبكل حال فلا يجوز استعمال هذه العبارة، والله أعلم.

ويشبه هذه العبارة قول بعضهم: «عدالة السماء»، يريد بها الأحكام الشرعية، المشتملة على غاية العدل والحكمة.

نزول الرب في الثلث الأخير من الليل

السؤال:

أنا حدث معي إشكال في فهم الحديث الشريف الذي يتكلم عن نزول الله عَزَّوَجَلَّ إلى السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل. الإشكال الذي حدث معي هو: هل الخالق سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ موجود على الدوام في السماء الدنيا أم لا؟ لأن الثلث الأخير من الليل يدور مع دوران الأرض. ففي كل بقعة على الأرض سيكون فيها الثلث الأخير من الليل. وإذا كان موجودًا على الدوام في السماء الدنيا فلماذا النزول؟ الله على كل شيء قدير بلا شك، وإنه قريب من عباده إذا سألوه، ولكن نص الحديث يوحي أن الله جَلَّجَلَالُهُ يكون في عرشه ثم ينزل إلى السماء الدنيا. وهذا قد يجرنا إلى كيفية النزول. ونحن لا نستطيع الخوض في الكيفية.

الجواب:

الحمد لله؛ لقد أخبر الله في كتابه في سبعة مواضع أنه استوى على العرش، فقال تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه]، وقال: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] في ست آيات، ودلت نصوص الكتاب والسنة على أنه هو العلي الأعلى، فهو فوق كل شيء، وليس فوقه شيء، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ۝١٨﴾ [الأنعام]، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾ [الحديد]، وقال ﷺ: «**وأنت الظاهر فليس فوقك شيء**»[١]، كما دلت السنة

(١) أخرجه مسلم (٢٧١٣)؛ من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

المتواترة أنه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة، والنزول يتضمن الدنو من علو، وأهل السنة والجماعة يؤمنون بهذا كله، وأن نزوله لا ينافي علوه، ويقولون: إنه ينزل حقيقة نزولا يختص به، لا يماثل نزول المخلوقين ولا نعلم كنهه، فلا يلزم من نزوله ما يلزم من نزول المخلوقين، فلا يجوز أن يتخيل أنه إذا نزل كان تحت السماوات، بل هذا النزول ثابت له بمشيئته وقدرته في الوقت الذي يشاؤه سبحانه؛ لأنه فعل من أفعاله التي تكون بمشيئته، هذا ما عليه أهل السنة والجماعة، والواجب على المسلم الإيمان والتسليم وترك الخوض والتفكير فيما لا سبيل له إلى تصور حقيقته، بل يقول كما قال الراسخون في العلم: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران]. والله أعلم.

التعجب من صفات الله عَزَّوَجَلَّ

السُّؤَال:

طالبة في قسم النحو والصرف تحضر الماجستير في إعراب القرآن الكريم، وقد واجهتها مسألة في بحثها، وحَثَّها فيها المشرف على استشارة مختص في العقيدة للأهمية.

والمسألة في قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾[البقرة: ١١٧ والأنعام: ١٠١] حيث أعرب بعض النحويين لفظ (بديع) بالنصب على التعجب.

سؤال آخر: هل يجوز التعجب من صفات الله تعالى؟ أرجو دعم الرد بالأدلة والمراجع للأهمية. بارك الله في علمكم.

الجواب:

الحمد لله؛ لا يظهرُ وجهٌ لهذا الإعراب، وهو نصب ﴿بَدِيعُ﴾ على التعجب، ولا يعرف في كلام النحويين ما هو منصوب على التعجب، بل المشهور أن الوصف المنصوب (الذي لم يذكر عامله) بعد مرفوع، أن نصبه على المدح، بتقدير: أمدح، أو أعني، لا يقال: على التعجب؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وقوله سبحانه: ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [النساء: ١٦٢].

وهذا ما وجَّه به أبو حيان قراءة المنصور (بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ) بالنصب في سورة البقرة، وقراءة صالح الشامي (بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ) بالنصب في الأنعام، حيث قال أبو حيان في الموضعين: منصوب على المدح، ولم يذكر التعجب[1].

وأما التعجب من صفات الله فقد ورد في سورة الكهف، في قوله تعالى: ﴿أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ﴾ [الكهف: ٢٦]؛ أي: ما أبصره وأسمعه. ولا يلزم أن يكون منشأ التعجب خفاء السبب، كما هو المشهور، بل يكون التعجب من بلوغ الشيء الغاية في معنى من المعاني، والله تعالى موصوف بالكمال على أكمل الوجوه؛ لذلك فهو أرحم الراحمين، وأكرم الأكرمين، وأعلم العالمين، فلهذا يصح أن تقول: ما أرحمه تعالى، وما أكرمه تعالى، وما أعلمه تعالى، والله أعلم.

---

(١) ينظر: «تفسير البحر المحيط» (١/ ٥٣٤) وَ(٤/ ١٩٨).

ولابن حجر الهيتمي بحث جيد في هذه المسألة في كتابه «الإعلام بقواطع الإسلام»؛ فلينظر.

عبارة: لا شيء أيسر على الله من كذا

السؤال:

هل يصح أن يقال في حق الله عَزَّوَجَلَّ: لا شيءَ أيسرُ على الله من تقليب أحوال العباد من مسيء إلى محسن، ومن شقي إلى سعيد، ومن مظلوم إلى منتصر؟ هل هذا يعني أنه يوجد شيء يسير، ويوجد أيسر على الله سبحانه؟

الجواب:

الحمد لله؛ قد دلَّ العقل ونصوص الوحي من الكتاب والسنة على أن الله على كل شيء قدير، وأن كل شيء عليه يسير، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٢٠﴾ [البقرة]، وقال سبحانه: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ۝٤٥﴾ [الكهف]، وقال في القدَر: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝٧٠﴾ [الحج]، وقال سبحانه في شأن البعث والجزاء: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝٧﴾ [التغابن]، وقال في عذاب الكافرين: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَظَلَمُوا۟ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ۝١٦٨ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ۝١٦٩﴾ [النساء]، وقال في عذاب القاتل نفسَه: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ۝٣٠﴾ [النساء].

فقدرته سبحانه تامةٌ على جميع الأشياء، فليس هو تعالى على شيءٍ أقدرَ منه على غيره، فقدرته على خلق السماوات والأرض كقدرته على

خلق ذرة من الذر، وقدرتُه على بعث الأولين والآخرين كقدرته على خلق أو بعث نفس واحدة، ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾﴾ [لقمان].

وأما قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧] يعني: أن الإعادة أهون عليه من ابتداء الخلق، فقيل فيه: إن هذا خطابٌ للعباد بحَسَب ما يعقلون مِن أن الإعادة أهون من الابتداء.

وقيل: إن هذا مِن (أفعل التفضيل) الذي على غير بابه، فمعنى ﴿أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾، أي: هيِّنٌ عليه، فيجب الإيمان بذلك واليقين به، والحذر مما يعارض ذلك من وساوس الشيطان التي تزرع الشك في النفوس، نعوذ بالله من شر الوسواس الخناس، الذي يوسوس في صدور الناس، من الجنة والناس.

إذا ثبت هذا؛ فيُعلم أنه لا يجوز أن يقال: «لا شيءَ أيسرُ على الله من تقليب أحوال العباد من مسيء إلى محسن، ومن شقي إلى سعيد»؛ فإن مفهوم هذه العبارة أن تقليب أحوال العباد أيسر على الله من كل ما سواه، فهو -إذن- على تقليب أحوال العباد أقدرُ، وعلى غيره قادرٌ، فيتضمن هذا أن قدرته على سائر الأشياء دون قدرته على تقليب أحوال العباد، وهذا مناقضٌ لأصل الإيمان بكمال قدرته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فالصواب في العبارة أن يقال: إن تقليب أحوال العباد على الله يسيرٌ، كما وصف نفسه في كتابه.

نسأل الله الثبات على الإيمان واليقين، إنه تعالى على كل شيء قدير.

- ❊ ▪ ❊ ▪ ❊ -

ثالثًا

الملائكة واليوم الآخر والقدر

ويتضمن الأمور التالية:

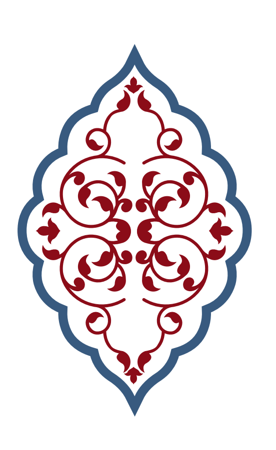
١ـ الملائكة والرسل.

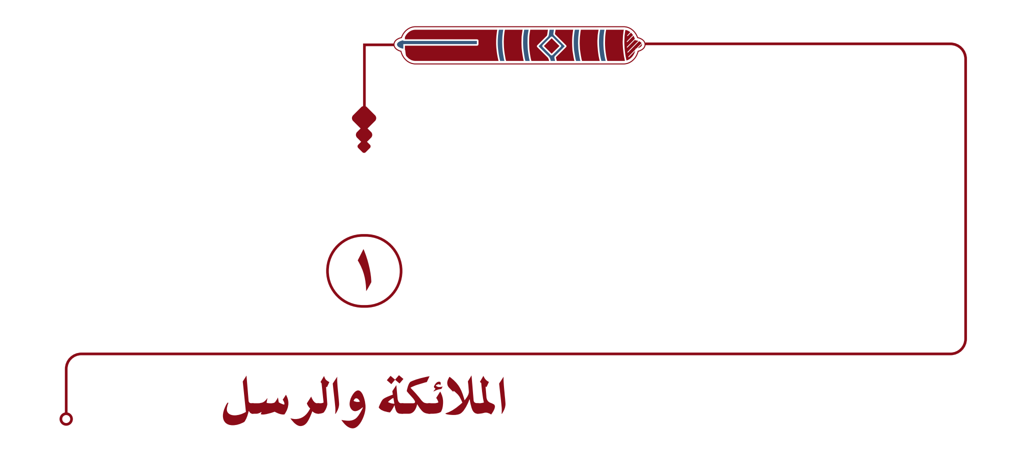
٢ـ أشراط الساعة.

٣ـ يوم القيامة.

٤ـ الجنة.

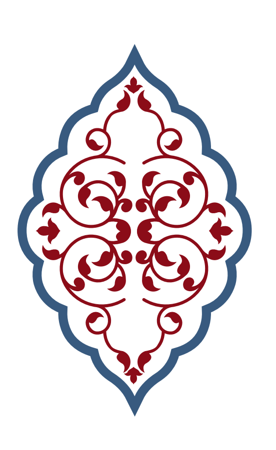
٥ـ القدر.





١

الملائكة والرسل



الطريق الوحيد لإثبات وجود الملائكة

السُّؤَالُ:

هل لكم أن تثبتوا لي أنه يوجد في هذه الدنيا ملائكة؟ أريد جوابًا مقنعًا، وجزاكم الله خيرًا.

الجواب:

الحمد لله؛ نقول لمن قال ذلك: أتؤمن بالله ورسوله وكتابه؟ فإن قال: نعم أومن بالله ورسوله وكتابه. نقول: إن هذا يفرض عليك أن تؤمن بكل ما أخبر الله به في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ، فإن الملائكة من علم الغيب، ولا طريق للعلم بهم إلا خبر الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، فلا طريق للعلم بالملائكة إلا بالوحي المنزل على رسل الله وأعظم ذلك ما أنزله الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من الكتاب والحكمة على محمد ﷺ، وقد ذكر الله الملائكة في كتابه في مواضع كثيرة جدًا، كما في قصة آدم وإبليس، وذكر أن الإيمان بهم من أركان الإيمان والبر وأصولهما، وأن الكفر بهم ضلال بعيد، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ١٣٦﴾ [النساء]، كما بيّن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في كتابه وعلى لسان رسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أمورًا كثيرة عن الملائكة من صفاتهم الخَلقية والخُلقية، والأعمال التي وكلوا بها، فالإيمان بالملائكة من أصول الإيمان فمن ينكر وجودهم، أو يشك في وجودهم فإنه كافر بالله ورسوله وكتبه، ولو ادَّعى أنه مسلم، وأؤكد أنه

لا طريق لإثبات وجودهم وأحوالهم إلا السمع، أي: النقل، وهو كتاب الله، وما صحَّ من سنة رسول الله ﷺ.

وإن كان القائل لا يؤمن بالله، أو لا يؤمن بالرسول، أو لا يؤمن بالقرآن فللكلام معه مقام آخر، لا يُتكلم معه في إثبات الملائكة بل يتكلم معه في أصل الأصول، وهو الإيمان بالله ورسوله وكتابه، والله أعلم.

رؤية الملائكة لله تعالى

السؤال:

هل رأت الملائكة الله تعالى؟

الجواب:

الحمد لله؛ لا أعلم دليلًا من القرآن ولا من السنة يدل على أن الملائكة أو أحدًا منهم رأى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فالواجب التوقف في ذلك، وعدم الجزم بنفي ذلك أو إثباته؛ لأن هذا من الغيب الذي يجب الوقوف فيه عند ما ورد في الكتاب والسنة، وما لم يدل الدليل عليه فإنه يجب التوقف فيه، وتفويض علم ذلك إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ٣٦﴾ [الإسراء]، وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عن الشيطان: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ١٦٩﴾ [البقرة]، فالجزم بأمر من أمور الغيب بغير دليل هو من القول على الله بغير علم، وقد حذر الله من القول عليه بغير علم وذم من يفتري عليه الكذب، قال تعالى: ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا

لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾[آل عمران]، وقال: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأعراف]، والله أعلم.

رؤية الملائكة لله تعالى

السُّؤَالُ:

هناك دليل يستشف منه عدم الرؤية، وهو قول الله تعالى في سورة غافر: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ ﴾ [غافر]، **فكلمة (يؤمنون به) قد تكون إشارة إلى هذا المعنى، هل هذا صحيح؟**

الجواب:

الحمد لله؛ قوله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ عن الملائكة الذين يحملون العرش والملائكة الحافين بالعرش: إنهم يؤمنون به لا يستلزم نفي رؤيتهم لله، أو رؤية بعضهم، أو رؤية غيرهم من الملائكة لله، كما أن الرؤية لا تنافي الإيمان، وكذلك التكليم من الله، فإبراهيم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ رأى كيف يحيي الله الموتى وازداد بذلك إيمانا، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ [البقرة: ٢٦٠]، وموسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كلمه الله من وراء حجاب، فلم ينتفِ عنه

ذلك الإيمان، فالحاصل أنه لا منافاة بين الإيمان والرؤية، ويشهد لهذا أن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ طلب من ربه النظر إليه ليزداد إيمانًا؛ ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

نعم الذي ينتفي مع الرؤية هو الإيمان بالغيب بالنسبة لهذا المرئي، فحملة العرش ومن حول العرش يجوز أن يكونوا قد رأوا الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ فحصل لهم أعلى مراتب اليقين، وكذلك المؤمنون إذا رأوا ربهم يوم القيامة انتقلوا من علم اليقين إلى عين اليقين، فإنهم إذا رأوا الله آمنوا به إيمان المشاهدة، وقرت أعينهم بذلك، ونعموا برؤيته سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ وسماع كلامه، قال تعالى: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ٢٣﴾ [القيامة].

فنسأل الله لذة النظر إلى وجهه الكريم، والله أعلم.

رؤية الناس للملائكة في الدنيا

السؤال:

هل يمكن رؤية الملائكة لبعض الناس في الدنيا؟

الجواب:

الحمد لله؛ الذي يظهر أن السائل يقصد هل يمكن لبعض الناس أن يرى الملائكة في الدنيا، والحاصل: أن رؤية الملائكة للناس حاصلة، ولكن الناس لا يرون الملائكة؛ هذا هو الأصل، لكن يمكن أن يروهم إذا تمثلوا بغير صورتهم التي خُلقوا عليها، وهذا قد حصل للصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنۡهُمۡ، رأوا جبريل في صورة دحية الكلبي[1]، وفي صورة إنسان غير

(١) البخاري (٤٩٨٠)، ومسلم (٢٤٥١).

معروف، كما في حديث جبريل الطويل[(١)]، وكذلك تمثّل جبريل لمريم، كما قال تعالى: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ۝١٧﴾ [مريم]، وكذلك تَمثُّل الملائكة لإبراهيم ولوط عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في قصة ضيف إبراهيم.

وأما نبينا ﷺ فقد رأى جبريل مرتين في صورته التي خلقه الله عليها وله ستمئة جناح، مرة في الأرض رآه وقد سد الأفق، ومرة في السماء حين عرج به، قال تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧﴾ [النجم].

وأما مَن بعد الأنبياء فلا نقول إنه مستحيل؛ لأن الله على كل شيء قدير، فيمكن أن يتمثل بعض الملائكة ببعض الناس، لكن هذا يتوقف على الدليل، ومن يستطيع أن يثبت أن ما رآه فلان أو فلان هو ملك من الملائكة؟! هذا، والله أعلم.

حبُّ الملائكة، وسؤال الله رؤيتهم

السؤال:

هل من عقيدة أهل السنة وجوب حب الملائكة كلهم؟ وهل يجوز سؤال العبد ربه أن يريه بعض الملائكة؟

الجواب:

الحمد لله؛ لقد وصف الله الملائكة بأنهم عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعلمون، وأنهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون، وأنهم لا يستكبرون عن عبادة الله ولا يستحسرون، ومنهم المقربون،

(١) مسلم (٨)؛ من حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وهذا يتضمن أن الملائكة محبوبون لله، ومعلوم بالضرورة من دلالة الكتاب والسنة وجوب محبة من يحبه الله وما يحبه الله، وهذا يقتضي محبة الملائكة كلهم، ومن المعلوم أن من أصول الإيمان المقررة عند أهل السنة المستمدة من الكتاب والسنة، وجوب الإيمان بالملائكة، و أن محبتهم من فروع الإيمان بهم، وعلى هذا فمحبة الملائكة من عقيدة أهل السنة والجماعة، ومما يدين به أهل السنة والجماعة، وإن لم ينصوا على ذلك بجعلها مسألة قائمة بنفسها، ليدلَّل عليها، لأنها مندرجة في الأصل الكبير، وهو الإيمان بالملائكة، فإنه الأصل الثاني من أصول الإيمان بالكتاب والسنة.

وأما سؤال العبد ربه أن يريه بعض الملائكة فهو من التعنت، والاعتداء في الدعاء، وهو يشبه سؤال المتعنتين من أعداء الرسل في سؤالهم للرسل أن يروهم الملائكة، قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ۝٩٠﴾ إلى قوله: ﴿أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ۝٩٢﴾[الإسراء]، والله أعلم.

تمثل الملائكة بالبشر في هذا الزمان

السؤال:

هل من الممكن أن يتمثل الملائكة بالبشر في الوقت الحالي؟
وهل من الممكن أن يتحدث إلى بشر وهو في الحقيقة ملك؟

الجواب:

الحمد لله؛ الملائكة من عالم الغيب، وهم خلق من خلق الله، مربوبون مدبرون، وهم عباد مكرمون، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون

ما يؤمرون، لا يسبقونه بالقول، وهم بأمره يعملون، وهم موكلون فيما شاء الله من هذا العالم، منهم الموكل ببني آدم بحفظهم وكتابة أعمالهم، وقبض أرواحهم، وتصويرهم في أرحام أمهاتهم، وذلك بأمره سبحانه.

لكن الناس لا يرونهم، بل النبي ﷺ لم ير جبريل في الصورة التي خُلق عليها إلا مرتين له ستمئة جناح، وكثيرًا ما كان يأتيه متمثلًا بصورة إنسان غير معروف، أو بصورة دحية الكلبي.

وقد أقدر الله الملائكة على التمثل، كما جاءت الملائكة نبي الله إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بصورة أضياف، وجاؤوا كذلك إلى لوط عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ولهذا لم يعرفهم إبراهيم ولا لوط عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ في أول الأمر حتى بينوا أنهم رسل من عند الله. وكما تمثل جبريل لمريم بشرًا سويًّا، ولكنهم لا يفعلون شيئًا من ذلك إلا بأمر الله.

ومن الممكن أن يتمثل بعض الملائكة بإذن الله في هذا الوقت، فإنه لا دليل يدل على امتناع ذلك، لكن لا سبيل إلى الجزم بوقوعه، فإنه لو خاطب الإنسان شخصًا يظنه ملكًا فلا يمكن الجزم بأنه ملك؛ إذ يجوز أن يكون جنيا، إما صالحًا وإما شيطانًا؛ فإن فعل أو قال ما لا يحل من الكذب والباطل ومما هو مخالف لما جاء به الرسول ﷺ فيعلم أنه شيطان. أما إذا لم يتكلم ولم يفعل إلا ما هو مشروع أو جائز فيحتمل أن يكون ملكًا، ويحتمل أن يكون جنيا صالحًا؛ وهو الغالب.

ولكن لا يمكن أن يأتي ملك بوحي من عند الله؛ وذلك لانقطاع الوحي إلى البشر بختم النبوة. فإذا قال من يظن أنه ملك: إنه رسول من عند الله، عُلم أنه كذاب وأنه شيطان، والله أعلم.

الكروبيُّون

السُّؤَالُ:

جاء في كتاب «أعلام السنة المنشورة» للشيخ حافظ الحكمي في تقسيم الملائكة وذكر منهم الكروبيين، فمن هم؟ وما هو الدليل على وجودهم؟ وما هي أعمالهم؟

الجواب:

الحمد لله؛ الملائكة خلق من خلق الله، وعبيد من عبيد الله مربوبون مدبرون، ذكرهم الله في كتابه وذكر بعض صفاتهم الخَلْقية، وذكر أصنافهم، وذكر دوام عبادتهم وطاعتهم لربهم؛ ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ۝٢٠﴾ [الأنبياء]، ومن أصنافهم: الملائكة الموكلون بكتابة أعمال العباد، والموكلون بحفظهم، والموكلون بقبض الأرواح كملك الموت، وأما الكروبيون فإنه يراد بهم الملائكة المقربون الذين هم حول العرش، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ﴾ [غافر: ٧]، ولا أعرف لهم ذكرًا بهذا اللفظ إلا في حديث الصور الطويل، وهو حديث لم يثبت بطوله[١]، لكن فيه ذكر أمور ثابتة بأدلة صحيحة، وحديث الصور ذكره الإمام ابن كثير في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿قَوۡلُهُ ٱلۡحَقُّۚ وَلَهُ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾ [الأنعام: ٧٣]، ولكنه ذكرهم فيه عند تفسير قوله تعالى: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٦، ٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٦٨٢)، والحاكم (٤/ ٦١٣)؛ من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٢١٠﴾ [البقرة]، ولم يذكر فيه شيئًا عن الكروبيين[1]، فارجع إليه، والله أعلم.

إشكال في دخول الحفظة البيت الذي فيه صورة

السؤال:

من المعلوم أن الملائكة لا تدخل بيتًا فيه صورة، فمن المقصود من الملائكة؟ وهل معنى ذلك أن الحسنات لا تكتب في هذا البيت؟

الجواب:

الحمد لله؛ إن الملائكة الموكلين بحفظ العبد وحفظ عمله لا يفارقونه، ولا يمنعهم من كتابة الحسنات والسيئات مانع؛ لأنه عملهم الذي وكلهم الله به، وتعبَّدهم بالقيام به، وهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

وعلى هذا؛ فالظاهر أن الملائكة الذين لا يدخلون البيت الذي فيه صورة أو كلب، هم الملائكة الذين يغشون بيوت المؤمنين، ويحصل لهم بذلك الخير والبركة، فالذين يعلقون في بيوتهم الصور يتسببون في حرمانهم من غشيان الملائكة لبيوتهم ومجالسهم، ويستبدلون به غشيان الشياطين الذين يضلونهم، وهم في تعليق هذه الصور، وإظهار المعاصي يهينون الملائكة الموكلين بأعمالهم.

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٦ / ١٠٦).

ولو قدر -والله أعلم- أن الحديث عام في كل الملائكة، فإنهم وإن لم يدخلوا البيت على الإنسان فإن ذلك لا يمنع من اطلاعهم على أعماله وإن كانوا متباعدين عنه، كيف وهم يعلمون أعمال قلب العبد، فيعلمون خواطره وهمومه، كما في الحديث الصحيح: «...**فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن هم بها فعملها كتبها الله** عَزَّوَجَلَّ **عنده عشر حسنات، إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وإن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن هم بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة**»[(١)]، فهم يعلمون ما يهم به العبد، والله أعلم.

والمقصود هو التحذير من إيجاد الصور في البيوت ونصبها، وعلى الإنسان أن يهتم بالأمر المطلوب منه، ولا يشغل نفسه بالبحث عن الأمور الغائبة، والمطلوب من العبد ألا يعصي ربه، ومن المعاصي تعليق الصور في المجالس وسائر جوانب المنزل، ومن أسوإ ذلك تعليق صور النساء وصور العظماء في البيوت، وفي الأماكن العامة وفي الدوائر، وبيت الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لما وجد فيه قرام عائشة وفيه تصاوير، وقد علقته لستر فرجة في الحجرة، لم يدخله جبريل حتى أميط القرام، وكسر رأس التمثال حتى كان كهيئة الشجرة[(٢)]، فهذا يدل على عظم الأمر وخطورته، والله أعلم.

---

(١) البخاري (٦٤٩١)، ومسلم (١٣١)؛ من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
(٢) أبو داود (٤١٥٨)، والترمذي (٢٨٠٦)؛ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

هل يقبض ملك الموت الأرواح وحده أو معه ملائكة آخرون؟

السُّؤَالُ:

هل ملك الموت (سيدنا عزرائيل) يقبض الأرواح بمفرده أم أن ذلك يتم بمعاونين من الملائكة الكرام؟ وفي هذه الحالة فما دورهم؟ كيف يقوم هذا الملك بقبض أرواح الملايين في لحظة واحدة، مثل الكوارث كالزلازل والبراكين وانفجار قنبلة ذرية... إلخ، هل يتواجد في لحظة واحدة في مكانين؟ وأين تذهب الروح بعد الموت؟

الجواب:

الحمد لله؛ قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ۝١١﴾ [السجدة]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [النحل: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ﴾ [النحل: ٣٢].

ومذهب أهل السنة والجماعة أن ملك الموت واحد، وله أعوان كما هو ظاهر هذه الآيات، وكما دلت على ذلك السنة عن النبي ﷺ، كما في حديث البراء بن عازب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الطويل[1]، وفيه أن ملك الموت يقبض روح العبد، ثم لا تدعها الملائكة الذين معه -ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب- بل يأخذونها ويضعونها فيما معهم من الكفن والحنوط،

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٥٣)، وأخرجه النسائي (٢٠٠١)، وابن ماجه (١٥٤٩) مختصرًا، وصححه الحاكم (١٠٧)، ووافقه الذهبي، ولبعضه شاهد في صحيح مسلم (٧٤٠٠) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

ثم روح المؤمن يصعد بها وتفتح لها أبواب السماء، وروح الكافر تغلق دونها أبواب السماء، كما قال الله تعالى: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠]، والإيمان بملك الموت الموكل بقبض أرواح العالمين ومن معه من الملائكة هو من الإيمان بالملائكة الذي هو أحد أصول الإيمان.

ويجب أن يعلم أن الملائكة أعطاهم الله من القدرة والتصرف والتدبير ما لا تحيط به عقول البشر، فهذا جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يأتي بالوحي من عند الله في لحظات، وذلك حين يُسأل الرسول ﷺ فلا يكون عنده جواب، فيأتيه الجواب من عند الله سبحانه في الحال، فلا يجوز أن نقيس قدرة ملك الموت على قدرة الناس، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الذي هو على كل شيء قدير هو الذي يعطي القدرة، فلا يمتنع أن يجعل ملك الموت قادرًا على قبض الكثير من الأرواح بل الألوف أو مئات الألوف في وقت واحد، والواجب الإيمان والتسليم بما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة، وإن لم تدركه عقولنا القاصرة وتحطْ به، فأحوال عالم الغيب فوق ما يخطر بالبال أو يدور في الخيال، فها هي المخترعات الحديثة التي خلق الله أسبابها وكشفها للعباد وأقدرهم على التصرف فيها قد كانت ضربًا من الخيال، بل لم تكن تخطر على البال، ولا تزال باهرة ومحيرة للعقول، كما في أجهزة الاتصال والإعلام التي تبث الأصوات والصور إلى ملايين أجهزة الاستقبال، فسبحان الذي خلق هذا الوجود، وعلم العباد، وكشف لهم ما شاء من أسرار! وما هذه

القُدرة وهذه العلوم إلا شيء يسير بالقياس إلى ما في الغيب، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ۝٨٥﴾ [الإسراء].

وقد ورد في السؤال اسم ملك الموت وأنه عزرائيل وهذه التسمية مشهورة ولكنها لم تثبت، وإنما الذي ثبت من أسماء الملائكة: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، ومالك خازن النار، وكذلك منكر ونكير وهما الملكان الموكلان بسؤال الميت في قبره، والله أعلم.

وجوب محبة الملائكة، وحكم دعاء الله رؤيتهم

السؤال:

هل من عقيدة أهل السنة وجوب حب الملائكة كلهم؟ وهل يجوز سؤال العبد ربه أن يريه بعض الملائكة؟

الجواب:

الحمد لله؛ قد وصف الله الملائكة بأنهم عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون، وأنهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون، وأنهم لا يستكبرون عن عبادة الله ولا يستحسرون، ومنهم المقربون، وهذا يتضمن أن الملائكة محبوبون لله، ومعلوم بالضرورة من دلالة الكتاب والسنة وجوب محبة من يحبه الله وما يحبه الله، وهذا يقتضي محبة الملائكة كلهم، ومن المعلوم أن من أصول الإيمان المقررة عند أهل السنة المستمدة من الكتاب والسنة، وجوب الإيمان بالملائكة، وأن محبتهم من فروع الإيمان بهم، وعلى هذا؛ فمحبة الملائكة من عقيدة

أهل السنة والجماعة، ومما يدين به أهل السنة والجماعة، وإن لم ينصوا على ذلك بجعلها مسألة قائمة بنفسها، ليدلَّل عليها؛ لأنها مندرجة في الأصل الكبير، وهو الإيمان بالملائكة، فإنه الأصل الثاني من أصول الإيمان في الكتاب والسنة.

وأما سؤال العبد ربه أن يريه بعض الملائكة فهو من التعنت، والاعتداء في الدعاء، وهو يشبه سؤال المتعنتين من أعداء الرسل في سؤالهم للرسل أن يروهم الملائكة، قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ۝٩٠﴾ [الإسراء] إلى قوله: ﴿أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ۝٩٢﴾ [الإسراء]، والله أعلم.

بين كرامات الأولياء ومعجزات الأنبياء

السؤال:

هناك قول نسمعه وهو: ما صح أن يكون معجزة لنبي صح أن يكون كرامة لولي. من قائل هذا الكلام؟ وما معناه؟ وهل هذا يعني أن النبي ﷺ قد شُق له القمر وعرج به إلى السماء، وأن الولي الصالح يمكن أن يكون له هذه الكرامة أيضًا؟ أفيدونا بارك الله بكم.

الجواب:

الحمد لله؛ معجزات الأنبياء -وهي الآيات والبينات والبراهين على صدقهم- وكرامات الأولياء كلها من خوارق العادات، وكل الخوارق يرجع إلى نوع القدرة والتأثير، أو العلم، أو الغنى. فالخوارق

تتنوع بحسب هذه المعاني، فمعجزات الأنبياء منها ما يكون علميًّا، ومنها ما يكون من قبيل القدرة، ومنها ما يكون من قبيل الغنى، وهكذا كرامات الأولياء.

وقول القائل: «ما صح أن يكون معجزة لنبي صح أن يكون خارقًا لولي»، معناه: أن ما كان معجزة للنبي إن حصل مثله للولي فهو كرامة، وليس المقصود أن كل معجزة من معجزات الأنبياء يكون مثلها للأولياء، لكن إن حصل للولي من الخوارق ما يشبه بعض معجزات النبي فهو في حقه كرامة، وما كان كرامة لولي فإنه معجزة للنبي الذي يتبعه هذا الولي؛ لأنه إنما حصل له هذا الخارق بسبب اتباعه، فتكون الكرامة حجة على صحة الدين الذي هو عليه.

وبهذا يعلم أنه لا يلزم أن كل خارق حصل لنبي يكون مثله لأحد من الأولياء، فانشقاق القمر وعروج النبي ﷺ لم يحصل لغيره ولن يحصل. وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن خوارق الأنبياء لا يقدر على مثلها أحد من البشر[1]، فلا بد أن تتميز خوارق الأنبياء على كرامات الأولياء.

وأما صاحب هذه المقولة فأنا لا أعرفه، ويمكن الرجوع لمعرفته إلى الكتب المعنية بالمعجزات والكرامات؛ مثل كتاب «النبوات» لابن تيمية، والله أعلم.

(١) «النبوات» لابن تيمية (١/ ١٤٤).

كيف أرسل موسى إلى فرعون وقد بعث الأنبياء إلى قومهم خاصة

السؤال:

هل أرسل موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلى فرعون لتخليص بني إسرائيل أو لدعوته إلى التوحيد؟ فقد أشكل عليَّ أنه قبطي وموسى من بني إسرائيل، وكان الأنبياء قبل نبينا محمد يبعثون إلى أقوامهم خاصة، كما هو معلوم.

الجواب:

الحمد لله؛ أما بعد فإن موسى بن عمران أحد الرسل الكرام، وهو أحد أولي العزم الخمسة، وهم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد، عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ، وما قص الله في كتابه من أمر رسولٍ ما قصه من أمر موسى؛ فقصته عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ تضمنت أطواره من مولده إلى وفاته، كما في سورة القصص وطه وغيرهما، وأهم ما اشتملت عليه قصة موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إرساله إلى فرعون وقومه، ثم إرساله إلى بني إسرائيل، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [إبراهيم: ٥]، وأما إرساله إلى فرعون فظاهر من القرآن أن له غايتين:

أولاهما: دعوته إلى الإيمان بالله رب العالمين، وترك ما يدعيه من الإلهية والربوبية، وكذا دعوته ليتذكر أو يخشى، ودعوته إلى أن يتزكى، كما قال تعالى: ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ۝١٩﴾ [النازعات]،

وفي ذلك دعوة إلى الإيمان بالله وعبادته، ودعوة لقومه إلى ذلك، ولهذا لما رأى السحرة الآيات وقعوا ساجدين، وقالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون، وبهذا كفروا بإلاهية فرعون التي كانوا يدينون بها، وقالوا لفرعون لما هددهم: ﴿قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَاۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾﴾ [طه].

الغاية الثانية: تخليص بني إسرائيل من الاستعباد وسوء العذاب، وذلك بمطالبة فرعون بأن يرسلهم مع موسى، ويترك ظلمه بتعبيدهم وتعذيبهم، وذبح أبنائهم واستحياء نسائهم، كما قال تعالى: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾﴾ [الشعراء]، وقال تعالى: ﴿قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾ [طه: ٤٦-٤٧]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأعراف]، ولما أصر فرعون على التكذيب والاستكبار، وقضى الله سبحانه بإهلاكه وإهلاك قومه بالغرق أمر الله عبده ورسوله موسى أن يخرج ببني إسرائيل ليلًا، ففعل، فخرج فرعون في إثرهم، فانتهى موسى ببني إسرائيل إلى البحر، فأتبعهم فرعون وجنوده وقت الإشراق، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [الشعراء] إلى قوله: ﴿فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [الشعراء] إلى قوله: ﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ

﴿أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ۝٦٦ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۝٦٧ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٦٨﴾ [الشعراء]، والله أعلم.

وأما ما جاء في خصائص النبي محمد ﷺ من أنه بعث إلى الناس عامة، وأن النبي قبله يبعث إلى قومه خاصة فهذا باعتبار الأغلب، وما أرسل نبي إلى الناس عامة إلا محمد ﷺ، وإرسال موسى إلى فرعون وقومه لا ينافي عموم رسالة محمد ﷺ، فإن فرعون وقومه وبني إسرائيل ليسوا كل من كان على وجه الأرض من الناس يومئذ، ولهذا لم يكن موسى مرسلًا إلى الخضر، حتى قال الخضر لموسى: «إني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت، وأنت على علم علمكه لا أعلمه»[1]، والله أعلم.

المفاضلة بين عيسى وموسى عليهما السلام

السؤال:

ذكر أحد الأساتذة أن عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أفضل من موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ باعتبار ما ورد مما يكون له في آخر الزمان كقتله الدجال، ولأنه لم يقع منه ما وقع لموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ من قتل النفس، ومن إلقاء الصحف، فهل ذلك صحيح؟

الجواب:

الحمد لله؛ في ذلك نظر، فالذي يظهر أن موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أفضل؛ فإنه كليم الله، وقد أنزل الله عليه التوراة، وهي التي كتبها الله بيده، ثم

(١) أخرجه البخاري (١٢٢)؛ من حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

إن الشريعة التي جاء بها عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ تابعة في أكثر الأحكام للتوراة، وفضيلة المنزَّل تقتضي فضيلة المنزَّل عليه.

وما ورد في عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من الفضائل فهي خاصة لا تستوجب تفضيلًا عامًّا، وهذا إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ -كما في حديث الشفاعة- أحال إلى موسى.

وقول هذا المتكلم: «لم يقع من عيسى ما وقع من موسى من قتل النفس ومن إلقاء الصحف» نقول: إنه لا يلزم من عدم الذنب الأفضلية، فإن العبد قد يرتفع بعد الذنب عمَّا كان عليه قبل الذنب، وعَدُّ إلقاء موسى للألواح ذنب؛ لا دليل عليه، فإنه ألقاها عند غضبه لله، لِما صنعه بنو إسرائيل من عبادة العجل، ولم يذكر الله أنه استغفر من إلقاء الألواح، بخلاف قتل النفس، فإنه الله تعالى ذكر استغفار موسى من ذلك وغفران الله له.

ومما يدل على فضل موسى أن الرسول محمدًا ﷺ لقيه في السماء السابعة، فلم يرتفع عليه إلا إبراهيم عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ، ومن ذلك ما قصّه الله في كتابه وثنَّاه من جهاده لفرعون وقومه، وجهاده لبني إسرائيل، ومن ذلك تنويه الرسول ﷺ بصبره وتأسيه به؛ حيث قال: «**لقد أوذي موسى بأكثر من هذا فصبر**»[1]، والله أعلم.

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٥٠)، ومسلم (١٠٦٢)؛ من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

الجمع بين قوله تعالى: ﴿وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ وقوله: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا ٥١﴾

السُّؤَال:

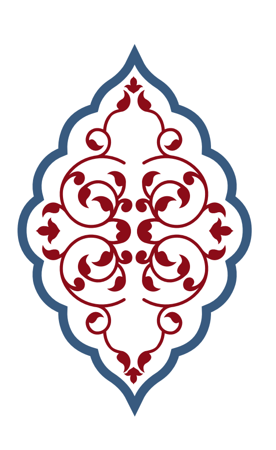
كيف نجمع بين قوله تعالى: ﴿وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة: ٦١] وقوله: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا ٥١﴾ [غافر]؟

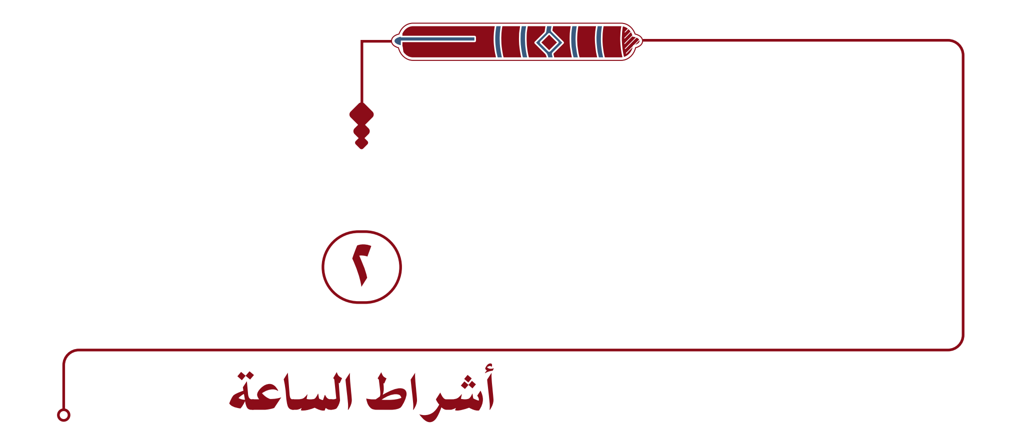
الجواب:

الحمد لله؛ قد أخبر الله عن بني إسرائيل ذامًّا لهم بقتل النبيين والرسل بغير حق، فقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٦١﴾ [البقرة]، وقال: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ ٨٧﴾ [البقرة]، والآيات في هذا المعنى كثيرة، وكلُّ هذه الآيات في بني إسرائيل، وهم اليهود المنتسبون إلى شريعة التوراة، وأنبياء بني إسرائيل يذكرهم الله تعالى تارة بصفة النبوة، وتارة بصفة الرسالة بمعناها العام، فإن الإرسال الشرعي من الله يأتي عامًّا وخاصًّا؛ فالعام يشمل الأنبياء، فيكونون أنبياء ورسلًا، ويأتي خاصًّا بالرسل بالمعنى الخاص، وهم الذين أرسلوا إلى كفار مكذبين، كقوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين، فهؤلاء الرسل لم يُقتل أحد منهم، وإن همَّت أممهم بذلك، كما قال تعالى: ﴿وَهَمَّتۡ كُلُّ أُمَّةِۭ بِرَسُولِهِمۡ لِيَأۡخُذُوهُ﴾ [غافر].

وهؤلاء الرسل -أي بالمعنى الخاص- أخبر الله عن نصره لهم إخبارًا مجملًا ومفصَّلًا، فقال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١١٠﴾ [يوسف]، وقال: ﴿ثُمَّ صَدَقۡنَٰهُمُ ٱلۡوَعۡدَ فَأَنجَيۡنَٰهُمۡ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهۡلَكۡنَا ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٩﴾ [الأنبياء]، وأخبر عن نوح وهود وصالح ولوط وشعيب بأن الله نجاهم من العذاب الذي عُذِّب به أقوامهم، وهذا النصر هو المذكور في قوله: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا﴾، وقوله: ﴿وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٧١ إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ ١٧٢﴾[الصافات]، ومن فاته النصر في الدنيا، كمن قُتل من رسل بني إسرائيل فنصره مدَّخر له يوم القيامة، ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ٥١﴾ [غافر].

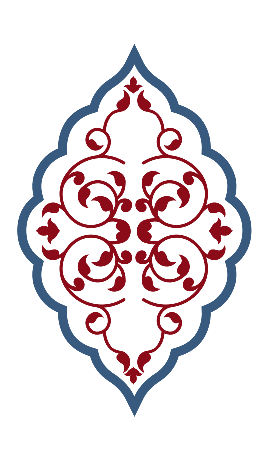
وقد يكون نصر الرسل في الدنيا نصرًا لأتباعهم بعد موت الرسل أو قتلهم، وقد أوجب الله ذلك على نفسه، فقال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٤٧﴾ [الروم]، وأقسم على ذلك فقال سبحانه: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ٤١﴾ [الحج]، والله أعلم.





٢

أشراط الساعة



المهدي المنتظر عند أهل السنة

السُّؤَالُ:

نريد منكم بيان عقيدة أهل السنة باختصار في المهدي المنتظر، وهل هو موجود الآن؟

الجواب:

الحمد لله؛ لقد ذكر العلماء أنه ورد في شأن المهدي خمسون حديثًا بين صحيح وحسن وضعيف، وجمهور أهل السنة على الإيمان به؛ للأحاديث الواردة في خبره، ولم يقل أحد منهم إنه موجود الآن، وإنما يزعم ذلك الرافضة في مهديهم المعصوم بزعمهم، وهو الثاني عشر من أئمتهم، والتحقيق أنه ليس بمعصوم بل معدوم، فهو من خرافات الرافضة وجهالاتهم، فإنهم يزعمون أنه دخل السرداب، وله خمس أو ست سنين، ولا يزالون ينتظرون خروجه ويدعون: عجل الله فرجه، وينادونه عند باب السرداب: اخرج يا مولانا.

أما مهديُّ أهل السنة الذي أخبر به النبي ﷺ فسيولد إذا شاء الله، ثم يلي الأمر ويمكن الله له، فيملأ الأرض عدلًا كما ملئت جورًا، وذكره عند أهل السنة في أشراط الساعة، والله أعلم بميعاد ذلك.

الجزم بأن الساعة لا تقوم غدًا!

السؤال:

ما حكم الجزم بأن القيامة لن تقوم غدًا؟ هل هو كالجزم بأنها سوف تقوم في سنة معينة كما يزعم بعض الضلال والعرافين؟ والذي جرَّ إلى هذا السؤال أن أحد الناس ذكر في كلام له أننا...«نجزم بأن القيامة لن تقوم غدًا، ونعلم ذلك من النصوص الكثيرة التي أخبرت عن أشراط الساعة، و نحن نعلم أن هذه الأشراط لم تكن بعد، ولا تكون إلا بعد وقت، فإن كثيرًا من النصوص تخبر بأمور لا تحصل قبل غد...» هذا معنى كلامه لا لفظه، فهل هذا اعتقاد أهل السنة في المسألة؟ أفيدونا جزاكم الله خيرًا.

الجواب:

الحمد لله؛ إن موعد قيام الساعة وهي القيامة مما استأثر الله بعلمه قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ١٨٧﴾ [الأعراف]، ولما قال جبريل للنبي ﷺ: «أخبرني عن الساعة؟» قال: «**ما المسؤول عنها بأعلم من السائل**»[1]، فالله تعالى قد أخفى وقتها عن العباد فلا يعلم متى الساعة لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل. فمن زعم أن الساعة تقوم في سنة كذا، أو بعد كذا وكذا من السنين - فهو مفتر كذاب، ومدع لعلم الغيب، ومكذب بما أخبر الله به في كتابه، فيكون بهذا كافرًا، يستتاب، فإن تاب وإلا قتل.

---

(١) أخرجه مسلم (٨)؛ من حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أما من قال: إن الساعة لن تقوم حتى تظهر أشراطها التي أخبر الله بها ورسوله ﷺ فهو محق؛ لأن قيامها قبل ظهور أشراطها خلاف ما أخبر الله به ورسوله، فيلزم منه أن تكون هذه الأخبار كذبًا، وهذا اللازم باطل، فكذلك ما يستلزمه، فأخبار الله ورسوله أصدق الأخبار، ولا بد من وقوع مُخْبَرِها.

فمن قال: نجزم بأن الساعة لا تقوم غدًا بناء على ذلك فقد صدق، وهذا لا ينافي قدرة الله على أن يقيم الساعة غدًا، وامتناع قيامها قبل موعدها راجع إلى أن الله قدّر ذلك وقضاه، فلا يكون خلافُ ما سبق به علمه وقضاؤه، بل يجري كل شيء على وفق علمه، وتقديره، ومشيئته، وهو سبحانه الفعال لما يريد، وهو على كل شيء قدير، والله أعلم.

كل ما أخبر به النبي من الغيب وحي من الله

السُّؤَالُ:

أعرف أن النبي ﷺ لم يكن يتكلم في الدين من تلقاء نفسه، فكيف عرف عن أمارات الساعة، وما إلى ذلك، فهل أخبره الله بها؟ أرجو التوضيح.

الجواب:

الحمد لله؛ كُلُّ ما أخبر به الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ من الغيب الماضي، والحاضر، والمستقبل، مثل بدء الخلق، والقيامة، والجنَّة، والنَّار، وأشراط الساعة، والملائكة، والأنبياء كُلُّ ذلك بوحيٍ من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم]، وقال تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ﴾ [هود: ٤٩]، وقال تعالى: ﴿قُل

﴿لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ﴾ [الأنعام: ٥٠].

فلذلك يجب تصديق الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في كُلِّ ما أخبر به عن الله من أمور الغيب وغيرها؛ لأنه الصادق المصدوق، فمن كذّبه ولو في خبرٍ واحد يعلم أنه قد ثبت عن النبي ﷺ، فإنه بذلك يصير مرتدًا عن الإسلام إن كان مسلمًا، والله أعلم.

هل الخسوفات الثلاثة عقوبة؟ وهل حديث: «المهدي يصلحه الله في ليلة» صحيح؟

السؤال:

هل الخسوفات الثلاثة هي التي تكون عقابًا بسبب كثرة الذنوب والمعاصي التي لا نكير لها، أو أنها تختلف؟ وهل يصح حديث: «المهدي يصلحه الله في ليلة»؟

الجواب:

الحمد لله؛ الخسوفات الثلاثة المذكورة في أشراط الساعة الكبرى خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب لم يُذكر أنه يهلك فيها أحد من الناس، وحينئذ فلا يمكن القول بأنها تَحدث عقابًا أو لا تَحدث عقابًا، فيُؤْمَنُ بها على ما جاء في الحديث دون خوض في حكمتها، ولله في كل ما يجري في هذا الوجود حكمة، قد يعلمها

العباد، وقد لا يعلمونها، فيجب التفويض في حكمة هذه الخسوف، فيقال: الله أعلم.

وأما حديث «**المهدي منا أهل البيت يصلحه الله في ليلة**» فضعيف، وهو في مسند الإمام أحمد[١]، والله أعلم.

ترتيب (عودِ أرض العرب مروجًا وأنهارًا) بين أشراط الساعة

السُّؤَالُ:

بعد أيٍّ من الأشراط يكون رجوع جزيرة العرب حدائق خضراء وأنهارًا؟

الجواب:

الحمد لله؛ ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجًا وأنهارًا**»[٢]، هذا هو اللفظ المشهور المعروف، وليس فيه ترتيب مع شرط من أشراط الساعة، فلفظ الحديث مطلق غير مقيد.

وعلى هذا؛ فليس لأحد أن يقول: إن عود جزيرة العرب مروجًا وأنهارًا يكون بعد كذا أو قبل كذا، فيجب الإيمان بما أخبر به النبي ﷺ، وإجراؤه على ظاهره، دون زيادة ولا نقص، والله أعلم متى يكون ذلك، ولا ريب أن جزيرة العرب في هذا العصر لم تكن كحالها قبل، وقد كثر فيها حفر الآبار العميقة، وأجريت فيها المياه، وغرست فيها الأشجار، وكثرت الزروع في مساحات واسعة منها، والله أعلم.

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٦٤٥)، وابن ماجه (٤٠٨٥)؛ من حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ وقال البخاري: «في إسناده نظر». «التاريخ الكبير» (١/ ٣١٧).

(٢) أخرجه مسلم (١٥٧)؛ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وعلى هذا؛ فالسؤال عن تعيين شرط من أشراط الساعة غير وارد ولا موجِبَ له.

هل تنقطع التوبة إذا خرج الدجال؟

السُّؤَال:

جاء في صحيح مسلم: «ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض»[(١)] فهل التوبة تنقطع إذا خرج الدجال؟

الجواب:

الحمد لله؛ الآية التي إذا جاءت لا ينفع نفسًا إيمانها هي طلوع الشمس من مغربها، وبذلك فسر قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗا﴾ [الأنعام: ١٥٨]، فالتوبة لا تنقطع إلا إذا طلعت الشمس من مغربها كما صح بذلك الحديث عن النبي ﷺ: «**لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها**»[(٢)]، وخروج الدجال سابق لطلوع الشمس من مغربها، فلا تنقطع التوبة عند خروجه.

---

(١) أخرجه مسلم (١٥٨)؛ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (١٦٧١)، وأبو داود (٢٤٧٩) واللفظ له؛ من حديث معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ٢٥١): ورجال أحمد ثقات.

وأما الحديث المذكور في السؤال فلا يدل على انقطاع التوبة وقت خروج أيِّ واحدة من المذكورات، بل المراد إذا خرجن كلهن، وذلك لا يكون إلا إذا طلعت الشمس من مغربها، فيدل على أن خروج الدجال قبل ذلك، وكذلك الدابة إلا أن خروجها قريب من طلوع الشمس من مغربها كما يدل له قوله ﷺ: «**إن أول الآيات خروجًا: طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحًى، وأيهما ما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على إثرها قريبًا**»؛ رواه مسلم[1]، والله أعلم.

عرض أعمال الأحياء على الأموات

السؤال:

حول مسألة عرض أعمال الأحياء على الأموات وما هو الصحيح في ذلك؟ مع الإحالة على المراجع قدر الاستطاعة. حول مسألة تزاور الأموات فيما بينهم وما هو الصحيح في ذلك؟ مع الإحالة على المراجع قدر الاستطاعة.

الجواب:

الحمد لله؛ الأموات في عالم البرزخ وهو ما بين الدنيا والآخرة من الموت إلى البعث، فلهم في هذه الدار أحوال وهم على منازلهم ومراتبهم من الخير والشر، قد دلت النصوص من الكتاب والسنة على جملة ذلك، فدلت على أن الأموات إما في نعيم وإما في عذاب، وهذا مما يجب الإيمان به، وهو من الإيمان بالغيب الذي أثنى الله به على

(١) أخرجه مسلم (٢٩٤١)؛ من حديث عبد الله بن عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

المتقين، والعباد في هذه الدنيا لا يعلمون من أحوال أهل القبور شيئًا إلا النادر مما قد يكشف لبعض الناس، كما جاء في أخبار وروايات كثيرة، منها الصحيح ومنها غير الصحيح، وكذلك الأموات؛ الأصل أنهم لا يعلمون من أحوال أهل الدنيا شيئًا؛ لأنهم غائبون عنها، فلا يجوز أن نثبت اطلاعهم على شيء من أحوال أهل الدنيا إلا بدليل، وقد جاءت آثار وروايات تدل على أن بعض الأموات يشعر بأحوال أهله، وما يكون منهم، ولا أعلم شيئًا عن صحّة هذه الآثار، وقد أوردها العلامة ابن القيم في كتابه المعروف كتاب «الروح»، ومن أصح ما ورد مما يتعلق بهذا المعنى، حديث: «**إن الميت ليعذّب ببكاء أهله عليه**»[(١)]، وكذلك ثبت أن الرسول ﷺ تُعرَض عليه صلاة أمته وسلامهم عليه ﷺ[(٢)].

وأما مسألة تزاور الأموات فهي من جنس ما قبلها، وتذكر فيها آثار، وقد أوردها ابن القيم أيضًا في الكتاب نفسه، ولا أذكر شيئًا مما يعول عليه لإثبات هذه الحال، ولكن نعلم أن أرواح المؤمنين بعضها مع بعض في الجملة، وكذلك أرواح الكافرين بعضها مع بعض، والله أعلم بالغيب.

ومما يتعلق بمسألة عرض أعمال الأحياء على الأموات، أو شعورهم بشيء عنها، مسألةُ سماع الموتى، وقد دلّ القرآن على أن الأموات لا يسمعون، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٨٨)، ومسلم (٩٢٨)؛ من حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه أبو داود (١٠٤٧)، والنسائي (١٣٧٤)، وابن ماجه (١٠٨٥)، والحاكم (١٠٢٩)؛ من حديث أوس بن أوس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي.

وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ ﴿٨٠﴾ [النمل]، وقال سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ ﴿٢٢﴾ [فاطر]، لكن ورد أن الميت إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه أنه يسمع قرع نعالهم[١]، وما صحّ من الأحاديث في زيارة القبور والسلام على أهلها يأخذ منه بعض أهل العلم أنهم يسمعون كلام المسلِّم عليهم بدليل التوجّه إليهم بالخطاب، وأضف إلى ذلك ما روي من قوله ﷺ: «**ما من رجل يمرُّ على قبر رجل في الدنيا فيسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام**»[٢]، وهذه الأحاديث لا يصح الاستدلال بها على أن الأموات يسمعون كل ما يقال عند قبورهم، فضلا عمّا بعُد عنهم، فيجب الاقتصار على ما ورد به الدليل، فنقول: الأصل أن الأموات لا يسمعون شيئًا من أقوال الأحياء إلّا ما دلّ عليه الدليل، ولا يسمعون من يناديهم ليخبرهم بشيء من الأمور، فضلًا عن أن يسمعوا من يناديهم يستغيث بهم، ويطلب منهم الشفاعة عند الله، ولو كان ذلك قريبًا من قبورهم، فضلا عمَّن يكون بعيدًا عنهم.

ومع إثبات ما ورد من السماع فإننا لا نثبته إلا على الإطلاق، فلا نشهد لمعين بأنه يسمع سلام المُسلِّم عليه أو يسمع مشي المشيِّعين له عند الانصراف عنه، لكن نثبت ذلك على وجه الإجمال والإطلاق،

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٣٨)، ومسلم (٢٨٧٠)؛ من حديث أنس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ.

(٢) أخرجه ابن عبد البر في «الاستذكار» (١/ ١٨٥)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١٥٢٣) وضعَّفه، والصيداوي في «معجم الشيوخ» (٣٣٣)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٦/ ١٣٧)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٧/ ٦٥)؛ عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، وضعفه الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١٢/ ٥٩٠).

وقوفًا على حدّ ما يقتضيه الدليل، والدليل جاء مطلقًا ليس فيه تعيين لمن يحصل له ذلك، وإنما جاء مطلقًا عاما، فيجب الوقوف مع دلالته دون زيادة.

وبهذا يعلم أن ما يفعله القبوريون عند قبور من يعظمونه من دعائهم، والاستغاثة بهم، أو دعاء الله عند قبورهم، أن ذلك دائر بين البدعة والشرك، فيجب الوقوف عند حدود الله في زيارة القبور وغيرها، فإن زيارة القبور إنما شرعت إحسانًا إلى الموتى بالدعاء لهم، ولنفع الحيّ بتذكر الآخرة، نسأل الله البصيرة في الدين، والفرقان المبين، والله أعلم.

تردد روح الميت أربعين يوما إلى مكان قبضها وشعور الميت بأهله والعكس

السُّؤَالُ:

هل يشعر موتى المسلمين بأحاسيس أقربائهم بعد الموت؟ أحزانهم، بكائهم، سعادتهم وإن كانوا يذكرون الميت أو لا يذكرونه؟ هل تعود روح المسلم إلى هذا العالم لتعرف ماذا يحدث للعائلة؟ سمعت أن الروح تعود لمدة أربعين يوما إلى المكان الذي قبضت فيه. هل نرى أو نشعر بأرواح الأقرباء؟ وما مدى تصديق الأحلام عن الموتى؟

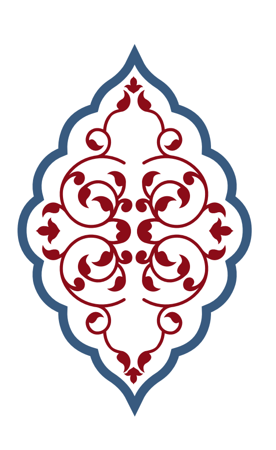
الجواب:

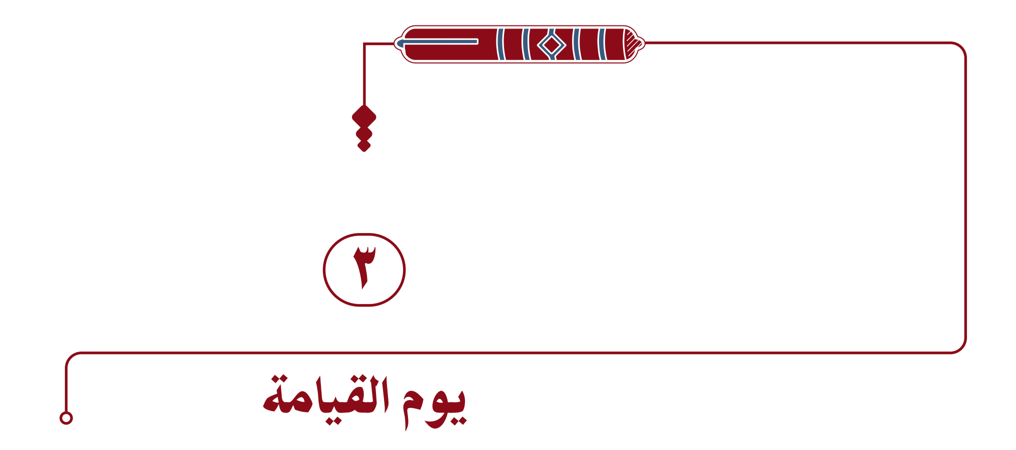
الحمد لله؛ الإنسان إذا مات يغيب عن هذه الحياة ويصير إلى عالم آخر، ولا تعود روحه إلى أهله ولا يشعرون بشيء عنه، وأما ما ذكر من

عودة الروح لمدة أربعين يوما فهو من الخرافات التي لا أصل لها، والميت كذلك لا يعلم بشيء من أحوالهم لأنه غائب عنهم في نعيم أو عذاب، ولكن قد يُطلع الله بعض الموتى على بعض أحوال أهله ولكن دون تحديد. وقد جاءت آثار لا يعتمد عليها بأن الأموات قد يعرفون أشياء من أحوال أهلهم.

وأما الأحلام أي الرؤى فمنها ما هو حق ومنها ما هو من تلاعب الشيطان، فقد يعرف الأحياء بطريق الرؤيا الصالحة شيئًا من أحوال الميت، ولكن ذلك يعتمد على صدق الرائي، وصدق الرؤيا، وقدرة المعبّر لتلك الرؤيا، ومع ذلك فلا يصح الجزم بمضمونها إلا أن يقوم دليل على ذلك، فقد يرى الحي قريبه الميت فيوصيه بأشياء ويذكر له بعض الأمور التي يمكن معرفة صدقها إذا طابقت الواقع، وقد حصل من هذا وقائع بهذا الشأن؛ فمنها ما يكون مطابقًا للواقع، ومنها ما لا تعلم صحته، ومنها ما يعلم كذبه، فهي ثلاثة أقسام، فيجب أن يراعى ذلك بالتعامل مع الأخبار والروايات والقصص المتعلقة بأحوال الموتى، والله أعلم.

- ❊ ■ ❊ ■ ❊ -





يوم القيامة

من رجحت سيئاته من أهل التوحيد

السؤال:

سمعت أن من طغت حسناته على سيئاته دخل الجنة، ومن طغت سيئاته على حسناته دخل النار، كيف يكون ذلك والمؤمن وإن كانت سيئاته أمثال الجبال يدخل الجنة؟ أرجو التوضيح... وجزاكم الله خيرًا.

الجواب:

الحمد لله؛ لا يقال: من طغت حسناته على سيئاته، أو سيئاته على حسناته، بل يقال: من رجحت حسناته، أو رجحت سيئاته؛ لأن هذا المعنى يتعلق بوزن الأعمال، كما قال سبحانه: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ۝٩﴾ [الأعراف]، ودلَّت النصوص على أن من رجحت حسناته على سيئاته دخل الجنة من أول وهلة، وأما من كان له سيئات ترجح على حسناته فإن كان من أهل التوحيد فهو تحت مشيئة الله إن شاء الله غفر له، وإن شاء عذبه، ثم يخرجه من النار، ويدخله الجنة، ومن لم يكن من أهل التوحيد فإنه لا يعتد له بشيء من الحسنات، فإن سيئة الكفر والشرك تحبط جميع الأعمال، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٦٥﴾ [الزمر].

فالمؤمن الموحد إن كانت له ذنوب قد يعذب في النار، ثم يخرج منها، ولا يخلد في النار أحد من أهل التوحيد كما تواترت بذلك السنة، ومهما كانت الذنوب -التي دون الشرك- عظيمة وكثيرة فإنها لا تبطل حسنة التوحيد ولا توجب الخلود في النار، بل ولا يلزم منها دخول النار، لأنها تحت مشيئة الله، فمن شاء الله أن يغفر له لم يدخل النار ابتداء، ومن شاء أن يعذبه دخل النار ثم يخرج منها، فلا يخلد فيها؛ بل يخرجه منها بشفاعة الشافعين من الملائكة والأنبياء والصالحين، وأعظم ذلك شفاعة النبي ﷺ لأمته، ويخرج الله أقوامًا من أهل التوحيد من النار بمحض رحمته وهو أرحم الراحمين.

وأما من مات على الشرك والكفر فإنه مخلد في النار، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ٦﴾ [البينة]، فهؤلاء هم أهل النار الذين لا يموتون فيها ولا يحيون، نعوذ بالله من النار ومن حال أهل النار، والله أعلم.

عصاة المسلمين هل يعذَّبون على قدر ذنوبهم بإطلاق؟

السُّؤَالُ:

ذهب ابن حزم في «المحلى» وابن القيم في «طريق الهجرتين» إلى أن عصاة المسلمين الذين رجحت سيئاتهم على حسناتهم أنهم يعذبون على قدر ذنوبهم، ولا يدخلون تحت المشيئة، فما رأي فضيلتكم في المسألة، وما هو قول أهل السنة، وهل لهم نصٌّ صريح في المسألة؟

هـذا، والله يحفظكم ويسـدد أقوالكم ويتقبل أعمالكم.

الجواب:

الحمد لله، أما بعد: ففي هـذا الكلام إشكال، وهـو الجزم بتعذيب من رجحت سيئاته على حسناته من أهل التوحيد، كيف يقال ذلك؟!

والـذي جاء في القرآن من وعيد من خفَّت موازينه هـم الكفَّار، قال تعالى في سـورة المؤمنون: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [المؤمنون] الآيات، فلم يُذكر في القرآن مَن خفَّت موازين حسناته من عصاة المؤمنين، ولم يَذكروا دليلًا على أن من رجحت سيئاته يعذب ولابد، لكنَ ذَكروا بعض الآثار عن بعض السلف، كقول حذيفة وعبد الله بن مسعود: «ومن رجحت سيئاته على حسناته بواحدة دخل النار»، وابن حزم نزَّل الآيات الواردة في الكفَّار على عصاة الموحدين، وهـذا غلط ظاهر، وهذه عبارته: «ومن رجحت سيئاته بحسناته فهم الخارجون من النار بالشفاعة على قدر أعمالهم، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾﴾ [القارعة]» ا.هـ. فهذه الآيات في الكفَّار لا في عصاة المؤمنين، فهي كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٣].

ومضمون كلام الإمامين رَحِمَهُمَاٱللَّهُ أنَّ ثمَّةَ تلازمًا بين دخول النار ورجحان السيئات، فيُعلم أنَّ من دخل النار من أهل التوحيد هو ممَّن خفَّ ميزانه، أي: رجحت سيئاته على حسناته، وهذا هو الذي قلنا: لم يذكروا عليه دليلًا إلا بعض الآثار عن بعض السلف، كما تقدم.

ومع التسليم لما قالوا، فما الدليل على أن أهل الكبائر الذين دخلوا النار من المؤمنين يعذَّبون على كلِّ سيئاتهم؟ فإنه لا يمتنع أنهم يعذَّبون على بعضها دون بعض، ومردُّ ذلك إلى مشيئة الله تعالى لقوله تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، فما يعذَّبون به هو بمشيئة الله، وما يُغفر لهم هو بمشيئة الله، وبهذا نعلم قطعًا أنهم داخلون في عموم: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾، ولا دليل يخرج أحدًا عن هذا الوعد المقيَّد بمشيئة الله؛ فإن «مَن» مِن صيغ العموم، وعلى هذا فلا يصح القول بأن من خفَّ ميزانه خارجٌ عن عموم هذه الآية؛ فإن عذِّب فبمشيئة الله، وإن غُفِر له فبمشيئة الله، والله أعلم.

بيان كلام ابن كثير في عذاب البرزخ

السُّؤَالُ:

ذكر ابن كثير -عند قوله تعالى في سورة النحل: ﴿فَٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ﴾- أن أهل النار يدخلونها من حين موتهم بأرواحهم في قبورهم، ثم يوم القيامة تسلك أرواحهم في أجسادهم فينالها العذاب؛ فهل مراده بذلك عذاب البرزخ وأنه يختار أنه معنوي فقط؟ أو هو عذاب زائد على عذاب القبر؟

الجواب:

الحمد لله، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، أما بعد: فالظاهر أن ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ يريد عذاب البرزخ، وهو ما بين الموت إلى البعث، وهذا في حق الكفار يشمل أمرين:

الأول: عذاب القبر، وهو يتعلق بالروح والبدن.

الثاني: العذاب في النار، إما بدخولها، أو بالعرض عليها. وهذا يختص بالأرواح، فإذا بعثت الأجساد سلكت الأرواح فيها، ثم يُدخَلون النار أرواحُهم وأبدانُهم، وهذا هو الدخول المذكور في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر]، وهو ما عناه ابن كثير في قوله: «ثم يوم القيامة تسلك أرواحهم في أجسادهم»، وكلُّ ذلك حسِّيٌّ لا معنويٌّ، والله أعلم.

بأيِّ يدٍ يُؤتى عصاةُ المؤمنين كتابهم؟ وهل يشربون من الحوض؟

السؤال:

هل كل المؤمنين يؤتون كتبهم بأيمانهم؟ وإذا كان الأمر كذلك فهل بعضهم ترجح به كفة السيئات ولا يجاوز الصراط؟ وكذلك ورد أن من شرب من الحوض لا يظمأ بعدها أبدًا، فهل يدخل النارَ بعضُ من شرب ويعذب بغير الظمأ؟ أم أنه -أي: من شرب من الحوض- لا يدخل النار أبدًا؟

الجواب:

الحمد لله؛ كل المؤمنين الناجين يُؤتون كتبهم بأيمانهم، وكل ناج يثْقل ميزانه، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾﴾ الآيات [الحاقة]، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾﴾ [القارعة]، وكل من أوتي

كتابه بشماله فإنه هالك ويخف ميزانه، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾﴾ [الحاقة] إلى قوله سبحانه: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾﴾ [الحاقة]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [المؤمنون].

فتبين أن الآيات الواردة في ذكر الكتب والموازين جاءت خاصة بالمؤمنين الناجين وبالكافرين، وليس فيها تعرض لعصاة المؤمنين، فيجب الإمساك عن الحكم فيما سكتت عنه النصوص، ومثل هذا ما ورد من النصوص في فتنة الميت في قبره، فإنه لم يُتعرض فيها لذي الشائبتين؛ وهو المخلِّط، فإن الذي جاء فيها ذكر حال المؤمن والكافر، فالواجب: القول بما دلت عليه النصوص، والإمساك عما لم ترد فيه بشيء، والله أعلم.

وأما مَنْ وَرَد على حوض النبي ﷺ وشرب منه فقد بُشِّر بأنه لا يظمأ بعده أبدًا، وهي بشارة بنجاته من العذاب ودخوله الجنة، وأما المستوجبون للعذاب فمن يرِد منهم الحوض فإنه يُصد عنه، كما جاءت بذلك الأحاديث الصحيحة، قال النبي ﷺ: «**إني فرطكم على الحوض، من مر عليَّ شرب، ومن شرب لم يظمأ أبدًا، ليردن علي أقوام أعرفهم ويعرفوني، ثم يحال بيني وبينهم، فأقول: إنهم مني! فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك؟! فأقول: سحقًا سحقًا لمن غير بعدي**»[1].

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٥٠)، ومسلم (٢٢٩٠)؛ من حديث سَهْل بن سعد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

القنطرة

السؤال:

ما هي القنطرة؟ وهل جميع الخلائق سيعرضون أو يمرون بها؟

الجواب:

الحمد لله؛ في البخاري[١] عن أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يخلص المؤمنون من النار، فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار، فيقص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هُذِّبُوا ونُقّوا أذن لهم في دخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده، لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا**» فعلم من هذا الحديث أن القنطرة لا يمر عليها إلا المؤمنون، بخلاف الصراط.

والقنطرة من أمور الغيب كالصراط والميزان، وأهل السنة والجماعة يؤمنون بهذا كله، فيؤمنون بكل ما أخبر الله به في كتابه، أو صح عن رسوله ﷺ، والقاعدة أن أمور الغيب يؤمن بها ولا يطلب العلم بكيفيتها، فلا نعلم كيفية الصراط وحقيقته على ما هو عليه، ولا نعلم كذلك كيفية هذه القنطرة.

وبهذا يعلم أن سؤال بعض الناس عن كيفية الصراط والقنطرة كأنه سؤال عن مخططٍ لمراحل يوم القيامة، وهذا سؤال غير لائق، فعلى المسلم أن يؤمن بهذه المغيبات تصديقًا لله ورسوله، ولا يطلب كيفيتها،

(١) البخاري (٦٥٣٥).

فحقائق الآخرة لا يعلمها إلا الله، وسيدرك الناس من ذلك ما شاء الله لهم يوم القيامة إذا باشروا هذه الأحوال وعاينوا ما كان غيبًا، والإيمان الذي مدح الله أهله هو الإيمان بالغيب، أما الأمور المعاينة: كالشمس والقمر والأرض والجبال، فليس مما يمدح أحد بالإيمان بوجوده، ولهذا قال سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ: ﴿هُدًى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤﴾ [البقرة]، والله أعلم.

رسوم ترمز إلى ما يجري الحديث عنه من أمور الغيب

السُّؤَال:

هناك من يضع صورًا أثناء الكلام عن أمور الغيب؛ كالصراط ونحوه من أمور الغيب، فما حكم هذا الصنيع؟ وهل من نصيحة لمن يعمل مثل ذلك؟

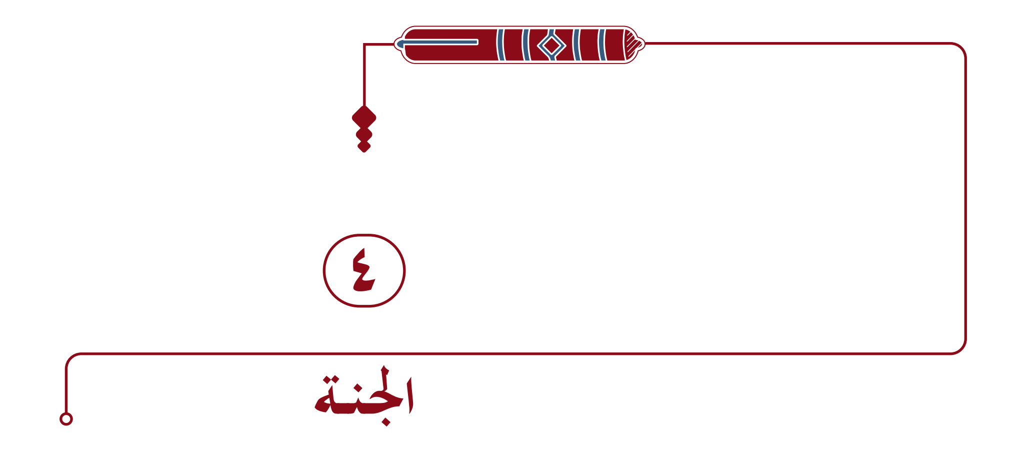
الجواب:

الحمد لله؛ إن من الجهل والغلو فيما يسمى بوسائل الإيضاح وضع رسوم ترمز إلى ما يجري الحديث عنه من أمور الغيب؛ كالجنة والنار وعذاب القبر والصراط والميزان وأشراط الساعة، وإن شئت قل: والعرش والملائكة، وفي هذا التصرف المشين ما يوهم تكييفها، ويشعر بحقارتها، وفي هذا ما فيه من تهوين شأن هذه الأمور العظام التي لا تدرك العقول كيفياتها، وفي هذا الأسلوب إزراء بعقول المخاطبين، فكأنهم لا يفهمون المراد من الكلام إلا بهذه الرسوم، ولعل الذي ليس

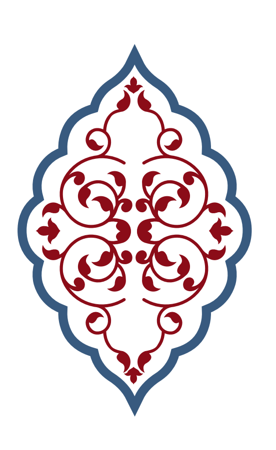
لديه معرفة في العقيدة يتوهم أن هذه الأمور الغيبية بهذه الكيفية، والملاحظ أن أهم ما يقصد في هذه الطريقة تزيين الكتاب أو اللوحة بهذه الرسوم، لذلك يقال: محلًّى بالصور، ومن أجل ذلك يكثر الإقبال على شراء هذه المصورات واقتنائها، ويزهد هؤلاء المفتونون بالصور بأنواعها في كتب العلماء الخالية عن الصور.

لذلك أرى أن هذه الطريقة وتلك المصوَّرات أمرها دائر بين التحريم والكراهة، فينبغي لأهل العلم والدعوة إلى الله أن يربؤوا بأنفسهم عن سلوك هذا الطريق، وعن مجاراة من يسمون بأصحاب الفن في هذا العصر، أصلح الله أحوال المسلمين، ورزقنا الفقه في الدين، والله أعلم.

- ❊ ▪ ❊ ▪ ❊ -



الجنة



الجنة التي أُسكنها آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ (١)

السؤال:

هل يصح ما يقوله الشيخ القرضاوي: «إن الجنة، التي أُمر آدم أن يسكنها وأن يأكل من كل شجرها إلا شجرة واحدة والتي أمر بالهبوط منها بعد المخالفة، ليس مقطوعًا بأنها هي الجنة التي أعدها الله للمتقين في الآخرة، وجعل فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر؛ فقد اختلف علماء المسلمين في جنة آدم هذه: أهي تلك الجنة الموعودة ثوابًا للمؤمنين أم هي جنة من جنان الدنيا، كما قال تعالى في سورة القلم: ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾ [القلم: ١٧]، وكما قال في سورة الكهف: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ۝٣٢ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ۝٣٣﴾ [الكهف]، ما ذكره القرضاوي موجود نصًا في موقع الإسلام أون لاين...؟

الجواب:

الحمد لله؛ ما ذكر عن القرضاوي في شأن الجنة التي أُسكنها آدم وأنه لا يقطع بأنها جنة الخلد الموعودة، وأنه قد اختلف في الجنة التي أسكنها آدم، ونهي فيها عن الأكل من الشجرة، ما ذكره القرضاويُّ صحيح، وقد أوضحه العلامة ابن القيم في كتابه «حادي الأرواح»، وعقد أبوابًا في هذه المسألة كما ذكرها أيضًا في أول كتابه «مفتاح دار السعادة» وهو يرجح أن الجنة التي سكنها آدم هي جنة عدن، وهذه

المسألة من المسائل التي الخلاف فيها سهل فلا ينكر على المخالف؛ لأن الأمر محتمل، فينبغي عدم التشدد في نصرة أحد القولين؛ لأن الخلاف في هذه المسألة هو من الخلاف المعتبر، وإن كان القول الراجح أن الجنة التي أسكنها آدم هي جنة الخلد، كما اختاره العلامة ابن القيم، والله أعلم بالصواب.

الجنة التي أُسكنها آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ (٢)

السؤال:

قرأت في كتاب لابن القيم عن الجنة، وذكر أقوالًا كثيرة حول خلاف أن جنة آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ هي جنة الخلد، فما هو القول الراجح؟

الجواب:

الحمد لله؛ يجب الإيمان بأن الله أسكن آدم وزوجه الجنة، وأن هذه الجنة لا يظمأ صاحبها، ولا يضحى، ولا يجوع، ولا يعرى، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾﴾ [طه]، وقال تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [البقرة]، ففي هذه الجنة عيش رغد هنيء، ولكن في هذه الجنة شجرة نهى الله آدم وزوجه عن قُربانها: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾.

وليس في هذه الآيات نص صريح بأن هذه الجنة هي جنة الخلد التي أعدها الله للمتقين، وليس فيها أنها غيرها، ولأجل ذلك اختلف الناس في هذه الجنة، ولكلٍّ من الفريقين حجج تؤيد ما ذهب إليه، وقد استوفاها العلامة ابن القيم في كتابه «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح»، وضمن ذلك جملة أبواب من ذلك الكتاب، وكذلك ذكر القولين وحجج الفريقين في كتاب «مفتاح دار السعادة»، وقد رجَّح رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بعض كلامه أن المراد بها جنة الخلد كما قال في ميميته المعروفة:

فحي على جنات عدن فإنها
منازلك الأولى وفيها المخيم
ألم تَرَنا سبي العدو فهل ترى
نعود إلى أوطاننا ونُسَلَّم؟

كما يستشهد ابن القيم بالبيتين المعروفين، وهما:

نقل فؤادكَ حيث شئتَ من الهوى
ما الحب إلا للحبيبِ الأولِ
كم منزلٍ في الأرض يألفُه الفتى
وحنينه أبدًا لأول منزلِ

والراجح عندي أخيرًا -والله أعلم- هو التوقف في ذلك، وعدم الجزم بأحد الرأيين؛ لما ذكرتُ من أنه ليس في النصوص ما يوجب الجزم بأحدهما، والله أعلم.

القول بفناء الجنة

السؤال:

يقول الحق تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾﴾ [هود]، أرجو الجواب عن سؤالي: ربط الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الخلود بدوام السماوات والأرض، ثم ربط هذا الدوام بمشيئته بذكر كلمة ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾، فهل هناك احتمال بالخروج من الجنة طبقًا للاستثناء؟ شكرًا لكم.

الجواب:

الحمد لله؛ لقد أخبر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنه أعد الجنة التي عرضها السماوات والأرض للمتقين، وأعد النار التي وقودها الناس والحجارة للكافرين، فأخبر في آيات كثيرة بخلود أهل الجنة فيها أبدًا، وأنهم لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى التي كانت قبل دخولهم الجنة، وأنهم منها لا يُخرجون.

وأما قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾﴾ [هود]، فقوله تعالى: ﴿مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾، قيل: إن هذا تعبير عن الدوام الذي لا انقطاع له، وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾؛ أظهر ما قيل في هذا الاستثناء أن المراد به بيان أن خلود أهل الجنة فيها هو بمشيئته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فبقاؤهم بإبقاء الله، وأكد دوام نعيم الجنة بقوله: عطاء غير مجذوذ، كما قال في الآية الأخرى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾ [ص]، وقال تعالى: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد: ٣٥].

وأما القول بفناء الجنة فهو قول جهم بن صفوان فهو إمام المعطلة ومن تبعه، فالقول بفناء الجنة جحد لما هو معلوم من دين الإسلام بالضرورة، فهو كفر، وكذلك النار، أخبر سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ عن خلود أهلها فيها، وأنهم لا يقضى عليهم فيموتوا، وما هم بخارجين من النار، وأنهم كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها، وأما قوله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾ [هود]، وهو كذلك يدل على خلود أهل النار فيها ما دامت السماوات والأرض، وقد تقدم معنى ذلك فيما جاء في شأن السعداء، وأما قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾؛ فالقول فيه كالقول في آية الذين سعدوا، فمعناه: أن خلود أهل النار فيها وبقاءهم هو بمشيئته سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

وقد ذهب جمهور أهل السنة إلى أن النار لا تفنى، وأن أهلها مخلدون فيها للآيات التي سبقت الإشارة إليها، وكما سبق الجواب عن قوله: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾.

وقد قيل إن بعض أهل السنة قال: إن النار تفنى بعد أحقاب من الزمان، ومن الشبه عند من قال بهذا القول قوله تعالى: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾﴾ [النبأ]، قالوا: فقدّر لبثهم فيها بأحقاب، وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾ [هود]، قالوا: فلم يُعقِّب قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ بمثل ما عَقَّب به ما ورد في شأن السعداء، وهو قوله: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾﴾ [هود]، والله أعلم بما أراد، وهو فعال لما يريد، ونعوذ بالله من حال أهل الشقاء، ونقول كما قال عباد الرحمن:

﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ۝٦٥ إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ۝٦٦﴾ [الفرقان]، ونقول: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝٢٠١﴾ [البقرة]، والله أعلم.

رؤية النساء لله عَزَّوَجَلَّ في الجنة

السؤال:

جاءت الأحاديث التي تثبت رؤية الله عَزَّوَجَلَّ، وفيها أنهم بعد أن يروا الله سبحانه يرجعون إلى أزواجهم، هل هذا يعني أن النساء لا يرون الله عَزَّوَجَلَّ؟

الجواب:

الحمد لله؛ لقد دلَّ القرآن والسنة المتواترة عن النبي ﷺ كما أجمع أهل السنة والجماعة على أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة في عرصات القيامة، يعني: في مواقف القيامة، ويرونه بعد دخول الجنة كما يشاء سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، وهم في هذه الرؤية على مراتب؛ فبعضهم أعظم حظًّا في هذه الرؤية من بعض، وذلك لاختلاف منازلهم ودرجاتهم عند الله.

ورؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة هي رؤية حقيقيَّة عيانيَّة، يرونه سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ بأبصارهم، كما قال ﷺ: «**إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته**»[1]، فشبه الرؤية بالرؤية، ولم يشبه المرئي بالمرئي، ووعد المؤمنين بهذه الرؤية التي هي أعلى مطالب المؤمنين وأعلى نعيمهم في الجنة.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٢٩)، ومسلم (٦٣٣)؛ من حديث جرير بن عبد الله رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ.

والوعد بذلك عام لكل المحسنين من الرجال والنساء، كما قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، وجاء تفسير الزيادة بأنها النظر إلى وجه الله الكريم، وقال تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾﴾ [ق] إلى قوله: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ [ق]، وفُسِّر المزيد بما فسرت به الزيادة في الآية المتقدمة، ووَصْفُ المتقين في القرآن وفي السنة يعم الرجال والنساء، وكذلك الموصول في مثل: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [البقرة].

وهكذا قوله سبحانه: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، هو عام للرجال والنساء.

ولكن الله أعلم كيف تكون رؤية المؤمنات لله تعالى، ولا يمتنع أن يكون للرجال مزية في رؤيته سبحانه؛ لأن الرجال يمتازون في الدنيا على النساء بأعمال عظيمة كصلاة الجماعة والجمعة والجهاد، وغير ذلك؛ فلا بد أن يكون لذلك أثره في جزاء الآخرة.

وقد ذكر شيخ الإسلام هذه المسألة؛ أي: مسألة رؤية النساء لله تعالى في الجنة، وذكر أن فيها اختلافًا، وذكر الأدلة ورجح القول بأنهن يرين الله؛ لأن ذلك هو ظاهر النصوص فهي عامة في المتقين والمحسنين والمؤمنين، فلا موجِب لتخصيصها بغير دليل، ومن أراد المزيد من بحث هذه المسألة فليرجع إلى كلام الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المجلد السادس من مجموع الفتاوى، والله أعلم.

هل يرى النساءَ في الجنة غيرُ أزواجهن؟

السؤال:

هل يرى الرجال النساء في الجنة؟ وهل فيه حجاب؟

الجواب:

الحمد لله؛ هذه المسألة من أمور الغيب التي لا ينبغي الخوض فيها إلا بعلم، لأن ذلك من التكلف والبحث عما لا سبيل إلى العلم به، فالله أعلم كيف تكون الحياة في الجنة فلا نعلم هل يرى النساءَ في الجنة غيرُ أزواجهن، وإن قُدر أن يرى الرجال غير زوجاتهم فنعلم قطعًا أنه لن تتعلق بهن نفوسهم، فنساء الجنة قاصراتٌ طرفَهن على أزواجهن وقاصراتٌ طرفَ أزواجهن عليهن، وبهذا يتبين أن لا داعي للحجاب على كل تقدير، قال تعالى: ﴿وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ عِينٞ ٤٨﴾ [الصافات]، والله أعلم.

زوج المرأة في الآخرة

السؤال:

أريد أن أسأل، إذا مات زوج المرأة ثم تزوجت بآخر، فيومَ القيامة في الجنة -بإذن الله- هل تكون هذه المرأة لزوجها الأول، أم الثاني، أم لمن يكون أحب إليها؟ وإذا لم تتزوج الفتاة في الدنيا، هل تختار زوجها في الآخرة أم ماذا؟

الجواب:

الحمد لله؛ هذه الأمور الأصل أنها أمور غيبية يجب تفويض علمها إلى الله، والله تعالى إذا أدخل المسلمة الجنة فلا بد أن تكون سعيدة،

والله تعالى يكرمها بما شاء كيف شاء، ولا أذكر دليلًا للتحقيق في هذا المعنى، لكن كأنه ورد أن من كان لها زوجان فإنها تزوج بمن كان أحسن خلقًا[1]، لكنني لا أدري عن صحة هذا الحديث.

أما من ماتت وليس لها زوج، فالله يزوجها من شاء من عباده المؤمنين.

والذي ينبغي عدم الاهتمام بالأمور التي لم ترد فيها نصوص يجب اعتقاد مدلولها، ونعلم أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ سيكرم المؤمنين والمؤمنات إذا دخلوا الجنة فيفوزون بما فيه سعادتهم ونعيمهم، ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة]، والله أعلم.

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٨٧٠)؛ من حديث أم سلمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، قالت: يا رسول الله، المرأة منا تتزوج زوجين والثلاثة والأربعة، ثم تموت فتدخل الجنة ويدخلون معها، من يكون زوجها؟ قال: «**يا أم سلمة، إنها تخير، فتختار أحسنهم خلقًا**» الحديث، وقال ابن القيم في «حادي الأرواح» ط. المدني (ص ٢٢٩): «تفرد به سليمان بن أبي كريمة، ضعفه أبو حاتم، وقال ابن عدي: عامة أحاديثه مناكير، ولم أر للمتقدمين فيه كلامًا، ثم ساق هذا الحديث من طريقه، وقال: لا يعرف إلا بهذا السند».
وقد أخرج الطبراني في «الأوسط» (٣١٣٠)؛ من حديث أبي الدرداء مرفوعًا: «**أيما امرأة توفي عنها زوجها، فتزوجت بعده، فهي لآخر أزواجها**»، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٨٠٧ (٤/ ٢٧٠): «رواه الطبراني في الكبير، والأوسط، وفيه أبو بكر بن أبي مريم، وقد اختلط».

رؤية أمهات المؤمنين في الجنة (١)

السؤال:

هل بالإمكان أن يرى المسلم إحدى المسلمات في الجنة اللاتي كن أجنبيات عنه ولا يحللن له؟ هل يجوز أن يراهن في الجنة ويقابلهن، كأن يتمنى المسلم أن يقابل أمهات المؤمنين، خاصة وأن القلوب قد طهرت بدخول دار الطيبين (مسألتنا عن نساء الدنيا وليس عن الحور العين)، فقد دار حوار هادئ بين ناس ولم يخرجوا بنص واضح قاطع يفصل المسألة، فنأمل منكم إجابة شافية ولو بعد حين؟ بارك الله فيكم ونفع بعلمكم.

الجواب:

الحمد لله؛ إن أمور الغيب لا سبيل إلى معرفتها إلا بالخبر عن المعصوم؛ لأن أمور الغيب لا تدرك بالعقول والتفكير، فأمور الجنة من الغيب المستور، والواجب الوقوف عند ما جاءت به النصوص من الكتاب والسنة، فيجب الإيمان بالجنة وما أخبر الله به من أصناف النعيم فيها، مع العلم بأن حقائقها لا يعلمها إلا الله، ولم يأت في النصوص أن الرجل يلقى نساء الآخرة، فلم يرد نفي ولا إثبات للرؤية المسؤول عنها، وليس لنا أن نقول: إن الإنسان يمكن أن يرى أمهات المؤمنين، أو نقول: لا يمكن، بل يجب أن نمسك عن التفكير في هذا والخوض فيه، فإنه من الفضول، وليس مما يشرع الدعاء به، ولا مما يشرع تمنيه، لكن الذي دل عليه القرآن أن المؤمنين يلتقون ويجلسون

على السرر متقابلين، كما قال تعالى: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الواقعة]، وفي الآية الأخرى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحجر].

فلا ينبغي الخوض في أمور الغيب بلا علم، بل إذا طرح مثل هذا السؤال فينبغي أن يجيب الإنسان بقوله: الله أعلم، ويوجه السائل إلى عدم الخوض في ذلك؛ لأنه لا فائدة فيه، ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء]، وقالت الملائكة: ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾ [البقرة]، نسأل الله أن يهدينا صراطه المستقيم، وأن يجعلنا جميعًا من أهل جنات النعيم، والله أعلم.

هل نرى زوجات النبي ﷺ في الجنة؟ (٢)

السُّؤَال:

رجلٌ عاميٌّ تكلم عن فضائل خديجة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا: ثم قال: أسأل الله أن يجمعنا بها في الجنة وأن أراها، فأنكر عليه آخر، وقال: هذا عدوان في الدعاء، وليس لك ذلك، ولا يمكن أن ترى زوجات النبي ﷺ في الجنة، فهل لهذا المُنكِر حق في إنكاره؟

الجواب:

الحمد لله؛ مطلب المؤمنين والمؤمنات في الآخرة هو الفوز بالجنة والنجاة من النار، ومن نال ذلك فاز، كما قال تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ

﴿ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَ﴾[آل عمران: ١٨٥]، والمشروع في الدعاء هو سؤال الأمرين: النجاة من النار والفوز بموعود الله تعالى، قال الله تعالى عن الذاكرين لله والمتفكرين في آياته: ﴿سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝١٩١﴾ [آل عمران] إلى قوله: ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ [آل عمران: ١٩٤] ثم قال تعالى: ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم﴾ إلى أن قال: ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ ۝١٩٥﴾ [آل عمران].

ومن دخل الجنة نال حظه منها المناسب لمنزلته ودرجته حسب مشيئة الله وحكمته، فالجنة درجات، وأهلها متفاضلون، قال تعالى: ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ وَلَلۡأٓخِرَةُ أَكۡبَرُ دَرَجَٰتٖ وَأَكۡبَرُ تَفۡضِيلٗا ۝٢١﴾ [الإسراء]، وأحوال أهل الجنة فيها على اختلاف درجاتهم وعلاقة بعضهم ببعض هو من علم الغيب الذي لم يُفصَّل لنا منه إلا القليل؛ مثل قوله تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٖ مَّصۡفُوفَةٖ﴾ [الطور: ٢٠] وقوله: ﴿إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ۝٤٧﴾ [الحجر]، وقوله: ﴿فَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ۝٥٠ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٞ ۝٥١﴾ [الصافات] إلى قوله: ﴿فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ ۝٥٥﴾ [الصافات] الآيات، ولا يلزم أن يحصل ذلك لكل أحد مع كل أحد من أهل الجنة.

وما طوى الله علمه يجب الإمساك عن الكلام فيه دعاءً أو خبرًا نفيًا أو إثباتًا، ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ۝٣٦﴾ [الإسراء]، وليس في نصوص الكتاب والسنة ذكر لرؤية المؤمن لزوجات غيره ممن في درجته، فضلًا عمّن هو أعلى منه، ولا

رؤية زوجاته لغيره من الرجال، نعم فيه الخبر عن نساء أهل الجنتين العُليين بأنهن قاصرات الطرف يعني على أزواجهن، فلا يطمحن لغيرهم، وعن نساء أهل الجنتين الأخريين بأنهن مقصورات في الخيام.

وبعد؛ فكلٌّ من الداعي والمنكَر عليه مخطئ، ولكن الداعي أعظم خطأً؛ فإن الداعي قد طلب ما ليس له ولا يعلم إمكانه، والمنكر قد أصاب في الإنكار، ولكن أخطأ بالجزم بامتناع ما طلبه الداعي، والواجب الإمساك عن الجزم في أمر الغيب بنفي أو إثبات، إلا بحجة يجب التسليم لها، والله أعلم.

محاسبة الجن في الآخرة

السؤال:

نعلم -والعلم لله وحده-، أن الجن تماما كالإنس هم أصناف،منهم المسلمون والكافرون، وهناك الجني النصراني واليهودي وغيره. سؤالي هو: هل الجن يحاسبون في الآخرة كالإنس، أي بميزان الحسنات والسيئات؟ وهل جزاء المسلمين منهم الجنة والحور كالإنس؟ جزاكم الله خيرًا.

الجواب:

الحمد لله؛ قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأحقاف] إلى قوله تعالى: ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ

عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ [الأحقاف]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾﴾ [السجدة]، وقال تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ [الأنعام]، وقال سبحانه في سورة الجن: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾ [الجن]، وقد خاطب الله سبحانه في سورة الرحمن الجنَّ والإنس؛ في قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾﴾ [الرحمن] إحدى وثلاثين مرّة، وقد تضمَّنت السورة الوعد والوعيد.

وهذا كله يدل على أن الجن مكلَّفون بعبادة الله والإيمان برسله، وأنهم محاسبون يوم القيامة ومجزيون على أعمالهم ثوابًا وعقابًا.

ومعلوم أن الجن ليسوا كالإنس في خلقتهم، فلا نقول: إنهم كالإنس من كل وجه، والأحكام الدينية والجزائية تتعلق بهم على ما يناسب حالهم وخلقتهم، ونحن لا نعلم كيفياتهم؛ لأنهم من عالم الغيب، وإن ظهروا لنا أحيانًا بصور مختلفة فإننا لا نراهم على خلقتهم، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن إبليس وذريته وهم الجن: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٧].

وقد اتفق العلماء على أن الجن يحاسبون، وكفارهم وعصاتهم معذبون بالنار، كما قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾﴾ [السجدة]، فهم يدخلون النار كالإنس.

واختلف العلماء في دخولهم الجنة:

فمنهم من يقول: إن المطيع ثوابه النجاة من النار.

وقال كثير من العلماء: إنهم يدخلون الجنة ويثابون على إيمانهم وطاعتهم، وهذا هو الصواب، ولا نعلم كيفية تنعمهم بالجنة؛ لأنهم كما تقدم يختلفون عن الإنس في خلقتهم، ومما يدل على ذلك -أي على دخولهم الجنة- قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمن] إلى آخر السورة.

ولا يمتنع أن يكون لهم نساء في الجنة تناسبهم، ولكن نمسك عن إثبات ذلك ونفيه، لعدم ما ينص على ذلك بإثبات أو نفي، فلا نتجاوز ما بيَّن الله لنا في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ، والله أعلم.

هل تشهد الجوارح بالأعمال السيئة والحسنة؟

السُّؤَال:

رأيت في القرآن أن الجوارح تشهد على الإنسان بأعماله السيئة، فهل تشهد عليه بالأعمال الحسنة؟

الجواب:

الحمد لله؛ الذي نطقت به نصوص الكتاب والسنة هو شهادة الجوارح من الأيدي والأرجل والجلود والأسماع والأبصار، بل والألسن، لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [النور]، وقوله: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَـٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ [فصلت: ٢٢]، وفي السنة ما يشهد لما جاء في القرآن،

وكذا تشهد الملائكة على من أشرك بالله وكذب رسله، كما قال تعالى: ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾﴾ [ق] إلى قوله: ﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ﴾ [ق: ٢٣] أي الملك ﴿هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾﴾ [ق] أي حاضر، الآيات. والسر في أن الجوارح تشهد على الإنسان بما عمل أنه ينكر أعماله السيئة، فيختم على فيه، وتنطق جوارحه، كما قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [يس].

ولم يرد في الكتاب ولا في السنة -فيما أعلم- أن الجوارح تشهد للمؤمن بأعماله الصالحة، وإنما يشهد له القرآن، ويحاج عنه، كما جاء في الحديث الصحيح: «**يجيء القرآن يوم القيامة كالرجل الشاحب، فيقول أنا الذي أسهرت ليلك وأظمأت نهارك**»[(١)]. وقال ﷺ: «**اقرؤوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران؛ فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيايتان، أو كأنهما فرقان من طير صواف، تحاجان عن أصحابهما**»[(٢)]، والمراد بالقرآن وبالبقرة وآل عمران: القراءةُ؛ وهي عمل القارئ، وقد أخبر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن الأرض تحدث أخبارها، وقد جاء في الحديث الصحيح في المسند وغيره[(٣)] عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾﴾ [الزلزلة] قال: «**أتدرون ما**

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢٢٩٧٦)، وابن ماجه (٣٧٨١)، واللفظ له؛ من حديث بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال في «الزوائد» (١١٦٣٣): رجاله رجال الصحيح.

(٢) أخرجه مسلم (٨٠٤)؛ من حديث أبي أمامة الباهلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

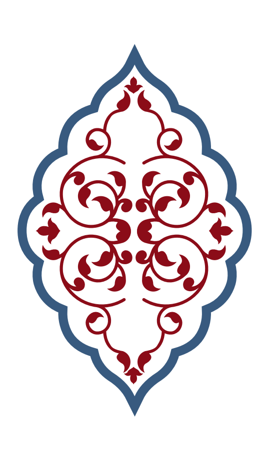
(٣) أخرجه الإمام أحمد (٨٨٦٧)، وأخرجه الترمذي (٢٤٢٩)، وقال: هذا حديث حسن غريب، وصححه ابن حبان (٧٣٦٠)، والحاكم (٣٠١٢) وقال: على شرط البخاري ومسلم.

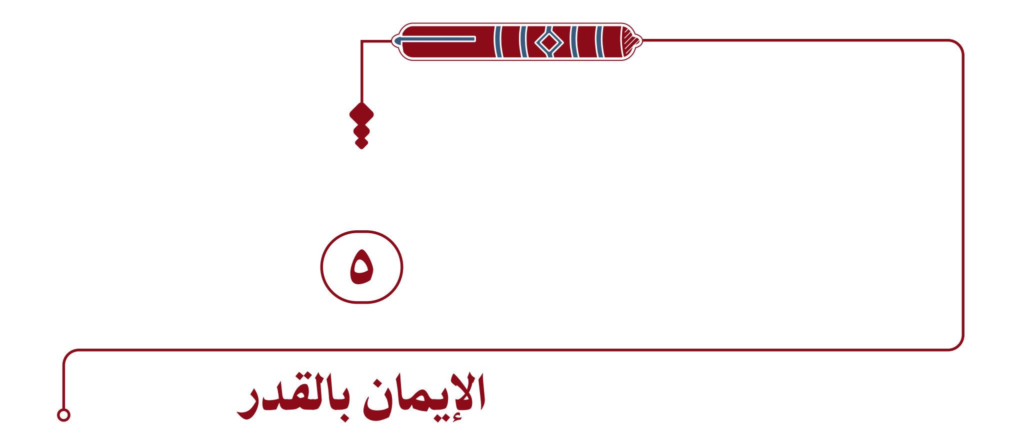
أخبارها؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد وأمة بما عَمِل على ظهرها؛ أن تقول: عمل كذا وكذا يوم كذا وكذا، فهذه أخبارها**»، والظاهر أن هذا عام في كل ما عمل عليها من خير أو شر.

ومع هذا فكل إنسان يوقف على عمله صالحًا كان أو سيئًا، فيما يؤتاه من كتاب بيمينه أو شماله، كما قال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء].

ومما يناسب ذكره هنا أن هذه الأمة تشهد للأنبياء على أممهم بأنهم قد بلغوهم، كما فسر بذلك قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣]، والله أعلم.

- ❊ ■ ❊ ■ ❊ -





٥

الإيمان بالقدر

الفرق بين القضاء والقدر

السؤال:

ما الفرق بين القضاء والقدر؟ وهل هذا الفرق لغويٌّ أم عقائديٌّ؟ وهل هناك عقائد خاصة بكل منهما على حدة؟ وهل سبق القدر القضاء أم العكس؟

الجواب:

الحمد لله؛ القضاء من الله يأتي على معنيين: القضاء الكوني، والقضاء الشرعي:

فمن القضاء الكوني قوله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ١١٧﴾ [البقرة].

ومن القضاء الشرعي قوله تعالى: ﴿۞وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣].

والقضاء الذي يذكر مع القدر، كما يقال: هذا قضاء وقدر، هو القضاء الكوني.

والقدر يأتي بمعنى التقدير، كما تقول: سبق بهذا الأمر القدر السابق، يعني: تقدير الله للأشياء في أم الكتاب وهو اللوح المحفوظ، فإن الله تعالى قدر مقادير الخلق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة؛ كما جاء في الحديث الصحيح من حديث عبد الله بن عمرو عند مسلم(١).

(١) صحيح مسلم (٢٦٥٣).

ويطلق القدر على الشيء المقدر، تقول فيما يحدث في هذا الكون: هذا قَدَر، أي: هذا مقدر.

وعلى هذا: فإذا قلنا: هذا قضاء وقدر، فمعناه: أن هذا أمر مقدر ومقضي، يعني: قد قضاه الله وحكم به، وأن المعنى العام للقضاء هو الحكم، والله أعلم.

وأما الفرق بين القضاء والقدر، فهو لغوي وعقدي، لكن كونه جاء بالمعنى الشرعي متقارب على التقسيم المتقدم.

وعن سؤال العقائد الخاصة: إذا أريد بالقضاء الكوني والقدر السابق فليس بينهما فرق غير ما يجد من الاعتقاد، فإن الواجب هو الإيمان؛ لأن الله قد قدر مقادير الخلق وحسم سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ما قدره، وأن الأمور تجري على وفق ذلك القضاء السابق والتقدير السابق، ولا بد في الإيمان بالقدر من أربعة أمور:

١. الإيمان بعلم الله السابق في كل شيء.

٢. الإيمان بأن الله تعالى كتب مقادير الخلق إلى قيام الساعة في اللوح المحفوظ.

٣. أنه لا يكون في هذا الوجود شيء إلا بمشيئته سبحانه؛ فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.

٤. أنه تعالى خالق كل شيء، فكل ما في الوجود فإنه خلق الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فلا خالق غيره، ولا رب سواه، ولا إله غيره.

وعن سبق القضاء للقدر: أبدًا ليس بينهما -أي القضاء والقدر- في علم الله وفي كتابه ليس بينهما تقدم ولا تأخر.

وإذا أريد بالقضاء والقدر ما سبق به علم الله فهما سواء.

وإذا أريد بهما ما جرى به القلم فكذلك.

أما إذا أريد بالقضاء ما عناه سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ في علمه السابق وبالقدر كتابة مقادير الأشياء فكتابة مقادير الأشياء لها وقت -كما في الحديث المتقدم- أن الله كتب مقادير الأشياء وقدر مقاديرَها قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، أما تقدير القضاء في علم الله فعلم الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ أزليٌّ، والله أعلم.

معنى سوء القضاء

السُّؤَالُ:

ما معنى سوء القضاء الوارد في الحديث، وهو أن النبي ﷺ كان يتعوذ من سوء القضاء؟ وكيف صح أن يوصف قضاء الله بالسوء؟

الجواب:

الحمد لله؛ إن القضاء المضاف إلى الله يراد به حكمه سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، وهو نوعان؛ كوني وشرعي، فمن الكوني قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ١١٧﴾ [البقرة]، ومن الشرعي قوله تعالى: ﴿۞وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣].

وحكمه تعالى كله خير وعدل، ويطلق القضاء على المقضي الذي هو المخلوق، والأمور المقضية فيها الخير والشر، فقوله في الحديث: «**وسوءِ القضاء**»[(١)] أي سوء المقضي، وهو يشبه قوله ﷺ في الدعاء الآخر: «**وقنا شر ما قضيت**»[(٢)]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾.

ومن القضاء الذي هو بمعنى الحكم قولك: قضاء الله نافذ لا معقب له، ومن القضاء الذي بمعنى المقضي قولك فيما يقع من الحوادث: هذا قضاء الله، أي ما قضاه الله؛ أي: مقضِيُّه.

إذن: القضاء يضاف إلى الله بالمعنى المصدري، وإضافته إليه سبحانه من إضافة الصفة إلى الموصوف، والفعل إلى الفاعل، ويطلق مرادًا به المفعول، فإضافته إلى الله من إضافة المخلوق إلى خالقه. فإذا قلت في المرض مثلًا: هذا قضاء الله فهو من الثاني، وإذا قلت هذا بقضاء الله، فهو من الأول، والله أعلم.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٤٧)، ومسلم (٢٧٠٧)؛ من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ قال: «كان رسول الله ﷺ يتعوذ من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء».

(٢) هذا جزء من حديث دعاء القنوت؛ أخرجه أبو داود (١٤٢٥)، والترمذي (٤٦٤) وحسنه، والنسائي (١٧٤٥)، وابن ماجه (١١٧٨)؛ من حديث الحسن بن علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا؛ قال ابن الملقن: هذا الحَديث صَحيح رواه الأئمَّة. «البدر المنير» (٣/ ٦٣٠).

عدم الرضا عند المصيبة أعظم من المصيبة نفسها

السُّؤَالُ:

إنسان يتكالب عليه البلاء والمحن ممن حوله، فاهتز معتقده، وهو يجاهد نفسه، وبات مقتنعًا أن الله قاسٍ في قضائه، ومع أنه يحافظ على عباداته الأساسية إلا أنه لا يجد له سلوة إلا في تخيل أنه نصراني، خارج دائرة عنف المسلمين، ويخفف ما في نفسه قراءة بعض ما في الإنجيل من حين إلى حين، فهل في ذلك زلل؟

الجواب:

الحمد لله؛ إن الله قد بيَّن لعباده في كتابه أن من حكمته في خلق هذا الوجود السماوات والأرض، وما خلق على الأرض، وخلْق الموت والحياة، هي الابتلاء للعباد، ليظهر أيهم أحسن عملًا، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[هود: ٧]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧﴾[الكهف]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[الملك: ٢]، وبين تعالى أن من حكمته في هذا الابتلاء أن يميز الخبيث من الطيب، ويميز الصادق من الكاذب من المنتسبين للإيمان، فيمتاز كل ضد عن ضده، ويظهر ذلك واقعًا مشهودًا بعد أن كان غيبًا مستورًا، قال الله تعالى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾[آل عمران: ١٧٩]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا

ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾[الأنفال]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿الم ﴿١﴾ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾﴾[العنكبوت]، وقد فصَّل سبحانه في كتابه أنواع ما يبتلي به عباده، فأخبر أنه يبلوهم بالحسنات والسيئات أي بالنعم والمصائب، وقال في بعض الأمم الماضية: ﴿وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾﴾، وقال سبحانه: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾[الأنبياء]، والفتنة هي الابتلاء، وهي الاختبار، وقال تعالى في الابتلاء بالمصائب: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾[البقرة]، وقال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾﴾[محمد]، فبالابتلاء بالنعم يظهر شكر الشاكرين، وبالابتلاء بالمصائب يظهر صبر الصابرين.

وأقوى ما يعين العبد على الشكر والصبر هو الإيمان الصادق بالله؛ بربوبيته وإلاهيته وكماله في أسمائه وصفاته وأفعاله، وهذا يتضمن الإيمان بحكمته وعدله، وهذا الإيمان يتضمن الرضا عن الله في تدبيره وتقديره عطاءً ومنعًا، ولذلك كان أمر المؤمن كله له خير، إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له، وقد أمر الله بشكره على نعمه، وأثنى الله على الشاكرين، وأمر بالصبر على

المصائب، وأثنى على الصابرين، ويتحقق الشكر بالثناء على المنعم بالاعتراف بنعمه، والثناء عليه بالفضل، واستعمال نعمه فيما يرضيه، ويتحقق الصبر بالرضا عن الله في قضائه، والإيمان بحكمته وعدله، وبتجنب كل مظاهر الجزع من التسخط بالقلب أو اللسان، وغير ذلك مما يكون بالجوارح.

فظهر مما ذكر في السؤال أن هذا الإنسان المبتلى بما يكره من أنواع المصائب، هو مصاب بما هو أخطر من المصائب الدنيوية؛ فيظهر من توصيف حاله أنه ضعيف الإيمان، ضعيف البصيرة في دين الإسلام، لذلك تمكن الشيطان من إلقاء الوساوس الخبيثة في قلبه، ومنها:

١. سوء ظنه بالله، والجرأة عليه بوصفه بالقسوة، وزين له هذا الاعتقاد القبيح.

٢. تخيله أنه يدين بالنصرانية.

٣. أنه زين له الشيطان التسلي بقراءة الإنجيل، مع أن هذا الإنجيل الذي في أيدي النصارى اليوم، ليس هو الإنجيل الذي أنزله الله على عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، بل هو من تأليف بعض النصارى، ولهذا تحرم قراءته على المسلم للتسلية، فضلًا عن طلب الهدى منه.

ولا ريب أن من يعتقد صحة دين النصارى الذي هم عليه اليوم، ويقدس الإنجيل الذي في أيديهم، من يعتقد ذلك فإنه يكفر بذلك، ويخرج عن دين الإسلام، فهذا الإنسان المبتلى -وإن لم يصل إلى هذه الحال- فإنه يُخشى عليه أن يستدرجه الشيطان حتى يسلخه من دين الإسلام، فيجب عليه أن يراجع نفسه، ويتوب إلى ربه، ويفزع إليه بسؤال

الهداية والاستقامة على الصراط المستقيم، ويستعيذ بالله من شر الشيطان والنفس الأمارة بالسوء، وأن يطلب الهدى من كتاب الله القرآن، الذي جعله الله شفاء لما في الصدور، وهدى ورحمة للمؤمنين، وأن يكثر من ذكر الله، ويعرض عن الوساوس الرديئة، وعليه أن يحافظ على فرائض الله، وأعظمها الصلوات الخمس، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ۝٦٦ وَإِذًا لَّأٓتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ۝٦٧ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٦٨﴾[النساء]، ومما يعين على تقوية الإيمان مجالسة الصالحين، والاتصال بأهل العلم منهم، وعلى هذا الإنسان أن يتجنب قرناء السوء، فإنهم من أخطر شيء على الإنسان.

نسأل الله أن يلطف بهذا المبتلى ويعافيه، ويصبِّره، ويعصمه من كيد الشيطان، إن الله على كل شيء قدير.

اتخاذ الأسباب لرفع المقدور لا ينافي الإيمان بالقدر

السؤال:

بسم الله الرحمن الرحيم. ورد أن النبي ﷺ أخذ يدعو قبل غزوة بدر بقوله: «اللهم أنجز لي ما وعدتني». لم أجد كيف أفسر هذا الدعاء، مع أن النبي ﷺ يعرف أن الله لا يخلف وعده، وأنه سينجزه ما وعده، فما هو التفسير لهذا يا شيخنا؟ وجزاكم الله خيرًا.

الجواب:

الحمد لله؛ إن الله بحكمته قد رتب المسببات على أسبابها، وكل ما سبق به علم الله وكتابه مما قدر حصوله فإنه مرتب على أسباب،

والأسباب والمسببات كلها بقدره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ومن أعظم الأسباب في جلب المنافع من نصر على الأعداء، وحصول العلم، وحصول الذرية، وحصول الشفاء وغيرها- الدعاء؛ لأن الدعاء فيه توجه إلى الله بالرجاء، وفيه توسل إليه بأسمائه وصفاته، وبوعده، كما قال الله تعالى عن عباده الذاكرين المتفكرين: ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾﴾ [آل عمران]، ودعاء النبي ﷺ أن ينجز الله له ما وعده هو من أسباب إنجاز الله لوعده، فإنجاز الله ما وعد به نبيه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من النصر على أعدائه له أسباب منها: الجهاد بقتال الأعداء والأخذ بالأسباب المادية، ومنها الأخذ بالأسباب المعنوية التي منها الدعاء، قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الأنفال]، ولو صح ما يظنه السائل ويفكر فيه مما حيره لكان كل ما قدر الله كائنا، فلا حاجة إلى الدعاء، فالمقصود سيحصل دعوت أو لم تدع، وهذا غلط؛ كما سبق أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قدر الأمور على أسباب، فما قدره الله على سبب لا يكون أبدًا إلا بذلك السبب، وقد فطر الله عباده على الأخذ بالأسباب في طلب الرزق، وطلب النصر، وطلب الشفاء، وطلب العلم، فمن يقعد وينتظر الرزق وينتظر حصول العلم، وحصول النصر على الأعداء سفيه أحمق، فالرسول ﷺ هو أكمل الخلق عبودية لله، فهو أكمل الخلق توكلا على الله، وأكمل الخلق قيامًا بما شرع الله له من الأسباب، فعلينا التأسي به ﷺ، ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب]، والله أعلم.

نسبة الأفعال إلى القدر

السُّؤَالُ:

تجري على بعض الألسنة نسبة الأفعال إلى القدر؛ كقولهم: جرى القدر بكذا، وكقول الشاعر:

إن المقادير إذا ساعدت ألحقت العاجز بالقادر؟

فهل هذا التعبير صحيح، ولو مجازًا؟ جزاكم الله خيرًا.

الجواب:

الحمد لله؛ إن القَدر قدرةُ الله، كما قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والله على كل شيء قدير، وكلُّ ما في الوجود فهو بقدرة الله ومشيئته، والصفة لا تضاف إليها المشيئة، ولا الأفعال التي تكون بالمشيئة، فلا تقل: شاءت قدرة الله، ولا شاء القدر، ولا شاءت رحمة الله، ولا فعلت ذلك قدرة الله أو رحمة الله، بل تقول: خلقه الله بقدرته وبمشيئته، ولهذا حرَّم العلماء دعاء الصفة، كأن تقول: يا رحمة الله، ويا قدرة الله؛ لأن الدعاء خطاب، فهو يشعر باستقلال الصفة، وأنها تسمع وتجيب وتفعل، ومَن يعتقد ذلك فقد جعلها ربًّا ومعبودًا مع الله.

وليس من ذلك فعلُ الاقتضاء، كأن تقول: اقتضت رحمة الله، وحكمة الله؛ فإن الاقتضاء ليس مما يكون بإرادة، بل هو معنى عقليٌّ، كالاستلزام، كما تقول: العلم يستلزم الحياة، والفعل يستلزم القدرة.

وأما قول القائل: «إذا ساعد القدر»، فليس المراد من المساعدة فعلًا يقصده القدَر؛ بل الأشبه أن معناه الموافقة، فقولك: وساعد القدرُ، يعني وافق القدرَ، ولهذا ورد هذا التعبير في كلام بعض العلماء.

ومع ذلك؛ فأرى ترك هذا التعبير لما فيه من الاشتباه، والله أعلم.

اغتالته يد القدر

السؤال:

ما قولكم في عبارة «اغتالته يد القدر» و«اغتاله القدر»؟

الجواب:

الحمد لله؛ في العبارة الأولى خطآن:

الأول: إضافة اليد إلى القدر، وهذا لا وجه له، فإنه لا يصح حقيقة ولا مجازًا.

الثاني: التعبير بالاغتيال فيه نوع تسخط على القدر.

وأما العبارة الثانية ففيها الخطأ الثاني.

لا منافاة بين الرضا بالقدر والدعاء

السؤال:

سمعت أحد الشيوخ يقول: إن المؤمن ينبغي عليه أن يقتنع بما أعطاه الله ويرضى فهذا هو الرضا، وآخر يقول يجب أن ندعو الله أن

يعطينا ما حرمنا. فهل إذا أخذ الله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ منا شيئًا نرضى ونقول الحمد لله ولا ندعوه أن يرزقنا إياه؟ وماذا إذا دعوت الله في صلاتي وألححت في الدعاء بأن يرزقني هذا الشيء الذي حرمت منه؟ ظنا مني أن الله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ سيعيده لي ويبارك لي فيه، فهل أنا في هذه الحال غير راضية بما قسم الله لي؟ فهل يمكننا أن نرضى بالشيء وفي نفس الوقت ندعوه أن يرزقنا إياه؟ أفتوني جزاكم الله خيرًا. فأنا أظن أنني منافقة مع الله، فمرة أقول الحمد لله وعسى أن تكرهوا شيئًا وهو خير لكم، وفي صلاتي أدعو الله ألا يحرمني من هذا!

الجواب:

الحمد لله؛ لا منافاة بين الرضا بقدر الله وتدبيره سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ وبين الدعاء، فلا مانع أن من ابتلي بما يكره، أو فاته محبوب له، أن يدعو ربه أن يعطيه ما يحب، وأن يدفع عنه ما يكره، ودعاؤه هذا لا ينافي ولا يتناقض مع رضاه بحكمته سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ فالعبد يؤمن بأن الله تعالى حكيم وعدل لا يظلم، ومع ذلك فإنه يرجو ربه أن يكشف ضره وأن يُيَسِّر أمره، وهذا منهج الأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فالأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ لا شك أنهم أكمل الناس إيمانًا ورضًا بتدبير الله، ومع ذلك يدعونه، كما قال سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ عن أيوب: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝٨٣ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ۝٨٤﴾ [الأنبياء]، وقال عن ذي النون وهو يونس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ

﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨﴾ [الأنبياء]، وهكذا أخبر عن زكريا وغيره من الأنبياء عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ وأنهم دعوا ربهم وطلبوه ما يحبون من الخير، وأن يدفع عنهم ويصرف عنهم ما يكرهون من الشر والضر.

فلا عليك أيتها السائلة أن تدعي ربك في الصلاة، وخارج الصلاة، وأن تسأليه أن يعطيك من فضله، وأن يصرف عنك ما تكرهين، مع حمده وشكره على العطاء والمنع، فله الحمد سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ على العطاء والمنع، ومع حمده وشكره على ذلك فهو تعالى يحب أن يُسأل ويدعى ويرجى سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، والله أعلم.

التغذية الكاملة تزيد في العمر!

السُّؤَالُ:

لقد قرأت في بعض الكتب والمراجع العلمية ما يفيد بأن التغذية الكاملة سبب في زيادة متوسط الأعمار بين مجموعات الناس المختلفة، وأن التغذية الناقصة سبب في نقص الأعمار في الدول التي ينتشر فيها الفقر، وبما أن ظاهر هذا القول له مساس بالعقيدة الإسلامية ويتعارض مع قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ٣٤﴾ [الأعراف]، ومع قوله ﷺ بما معناه: إن أحدكم ليجمع خلقه في بطن أمه نطفة أربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر

بأربع كلمات: بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي، أو سعيد. لذا نأمل من فضيلتكم الإجابة عن هذا التعارض بإجابة علمية مقرونة بالأدلة الشرعية والعقلية؟

الجواب:

الحمد لله؛ فلقد أجرى الله سنة هذا الوجود على الأسباب والمسبَّبات، فجعل الأسباب مؤثرة في مسبَّباتها ورتّب المسبَّبات على أسبابها، فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يخلق بالأسباب كما يخلق النبات بالماء ويخلق الحيوان بما جعله سببًا لوجوده، وهو سبحانه على كل شيء قدير، فهو سبحانه يخلق ما شاء من الأسباب التي يخلقها؛ فإنه تعالى خالقُ الأسباب والمسبَّبات، ولكن اقتضت حكمته البالغة أن يجري هذا الوجود على هذه السنة؛ سنة الأسباب والمسبَّبات، وكل ذلك لا يخرج عما سبق به علمه وكتابه الأول الذي كتب فيه مقادير الأشياء، فكل ما في هذا الوجود فهو من قدر الله، أي مما قدره الله، فالحياة والموت وأسبابهما وطول الأعمار وقصرها وما يكون سببًا في ذلك من أمور كونية أو شرعية لا يخرج شيء من ذلك عن القدر السابق.

وإذن: فالصحة والسلامة من الآفات سبب لبقاء الحياة وكذلك الطعام والشراب لا بقاء للإنسان والحيوان بدونهما، وكلما كان الغذاء أجود كان أنفع، وفي مقابل ذلك الأمراض والحروب والمجاعات وفساد الأغذية أسباب لزهوق الأنفس، وبهذا يعلم أن الله قد جعل للبقاء أسبابًا وللفناء أسبابًا وكلٌّ ينتهي إلى أجله الذي قدره الله له بالأسباب التي قدرها؛ فالمقتول ميت بأجله، ومن يموت بالمرض أو

الجوع يموت بأجله، والذي يسلم من هذه الآفات ويطول عمره يموت بأجله المكتوب، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾[آل عمران: ١٤٥].

ومما ينبغي أن يعلم أن ما قدره الله من الأسباب، منها ما جعله الله حتميًا في حصول مسبَّبه؛ كالقتل في زهوق الروح، ومنها ما ليس كذلك؛ كالمرض فقد يعرض لبعض الناس أمراض وآفات كثيرة فيتعرض لأخطار كبيرة فينجو منها ويطول عمره ويموت بأجله، وآخر لا يصيبه شيء من ذلك ولا يطول عمره بل يموت شابًا بغير سبب ظاهر كمن يموت بسكتة قلبية، وهو كذلك ميت بأجله.

وما تقدم ذكره من أسباب السلامة وأسباب العطب كلها أسباب كونية، ومعظم الأسباب في هذا الوجود من هذا النوع.

ومن أسباب الخير والشر في هذا الوجود الأسباب الشرعية بل هي أعظم الأسباب، فالإيمان والطاعة سبب لكل خير وسعادة في الدنيا والآخرة، والكفر والمعاصي سبب لكل شر وشقاء في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾﴾ [طه]، وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ

أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل]، وقال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة].

وإذا عرف هذا فمن الأسباب الشرعية لطول العمر؛ بر الوالدين وصلة الرحم، كما في الحديث عن النبي ﷺ: «**من أحب أن يبسط له في رزقه، ويُنسأ له في أثره، فلْيصل رحمه**»[1]، وفي الحديث الآخر: «**لا يزيد في العمر إلا البر**»[2].

والصواب أن البر والصلة سبب في زيادة العمر زيادة حقيقية، ولا يعارض ذلك سبقُ القدر بتحديد الآجال، فإن من برَّ والديه فطال عمره فقد سبق علم الله وفي كتاب المقادير أن عمره يطول ببره لوالديه، فإن علم الله وقدره شامل لجميع الأسباب والمسبَّبات الكونية والشرعية.

وعلى هذا؛ فما ورد في السؤال -من قول القائل: إن التغذية الكاملة سبب زيادة متوسط الأعمار بين مجموعات الناس المختلفة وأمر التغذية الناقصة سبب في نقص الأعمار في الدول التي ينتشر فيها الفقر- لا يعارض قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأعراف]؛ لأننا نقول إن من مات بسبب نقص التغذية أو سوء التغذية ميّت بأجله، وقد قدّر الله أن يموت بهذا السبب، ومن حصلت له أسباب الصحة والسلامة فطال بقاؤه فإنه إذا مات يموت

(١) أخرجه البخاري (١٩٦١)، ومسلم (٢٥٥٧)؛ من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه الترمذي (٢١٣٩)؛ من حديث سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال: حسن غريب، وأخرجه ابن ماجه (٩٠)؛ من حديث ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه ابن حبان (٨٧٢)، وقال الحاكم (١٨١٤): صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

بأجله كذلك، وقد قدّر الله سلامته وطول عمره وليس شيء من هذه الأسباب حتمي التأثير في مسبَّبه، بل هي محكومة بمشيئة الله تعالى فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

أدعية تغيير القدر!

السؤال:

سمعت أن هناك ما يسمى بأدعية تغيير القدر، فهل لي أن أعلم بعضها منكم؟

الجواب:

الحمد لله؛ هذا كلام لا أصل له، فليس هناك أدعية لتغيير القدر، الدعاء مشروع لطلب الخير ودفع الضر وجلب ما ينفع في الدنيا والآخرة ودفع ما يضر في الدنيا والآخرة، وما يحصل من ذلك لا يخرج عن قدر الله، فليس هناك دعاء يغير القدر السابق، نعم هناك أقدار مرتبة على أسبابها، ومنها الدعاء، فلا تحصل إلا بالدعاء، فالدعاء إذا دفع الأمر المقدور، فهو أيضًا مقدور، والأسباب المتدافعة كلها مقدرة، فيفِرّ العبد مما يضره إلى ما ينفعه، ويدفع المكروه بما يسَّره الله من الأسباب، وهذا كما قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين أُشير عليه بالرجوع من بلد الشام وقد نزل بها الطاعون، وقيل له: تفر من قدر الله؟ قال: «نفر من قدر الله إلى قدر الله»[1].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٢٩) ومسلم (٢٢١٩)؛ من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

فالواجب على العبد: الإيمان بقدر الله السابق، وأنه تعالى علم ما يكون قبل أن يكون، وكتب ذلك، ومع ذلك على العبد أن يفعل الأسباب المشروعة والمباحة، ولا يترك ما ينفعه اتكالا على القدر، فقد قال ﷺ: «**احرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجز، وإن أصابك شيء، فلا تقل: لو أني فعلت كذا وكذا، لكان كذا، ولكن قل: قَدَرُ الله، وما شاء فعل، فإن (لو) تفتح عمل الشيطان**»(١)، والله أعلم.

هل الإنسان مُسَيَّرٌ أم مُخَيَّر؟

السُّؤَال:

هل الإنسان مسير أم مخير؟

الجواب:

الحمد لله؛ الملائكة والشياطين والإنس والجن، وجميع ما في هذا الوجود، كله خلق الله، وكله واقع بتقدير الله وقضائه ومشيئته وقدرته، فالشياطين وأعمالهم، والكفرة وأعمالهم، لا خروج لأحد منهم عن مشيئته سبحانه، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، والله تعالى خلَق الخير والشر، وخلق هذه الأضداد لحكم بالغة، منها ما يظهر للعباد، ومنها ما يخفى عليهم، وهو الأكثر، فإن عقول العباد لا تحيط بما لله من الحِكم البالغة في شرعه وقدره، وقد جعل الله الملائكة والشياطين ضدين، فالملائكة عباد مكرمون مطيعون عابدون لربهم، يحبون ما يحبه الله، ويبغضون ما يبغضه، ويدعون إلى مراضيه، يحبون المؤمنين

(١) أخرجه مسلم (٢٦٦٤)؛ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ويستغفرون لهم، والشياطين أشرار يحبون ما يبغضه الله، ويبغضون ما يحبه الله، ويدعون إلى معاصيه والكفر به، ويحبون الكافرين ويؤذون المؤمنين، ولهذا فكل إنسان قد ابتلي بقرين من الجن يوسوس له ويزين له القبيح، وبقرين من الملائكة يزين له الخير ويدعوه إليه، ولهذا يُروى في الحديث: «إن للشيطان لمة بابن آدم، وللملك لمة؛ فأما لمة الشيطان: فإيعاد بالشر، وتكذيب بالحق، وأما لمة الملك: فإيعاد بالخير، وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك، فليعلم أنه من الله؛ فليحمد الله، ومن وجد الأخرى، فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ثم قرأ: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٢٦٨﴾ [البقرة][1].

وأما هل الإنسان مخير أو مسير؟ فهذا اللفظ لم يرد في الكتاب ولا في السنة، بل الذي دلَّا عليه أن الإنسان له مشيئة ويتصرف بها، وله قدرة على أفعاله، ولكن مشيئته محكومة بمشيئة الله، كما قال تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٩﴾ [التكوير]. فليست مشيئته مستقلة عن مشيئة الله.

ولفظ: مخير ومسير لا يصح إطلاقهما، فلا يقال: الإنسان مسير، ولا يقال: إنه مخير، بل لابد من التفصيل:

فإن أريد أنه مسير بمعنى أنه مجبور ولا مشيئة له ولا اختيار، فهذا قول الجبرية الجهمية، وهو باطل.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٩٨٨)؛ من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ورُوي موقوفًا عليه، وقال الترمذي: هذا حديث غريب.

وإن أريد أنه مسير بمعنى أنه ميسر لما خلق له، وأنه يفعل ما يفعل بمشيئة الله وتقديره، فهذا حق.

وكذلك إذا قيل إنه مخير وأريد أنه يتصرف بمحض مشيئته دون مشيئة الله، فهذا قول الجهمية المعتزلة وهو باطل.

وإن أريد أنه مخير بمعنى أن له مشيئة واختيارًا وليس بمجبر، فهذا حق.

وأوسع كتاب تضمن الكلام عن القدر ومراتبه وعن أفعال العباد كتاب «شفاء العليل في القضاء والقدر والحكمة والتعليل» للإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والله أعلم.

العبد بين الجبر والاختيار

السُّؤَالُ:

إن الله كتب أعمال كل عبد قبل ولادته ولو شاء هداه، لو ضل هذا العبد وسأله الله عن ضلاله سوف يقول: أنت الذي كتبت كتابي وتستطيع هدايتي، لماذا لم تهدني؟

الجواب:

الحمد لله؛ هذا السؤال مبني على فكر فاسد، من انساق معه ضل ضلالا مبينا، وهلك مع الهالكين؛ لأن مضمونه الاعتراض على الله ومخاصمة الله، وسلفه في ذلك إبليس حين قال: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٣٩﴾ [الحجر]، وهذا هو

الاحتجاج بالقدر على الكفر والمعاصي، كما أخبر تعالى عن المشركين: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ ١٤٨ قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ١٤٩﴾ [الأنعام].

فالواجب على العبد أن يتبع شرع الله، ويمتثل أوامر الله ويجتنب نواهيه، وأن يجاهد نفسه في ذلك، وأن يتوجه إلى ربه بسؤاله التوفيق والهداية، وإذا وقعت منه المعصية فعليه أن يتوب ويستغفر ويرجع إلى الله ولا يلقي باللائمة على ربه.

فمن أصول الإيمان: الإيمان بالقدر خيره وشره، والقدر يؤمن به ولا يُحتج به، إلا في المصائب، فإذا أصاب الإنسان مصيبة لا حيلة له فيها فإنه يسلّم بقدر الله ويؤمن بحكمة الله وعدل الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ ويحتسب أجر المصيبة عنده سبحانه ولا يعترض على ربه في أقداره ولا يعارض شرعه بقدره، بل يؤمن بأنه تعالى حكيم عليم في شرعه وقدره وخلقه وأمره.

ويوم القيامة لن يقول أحد لربه: إنك لو شئت هديتني، هذا يقوله الجاهل في الدنيا، المتبع لهواه وشيطانه، أما يوم القيامة فسيعترف كل بذنبه، كما قال سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ عن أهل النار: ﴿وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ١٠ فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ١١﴾ [الملك].

فاحذر أيها السائل من أن يدور هذا التفكير في عقلك، واحذر من أن تنساق معه فهو فكر شيطاني يوسوس به الشيطان لمن يطمع في استجابته ويطمع في إضلاله، فاحذر أن تكون من صيد الشيطان ومن مكاسب الشيطان، تب إلى ربك من هذا السؤال واعلم أنك إن كفرت أو عصيت فأنت الملوم، وأنت المستوجب لعقاب الله في نفسك، نعوذ بالله من الخذلان ومن طاعة الشيطان، والله أعلم.

هل أفعال البشر مخلوقة؟

السُّؤَالُ:

هل أفعال الناس مخلوقة؟

الجواب:

الحمد لله؛ نعم، أفعال الناس مخلوقة لله، فالله تعالى خالق كل شيء، فهو خالق السماوات والأرض وما فيهن وما بينهما، وهو خالق العباد وخالق مشيئتهم وقُدَرِهم وإراداتهم وأحوالهم وأقوالهم وأفعالهم، فلا يخرج عن ملك الله وقدرته وخلقه شيء، وإنما الذي قال بأن أفعال العباد مخلوقة لهم وأنها لا تدخل في قدرة الله ولا في مشيئته هم القدرية النفاة من المعتزلة وغيرهم، فنفوا تعلق مشيئة الله وقدرته بأفعال العباد، وهذا مذهب باطل مخالف لنصوص الكتاب والسنة وللفطر والعقول، وهو يتضمن تعجيز الرب فلا يكون قديرًا على كل شيء، ولا هو خالق كل شيء، تعالى الله عن قولهم علوًا كبيرًا، قال تعالى: ﴿وَمَا

كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ [فاطر]، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ولكن يجب مع الإيمان بأن أفعال العباد مخلوقة لله إثبات مشيئة العبد وفاعلية العبد، فالعبد له مشيئة واختيار، وأفعاله هي أفعاله حقيقة، فالعبد هو المصلي والصائم والقاعد والقائم والمؤمن والكافر، وهو فاعلُ ذلك كلِّه بقدرته ومشيئته التي جعلها الله له.

هذا، وقد ضل في أفعال العباد طائفتان:

القدرية حيث أخرجوها عن ملك الله وقدرته ومشيئته كما تقدم.

والجبرية الذين يقولون إن العبد لا مشيئة له ولا قدرة ولا فعل، وإنه مجبور على أفعاله الاختيارية؛ كحركة المرتعش وكالريشة في مهب الريح.

والقولان باطلان والحق أن أفعال العباد أفعال لهم حقيقة، وأنها صادرة عن قدرتهم ومشيئتهم، وأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خالقهم وخالق قدرتهم ومشيئتهم، وخالق أفعالهم، والله أعلم.

إشكال في وقوع الخوف بالبيت الحرام

السُّؤَالُ:

من المعروف أن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ دعا للبيت بالأمن، قال ابن كثير: «وقد فعل الله ذلك شرعًا وقدَرًا»، مع أن القدر يدل على وقوع

الخوف فيه؛ كفتنة الحجاج، والقرامطة، وجهيمان، والرافضة، فما ترون في توجيه ذلك؟ حفظكم الله.

الجواب:

الحمد لله؛ قد ذكر الله دعاء خليله إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ للبلد الحرام بالأمن في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ [البقرة: ١٢٦]، وفي سورة إبراهيم: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾ [إبراهيم: ٣٥]، وقد أجاب الله دعاء خليله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فسمَّى الله البلد الحرام البلد الأمين، فقال: ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣﴾ [التين]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ۝٩٦ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٩٧﴾ [آل عمران].

والأمن أمنان:

١. أمن كوني، وهو ما وقع من الأمن للإنسان والحيوان في الجاهلية والإسلام.

٢. أمن شرعي؛ وهو ما دلت عليه السنة من تحريم محرمات مختصة بالبلد الأمين، لا تحرم في غيره، كقتل صيده، وقطع شجره، والتغليظ فيه بحرمة ما حرمه الله في كل مكان، وهذا الأمن المترتب على تحريم تلك المحرمات وتغليظ كل المحرمات هو دائم؛ لأنه لازم لحرمة مكة، ومما جاء في ذلك قوله ﷺ عام الفتح: «**هي حرام إلى يوم القيامة، لا**

يعضد شجرها، ولا ينفر صيدها، ولا تحل لقطتها إلا لمنشد»[(١)]، وقوله ﷺ: «**فمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يسفكن فيها دما، ولا يعضدن فيها شجرًا...**»[(٢)]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [الحج].

وينبغي أن يعلم أن الأحكام الشرعية قد يقع موجَبُها، وقد لا يقع، فما وقع كان موجَب الشرع والقدَر، فيكونُ كونيًا شرعيا، وقد وقع في مكة شيءٌ عظيم من الأمن الذي اختُص به البلدُ الحرام في الجاهلية وفي الإسلام، حتى كان الرجل في الجاهلية يلقى قاتل أبيه في الحرم فلا يعرض له، كما وقع في مكة خوف عظيم مراتٍ كثيرة لحوادث أوجبت ذلك؛ كحادث الفيل في الجاهلية، وقد حمى الله حرمه بما أرسل على أصحاب الفيل من الطير الأبابيل، وكما وقع على أيدي القرامطة من قتل الحُجاج وانتهاك الحرم، وكل هذا الخوف إنما ينافي الأمن الكوني، ومردُّ ما يقع من الخوف والأمن الكوني إلى مشيئة الله، وله الحكمة البالغة سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ومع ذلك فنسبة ما وقع من الخوف إلى ما وقع من الأمن قليل بحمد الله.

فلا ريب أن الله أجاب دعاء خليله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وأظهر ذلك في شريعة محمد ﷺ، بما أعلنه يوم فتح مكة من حرمتها إلى يوم القيامة، وما يوجبه ذلك من التحريم والتغليظ، وتحريم القتال فيها، وقد حذر ﷺ أن

(١) أخرجه البخاري (١٧٣٧)، ومسلم (١٣٥٣)؛ من حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، وأبو داود (٢٠١٩) واللفظ له؛ من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (١٧٣٥)، ومسلم (١٣٥٤)، والترمذي (١٤٠٦) واللفظ له؛ من حديث أبي شريح رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

يترخص أحد في ذلك محتجًّا بقتال رسول الله، فقال عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**فإن أحد ترخص لقتال رسول الله ﷺ فقولوا له: إن الله أذن لرسوله ﷺ ولم يأذن لكم، وإنما أذن لي ساعة من نهار، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، وليبلغ الشاهد الغائب**»[(١)]، والله أعلم.

عتاب الرب

السُّؤَال:

هل يجوز عتاب الرب، بمعنى: السؤال لماذا ابتليت بكذا وكذا على الرغم من كوني كذا وكذا؟ وهل هذا يعد نوعًا من عدم الرضا بالقضاء والقدر؟

الجواب:

الحمد لله؛ الواجب على العبد: الإيمان بالقدر خيره وشره، وحلوه ومره، ويجب مع ذلك الإيمان بحكمة الرب في أقداره، وأن أفعاله جارية على وَفْق الحكمة والمصلحة التي يعلمها، وهو الحكيم العليم.

وعلى هذا؛ فلا يجوز للعبد أن يعترض على ربه، ويسيء الظن به فيما يجري من الأمور المكروهة، فإذا ابتلي الإنسان بفقر، أو مرض، أو أي مصيبة أخرى، فيجب عليه الصبر والإيمان بحكمة الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

والجزع والتسخط من قضاء الله من أسباب حرمان الأجر، بل من أسباب الوزر والإثم، فيجتمع على مَنْ هذه حالُه المصيبتان؛ المصيبة الدنيوية، بما ابتلي به من مرض أو فقر ونحوهما، والمصيبة الدينية؛ حيث

(١) أخرجه البخاري (١٧٣٥)، ومسلم (١٣٥٤)؛ من حديث أبي شريح رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ.

يفوته الأجر ويبوء بالوزر، ومن هذه حاله بعيد عن الرضا، فمن لم يصبر لم يرض، والرضا عن الله واجب، والصبر على المصيبة واجب، وأما الرضا بنفس المصيبة فذلك مستحب، وليس بواجب؛ لأن الإنسان مجبول على كراهة ما يؤذيه وما لا يلائمه، قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن: ١١]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء]، وذلك لكمال حكمته سبحانه في كل ما يفعل، والله أعلم.

الحكمة من خلق المخلوقات

السؤال:

لماذا خلق الله المخلوقات مع العلم أنه سبحانه ليس محتاجًا لهم؟

الجواب:

الحمد لله؛ قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ [الملك]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾﴾ [الذاريات]، إلى غير ذلك من الآيات.

فبين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنه خلق الخلق لحكمٍ بالغة، منها: الابتلاء، ومنها: أن يعلم العباد ويعرفوا ربهم، بأنه على كل شيء قدير وأنه قد أحاط بكل

شيء علمًا، فله الحكمة البالغة في خلقه للسماوات والأرض ومن فيهن وما بينهن، وهو الغني بذاته عن كل ما سواه، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ ١٦ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ ١٧﴾ [فاطر].

والواجب على العبد أن يؤمن بأن الله تعالى حكيم، أي: ذو حكمة في خلقه وأمره، لا يخلق شيئًا عبثًا، كما قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ١١٥ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ١١٦﴾ [المؤمنون]، والله أعلم.

الحكمة من خلق بشرٍ معوقين ذهنيًا

السُّؤَالُ:

لماذا خلق الله عَزَّوَجَلَّ أناسًا معوقين ذهنيًّا؟

الجواب:

الحمد لله؛ إن من أصول الدين الإيمان بحكمة الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في خلقه وأمره وفي قدره وشرعه، بمعنى أنه لا يخلق شيئًا عبثًا، ولا يشرع ما لا مصلحة فيه للعباد، فكل ما في الوجود فهو بقدرته ومشيئته وحكمته، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الزمر: ٦٢].

وقد اقتضت حكمته البالغة خلق الأضداد، فخَلَق الملائكة والشياطين، والليل والنهار، والطيب والخبيث، والحسن والقبيح، وخلق الخير والشر، وفاضل وفاوت بين العباد في أبدانهم وفي عقولهم، وفي قواهم، فجعل

منهم الغني والفقير، والسليم والسقيم، والعاقل وغير العاقل. ومن حكمة الله في خلقه أن يبتليهم ويبتلي بعضهم ببعض، ليتبين من يشكره ومن يكفره، قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣﴾ [الإنسان]. وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢].

فالمؤمن المعافى إذا شاهد المعوقين عرف نعمة الله عليه فشكره على إنعامه، وسأله العافية، وعلم أن الله على كل شيء قدير.

والعباد عاجزون عن الإحاطة بحكمته، ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ۝٢٣﴾ [الأنبياء] سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، فما علمت أيها المسلم من حكمة ربك فآمن به، وما عجزت عنه فسلّم فيه لربك، وقل: الله أعلم وأحكم، لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم.

وصف الله بالظلم

السُّؤَالُ:

ما ردكم على من يقول -والعياذ بالله-: «إن الله ليس بعادل، فكيف؛ أنت في بلد مسلم ونشأت على الإسلام، والكافرون في بلاد الكفر نشؤوا في بلاد الكفر وماتوا على الكفر»؟ جزاكم الله خيرًا.

الجواب:

الحمد لله؛ له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، يفعل ما يشاء وهو الحكيم العليم، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون، لقد اقتضت حكمته سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ أن يكون الخلق فريقين مؤمن وكافر، ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ

﴿فَمِنكُمۡ كَافِرٞ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٢﴾ [التغابن]، ولو شاء سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ لآمن من في الأرض كلهم جميعًا، كما أخبر بذلك في قوله: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ۝٩٩﴾ [يونس]، فمن آمن من الخلق فبمشيئة الله وفضله وحكمته، ومن كفر فبمشيئته سبحانه وعدله وحكمته، فإنه تعالى يهدي من يشاء ويعصم ويعافي فضلًا، ويضل من يشاء ويخذل ويبتلي عدلًا، ولكنه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ لا يعذب أحدًا إلا بعدما تقوم عليه الحجة الرسالية، فمن بلغته دعوة الرسول ﷺ ولم يؤمن به ومات على ذلك دخل النار، ومن لم تبلغه دعوة الرسول ﷺ ومات على حاله فأمره إلى الله، يحكم الله فيه يوم القيامة بعدله، قال سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ۝١٥﴾ [الإسراء].

وكل من يدخل النار يعترف بأنه قد جاءه النذير ولم يؤمن به، كما قال سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۖ كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ ۝٨ قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ فَكَذَّبۡنَا وَقُلۡنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ كَبِيرٖ ۝٩﴾ [الملك]، وقال سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٧١﴾ [الزمر]، فمن ولد في الإسلام ونشأ على الإسلام ومات على الإسلام فذلك من فضل الله عليه، ومن ولد في الكفر ونشأ على الكفر وقامت عليه الحجة وأصر على كفره ومات على ذلك كان من

أهل النار، ومن ولد في الكفر ونشأ على الكفر ولم تبلغه الحجة ولم تبلغه دعوة الرسول ﷺ فكما تقدم؛ حكمه حكم أهل الفترة، فقد جاء في أحاديث عدة أن أهل الفترة والمجانين والصم البكم يمتحنون يوم القيامة بما يكشف حقائقهم، فإما أن يكونوا مطيعين فيكونون من أهل الجنة، أو عاصين فيصيرون إلى النار.

والواجب على العبد -خصوصًا مَنْ مَنَّ الله عليه بالإسلام- ألا ينظر إلى القدر بل يؤمن بالقدر، ويؤمن بأن مشيئة الله نافذة، وعليه أن يعمل ويأخذ بالأسباب، كما يصنع مثل ذلك في طلب الرزق واتقاء الأخطار، وطلب منافع الدنيا، وهكذا أمر الآخرة مبني على الأسباب، فعلى العبد أن يأخذ بأسباب السعادة والنجاة، ويحذر من أسباب الشقاء والهلكة، نعوذ بالله من الكفر بالله، ومن سوء الخاتمة، ونعوذ به من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء، والله أعلم.

شبهات ووساوس

السُّؤَالُ:

سماحة الشيخ نحبكم في الله. هذا سؤال مني، ولكنه قد جاءني عن طريق أحد الأشخاص وألقى عليَّ هذه الشُّبهة، وأنا حقًّا لم أجد جوابًا لها، يقول: إنه لا يشك في وجود خالق للكون رزاقٍ عليمٍ حكيمٍ قويٍّ، ولكنه لديه شكٌّ في هذين الاسمين (الرحمن) و(الرحيم)، ومعناهما واحد، يقول: إنه كيف يكون رحمانًا رحيمًا، وهو يعاقبنا بخطأ أبوينا عندما أكلا من الشجرة، فأُهبطا إلى الأرض،

وأصبحنا في كدر الدنيا بعد نعيم الجنة، بسبب خطأٍ لم يفعل من باقي البشر؟ وكيف هو رحيم وقد خلق نارًا ليعاقب به خلقه؟ لا يتصور هذا من رحيم في الأرض، فكيف بإله؟ وكيف يكون رحمانًا رحيمًا، وهو الذي وضع فينا شهواتنا، ثم منع عنا ما خلقه من جمال ومتع! وهو أيضًا مَن خَلَق الشهوة! هذا من أشد العذاب! وكيف بهذه الابتلاءات والأمراض والمصائب؟!

أجيبوا -فضيلتكم- عن هذه الشبهة، وأسأل الله الثبات لي ولكم ولسائر المسلمين، وجزاكم الله خيرًا.

الجواب:

الحمد لله؛ قد أخبر الله عن نفسه بأنه الرحمن الرحيم، وأنه أرحم الراحمين، وأنه الغفور ذو الرحمة، وأخبر عن نفسه أنه شديد العقاب، وشديد البطش، وسريع العقاب، وأخبر أنه حكيم يضع الأشياء في مواضعها، فيضع فضله ورحمته في موضعهما، ويضع عذابه في موضعه، كل ذلك بمشيئته، ومردُّ ذلك إلى كمال علمه وحكمته، فهو أرحم الراحمين لمن كان أهلًا لرحمته، وهو شديد العقاب لمن كان أهلًا لعقابه، قال تعالى: ﴿رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِكُمۡۖ إِن يَشَأۡ يَرۡحَمۡكُمۡ أَوۡ إِن يَشَأۡ يُعَذِّبۡكُمۡۚ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا ۝٥٤﴾ [الإسراء]، وقد جعل الله لرحمته أسبابًا، ولعذابه أسبابًا، فعلى مَنْ منَّ الله عليه بالإيمان أن يتعرض لرحمة الله للأخذ بأسبابها، ويحذر من عذاب الله بتجنب أسبابه، فعلى العبد أن يؤمن بكل ما أخبر الله به عن نفسه من أسمائه وصفاته وأفعاله، وأن يعمل بموجَب هذا الإيمان، فيرجو رحمة الله ويخاف عذابه، ويدعو ربه أن يغفر له ويرحمه، ويعوذ به من غضبه وعذابه، وعليه بعد ذلك أن

يدفع كل خاطر وهاجس يرد على قلبه يعارض اعتقاده وإيمانه، وأن يُعرض عن ذلك فلا يتابع التفكير في هذه الخواطر والواردات، وتمام ذلك بالاستعاذة بالله من الشيطان، وبتجديد الإيمان، وبتأكيد الإيمان، فيقول: آمنت بالله ورسله، ويدعو بالدعاء النبوي: اللهم مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، وبدعاء الراسخين: ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب، ويكثر مع ذلك من ذكر الله، ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ۝٢٨﴾ [الرعد].

ويجب مع ما تقدم: العلمُ والإيمانُ بأن من حكمته وسنته تعالى أنْ خلق هذا الوجود السماوات والأرض، وخلَق ما على الأرض من زينة، وخلق الموت والحياة؛ ليبتلي العباد أيهم أحسن عملًا، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧﴾ [الكهف]، وقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]، والآيات في سنة الابتلاء كثيرة، ومن الابتلاء: الابتلاء بالشر والخير؛ بالمصائب والنعم، وابتلاءُ الخلق بعضهم ببعض، قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ أي: ابتلاءً ﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ۝٣٥﴾ [الأنبياء]، وقال سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ [الأنعام: ٥٣] أي: المؤمنين والكفار، وقال: ﴿وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ [محمد: ٤]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾[آل عمران: ١٥٢]، وقال سبحانه: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ۝٣١﴾ [محمد].

وإن من سنة الابتلاء: الابتلاءَ بالأوامر والنواهي، كما ابتلى الملائكة وإبليس بالأمر بالسجود لآدم، وابتلى آدم وزوجه بالنهي عن الأكل من الشجرة، ثم إنه تعالى يمنُّ على من شاء بالتوفيق والعصمة، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، ويمنع ذلك من يشاء، فمنَّ على الملائكة بالتوفيق لطاعته دون إبليس، ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۝٣٠ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ﴾ [الحجر: ٣٠-٣١]، ولم يعصم آدم من الأكل من الشجرة، ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ۝١٢١﴾ [طه]، فترتب على ذلك بدوُّ سوآتهما لهما، ثم إخراجهما من الجنة وإهباطهما إلى الأرض، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا﴾ [الأعراف: ٢٢]، وقال سبحانه: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ۝٣٦﴾ [البقرة]، ثم إنه تعالى يمن على من يشاء ممن عصى فيتوب عليه بتوفيقه للتوبة، ثم يقبلها منه، وهذا ما جرى لآدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ۝١٢١ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ۝١٢٢﴾ [طه]، وقال سبحانه: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٢٣﴾ [الأعراف]، ولم يمنَّ على إبليس بالتوفيق للتوبة، فتمادى في غيِّه عاصيًا مستكبرًا، فباء بلعنة الله إلى يوم الدين، ثم إنه تعالى أهبط إبليس والأبوين إلى الأرض، والعداوة قائمة بينهم، ووعدهم أن يأتيهم الهدى من عنده، ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ۝١٢٣﴾ [طه] الآيات.

فمن ذلك الوقت جرت على البشرية وهم على الأرض سنة الابتلاء بالشر والخير والأوامر والنواهي، وابتلاء بعضهم ببعض، فهم على ذلك

ماضون إلى الأجل المحتوم المعلوم، ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾﴾ [البقرة]، وقال: ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأنعام].

ثم إنه تعالى أرسل الرسل وأنزل الكتب ليُخرِج بدعوتهم من شاء من الظلمات إلى النور، فيُضل من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم، وبذلك قامت حجة الله على العباد، وبطلت حجتهم على الله، ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]، وقال سبحانه: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ [الأنعام].

ومما يتعلق بسنة الابتلاء ما ركِّب في الإنسان من الغرائز الطبيعية؛ كحب النساء والبنين وأنواع المال، فكل ذلك فتنة، أي: ابتلاء، قال ﷺ: «**ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء**» متفق عليه[(١)]، وفي صحيح مسلم: «**فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء**»[(٢)]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥]، وقال: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾﴾ [آل عمران]، وليتدبر المسلم قوله تعالى بعد ذكر هذه الفتن: ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ [التغابن]، وقوله سبحانه: ﴿۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا

(١) أخرجه البخاري (٥٠٩٦)، ومسلم (٢٧٤٠)؛ من حديث أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٤٢)؛ من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

﴿وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ١٥﴾ [آل عمران]، ففي هذا إرشاد لكل عاقل إلى إيثار ما يبقى على ما يفنى، وإيثار الأعلى على الأدنى، وسبيل ذلك توجيه هذه الشهوات إلى ما أباح الله، وإلى ما يحب الله، وبهذا تكون هذه الشهوات طريقًا إلى الحسنات، فليست شرًّا محضًا، بل بحسب تصرف الإنسان فيها، إحسانًا أو إساءة، كما يشير إلى ذلك قوله ﷺ: «**وفي بضع أحدكم صدقة**» قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: «**أرأيتم لو وضعها في حرام، أكان عليه فيها وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر**»(١)، وإنما يؤتى الإنسان من اتباع هواه وشهواته، وإيثاره لدنياه، كما قال تعالى: ﴿بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ١٦ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ١٧﴾ [الأعلى]، وقال سبحانه: ﴿وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ٤٠ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ٤١﴾ [النازعات]، وقال سبحانه في الذين تنكبوا طريق الاستقامة: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ٥٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ٦٠﴾ [مريم].

وبعد؛ فجِماع الأمر: هو الإيمان بشرع الله وقدره مع الإيمان بحكمته في شرعه وقدره، فلا يعارَض بينهما، ولا يُحتجُّ بالقدر في معارضة الشرع؛ كالذين قالوا: ﴿لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨]، وقالوا: ﴿لَوۡ شَآءَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَا عَبَدۡنَٰهُم﴾ [الزخرف: ٢٠]، قال تعالى ردًّا عليهم: ﴿مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ٢٠﴾ [الزخرف].

---

(١) أخرجه مسلم (١٠٠٦)؛ من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فهذا هو الصراط المستقيم الذي من استقام عليه كان من المنعَم عليهم، ومن زاغ عنه كان من المغضوب عليهم أو الضالين، وقد فرض الله على العباد أن يستهدوه الصراط المستقيم، نسأل الله الهداية إلى صراطه المستقيم، صراط المنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا، ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليمًا.

وفي الختام نذكر ونؤكد على الأمور المتقدمة في مقاومة الواردات والخواطر الشيطانية، وهي: الإعراض عنها، وتجديد الإيمان، ثم اللجأ إلى الله بالاستعاذة به من الشيطان، وسؤاله الثبات، ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران].

وساوس متعلقة بالعدالة الإلهية

السؤال:

أنا فتاة، أعاني من مأساة الوسواس الذي لا يتركني أبدًا، وقد كان يشككني في كل شيء، ولكني بعد قراءات عديدة في الإعجاز العلمي في القرآن والسنة أيقنت تمامًا بوجود الله وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ رسولًا، ولكن المشكلة في الوساوس الخاصة بالعدالة الإلهية، فدائمًا أقول لنفسي: إن الله غير عادل؛ لما نحن فيه من بلاء، فأنا أخاف الله جدًّا، ولكني لا أحبه، والمشكلة الأخرى هي عدم

تيقني من مبدأ الثواب والعقاب بالجنة والنار حتى أصبر على ظلام الحياة. فأرجوكم أريد من يمد يده لينقذني مما أنا فيه؟

الجواب:

الحمد لله؛ لقد دل الله عباده بما نصب من آياته الكونية؛ كالسماوات والأرض وما بينهما على وجوده وكماله، وكل جزء من هذا العالم يدل على وجود الخالق سبحانه وقدرته وحكمته وعلمه، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الذاريات]، فكل ما على وجه الأرض من جبال وأنهار وأشجار وبحار، فيه دلالة عظيمة على قدرة الخالق وحكمته، وعلمه سبحانه، بل ونفس الإنسان فيها آيات باهرات، ولو فكّر الإنسان في خلقه لشهد العجائب، قال تعالى: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الذاريات]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾ [الروم]، وقال سبحانه: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ [فصلت]، فهذا الإنسان مخلوق من ماء مهين، خلقه الله أطوارًا، وصوره في رحم أمه، وركب فيه أعضاءه وقواه، وجعل فيه آلات الإدراك من السمع، والبصر، والعقل، ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ

﴿وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ٧٨﴾ [النحل]، والقرآن مملوء من الإرشاد إلى آيات الله الكونية في الأنفس والآفاق، فما أضل الجاهلين! وما أجهل الملحدين!.

فتفكري أيتها السائلة في آيات الله، فإن التفكر الصادق طريق إلى المعرفة، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ٣﴾ [الرعد]، فالتفكر في آيات الله الخَلقية، وآيات الله القرآنية يزيد المؤمن إيمانًا، ويَقْوَى به يقينه، ويُذْهِب الله به الوساوس الشيطانية، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١﴾ [آل عمران]، يعني: ما خلقت هذا العالم عبثًا ولا لعبًا، بل خلقته بالحق لحكم بالغة، وبقدرة تامة، ومشيئة نافذة.

وما دام -أيتها السائلة- أن الله قد وفقك للنظر فيما ذكرت من الإعجاز العلمي في القرآن، وأنه حصل لك بسبب ذلك اليقين والإيمان بالله وكتابه ورسوله ﷺ ودين الإسلام، فهذه نعمة منَّ الله بها عليك، فإنه سبحانه هو الذي يمن على من يشاء بالهداية، ويؤتي فضله من يشاء، وهو الحكيم العليم، كما قال تعالى: ﴿يَهْدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [النور: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ٧ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٨﴾ [الحجرات].

ثم اعلمي -أيتها السائلة- أن الخواطر التي ترد على القلب مما يعارض الإيمان بالله ورسوله ﷺ واليوم الآخر، لا تضر المسلم ما دام

يعلم أنها باطلة، ويبغضها، ويكرهها، ويتألم منها، والشيطان إذا عجز عن إضلال المسلم، وإخراجه عن دينه، اجتهد في أن يشوش عليه إيمانه بإلقاء الوساوس التي تزعجه، وقد جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني أحدث نفسي بالشيء لأن أخر من السماء أحب إلي من أن أتكلم به، فقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**الله أكبر الله أكبر الله أكبر، الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة**»[(١)]، وفي لفظ آخر[(٢)] قال له ﷺ: «**ذاك صريح الإيمان**»، يعني: كراهة هذا الوسواس وبغضه والنفرة منه من صحة الإيمان، فمثل هذه الوساوس لا تضر المؤمن ما دام أنه ثابت على عقيدته.

ثم إنه ﷺ أرشد من خطرت له هذه الخواطر أن يستعيذ بالله من الشيطان، ويقول: آمنت بالله ورسله، وأن يعرض عن هذه الوساوس، ولا يشتغل بها، ولا يسترسل معها، بل يعرض عنها.[(٣)]

ومما يجب الإيمان به القدر، فإن الإيمان بالقدر أحد أصول الإيمان، ومعنى الإيمان بالقدر: الإيمان بأن الله علم كل شيء بعلمه القديم، وكتب ذلك، كما أخبر في كتابه، كما أن من الإيمان بالقدر

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢٠٩٨)، وأبو داود (٥١١٢)؛ من حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا. وحسن إسناده ابن حجر في «هداية الرواة إلى تخريج أحاديث المصابيح والمشكاة» (١ / ٨٧).

(٢) عند مسلم (١٣٢)؛ من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٣) ينظر ما أخرجه البخاري (٣٢٧٦)، ومسلم (١٣٤)؛ من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وما أخرجه الإمام أحمد (٢١٣٩٣) والطبراني في «الكبير» (٣٦٣٣)؛ من حديث خزيمة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

الإيمان بأن كل ما يجري في هذا الوجود هو بمشيئته سبحانه وتدبيره، وأنه تعالى خالق كل شيء.

ويجب مع الإيمان بالقدر الإيمان بحكمة الله، أي: أن الله حكيم، يعني: له الحكمة البالغة فيما خلق وقدر في هذا الوجود من خير وشر، ومن حكمته تعالى ابتلاء العباد، يعني: اختبارهم؛ ليتبين المؤمن من الكافر، والمطيع من العاصي، والصادق من الكاذب، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ [الملك]، وقال تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ [العنكبوت].

فيجب الإيمان بأن له في كل ما يقدره حكمة بالغة، علمنا ذلك أو لم نعلم، بل ما يخفى على العباد من حكمته تعالى هو أضعاف أضعاف ما يعلمونه، بل ما يعلمونه من حكمته في خلقه يسير جدًّا، فالعقول لا تحيط به علما، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، فإذا رأى الإنسان ما يتوهم منه أنه خلاف العدل فليتذكر كمال علمه وحكمته سبحانه، ويتذكر مع ذلك قصور عقل الإنسان عن معرفة أسرار القدر، فالقدر سر الله، لا يعلم العباد منه إلا ما علمهم، ومعنى هذا أن على الإنسان أن يحسن الظن بربه، ويقرّ على نفسه بالعجز والقصور فإذا استقر هذا الأصل عند المؤمن أو المؤمنة، انزاحت عنه الشبهات لحكم الله وحكمته، فلا يستقر الإيمان إلا على مبدأ التسليم؛ لأن الإنسان لا يمكن أن يدرك عقله كل شيء.

ومما يدخل في ذلك أقدار الله الجارية على العباد مثل أنه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يُضل ويهدي، ويُسعد ويشقي، ويُعز ويذل، ويُفقر ويغني، ويبتلي ويعافي، ويعطي ويمنع، ويخفض ويرفع، كما يدخل في ذلك تنويعه للخلق، حيث خلق الطويل والقصير، والجميل والدميم، وفاضل بين العباد في عقولهم وحواسهم، وخلق سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ الأضداد، فخلق الطيب والخبيث، والنافع والضار، كما خلق الملائكة والشياطين، والعقول قاصرة عن معرفة أسرار هذه الأقدار، فلا بد من التسليم لحكمته سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وعدله في تدبيره.

ثم إنه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ قد جعل هذه الحياة ميدانًا للابتلاء، وأرسل الرسل، وأنزل الكتب لهداية العباد، وإخراج من شاء سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ من الظلمات إلى النور، قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ١﴾ [إبراهيم].

وقد قضى بحكمته أن تكون السعادة والفلاح لمن أجاب المرسلين، واستقام على صراط الله الذي هو دينه، وهو دين الإسلام، وأن يكون الشقاء والضلال لمن كذب الرسل، وأعرض عن دعوتهم، قال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤﴾ [طه].

فالناس أمام دعوة الرسل فريقان؛ مؤمن وكافر، وتقي وفاجر، وقد أعد الله لأوليائه المتقين دار النعيم المقيم، وأعد لأعدائه الكافرين

عذاب الجحيم، فهذه الدنيا دار الابتلاء ودار العمل، والدار الآخرة دار الجزاء، قال تعالى: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة]، وقال سبحانه: ﴿يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗاۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ۝٣٠﴾ [آل عمران].

فأوصيك أيتها السائلة وكل مسلم بالجد والاجتهاد في طاعة الله مع سؤال الله الثبات، فإن العبد في ضرورة إلى هداية الله، ومن دعاء النبي ﷺ: «**يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك**»(١)، وأنفع الدعاء ما علمه الله عباده، وفرضه عليهم في كل صلاة، وهو ما في سورة الفاتحة: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾.

وأما قولكِ في السؤال: «أنا أخاف الله جدًّا، ولكني لا أحبه» فهذا من جملة الوَسْواس، ومن تلبيس الشيطان، فإذا كنت تؤمنين بالله وتُقرين بنعمه، وتعبدينه بما شرع من فرائض ونوافل؛ صيامًا وصلاة وذكرًا؛ فإنك تحبينه، بل هو تعالى أحب إليك من والديك، ومن سائر محبوبات الدنيا، بدليل أن والديك لو أمراك بترك الصلاة أو الصيام أوغيرهما من الفرائض لقدمت طاعة الله على طاعتهما، ولكنَّ حب الله حبٌّ مقرون بالتعظيم، ليس كالحب الطبيعي؛ كحب المال والولد، ولهذا كانت محبة الله ورسوله ﷺ عند المؤمنين الصادقين فوق محبة الآباء والأمهات والإخوة، وغيرها من المحبوبات، كما قال تعالى: ﴿قُلۡ

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٢٢) وحسنه؛ من حديث أم سلمة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا.

﴿إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٤﴾ [التوبة].

ومما يغذي محبة العبد لربه تذكر نعمه، وتدبر آياته القرآنية، والتفكر في آياته الكونية، وكثرة التوجه إليه سبحانه بأنواع العبادة، وبالدعاء تضرعًا وخيفة، وخوفًا وطمعًا، ومن أهم ذلك سؤاله تعالى صلاح القلب والبصيرة في الدين، والثبات عليه.

نسأل الله أن يمن علينا وعليك بالهداية إلى صراطه المستقيم؛ صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا، ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليمًا، والله أعلم.

انتحر أخوه ويسأل أسئلة في القدر

السؤال:

مات أخي الصغير بتعليق نفسه، كان عمره (٢٥) عامًا فقط، كانت المشكلة عبارة عن شجار بسيط بين أمي وبينه. كلنا في غاية الدهشة وفي حالة حزن شديدة. هناك أسئلة كثيرة أحب أن أسألها عن هذا الوضع:

أولًا: لماذا اختار الله هذا النوع من الوفاة لأخي؟

ثانيًا: عمر والدي ٧٥ عامًا، وهو ورع متدين جدًّا، وأمي شديدة الكرم والطيبة واللطف. لماذا أراهما الله مثل هذا اليوم في حياتهما.

ثالثًا: كيف يمكننا أن نساعده (أخي) وهو لم يعد بيننا؟ كيف يمكننا رؤيته في الجنة؟ هل بإمكاننا أن نبلغه سلامنا؟ هل سيصله سلامنا؟

أيضًا، عندما تم فحصه لتحديد سبب الوفاة، وجدنا أن وفاته لم تكن بسبب الاختناق ولكن بسبب كسر عموده الفقري. ما حدث في الواقع هو أنه كان يوجد في غرفتي أرجوحة قماشية لطفلي، أخذ أخي كرسيا صغيرًا كان قريبًا منه وربطه في عنقه قائلًا سأقتل نفسي. كانت أمي تصلي في نفس الغرفة. نشعر بأنه لم يكن انتحارًا. ربما كان غضبه هو الذي دفعه لفعل ذلك.

يخبرنا أصدقاؤه بأنه ليس من نوعية الناس الذين يفكرون بالانتحار. في الحقيقة، كان ينصحهم ضد الانتحار كلما ذكروه. كانت جنازته جيدة أيضًا، ولم يبد من وجهه أنه يعاني، أو شيئًا من هذا القبيل. كان يبدو وكأنه نائم وما علينا إلا أن نوقظه من النوم. هل هذا يدل على شيء؟ أرجو الرد على هذا إذ إننا في غاية الانزعاج بسبب هذا الموت المفاجئ.

الجواب:

الحمد لله؛ لا بد بين يدي هذه الأسئلة من معرفة ثلاثة أمور هي:

أولًا: أنَّ كلَّ شيءٍ بقدر الله، وكلُّ ما يجري في هذا الوجود من خير وشر فهو بتقدير الله وتدبيره ومشيئته، فإنه تعالى لا ربّ غيره ولا مدبِّر معه.

ثانيًا: يجب الإيمان بحكمته سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ في أقداره، فله الحكمة البالغة في كل ما يجري في هذا الوجود سواء أدركنا ذلك أم لم ندركه، بل كثير من حِكم الله لا تبلغها عقول العباد، فيجب التسليم لله تعالى وذلك بالإيمان بكمال حكمته، ولا يجوز الاعتراض عليه في شرعه ولا في قدره.

ثالثًا: أن الانتحار جريمة كبرى وسوء خاتمة، فالذي يقتل نفسه فرارًا من مصيبة أو ضائقة أو فقر أو نتيجة انفعال وغضب، فإنه بهذا يعرّض نفسه لعقوبة الله، فقد قال سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ٢٩ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ٣٠﴾ [النساء]، وثبت في الصحيحين عن النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنه قال: «**من قتل نفسه بحديدة، فحديدته في يده يجأ بها بطنه في نار جهنم، خالدًا مخلدًا فيها أبدًا، ومن قتل نفسه بسَمٍّ فسمّه في يده يتحسّاه في نار جهنم...**» الحديث[1].

فما ذكر في هذه الحالة يجب أن يفوض الحكم فيه إلى الله سبحانه، فالظاهر أن ما فعله أخوك هو انتحار؛ لأنه علّق نفسه، أي ربط عنقه في حبل فشنق نفسه، فهو إما أن يكون انتحر أو أراد الانتحار، فالله أعلم.

وأما صلاح الوالدين واستقامتهما فهذا لا يمنع أن يبتليهما الله ببعض المصائب ليظهر بذلك صبرهما، وليكون في ذلك تمحيص لذنوبهما، فالمؤمن أمره كلّه خير؛ إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له،

(١) البخاري (٥٧٧٨)، ومسلم (١٠٩)؛ من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ.

وإن أصابته ضرّاء صبر فكان خيرًا له وليس ذلك إلا للمؤمن. فالابتلاء بالمصائب لا يدل على هوان العبد عند ربّه إذا كان مستقيمًا على طاعة الله، فالإيمان بالله وطاعته وتقواه هي سبب الكرامة، والكفر والفسوق والعصيان هي سبب الهوان، ومن ابتلي بمصيبة فصبر كان ذلك رفعًا لدرجاته، والمصائب أنواع، تكون مرضًا، وتكون فقد مال، وتكون بفقد حبيب؛ كابن، أو أخ، أو والد، أو زوج أو زوجة، فالله تعالى يبتلي عباده بالنعم والمصائب وهي الخير والشر، كما قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء].

وإن كان الانتحار صدر عن جهل وكان الشخص مستقيما على طاعة الله محافظًا على الصلوات فإنه يرجى له العفو من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فإنه تعالى أرحم الراحمين، وإن كان يعلم تحريم الانتحار ولكنه لجأ إلى ذلك ليتخلص من المشكلة التي ضاق بها فإنه على خطر من التعرض للوعيد والعقاب الذي ورد في الحديث، ولكنه مع ذلك إن كان مؤمنًا بالله ورسوله وموحدًا لله غير مشرك، فإنه تحت مشيئة الله إن شاء الله غفر له، وإن شاء عذبه، ثم إذا عذبه فإنه لا بد أن يخرجه من النار، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، وقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وفي قلبه مثقال ذرّة من إيمان**»[(١)].

وأما حاله عند تغسيله وتجهيزه وما ظهر به من المظهر الحسن فقد يستأنس به لحسن حاله، وحسن عاقبته وأنه معذور عند ربه ومغفور له،

(١) أخرجه البخاري (٤٤)، ومسلم (١٩٣)؛ من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

ولكن لا يجزم بشيء من ذلك؛ لأن هذه الأمور غاية ما تفيد أنها تبشر بخير.

وإن كان المنتحر مسلمًا موحدًا مصليًا فيمكن الإحسان إليه بالدعاء له بالمغفرة بأن يغفر الله له ذنوبه، ومن ذلك ما فعله بنفسه من التسبب في قتل نفسه.

وأما ما ورد في السؤال من انتقاد الكيفية التي اختارها الله له ليموت بها فهذا نوع اعتراض على قدر الله، فالله هو المقدّر، وهو خالق كل شيء، وكل شيء بقدره سبحانه، وهو الحكيم العليم، ولكن ما كان مخالفًا لشرع الله فلا يحتج بالقدر عليه، وما يجري في الوجود من هذه الأمور لا يجوز الاعتراض على الله في تقديرها، فيجب الإيمان بالقدر، والإيمان بحكمة الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والله أعلم.

لماذا يموت أناس من الجوع مع أنّ الرزق مكتوب

السُّؤَالُ:

إذا كان الله قد كتب الرزق لكل إنسان فلماذا يموت الناس من الجوع؟

الجواب:

الحمد لله؛ إن الله هو الرزاق وهو خير الرازقين، وما من دابة إلا على الله رزقها، وإنّ رزق الله لا يجره حرص حريص ولا يرده كراهية كاره، ومن حكمة الله تعالى أن فاوت بين العباد في أرزاقهم كما فاوت بينهم في خَلْقهم وأخلاقهم، فهو تعالى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر؛

أي: يوسع الرزق على قوم ويضيقه على آخرين، فهو تعالى متكفل بأرزاق العباد على ما سبق به علم الله وكتابه، وقد علم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وكتب أن من العباد من يبسط له في رزقه ومنهم من يضيق عليه، ولله في ذلك حكم بالغة لا تحيط بها العقول.

ومن حكمته تعالى في البسط والتضييق ابتلاء العباد بالنعم والمصائب، كما قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾﴾ [الفجر]، ثم قال تعالى: ﴿كَلَّا﴾ [الفجر: ١٧]؛ أي: ليس الأمر كما يظن هذا الإنسان؛ بل تنعيمه تعالى وتضييقه على من شاء ليس إلّا ابتلاء، لا إكرامًا ولا إهانة، وبهذا الابتلاء يتبين الشاكر والصابر من ضدهما، والله بكل شيء عليم.

العلاقة بين قضاء الله وقدره وعمل الشيطان

السؤال:

إن كل ما يحصل لنا في هذه الدنيا ليس مصدره واحدًا عند الناس، فعند حصول الأشياء الجميلة والمفرحة نقول: الحمد لله، فالسبب هنا مشيئة الله، وعند حصول الأشياء المحزنة والسيئة نقول سببها الشيطان، لعنة الله عليه وليس سببه قضاء الله وقدره. والسؤال هنا حول العلاقة بين قضاء الله وقدره وعمل الشيطان خاصة على

المؤمن فكيف يكون؟ وهل حقًا توجد علاقة بينهما؟ وما علاقة النفس الأمارة بالسوء بهما؟

الجواب:

الحمد لله؛ من أصول الإيمان، الإيمان بالقدر خيره وشره، فكل ما يجري في الوجود من خير وشر، ومن نعم ومصائب، ومن إيمان وكفر، وطاعة ومعصية، وغير ذلك من أفعال العباد كلُّ ذلك بقدر الله ومشيئته، فإنه لا يكون في ملك الله ما لا يريد، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فكل ما في هذا الوجود مما وقع ومما سيقع كله قد سبق به علم الله وكتابه، وكل ذلك بمشيئته وقدرته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فالواجب على العبد أن يؤمن بهذا الأصل، لكن إن أصابه خير فعليه أن يحمد الله ولا يضيف نعم الله إلى نفسه، أو إلى الأسباب التي كان لها أثر في حصول هذه النعمة بل عليه أن يعلق قلبه بالله ليشكره ويذكره، ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]، وإن أصابته مصيبة فعليه كذلك أن يؤمن أنها من قدر الله، ولكن عليه أن يذكر الأسباب التي جَرَّت عليه هذه المصيبة، فإن المصائب؛ من الأمراض وذهاب الأموال وذهاب الأحبة، تكون ابتلاءً وامتحانًا، وتكون جزاءً على السيئات، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۝٣٠﴾ [الشورى]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥]، فإذا أصابت المسلمين هزيمة أو نزلت بهم مصيبة فعليهم أن يحاسبوا أنفسهم ويتفقدوا عيوبهم، وأن يتوبوا من ذنوبهم وأن يتوجهوا إلى ربهم، وهذا شأن المؤمن إن

أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له، والله تعالى له الحمد على كل حال؛ على السراء والضراء والشدة والرخاء؛ لأن كل ما تجري به الأقدار هو بمشيئته وحكمته سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فله الحمد على كل ما يقدره ويقضيه؛ لأنه تعالى حكيم عليم يضع الأشياء في مواضعها، وليس بلازم أن ندرك حكمة الله في كل جزئية صغيرة وكبيرة، لكن نؤمن بأن الله حكيم، فما خفيت علينا حكمته -وهو الأكثر- فإننا نحيله إلى ما نؤمن به من كمال حكمته سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ولا شك أن الشيطان هو الداعي إلى كل شر من أفعال العباد، فهو الداعي إلى الكفر وهو الداعي إلى المعاصي، والذنوب والمعاصي سبب لما يصيب العبد من المصائب، ولذلك فإن إضافة الكفر والمعاصي إلى الشيطان، كما إذا قيل: هذا من الشيطان، فذلك من إضافة المسبب إلى سببه، لا أن الشيطان مؤثر مستقل بوقوع هذه الأفعال القبيحة، فإذا وقع العبد في شيء من الذنوب فعليه التوبة والاستغفار، وإذا أصاب الإنسان مصيبة فعليه أن يصبر وأن يستغفر وأن يحاسب نفسه، ويتفكر من أين دخل عليه الشر والبلاء؛ حتى يتقيه ويحذر من مداخل الشر، ومن أعظم ما ينفع من ذلك التجاء العبد إلى ربه بأن يعصمه من شر الشيطان وأن يعيذه من الكفر والفسوق والعصيان، فيدعو ربه بأن يوفقه لأسباب السعادة وأن يجنبه أسباب الشقاوة.

اللهم حبِّب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكرِّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين، والله أعلم.

عبارة: لو وفقني الله لكنت صالحًا!

السؤال:

فضيلة الشيخ عبد الرحمن البراك؛ حفظكم الله ورعاكم ونفع بعلمكم: من المعلوم أن الهداية هدايتان؛ هداية الدلالة، وهداية التوفيق، ففيما يخص هداية التوفيق قد يحتج بعض الناس بأن الله لم يوفقه للهداية، ويقول: لو أن الله وفقني لكنت من الصالحين، ومن المعلوم أن قوله هذا مردودٌ عليه، ولكن -وفقكم الله- كيف نرد عليه شبهته؟ ونبين له القول الفصل بالدليل؟

الجواب:

الحمد لله؛ إن من أصول الإيمان: الإيمانَ بالقدر خيره وشره؛ فيجب الإيمان بأنَّ كلَّ ما يجري في هذا الوجود فبتقديره وتدبيره سبحانه، وبقضائه ومشيئته، وبقدرته وحكمته تعالى، لا مانعَ لما أعطى، ولما معطيَ لما منع، ومن ذلك: الهدى والضلال، فهما بمشيئته وحكمته عَزَّوَجَلَّ، يُضل من يشاء، ويَهدي من يشاء، وهو العزيز الحكيم، ولكن ليس لأحد أن يحتجَّ على كفره ومعاصيه بالقدر، ولا على ترك ما يجب عليه بأن الله لم يشأ ذلك له؛ فتلك حجة المشركين الذين قالوا: ﴿لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨]، وهي حجةٌ داحضةٌ عند ربهم، فهي كلمةُ حقٍّ أُريدَ بها باطل، وهو الاعتذار لأنفسهم في شركهم، فشركهم أظلمُ الظلم، فلو صحَّت لهم هذه الحُجَّة لصحَّ لكل ظالم من قاتل وسارق ومفسد في الأرض أن يحتج بالقدر لدفع اللوم عن نفسه على قبيح فعله، وهذا هو الفساد العريض، فلا يستقيم على هذا التصور شيءٌ من أمر الدنيا والآخرة.

وعلى ذلك؛ فلا بد مع الإيمان بقدرته تعالى وعموم مشيئته من الإيمان بشرعه عَزَّوَجَلَّ، وهو أمره ونهيه على ألسن رسله، مع الإيمان بحكمته تعالى في شرعه وقدره، فلا يُتبع مقتضى شرعه بمقتضى قدره، ولا يُعارض بينهما، والقدر يؤمَن به ولا يُحتجُّ به، والشرع يؤمَن به ويُعمل به، وهذا هو الصراط المستقيم في هذا المقام، وهو الجمعُ بين الإيمان بالشرع والقدر، والإيمانُ بالقدر يقتضي التسليم لله والاستعانة به والتوكل عليه، والإيمانُ بالشرع يقتضي طاعة الله ورسوله والانقياد للشرع، ويدخل في ذلك فعلُ الأسباب النافعة، وتركُ الأسباب الضارة، وكما أن هذا موجَب الشرع فهو موجَب العقل والفطرة، وقد جعل الله للسعادة أسبابًا وللشقاوة أسبابًا، كما جعل للرزق أسبابًا ولتحصيل العلم أسبابًا؛ فالذي يطلب الرزق وغيره من الحظوظ ويأخذ بأسباب ذلك، ولا يَعذر نفسه في التفريط بذلك، ثم يفرِّط في أسباب السعادة في الآخرة ويَعذر نفسه محتجًا بالقدر؛ يكون متناقضًا ومتبعًا لهواه.

وبعد؛ فقول القائل: «لو وفقني الله لكنت صالحًا» هو كقول المشركين: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨]، وكقول القاتل: لو شاء الله ما قتلتُه، ومثل ذلك من الأقوال التي لا يقصد بها الإيمان بالقدر، بل يقصد بها معارضة الشرع، والاعتذار للنفس.

نعم؛ لا يستطيع العبدُ أن يهتدي إلا بهُدى الله وتوفيقه، ولكن ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، ولذا شُرع للعبد أن يسأل ربه الهدى، ومن ذلك دعاء الفاتحة: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾، ومما يشهد لذلك قوله تعالى في الحديث القدسي: «**يا عبادي؛ كلُّكم ضالٌ إلا مَن هديته**:

فاستهدوني أَهْدِكُم»[١]، ومما يدل على أن التوفيق لقبول الحق فضلٌ من الله ونعمةٌ يمُن به على مَن يشاء من عباده قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ۝٨﴾ [الحجرات]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ۝٦٩ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ۝٧٠﴾ [النساء].

فمردُّ التوفيقِ وتخصيصِهِ بمن حصل له ذلك إلى كمال حِكمته وعلمه سبحانه، ولهذا قال: ﴿فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ۝٨﴾، نسأله تعالى أن يمُنَّ علينا بهداه، وأن يوفقنا لأسباب رضاه؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه، والله أعلم.

الفرق بين الحكم الشرعي والحكم الكوني.

السُّؤَالُ:

ما الفرق بين الحكم الشرعي والحكم الكوني؟

الجواب:

الحمد لله؛ الفرق بين الحكم الشرعي والحكم الكوني:

أولًا: الحكم الكوني: لابد من تحقق مقتضاه في الواقع، وهو متعلق بجميع الكائنات، فكل واقع فبحكم الله الكوني مما هو محبوب لله أو غير محبوب.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٧)؛ من حديث أبي ذر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

ثانيًا: الحكم الشرعي: لا يلزم وقوع مقتضاه، وهو متعلق بأفعال العباد خاصة.

وعلى هذا؛ فما وقع من الإيمان والطاعة فبحكم الله الكوني والشرعي، وما وقع من الكفر والمعاصي فبالحكم الكوني. وينفرد الحكم الشرعي بما لم يقع من الإيمان والطاعة.

كما قيل مثل هذه الفروق بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية، والله أعلم.

ومن أدلة الحكم الكوني: قوله تعالى: ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحۡكُم بِٱلۡحَقِّ﴾ [الأنبياء: ١١٢]، وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَٱصۡبِرۡ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ﴾ [يونس: ١٠٩]، وقوله تعالى - حكاية عن يعقوب عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ -: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ﴾ [يوسف: ٦٧].

ومن أدلة الحكم الشرعي: ﴿ذَٰلِكُمۡ حُكۡمُ ٱللَّهِ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ﴾ [الممتحنة: ١٠]، وقوله -حكاية عن يوسف-: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [يوسف: ٤٠].

الفرق بين أمر التكوين وأمر العبادة

السُّؤَالُ:

ما الفرق بين أمر التكوين وأمر التكليف؟

الجواب:

الحمد لله؛ أما أمر التَّكوين: فهو ما يُطلبُ مِنَ الشيء كونُهُ على حالٍ؛ مِنْ وجودٍ أو عدمٍ أو حياةٍ أو موتٍ؛ فهو يُحِيلُ الميِّتَ حيًّا، والحيَّ

ميتًّا، والجمادَ حيوانًا، مِنْ غير إرادةٍ ولا فعلٍ مِنَ المأمور؛ فلا يقتضي أن يكون الشيءُ المأمور أمر تكوين مريدًا لمقتضى أمر التكوين، بل يصير إليه بأمر الله وإرادته، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٤٠﴾ [النحل].

وأمْرُ التكوين وإرادتُه مِن الله يستلزم حصول المطلوبِ، كما أراد الله، الذي تنقادُ لأمره وإرادته جميعُ الأشياء، فتكونُ كما أَمَرَ وأرادَ سُبحانه، فأمرُ التكوين ليس طلبَ فِعْلٍ مِن المأمور؛ ومِنْ شواهده قولُهُ تعالى لنَارِ إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا﴾ [الأنبياء: ٦٩]، وقولُه تعالى: ﴿قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ۝١٦٦﴾ [الأعراف]، وقولُه: ﴿فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٣].

وأما أَمْرُ التكليف فيقتضي من المأمور إيجادَ الفِعْلِ، ويكون بإرادة منه، ولا يَتَوَجَّهُ إلا إلى موجودٍ يَفْهَمُ الخطاب، وقد يَتَحقَّقُ المأمورُ به وقد لا يتحقق، وهو كثير؛ كالأمر بعبادة الله، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١]، والأمر بإقام الصلاة، ونحو ذلك.

وبهذا يُعلم أن (الأمر) ينقسم إلى كونيٍّ وشرعي؛ كالإرادة، والحُكم، والقضاء، ونحو ذلك، فمن الأمر الكوني قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ [الأعراف: ٥٤]، ومن الشرعي قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢].

ومن الفرق بين الأمر الكوني والشرعي أن الأول لا يستلزم محبة الله لما أَمر به أمر تكوين، بل قد يكون محبوبًا لله أو غير محبوب، أما



الأمر الشرعي فإنه مستلزم لمحبة الله تعالى، فكل ما أمر به شرعًا فهو محبوب له سبحانه، كما قيل مثل ذلك في الفرق بين الإرادتين الكونية والشرعية، والله أعلم.

- ❊ ■ ❊ ■ ❊ -

رابعًا

نواقض الإسلام ومسائل في التكفير والإيمان

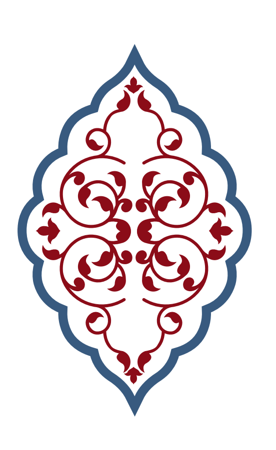
ويشمل قضايا؛ وهي:

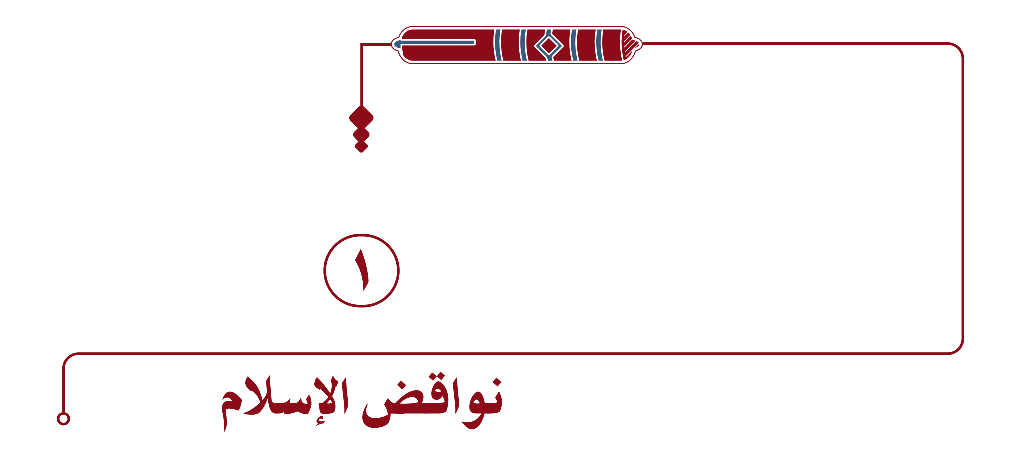
١ـ نواقض الإسلام.

٢ـ مسائل في التكفير والإيمان

٣ـ متفرقات.

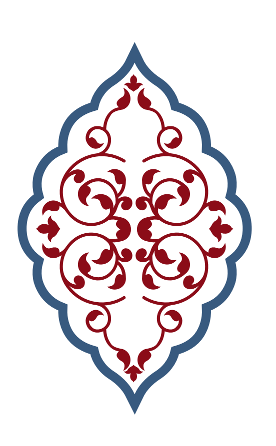




١

نواقض الإسلام



الكفر يكون بالاعتقاد وبالقول وبالفعل

السُّؤَالُ:

هل يكون الكفر بمجرد الأعمال أم لا بد من الاعتقاد؟

الجواب:

الحمد لله؛ الكفر يكون بالاعتقاد وبالقول وبالفعل، وإن كان أصل الإيمان وأصل الكفر في القلب، وقد أوضح العلماء ذلك في باب أحكام المرتد، وذكروا أمورًا كثيرة قولية وفعلية واعتقادية، وكلها مما يوجب الردة، وهل الاستهزاء بآيات الله أو بالرسول إلا من الكفر باللسان؟ ومن أظهر تكذيب الرسول -وإن كان يعتقد أنه صادق- فإنه كافر، وهل كفر فرعون وقومه إلا بالجحود! كما قال تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّاۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝١٤﴾ [النمل]، وقال تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ۝٣٣﴾ [الأنعام].

فالردة تتحقق بما يوجبها من اعتقاد أو عمل، مَنْ تكلم بكلمة الكفر من غير إكراه فإنه كافر ولو لم يعتقد ما تكلم به، قال تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝١٠٦﴾ [النحل]، فمَنْ تكلم بالكفر أو فعل ما هو كفر من غير إكراه فقد شرح بالكفر صدرًا، نعوذ بالله من أسباب الخذلان، ونسأله تعالى أن يثبتنا على دينه، والله أعلم.

الكفر المخرج من الملة

السؤال:

ذهب أهل السنة والجماعة إلى أن كلَّ كفر يصيب الإيمان في أصله وواجباته فهو كفر مخرج من الملة، وكل كفر يصيب الإيمان في فروعه وشُعبه دون أصله فهو كفر أصغر، أو كفر دون كفر لا يخرج صاحبه من الملة، نرجو التوضيح، والكفر في شعبة إماطة الأذى هل هو مخرج من الملة أم لا؟

الجواب:

الحمد لله؛ إن شهادة أن محمدًا رسول الله تقتضي تصديق الرسول ﷺ، في كل ما أخبر به، وطاعته في أمره ونهيه، ولزوم متابعته، قال تعالى: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلۡنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ٨﴾ [التغابن]، وقال تعالى: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِى يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٥٨﴾ [الأعراف]، فيجب الإيمان بأن كل ما جاء به الرسول ﷺ من الأخبار والتشريعات حق، فمن كذَّب الرسول ﷺ فيما أخبر به من دقيق أو جليل، أو طَعَن فيما جاء به من أصول الدين أو فروعه؛ كإماطة الأذى عن الطريق، وهو يعلم أن الرسول ﷺ قد جاء به، فإنه كافر؛ لأن تكذيبه وطعنه فيما جاء به الرسول ﷺ قادح في شهادة أن محمدًا رسول الله.

أما من كذَّب أو طَعَن في شيء مما جاء به الرسول ﷺ لاعتقاده أنه لم يثبت عن الرسول ﷺ، أو فِهمَه فهما خاطئًا فإنه لا يكفر بذلك؛ لجهله

أو خطئه في الفهم، ما دام يعتقد أن الرسول ﷺ صادق في كل ما أخبر به، وأن كل ما جاء به من الشرع فهو من عند الله، كما هو مقتضى شهادة أن محمدًا رسول الله.

وما ذكرته أيها السائل من الفرق بين الأصول والفروع من حيث الكفر والإيمان ليس بصحيح على الإطلاق، لكن بعض أمور الدين ظاهرة مشهورة، ومعلومة لعموم المسلمين، كوجوب الصلوات الخمس، وصيام رمضان، ووجوب الحج، فلا يعذر من ادعى الجهل بذلك وهو بين المسلمين. وكثير من مسائل الدين التفصيلية -سواء كانت خبرية أو تشريعية- تخفى على أكثر الناس، ولكن لا يجوز للمسلم أن يقول في الدين ما لا علم له به، لا نفيًا ولا إثباتًا؛ بل يجب عليه أن يفوض علم ما لا يعلم إلى الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ [النحل: ١١٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [البقرة]، والله أعلم.

حكم الاستهزاء بالعلماء

السؤال:

ما حكم السخرية بالعلماء وطلبة العلم، هل هو ناقض؟

الجواب:

الحمد لله؛ الاستهزاء أو السخرية بالعلماء أو الصالحين، بأفراد أو جماعات منهم؛ ينظر فيه إلى القرائن والبواعث على السخرية

والاستهزاء، فإن كان لتدينهم بالإسلام وعنايتهم بالكتاب والسنة فلا ريب أن ذلك كفر وردة عن الإسلام؛ لأنه استهزاء بآيات الله وبدينه الذي بعث به رسوله ﷺ، وهذا لا يكاد يصدر عن مؤمن يؤمن بالله ورسوله ﷺ، وإنما يصدر عمّن هو منافق، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [التوبة].

وإن كان الباعث على السخرية بالعلماء والصالحين أمورًا أخرى، مثل اتهامهم في نياتهم وأنهم غير صادقين في تدينهم بل يتظاهرون بالصلاح وأنهم طلاب دنيا، فهذا الاتهام حرام، وهو من الظن الذي أمر الله باجتنابه، وكذلك السخرية بالمؤمنين حرام، فكيف بالعلماء والصالحين؟!

وقد نهى الله عن ذلك فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١١-١٢]، وقال ﷺ: «**الظن أكذب الحديث**»[١].

وقد يكون الباعث على سوء الظن والسخرية أمورًا شخصية، مثل النزاعات التي تكون بين الناس على بعض أمور الدنيا، وينبغي أن يعلم

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٤٩)، ومسلم (٢٥٦٣)؛ من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

أن الذين قال الله فيهم: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٦] كان استهزاؤهم بالله وآياته ورسوله، فمن استهزأ بالرسول ﷺ على أي وجه من الوجوه فإنه كافر مرتد عن الإسلام إن كان مسلمًا، فشرط الإيمان بالرسول احترامه ﷺ. نسأل الله أن يجعلنا من الذين قال فيهم: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف]، والله أعلم.

حكم من يسب الله تعالى، والواجب نحوه

السؤال:

ما حكم من سبّ الله؟ القضية أن شابًا يقول: إنّ هذا الرب الذي تعبدونه لا يفيد شيئًا، علمًا أنه يقول هذا الكلام أمام مجموعة من الموظفين في العمل، ما الواجب علينا اتجاه هذا الشخص؟

الجواب:

الحمد لله؛ سبُّ الله نوع من أنواع الكفر، فمن يؤمن بالله ويؤمن بربوبيته وعظمته، وبأنه خالقه وخالق كل شيء لا يسبه إلا أن يكون قد زاغ قلبه وصار مرتدًّا.

وإطلاق هذه العبارة، وهي ما ورد في السؤال: «إنّ هذا الرب الذي تعبدونه لا يفيد شيئًا» دالٌّ على عدم الإيمان بوجود الله، وأنه إن كان موجودًا فإنه لا ينفع عابديه، فلا تجب عبادته، بل لا تليق عبادته؛ لأن من لا يفيد عابديه لا يحسن بالعاقل أن يعبده. ومثل هذا القول إنما يصحّ

فيما يعبده المشركون من أصنام؛ حيث إنها لا تنفع عابديها، فلا تجلب لهم نفعًا ولا تدفع عنهم ضرًّا.

فالحاصل: أن هذا القائل إن كان يدَّعي الإسلام فهو مرتدّ، ويجب على من يسمعه أن ينكر عليه، ويغلظ عليه في الإنكار، ويرفع أمره لمن يقيم عليه حد الردّة.

وأقل ما يجب -مع الإنكار عليه بالقول وبيان أنّ هذا ردَّة- وجوب مقاطعته وعدم مجالسته، وإن بُلي الإنسان به في مكان عملٍ فيجب عليه هجره والإعراض عنه، فلا يسلم عليه ولا يتلقاه بشيء من البشر ولا يستقبله بكلمة تدل على الهوادة معه، ليستشعر حقيقة جرمه، وشناعة ما قال، بل إذا تكلم بالكفر وجب القيام عن المجلس الذي هو فيه حتى يكف عن الكفر بالله وآياته، وهذا أقل ما يجب على المسلم فعله مع من لا يرجو لله وقارًا، قال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ١٤٠﴾ [النساء]، نسأل الله السلامة والعافية، وأن يعيذنا من زيغ القلوب، والله أعلم.

يهودي أو نصراني يوحّد الله ولكن لا يُحكّم القرآن

السُّؤَالُ:

إذا كان هناك شخص يهودي أو نصراني يؤمن بالله وأنه لا شريك له، ويؤمن بالرسل المرسلين من الله عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ، ولكنه لا يحكم

بالقرآن، مع أنه يؤمن بأنه من عند الله ولكنه يفترض أنه يجوز أن يحكم التوراة الأصلية. فهل هذا يعتبر مسلمًا؟

الجواب:

الحمد لله؛ إن من أصول الإيمان: الإيمان بجميع الكتب المنزلة من عند الله والإيمان بجميع الرسل، ويدخل في هذين الأصلين الإيمان بأشرف الكتب وهو القرآن وأفضل الرسل وهو محمد ﷺ خاتم النبيين ورسول الله إلى الناس أجمعين منذ بعثه الله إلى أن تقوم الساعة، فيجب على كل إنسان من جميع الأمم الإيمان به واتباعه وتحكيم شريعته، فمن ادعى الإيمان به وبالقرآن ولم يحكّمه ولم يلتزم اتباعه في كل ما جاء به ولم يصدّقه في جميع أخباره فليس بمسلم ولا مؤمن، وإن مات على ذلك فهو من أصحاب الجحيم ولو ادعى أنه يؤمن بالله وحده لا شريك له ويؤمن بجميع الرسل، فإن الإيمان بالرسول وبالقرآن ليس هو مجرد التصديق من غير انقياد ولا اتباع ولا تحكيم، فإن كثيرًا من المشركين كانوا مصدقين للرسول ﷺ بقلوبهم، بل منهم من هو مصدق بقلبه وبلسانه مثل عمه أبي طالب، ولم ينفعهم هذا التصديق لمّا أصروا على عدم اتباعه، وهكذا اليهود والنصارى كانوا يعرفونه كما يعرفون آباءهم ومنهم من يُظهر تصديقه للرسول ﷺ، فلم تنفعهم هذه المعرفة وهذا التصديق؛ لما أَبوا اتباعه كانوا كفارًا وأحلّ الله له دماءهم وأموالهم، فقاتلهم الرسول ﷺ فأظهره الله عليهم وأظهر دينه على كل الأديان، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ٣٣﴾ [التوبة].

فالواجب على كل يهودي أو نصراني أن يدخل في دين الإسلام الذي أنزله الله على نبيه محمد ﷺ؛ لأنّ الرسالة المحمدية هي الخاتمة والناسخة للديانات السابقة، قال تعالى: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وفي الحديث الصحيح: «**والذي نفس محمد بيده؛ لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار**»[(١)].

وعلى هذا؛ فلا يصح من يهودي ولا نصراني دين يتدين به حتى يؤمن بشريعة الإسلام ويلتزم بحكم القرآن الكريم، فالقرآن مهيمن وناسخ للكتب السابقة، والتوراة والإنجيل منسوخة واعتراها التحريف والتبديل. والله تعالى أعلم.

الأفكار والوساوس في الاعتقاد

السؤال:

ابتليت بالوسواس القهري في كل أوجه حياتي في أمور الطهارة والوضوء والصلاة حتى في الاعتقاد، فما فتواكم؟

الجواب:

الحمد لله؛ نسأل الله أن يشفيك من هذا البلاء وأن يعيذك من كيد الشيطان، والواجب على من ابتلي بالوسواس في الطهارة أو في الصلاة ألا يستجيب لما يلقي الشيطان في نفسه من أن طهارته أو صلاته لم تصح حتى يضطره إلى تكرير الطهارة وإعادة الصلاة، فالذي أُوصي به

(١) أخرجه مسلم (١٥٣)؛ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

من ابتلي بهذا النوع من الوسواس أن يستعين ويستعيذ بالله، وألا يستجيب لوسواس الشيطان، ولا يلتفت لما يلقيه في قلبه من الشك في الطهارة أو في الصلاة بل عليه أن يتوضأ ويمضي ويصلي ولا يعيد شيئًا، ولو جاء في نفسه أنه أحدث ولو جاء في نفسه أنه لم تصح منه تكبيرة الإحرام أو لم يقرأ الفاتحة قراءة صحيحة فلا يلتفت إلى ذلك بل يمضي ويصبر ولو وجد في نفسه ضيقًا يدعوه إلى الإعادة والتكرار، ومتى صبر المسلم أو المسلمة وقاوم هذا الوسواس مستعينًا بربه ملتجئًا إليه صرف الله عنه كيد الشيطان وعافاه من شره.

وما ذكرت في السؤال أن الأمر وصل إلى الاعتقاد فاعلم أنه لا يضر الإنسان ما يجده في نفسه من أفكار ووساوس باطلة هو يبغضها ويكرهها، وما دام أنه على ذلك فإنها لا تضره بل إن كراهته وبغضه لهذه الوساوس يدل على صحة إيمانه وقوة إيمانه، فلولا ما معه من الإيمان لما خاف من هذه الخواطر، ولما قلقت نفسه من ورودها على قلبه.

إذن: فلا عليك أيها الأخ السائل من هذا الوسواس، ولا يضرك ما تجده في نفسك من هذه الوساوس الرديئة، ومن لطف الله بعباده سبحانه أنْ تجاوز عن هذه الأمة ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم[1]، فأنت -والحمد لله- تؤمن بالله ورسوله وكتابه ودينه، فإذا وجدت في نفسك هذه الخواطر فقل: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، ولا تشغل نفسك بها بل أعرض عنها وتشاغل، وقل: آمنت بالله ورسوله، والله أعلم.

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٥٢٦٩)؛ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

تخليد أهل المعاصي في النار

السؤال:

سؤالي عن الفتوى بخصوص أهل المعاصي، هل هم مخلدون في النار؟ الشيخ بيَّن أصنافًا من الناس وبين أن المشرك الكافر هو المخلد في النار، سؤالي عن أول من تسعر بهم النار من القراء والمجاهدين والمنفقين الذين فعلوا هذه الأعمال رياء وسمعة، فهل هم مخلدون في النار؟ أم أنهم يعتبرون من أهل التوحيد؟ جزاكم الله خيرًا. والسلام.

الجواب:

الحمد لله؛ الرياء في بعض الأعمال هو من جملة الذنوب، وحكم من جاهد أو أنفق أو تعلم رياء وهو مؤمن بالله ورسوله ﷺ وموحد، حُكْمه حكم سائر أهل المعاصي، وكون هؤلاء الثلاثة أول من تسعر بهم النار يدل على عظم جرمهم، وذلك أنهم عملوا هذه الأعمال لغير الله، وأظهروا أنها لله، فكانوا بذلك مشركين الشرك الأصغر، وهو الرياء، كما في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «**أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**» فسئل عنه، فقال: «**الرياء**»[1]، والأولية المذكورة في حديث الثلاثة هي أولية نسبية، ولعلها بالنسبة لصنف المرائين، نعوذ

(١) أخرجه أحمد (٢٣٦٣٠)؛ من حديث محمود بن لبيد رضي الله عنه، وحسن إسناده ابن حجر في «بلوغ المرام» (١٤٨٤)، وصحح الحديث الألباني في «صحيح الجامع» (١٥٥٥).

بالله من الرياء، ونسأله أن يجعل عملنا كله صالحًا، ولا يجعل لأحد فيه شيئًا، والله أعلم.

هل المعاصي توجب الخلود في النار؟

السؤال:

المسلم الذي يعمل الحسنات ويرتكب الذنوب فهل يخلد في النار أم أنه يعاقب على ما ارتكبه من ذنوب، ومن ثم يدخل الجنة بسبب أعماله الأخرى؟ فهناك قول إن الفرد إما أن يخلد في النار أو يدخل الجنة ولا يوجد قسم ثالث، نرجو الإفادة ولكم شكرنا.

الجواب:

الحمد لله؛ من مات مؤمنا بالله ورسوله عَلَيْهِ السَّلَامُ موحدًا لله لا يشرك به شيئًا، فإنه لابد من دخوله الجنة، فإن كانت له ذنوب مات وهو مصر عليها فإنه تحت مشيئة الله إن شاء الله غفر له وإن شاء عذبه كما يشاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ثم يخرجه من النار ويدخله الجنة؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، فمن مات على الشرك فهو الذي لابد له من دخول النار مخلدًا فيها، وأما ما دون الشرك فمن مات عليه ولم يتب فترجى له المغفرة، وإن لم يغفر له وعذب فإنه لا يخلد في النار كما تواترت الأحاديث عن النبي ﷺ بأنه يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه شيء من الإيمان؛ مثقال حبة من خردل من إيمان أو مثقال شعيرة كما هي ألفاظ للأحاديث الواردة في هذا المعنى.

وهذا مذهب أهل السنة والجماعة أن أهل الكبائر لا يخلدون في النار إذا ماتوا وهم موحدون.

وأما القول بأن من دخل النار لا يخرج منها وأن الناس فريقان إما من أهل النار خالدًا مخلدًا فيها، وإما من أهل الجنة فهذا القول هو قول المبتدعة من الخوارج والمعتزلة الذين يقولون: إن أهل الكبائر مستوجبون لدخول النار على وجه الخلود فيها، فخالفوا المذهب الحق من وجهين: قطعهم بدخول كل أهل الكبار في النار، ثم قولهم بتخليدهم في النار.

وعلى هذا؛ فالناس ثلاثة أقسام: منهم من يدخل الجنة بغير حساب ولا عذاب، ومنهم من يدخل النار ولا يخرج منها وهم الكفار، ومنهم من يدخل النار، فيمكث فيها ما شاء الله ثم يخرج منها ويدخله الله الجنة، وهذا الصنف تتفاوت مدة مكثهم في النار فمنهم من تطول مدة مكثهم ومنهم من تقصر والله تعالى أحكم الحاكمين، فجزاء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لعباده دائر بين الفضل والعدل، كما قيل:

إن عذبوا فبعدله أو نعموا
فبفضله وهو الكريم الواسع

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والله أعلم.

توجيه أحاديث الوعيد بتخليد أصحاب الكبائر في النار

السُّؤَالُ:

ما حكم من قتل نفسه متعمدًا؟ هل يدخل النار لا محالة؟ وإذا كان كذلك فإن هناك من يقتل شخصًا آخر مسلمًا بدون حق أو لغضب، ومع ذلك إذا تنازل الأقرباء لا يقتص منه، ويكون عليه عتق رقبة فهل هو في النار؟ وهل يعني دخوله النار أنه يكون مخلدًا؟

الجواب:

الحمد لله؛ قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ۝٩٣﴾ [النساء]، وثبت في الصحيحين عن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنه قال: «**من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا، ومن شرب سمًّا فقتل نفسه، فهو يتحساه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا، ومن تردى من جبل فقتل نفسه، فهو يتردى في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا**»[١]

فدلت الآية ودل الحديث على عظم تحريم قتل الإنسان نفسه أو قتله لغيره، وأن ذلك من كبائر الذنوب، فأما قتل الإنسان نفسه متعمدًا فلا يترتب عليه شيء من أحكام الدنيا ولا حق لأحد فيه ولا تجب فيه الكفارة، وهو إذا كان مسلمًا موحدًا فهو يوم القيامة تحت مشيئة الله إن

(١) أخرجه البخاري (٥٧٧٨)، ومسلم (١٠٩)؛ من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

شاء الله غفر له وإن شاء عذبه، وإن عذبه فإنه لا يخلد في النار، هذا ما عليه أهل السنة والجماعة، فكل من مات على التوحيد ولم يأت بناقض من نواقض الإسلام فإنه لابد له من دخول الجنة ولو بعد تمحيصه في النار، فإما أن يتجاوز الله عنه دون عذاب، أو يعذبه سبحانه ثم يخرجه من النار برحمته أو بشفاعة الشافعين من أوليائه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وهذا الحديث عند أهل السنة والجماعة محمول على الوعيد ومقيد بقوله تعالى: الآية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، ودل على خروجه من النار ما ثبت عن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنه قال: «**يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وفي قلبه وزن ذرة من خير -أو إيمان-**»[1] وما في معناه.

وأما من يقتل غيره متعمدًا فإنه من أهل الوعيد الذي في الآية الكريمة ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ۝٩٣﴾ [النساء]، والكلام في هذا الوعيد كالكلام في الوعيد الذي ورد في الحديث، فالقاتل إذا مات ولم يتب ومات على التوحيد والإسلام فإنه كذلك تحت مشيئة الله إن شاء الله غفر له وإن شاء عذبه ثم أخرجه من النار برحمته وشفاعة الشافعين من أهل طاعته، ولكن القاتل للنفس التي حرم الله يترتب على فعله مع الوعيد الشديد حقوق؛ فإما القصاص أو الدية، قال العلماء: إن القتل يتعلق به ثلاثة حقوق:

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤)، ومسلم (١٩٣)؛ من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

حق الله، فهذا يسقط بالتوبة، فإذا تاب العبد توبة نصوحًا تاب الله عليه، ومن شروط التوبة أن يسلم القاتل نفسه.

الثاني من الحقوق: حق أولياء المقتول، وهذا الحق يسقط بعفو الأولياء أو أخذهم الدية، وإلا اقتصوا منه بأن يقتلوه بالقتيل إذا توفرت شروط القصاص فلولي المقتول الأخذ به، وإن شاء تنازل إلى الدية أو عفا دون مقابل.

والحق الثالث: حق المقتول وهذا يستوفيه يوم القيامة، فإن كان القاتل قد تاب توبة نصوحًا، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بفضله يرجى أن يرضي المقتول عن حقه ويكرم عبده التائب، وإلا فإنه يستوفي حقه من حسناته، فيوم القيامة ليس فيه ما تقضى منه الحقوق إلا الحسنات والسيئات، كما جاء في حديث المفلس، وهو الذي يأتي بأعمال صالحة، ويأتي وقد ضرب هذا وشتم هذا وانتهك عرض هذا وأخذ مال هذا، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته ولم يؤد ما عليه أخذ من سيئات المظلومين ثم طرح عليه ثم طرح في النار[1].

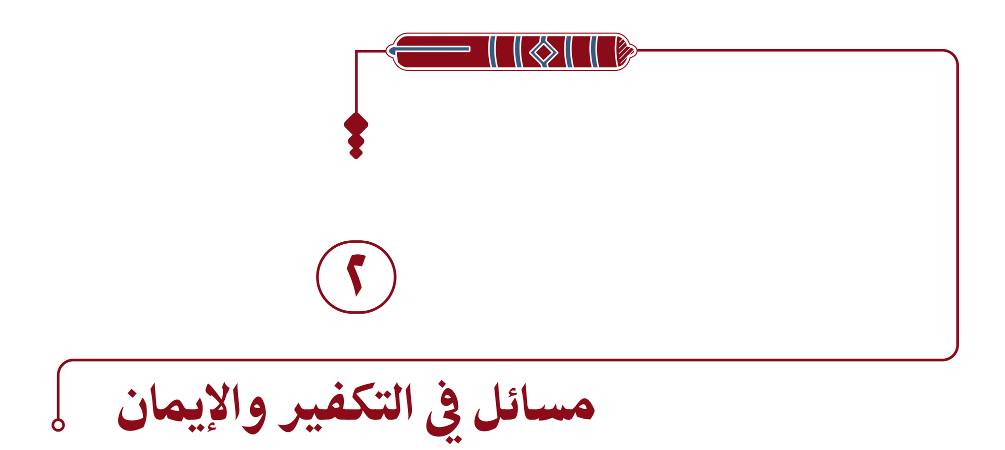
والقتل العمد ليس فيه كفارة، وإنما في قتل الخطأ، فقتل العمد أعظم وأكبر من أن تؤثر فيه الكفارة، وإنما تجب فيه الحقوق التي ذكرت، ويجب على القاتل التوبة النصوح، ويجب عليه تسليم نفسه لأولياء المقتول، ثم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يحكم فيه يوم القيامة بعدله.

---

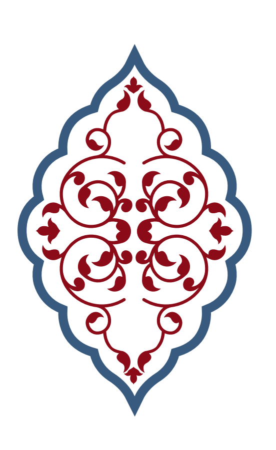
(١) أخرجه مسلم (٢٥٨١)؛ من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وبهذا نعرف أن المؤمن الموحد لا يخلد في النار مهما كانت ذنوبه، بل هو تحت مشيئة الله، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة، خلافًا للخوارج والمعتزلة، فإن الخوارج والمعتزلة يقولون إن من مات مصرًا على كبيرة من كبائر الذنوب، أي: لم يتب منها؛ فإنه لا بد أن يدخل النار، وإذا دخلها فإنه لا يخرج منها، بل يكون مخلدًا فيها، وهذا قول باطل مخالف للنصوص الصحيحة في خروج الموحدين من النار، والله أعلم.

- ❊ ■ ❊ ■ ❊ -



مسائل في التكفير والإيمان



أهل الفترة

السُّؤَالُ:

نسأل المشايخ الكرام عن أهل الفترة من هم؟ والذين يعبدون غير الله ولم تصلهم رسالة الإسلام ما حكمهم؟

الجواب:

الحمد لله؛ المراد بأهل الفترة الذين يذكرهم العلماء هم الذين نشؤوا بين رسالتين، فلم تبلغهم الرسالة الأولى، يعني رسالة الرسول السابق، ولم يدركوا الرسول الآخر، مثل: أكثر البشرية قبل بعثة محمد ﷺ.

فهؤلاء قد ورد أنهم يوم القيامة يمتحنون فيتبين المطيع من العاصي، يتبين من لو جاءه رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لآمن به واتبعه، ومن لو جاءه الرسول ﷺ لكذبه وعصاه، فيظهر الله حقائقهم بما شاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ويجزيهم بحسب ذلك، وهو الحكيم العليم العدل الرحيم، والله أعلم.

تكفير الإمام أحمد للجهمية

السُّؤَالُ:

لماذا لم يكفر الإمام أحمد أئمة الجهمية مع ظهور كفرهم؟

الجواب:

الحمد لله؛ لقد استفاض عن الأئمة تكفير الجهمية بالعموم، قال ابن القيم: نُقِل تكفير الجهمية عن خمسمئة من العلماء، ونظم هذا في الكافية الشافية فقال:

ولقد تقلد كفرهم خمسون في
عشر من العلماء في البلدان
واللالكائي الإمام حكاه عنـ
ـهم بل حكاه قبله الطبراني

كما استفاض عن الإمام أحمد وغيره قولهم: من قال القرآن مخلوق فهو كافر، وهذا قول الجهمية والمعتزلة.

ولا ريب أن من أقيمت عليه الحجة وبين له بطلان بدعته وظهر عناده فإنه كافر؛ فيكفر بعينه، هذا وقد نقل الخلال في السُّنة[1]، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد[2] عن أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تكفير ابن أبي دؤاد، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مجموع الفتاوى: «وقد نقل عن الإمام أحمد أنه كفّر قومًا معينين [من الجهمية]»[3]، والله أعلم.

الحكم بالنفاق على من ظهرت عليه علاماته والفرق بين النفاق العملي والاعتقادي

السؤال:

إذا كان النفاق في القلب، فما الجمع بين ذلك وبين قول ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق

(١) «السّنة» (٥ / ١١٧).
(٢) «تاريخ بغداد» (٤ / ١٥٣).
(٣) «مجموع الفتاوى» (١٢/ ٤٨٩).

معلوم النفاق»[١]؟ وهل إذا ظهرت على إنسان أمارات النفاق يحكم عليه به؟

الجواب:

الحمد لله؛ من ظهرت عليه علامات النفاق؛ كالعلامات التي ذكرها الرسول ﷺ في قوله: «**آية المنافق ثلاث...**»[٢]، وقوله: «**أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا اؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر**»[٣] فهو منافق النفاق العملي؛ لأن هذه الآيات -أي: العلامات- من النفاق العملي، ولا يلزم أن يكون صاحبها منافقًا النفاق الاعتقادي، وقول ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق»، هو خبر عن الواقع، وهو أنهم كانوا لا يتخلف عندهم عن صلاة الجماعة إلا رجل يعرفون نفاقه، فيُستدل بتخلفه على أنه من المنافقين، وأما مجرد التخلف عن صلاة الجماعة فلا يُوجب الحكم على المتخلف بالنفاق -أي: النفاق الاعتقادي- وإن كان قد أتى بخصلة من خصال المنافقين، ولا بد من هذا التفصيل، والله أعلم.

---

(١) أخرجه مسلم (٦٥٤).

(٢) أخرجه البخاري (٣٣)، ومسلم: (٥٩)؛ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري (٣٤)، ومسلم: (٥٨)؛ من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

تكفير المعين المستهزئ بالدين

السُّؤَال:

من المعلوم أن الاستهزاء بالدين أحد نواقض الإسلام، وكفر مخرج من الملة، ولكن هل يقال بأن هذا المستهزئ -بعد إقامة الحجة عليه وإصراره على ذلك- كافر؟ أي هل يكفر بعينه؟ أفيدونا مأجورين.

الجواب:

الحمد لله؛ من استهزأ بشيء مما جاء به الرسولُ ﷺ من القرآن أو من السنة الصحيحة أو من شرائع الإسلام: كالصلاة والصيام والحج فإنه يكفر بذلك بعينه، ومثل هذا لا يجهل تحريمه وقبحه من كان عائشًا بين المسلمين، فإن الله تعالى قال في المنافقين الذين سخروا من النبي ﷺ وأصحابه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ فأنزل الله فيهم: ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦]، فحكم عليهم سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بالكفر بأعيانهم، فمن استهزأ بالله أو بالرسول ﷺ أو بالقرآن أو بشرائع الإسلام عالمًا عامدًا مختارًا فإنه كافر بعينه، فنقول هو كافر، يعني أنه يصير مرتدًا عن الإسلام، تجب استتابته، فإن تاب وإلا قتل؛ لقوله ﷺ: «**من بدل دينه فاقتلوه**»[1]، نعوذ بالله من زيغ القلوب، والله أعلم.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠١٧)؛ من حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

يستهزئ بالدين لكي يضحكهم

السؤال:

حقيقة أجد في نفسي مالا يعلمه إلا الله، وهو أني أجد بعض من أعرفهم قد يقع في كلمة استهتار، وهم حريصون على الخير، السؤال هل أنا آثم في عدم تكفيرهم مع أني أعرف أنهم حريصون على الدين لكنهم يقعون في زلل وخاصة في أمور الضحك ولا يبالون، حتى إني أحدث نفسي في بطلان عقود نكاحهم وأمور أخرى، فهل أنا ملزم بتكفيرهم؟ وما هي ضوابط تكفير المستهتر؟ وهل أي شخص يخوض بها؟ أرجو منكم التكرم بالإجابة السريعة وإيجاد الحل وجزاكم الله خيرًا.

الجواب:

الحمد لله؛ إن الإيمان بالله ورسوله ﷺ يتضمن تعظيم الله ورسوله والحذر من التنقص لله أو لرسوله أو لدينه وكتابه، الاستهزاء كما أخبر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن حال المنافقين، قال تعالى: ﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٤-٦٦].

فمن استهزأ بالله أو برسوله أو بدينه أو بآياته، كفر؛ لقوله تعالى في المستهزئين: ﴿قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾، فالاستهزاء بالله وآياته ورسله

ناقض من نواقض الإيمان وردة عن الإسلام سواء أكان المستهزئ جادًّا أم هازلًا؛ لأن المستهزئين الذين ذكرهم الله اعتذروا بأنهم قالوا ما قالوا خوضًا ولعبًا: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ [التوبة: ٦٥]، فالواجب على من حضر في مجلس يستهزأ فيه بآيات الله ودينه أن ينكر ذلك، ويبين للمستهزئ أن ذلك كفر ويحذره من الإصرار على ذلك، فإن أظهر الرجوع فهذا هو المطلوب، وإن أصر على الباطل وجب القيام من ذلك المجلس والرفع إلى الجهات المختصة لإقامة حكم الردة، وحكم المرتد هو القتل، إلا أن يتوب.

وأنت أيها السائل لم تذكر شيئًا من ألفاظ من ذكرت عنهم الاستهزاء والسخرية ببعض أمور الدين ليتبين حكمهم، ولم تذكر أنك أنكرت عليهم وفارقتهم، فإن الواجب عليك ألا تجلس معهم، إلا أن يكفوا عن منكرهم، كما قال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ۝١٤٠﴾ [النساء]، وقال ﷺ: «**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**»[1]، ولا يجب عليك تكفيرهم بأعيانهم؛ لأن تكفير المعين يتوقف على وجود شروط وانتفاء موانع ولكن الذي يجب هو الإنكار والمفارقة والتبليغ عمن أصر وجاهر بالمنكر من كفر أو معصية.

وعلى هذا؛ فلا تبطل عقود نكاحهم إلا إذا حكم عليهم بالكفر بأعيانهم وذلك بعد محاكمتهم وإقامة الحجة عليهم، والله أعلم.

(١) أخرجه مسلم (٤٩)؛ من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

هل من شرط الحكم بالكفر على من ارتكبه أن يعلم أنه كفر، أو يكفي علمه بحرمته؟

السُّؤَالُ:

الجمهور يقول إن المرء يكفر بالقول والفعل، وإن لم يَعلم بأنه كُفْر. والنووي يقول إنه لا يكفر إلا بما يعتقده أو يفعله عالمًا بأنه يوجب الكفر. فنرجو توضيح هذا الإشكال ومتى يعذر المرء بالجهل؟

الجواب:

الحمد لله؛ أصل الإيمان والإسلام تصديق القلب، والإقرارُ بالشهادتين ظاهرًا وباطنًا، ومعنى هذا أن أصل الدين هو التوحيد والإقرار برسالة محمد ﷺ، فكل ما ناقض واحدًا من هذين الأصلين أو هما معًا فإنه كفر، ولو لم يَعلم معتقده، أو قائله، أو فاعله أنه كفر، ما دام أنه يعلم تحريمه ومخالفته للشرع، فليس من شرط الحكم بالكفر على من ارتكبه أن يعلم أنه كفر، لكن الشرط أن يعلم أنه مخالف لما جاء به الرسول ﷺ.

ونظير هذا أن من فعل كبيرة من كبائر الذنوب فإنه لا يعفيه من تبعة هذا الذنب وعقوبته أن يقول: لم أعلم أنها كبيرة، أو لم أعلم أنه تترتب عليها هذه العقوبة، وكل مسلم يعلم أن الاستهزاء بالقرآن أو الرسل عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ أنه حرام، فمن استهزأ بالله أو آياته أو رسوله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ

فإنه كافر، ولو لم يعلم أن ذلك كفر، وكذا من سجد لصنم، فإنه يصير بذلك مشركًا، ولو لم يعلم أنه شرك مخرج من الملة، فلا يقبل منه أن يقول: ما ظننت أنه يصل إلى هذه الدرجة في التحريم.

وأسباب الردة الاعتقادية والقولية والعملية كثيرة، فمن وقع في شيء منها عالمًا عامدًا كفر، لكن يعذر المكلف في الأسباب الظاهرة؛ كالأقوال والأفعال إذا أكره عليها، لقوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٦﴾ [النحل]، وأما الاعتقادات الموجبة للكفر فلا يُتصور الإكراه عليها؛ لأنه لا سلطان للبشر إلا على ما ظهر من الأقوال والأفعال، فالواجب الحذر من أسباب الكفر، وقانا الله منها وثبتنا على دينه إنه سميع الدعاء، والله أعلم.

حكم من تكررت منه الردة

السؤال:

لقد تركت الإسلام وعدت ثلاث مرات وأشعر أن هذا بسبب المعتقدات التي أشربتها فكيف أرسخ إيماني والتقوى في قلبي؟

الجواب:

الحمد لله؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٨٥﴾ [آل عمران].

وحقيقة الإسلام هي الاستسلام لله وحده بعبادته وحده لا شريك له وطاعته، وطاعة رسوله ﷺ، وأصل دين الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فيجب على كل مسلم أن يدين بالإسلام، فيخلص العبادة لله، ويتبع النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فمن استقام على ذلك حتى يموت كان من أهل الجنة، ومن لم يدخل في الإسلام حتى مات كان من أهل النار، ومن دخل فيه ثم رجع عنه وتركه كان مرتدًّا كافرًا، فإن مات على كفره كان من أهل النار، وإن تاب ورجع إلى الإسلام واستقام على ذلك حتى الممات لم تضره ردته، وكان من أهل الجنة، ولو وقعت منه الردة أكثر من مرة. ولكن يُخشى على من تكررت منه الردة عن الإسلام عدة مرات ألا يوفق إلى التوبة، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ١٣٧﴾ [النساء].

فبادر أيها السائل بالتوبة النصوح واستقم على الإسلام وحافظ على فرائضه التي فرضها الله على عباده، وأعظم ذلك الصلوات الخمس، واجتنب المعاصي، وسل ربك الثبات على دينه وإذا عرض لك فتور فاستعن بالله، واستعذ بالله من الشيطان، وإذا عرض لك في نفسك وسواس يشكك في الإسلام أو في بعض أصوله فأعرض عنه، واستعذ بالله من الشيطان، وقل: آمنت بالله ورسوله. وعليك بتلاوة القرآن، وقراءة الكتب التي تحبب إليك الإسلام، وترغبك في طاعة الله، مثل كتاب «رياض الصالحين» للإمام النووي، وتفسير العلامة عبد الرحمن السعدي «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان»، واحذر من

الكتب التي تشكك في الإسلام، وتزين لك المعاصي، واحذر من قرناء السوء فإنهم من شياطين الإنس، وعليك بالأصحاب الذين يعينونك على الاستقامة، واحذر من الجدال في أمور الدين فإنه يسبب القلق والحيرة، وجاهد نفسك في طاعة الله فإنه يهدي المجاهدين إلى طريق الرشاد، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾ [العنكبوت].

الحكم على الكافر المعيَّن بالنار

السؤال:

أنا كنت أعلم أن من مات كافرًا يجوز لعنه والشهادة بأنه من أهل النار، وقد سمعت من شريط للشيخ محمد بن صالح العثيمين -رحمه الله وأدخله فسيح جناته وأكرمه في عليين- بأننا لا نشهد لكافر معين بأنه من أهل النار؛ بل نقول: إن من مات على الكفر فإنه من أهل النار. هل أنا كنت على خطأ أم ماذا؟

الجواب:

الحمد لله؛ قال الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ١٨﴾ [النساء]، وقال سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢١٧﴾

[البقرة]، دلت هاتان الآيتان على أن كل من مات وهو كافر فقد أعد الله له عذابًا أليمًا وأنه من الخالدين في النار.

وهذا حكم عام يجب الإيمان به على عمومه، فيجب اعتقاد أن كل من مات على الكفر فهو في النار حكمًا عامًّا. وهذا لا يوجب الحكم على المعين والشهادة على المعين بأنه في النار، ولو صح هذا لما كان بين الحكم العام والخاص فرق. ومَنْ دلت النصوص على أنه في النار بعينه وجبت الشهادة له بذلك، ويشبه هذا الشهادةُ لكل من مات مؤمنًا بأنه في الجنة، ومع ذلك لا نشهد لمعين بالجنة إلا لمن شهد له الرسول ﷺ، وإذا كنت سمعت من الشيخ محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه يقرر ذلك فهو مرجعٌ علميٌّ، فعليك ألا تستمر على اعتقادك السابق؛ بل عليك أن تأخذ بما بينه العلماء من الفرق بين الحكم العام والخاص، فلا يلزم من ثبوت الحكم العام ثبوت الحكم الخاص، كما نقول: حكم السارق قطع يده، ويجوز لعن السارق، لقوله ﷺ: «**لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده...**» الحديث[١]، ومع ذلك لا يلزم من ذلك قطع يد السارق المعين؛ لأن ثبوت الحكم لمعين يتوقف على ثبوت شروط وانتفاء موانع، فنقول: لعن الله السارق، ولعن الله شارب الخمر، ولعن الله آكل الربا، ولا يجوز لنا لعن المعين لكونه سارقًا أو شاربًا أو آكل ربا، فتنبه بارك الله فيك، والله أعلم.

(١) أخرجه البخاري (٦٧٨٣)، ومسلم (١٦٨٧)؛ من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

الحكم على كافر معين بالنار
«زادت النار شخصًا بموته»

السؤال:

ما رأيكم فيمن إذا ذكر له أن أحد النصارى قد مات كان تعليقه: هو كافر في النار لا رده الله، أو: زادت النار شخصًا بموته؟

الجواب:

الحمد لله؛ معلوم بالضرورة من دين الإسلام أن اليهود والنصارى كفار؛ لما ارتكبوه من أنواع الكفر قبل مبعث النبي محمد ﷺ؛ من تحريف كتب الله، والشرك بالله، واتخاذهم الأحبار والرهبان أربابًا من دون الله، والمسيح بن مريم، وقول النصارى: إن الله ثالث ثلاثة. واتخاذهم المسيح وأمه إلهين من دون الله، وقولهم: المسيح ابن الله، وكقتل اليهود للأنبياء، وقولهم: ﴿إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ [النساء: ١٥٧]. ثم كفروا مع ذلك بتكذيبهم لمحمد ﷺ، خاتم النبيين.

واليهود والنصارى المعاصرون سبيلهم سبيل أسلافهم في الكفر والشرك، وعداوة الأنبياء، ولو سلموا من كل أنواع الكفر لكفاهم كفرًا وبعدًا عن رحمة الله تكذيبهم لرسالة محمد ﷺ، فمن مات منهم على ذلك فهو في النار، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٦﴾ [البينة]، وثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار**»[1].

(١) أخرجه مسلم (١٥٣)؛ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فيجب على كل مسلم اعتقاد كفر اليهود والنصارى، وأن من مات منهم ولم يؤمن بمحمد ﷺ فهو في النار خالدًا مخلدًا فيها، ومن لم يقرّ بذلك من المسلمين، بل زعم أن اليهود والنصارى على دين صحيح، فإنه كافر مرتد بذلك عن دين الإسلام، ولو زعم أنه مسلم، ولكن لا يشهد على معين ممن مات منهم بأنه في النار لعدم العلم بحقيقة أمره وبما مات عليه، ولكن من عُلم منهم بكثرة الفساد والطغيان، وشدة الكفران، فإنه يجوز لعنه والدعاء عليه بالنار، والبعد عن رحمة الله، فما ذكر في السؤال يجوز في هذا النوع من الكفار ممن اشتهر بالشر واشتدت عداوته للإسلام والمسلمين، والله أعلم.

الرد على من قال: لا نكفر اليهود والنصارى بأعيانهم

السؤال:

نقل لي طالب عن أستاذ لديهم (أستاذ في العقيدة) يقول: إن اليهود والنصارى كفار بعمومهم، لكن لا نكفر أعيانهم؛ لأننا لا نملك آلة التكفير، فهل هذا القول صحيح؟

الجواب:

الحمد لله؛ إن اليهود والنصارى وسائر طوائف المشركين الوثنيين كفارٌ بحكم الله ورسوله، وهذا الوصف ثابتٌ لهم عمومًا وخصوصًا، قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٧]، وقال سبحانه: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣]، وقال في اليهود: ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ

عَلَىٰ غَضَبٍۚ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿٩٠﴾ [البقرة]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ﴿٦﴾﴾ [البينة]، وقال سبحانه: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَلَعَنَهُمۡ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرٗا ﴿٦﴾﴾ [الفتح].

دلَّت الآيات على حكمهم في الدنيا وهو الكفر، فالكفر وصف لجميعهم، وهذا الوصف ثابت لأعيانهم؛ لأن وصف اليهودية والنصرانية والوثنية قائم بهم، فنقول: كل يهودي أو نصراني أو وثني تجري عليه أحكام الكفار في الدنيا، فهذا لا فرق فيه بين الحكم العام أو الحكم على معين، وأما حكمهم في الآخرة، فهو الذي فيه التفصيل، فنقول: اليهود والنصارى -مثلًا- من مات منهم ولم يتب فهو في النار، ولكننا لا نشهد لمعين منهم بأنه في النار؛ لأننا لا ندري عن حقيقة حاله فيما بينه وبين ربه، ولا ندري خاتمته، كما نفعل نظير ذلك في الحكم على المسلمين، فنشهد لكل من أظهر الإسلام بالإسلام، ونشهد لعموم المسلمين بالجنة، ولا نشهد لمعين منهم بالجنة؛ لأننا لا نعلم سريرته ولا ما يختم له به، والحكم في الدنيا على الظواهر، وفي الآخرة على السرائر. ومن ذلك الحكم بالكفر والإسلام فيثبت الإسلام لكل من أظهر الإسلام، ويثبت الكفر لكل من لم يدخل في الإسلام، لكن المسلم المعين إذا وقع في ناقض من نواقض الإسلام فإنه يتوقف فيه، فلا يحكم عليه بالكفر إلا بعد تحقق شروط التكفير وانتفاء الموانع، لأن الأصل فيه الإسلام،

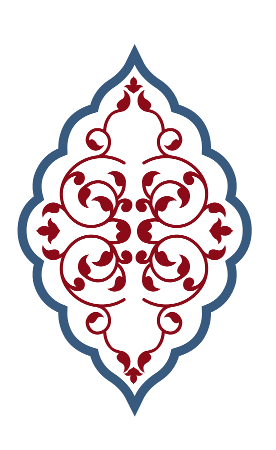
بخلاف اليهودي والنصراني وغيرهما من طوائف الكفر، فإن الأصل فيهم الكفر، فلا يتوقف الحكم عليهم بتحقق شروط وانتفاء موانع.

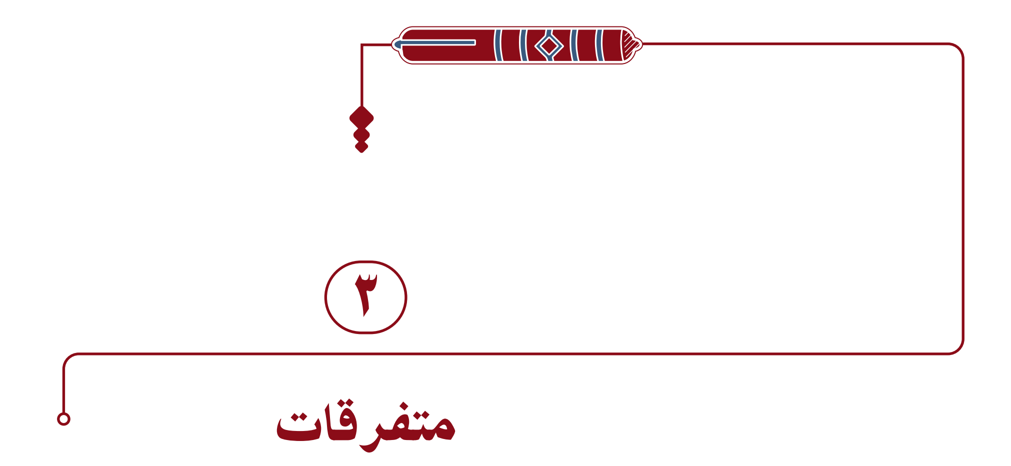
ويجب أن يعلم أن امتناع إطلاق اسم الكفر على اليهود والنصارى ردٌّ لحكم الله ورسوله، ومن اعتقد أنهم على دين صحيح فإنه كافرٌ كفرًا أعظم من كفر اليهودي والنصراني؛ لأنَّ كفر المرتد أعظمُ من كفر الكافر الأصلي.

فيجب على المسلم الحذر من هذه الدعوات الباطلة التي فيها مصانعة لأعداء الله، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ ١٠٠﴾ [آل عمران].

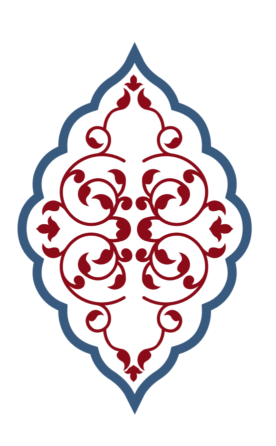
نعوذ بالله من الخذلان، ونسأله الثبات على دينه، إنه تعالى سميع مجيب، والله أعلم.

- ❊ ■ ❊ ■ ❊ -





متفرقات



الفرق بين الكفر والشرك

السُّؤَالُ:

ما الفرق بين الشرك والكفر، وأيهما أعم؟

الجواب:

الحمد لله؛ من المعروف أن الشرك منه أكبر ومنه أصغر، وكذلك الكفر، والذي يظهر أن السؤال عن الفرق بين الكفر الأكبر والشرك الأكبر، فإن كلا من الشرك الأصغر والكفر الأصغر من أنواع المعاصي، بل من الكبائر، فأما الشرك الأكبر فهو اتخاذ ند لله في العبادة، كما قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ۝٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٢٢﴾ [البقرة]، وعن ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قلت: يا رسول الله: أي الذنب أعظم؟ قال: «**أن تجعل لله ندًّا وهو خلقك**»[1].

وأما الكفر الأكبر فكل ما يناقض الشهادتين شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ومعلوم أن الشرك الأكبر يناقض شهادة أن لا إله إلا الله كل المناقضة؛ فهو كفر أكبر، ومن الكفر تكذيب النبي ﷺ ظاهرًا، وهو الجحود، أو باطنًا وهو: النفاق، ومن الكفر الاستهزاء بالله عَزَّوَجَلَّ

---

(١) أخرجه البخاري (٤٢٠٧)، ومسلم (٨٦).

أو بالقرآن أو بالرسول ﷺ، كما قال سبحانه: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ۝ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥-٦٦].

وبهذا يتبين أن بين الشرك الأكبر والكفر الأكبر عمومًا وخصوصًا، فكل شرك أكبر فهو كفر، وليس كل كفر أكبر شركًا، والله أعلم.

هل الإسلام يزيد وينقص، كالإيمان

السؤال:

هل يُقال: الإسلام يزيد وينقص كما يقال الإيمان يزيد وينقص؟

الجواب:

الحمد لله؛ الذي ورد في النصوص ذكر زيادة الإيمان، كقوله تعالى: ﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الفتح: ٤]، وقوله: ﴿إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [الأنفال: ٢]، وقوله: ﴿فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [التوبة: ١٢٤]، ولم يأت مثل ذلك في الإسلام، ولهذا فالعلماء لا يذكرون الزيادة والنقص إلا في الإيمان، ولكن الإسلام الذي يتضمن الإيمان هو في الحقيقة يزيد وينقص، وأما الإسلام الذي ليس معه إيمان فهو إسلام لغوي فلا يزيد ولا ينقص، وعلى هذا؛ فلفظ (الإسلام) يحتمل المعنيين، ولأجل هذا الاحتمال لا يصح إطلاق القول بأنه يزيد وينقص، فتدبر ذلك، والله أعلم.

من مات قبل أن تبلغه الدعوة

السؤال:

ما حكم من مات من النصارى على كفره وذلك لأحد سببين:

أولًا: لأنه لم يُدْعَ إلى الإسلام.

ثانيًا: أنه دعاه مسلم ضعيف بالدعوة، فلم يقتنع بالإسلام بسبب ضعف الداعي في دعوته؟

الجواب:

الحمد لله؛ اليهود والنصارى وسائر الأمم من الوثنيين المشركين أو الدهريين كل أولئك كفار، وإن كان بعضهم أكفر من بعض، وكل من مات منهم على كفره فإنه في نار جهنم، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾﴾ [محمد]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌۚ أُوْلَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾﴾ [النساء]، ومن لم يُدْعَ منهم للإسلام أو لم يعرف الإسلام على وجهه فإن الله تعالى يحكم فيه يوم القيامة بحكمه العدل، وهو أعلم بأحوال عباده الظاهرة والباطنة.

فمن لم تبلغه دعوة الرسول ﷺ فإنه من جنس أصحاب الفترة، وأهل الفترة ومن أشبههم كالمجانين فإنه قد جاءت أحاديث[1] تدل على أنهم

(١) ومن تلك الأحاديث: ما أخرجه ابن راهويه في «مسنده» (٤١)، والبزار (٩٥٩٧)؛ من حديث الأسود بن سريع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي ﷺ قال: «**أربعة يحتجون يوم** =

يمتحنون يوم القيامة بما يكشف حقائقهم، فيتبين المطيع منهم من العاصي، فيجزون بحسب ذلك، فالمقصود أن من مات من الكفار فهو في النار، لكننا لا نشهد على معين من الكفار أنه من أهل النار، لعدم علمنا بما ختم له به، وبحقيقة حاله، والله الذي يعلم حقائق العباد، وهو الذي يجزي عباده على الحسنات بفضله وعلى السيئات بعدله، ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [الأنعام]، والله أعلم.

الاستثناء في الإيمان

السؤال:

نفع الله بكم وبعلمكم، هل يجوز الاستثناء في أصل الإيمان؟ أفتونا مأجورين بشيء من التفصيل بارك الله فيكم.

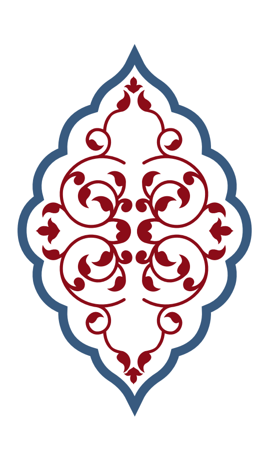
الجواب:

الحمد لله؛ من منّ الله عليه بالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالقدر خيره وشره، فلا يجوز له أن يستثني على وجه الشك في إيمانه،

= القيامة: رجل أصم، ورجل أحمق، ورجل هرم، ورجل مات في الفترة، فأما الأصم فيقول: رب لقد جاء الإسلام ولم أسمع شيئًا، وأما الأحمق فيقول: رب لقد جاء الإسلام والصبيان يحذفوني بالبعر، وأما الهرم فيقول: رب لقد جاء الإسلام وما أعقل، وأما الذي مات في الفترة فيقول: رب ما أتاني لك رسول، فيأخذ مواثيقهم ليطيعنه، فيرسل إليهم رسولًا أن ادخلوا النار، قال: فوالذي نفسي بيده لو دخلوها كانت عليهم بردًا وسلامًا»، وصححه ابن حبان (٧٣٥٧)، وجاء في معنى هذا الحديث عندهما موقوفًا على أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وفيه: «فمن دخلها كانت عليه بردًا وسلامًا، ومن لم يدخلها دخل النار».

وكيف يستثني وهو يعلم أنه مؤمن بالله ورسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ولكن إنما يشرع للإنسان أن يستثني على وجه الاحتراز من تزكية نفسه ووصفها بالإيمان المطلق، كأن يقول: أنا مؤمن، فاحترازًا من تزكية النفس، وادعاء الكمال شُرع له أن يستثني، فيقول: أنا مؤمن إن شاء الله، فإذا قيل للإنسان: هل أنت مؤمن؟ فليقل: نعم، أنا أومن بالله وملائكته وكتبه ورسله عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وعلى هذا؛ فيحرم الاستثناء على وجه الشك، ويجب أو يستحب احترازًا عن تزكية النفس؛ لأن الإنسان مهما كان قائمًا بطاعة الله فلا يليق به دعوى الكمال، والمؤمنون الكمل أبعد ما يكونون عن الدعوى، بل يخافون على أنفسهم ويشعرون بالتقصير ويلزمون الاستغفار، وذلك من كمال تحقيق الإيمان ومن كمال البصيرة، وكمال المعرفة بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وبعظيم حقه على عباده، نسأل الله أن يمن على الجميع بالهداية والمغفرة فهو أهل التقوى وأهل المغفرة، والله أعلم.





خامسًا

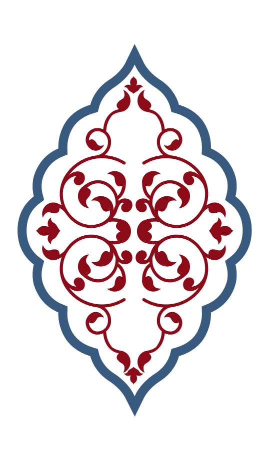
موالاة الكفار وأحكامهم

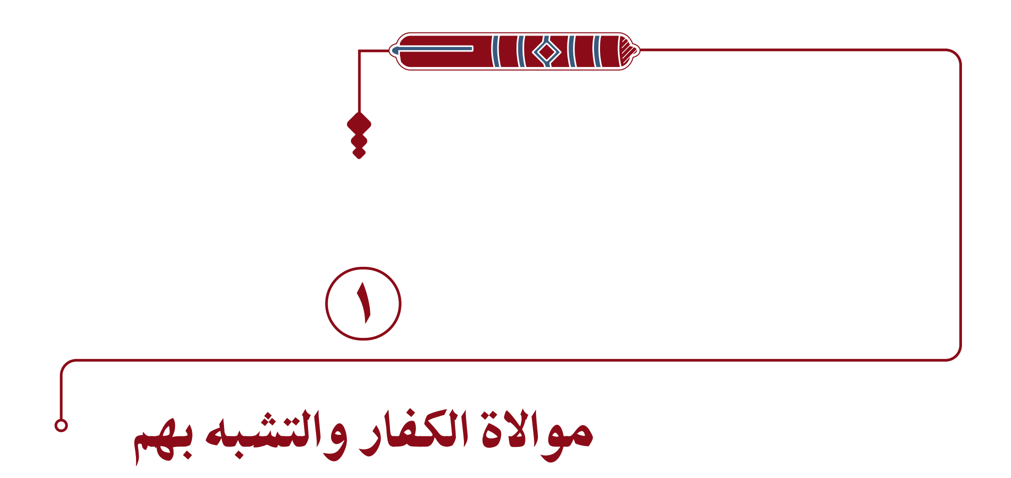
ويتضمن قضايا؛ وهي:

١ـ موالاة الكفار والتشبه بهم.

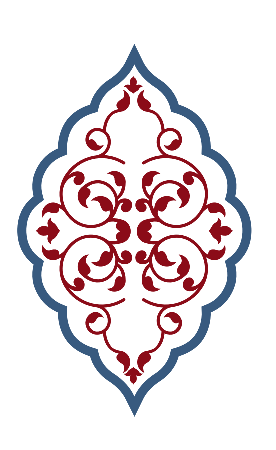
٢ـ بغض الكفار ومعاملتهم وأحكامهم.





موالاة الكفار والتشبه بهم



حفلات عيد الميلاد للأطفال

السُّؤال:

أهل زوجي اعتادوا أن يقيموا حفلة لكل طفل فقط إذا أكمل السنة فبعد السنة بأسبوع تقريبًا يقيمون الحفلة، ويحضرون الهدايا فما حكم هذا الاحتفال؟

الجواب:

الحمد لله؛ إن من المقاصد الشرعية تميز المسلمين عن الكفار، بترك التشبه بهم في أمور دينهم وعوائدهم الخاصة، وأكثر الشرور التي شاعت في مجتمعات المسلمين منشؤها التشبه بالكفار، والتشبه بالكفار على مراتب، وقد ينتهي إلى الكفر، وسبب التشبه بالكفار الجهل بدين الإسلام ومقاصده، وكذلك الإعجاب بالكفار بسبب ما أوتوا من حظوظ الدنيا ومظاهر الحضارة، ومن القواعد في علم الاجتماع أن الضعيف يقلد القوي.

وما ذكر في السؤال من الاحتفال عند مرور سنة على المولود هو نوع من التشبه المذموم، والناس في هذا لهم عادات مختلفة؛ فمنهم من يتوسع في حفلات الموالد ويكثر منها، فمنهم من يحتفل بمولد الأم والأب والأولاد كلهم، بعد سنة أو بعد سنتين، ومنهم من يقتصر على الاحتفال بمرور السنة الأولى على المولود، ومما يشبه الاحتفال بالمولد احتفال الزوجين بذكرى زواجهما بعد سنة، أو عشر سنين، أو خمسين، أو أكثر أو أقل، وكلها عادات دخيلة على المسلمين، فينبغي تجنبها.

والفرح بالأولاد وإعطاؤهم الهدايا ليس له وقت محدد، فالفرح بهم معتاد في كل وقت، والأولاد مِن نعمة الله التي يجب شكرها، ومِنْ شكر نعمة الأولاد تربيتهم على الأخلاق الفاضلة، وعلى طاعته سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، والدعاء بصلاحهم، كما قال تعالى عن عباد الرحمن: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان]، والله أعلم.

السخرية بالكفار

السؤال:

هل تجوز السخرية بالكفار؟

الجواب:

الحمد لله؛ إنَّ السخرية بالكفار والاستهزاء بهم جائز، وذلك جزاءً لهم على سخريتهم بالمسلمين أو بأحدٍ منهم، كما قال نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [هود]، هذا في المعين منهم، وأما الكفار على وجه العموم فتجوز السخرية والاستهزاء بهم -كما تقدم- لقبح أفعالهم وفساد اعتقاداتهم، فينبغي أن يُقصد بذلك التنفيرُ عن أفعالهم وعقائدهم.

وأما الاستهزاء لغير ذلك فهو من الفضول الذي لا ينبغي للعاقل أن يضيع فيه وقته، ولْيَحمد الله على العافية والهداية للإسلام، والله أعلم.

الفرق بين موالاة الكفار وتوليهم

السؤال:

ما الفرق بين (موالاة الكفار) و(تولي الكفار)؟ وما حكم كل منهما؟ بالتفصيل، وجزاكم الله خيرًا.

الجواب:

الحمد لله؛ لقد نهى الله عباده المؤمنين عن اتخاذ الكفار أولياء في آيات عدة كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾﴾ [النساء]، وقال: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ الآية [آل عمران: ٢٨]، وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة]، فاتخاذهم أولياء هو اعتبارهم أصدقاء وأحبابًا وأنصارًا، وذلك يظهر بالحفاوة بهم وإكرامهم وتعظيمهم، ومما يوضح ذلك قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ الآية [المجادلة: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾ الآية [الممتحنة: ١]، فدلَّت الآيتان على أن اتخاذهم أولياء يتضمن مودتهم.

وجاء ذكر التولي في آيات، كقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ الآية [المائدة: ٥١]، وقوله: ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [المائدة]، وتولي الكافرين هو معنى اتخاذهم أولياء، وفسَّر (التولي) في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١] بنصرتهم على المسلمين، ولهذا كانت مظاهرة الكفار ومعاونتهم ضد المسلمين من أنواع الردة؛ لأن ذلك يتضمن مقاومة الإسلام، والرغبة في اضمحلاله، وذل أهله.

وأما الموالاة فلم يأت لفظها في القرآن فيما أعلم، والذي يظهر أن الموالاة والتولي معناهما واحد أو متقارب، ولكن من العلماء من فرق بينهما؛ فخصَّ الموالاة بتقديم الخدمات للكفار حفاوة بهم وإكرامًا، والتولي بنصرتهم على المسلمين، وأن الموالاة كبيرة، والتولي ردة كما تقدم.

فالواجب على المسلمين أن يبغضوا الكافرين وأن يعادوهم في الله، وأن يجاهدوهم في الله ولإعلاء كلمة الله، وهذا لا يمنع من معاملتهم في أمور الحياة كالتجارة، ولا يوجب الغدر بما أعطوا من عهد، بل يجب الوفاء بعهدهم، كما قال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾﴾ [التوبة].

فبغض الكفار والبراءة منهم من أصول الدين، وهو مقتضى الإيمان بالله والكفر بالطاغوت، ولكن ذلك لا يوجب ولا يبيح الخيانة أو الظلم، فالظلم حرام، ونقض العهد حرام، ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ [البقرة: ١٨٧]، نسأل الله أن ينصر دينه ويعز المؤمنين ويذل الكافرين، والله أعلم.

تعليق المسلم الصليب على صدره

السؤال:

ما حكم من علّق صليبًا على صدره، ولكن لا يعتقد به، بل إنه يضعه على صدره لمصلحة شخصية؟

الجواب:

الحمد لله؛ الصليب معروف أنه صنم النصارى في كنائسهم، وفي بيوتهم، ويعلقونه في أعناقهم وعلى صدورهم، فهو شعار النصارى، وحرام على المسلم أن يعلّقه، وإذا علَّقه المسلم ليظهر أنه نصراني فهذا إظهار لموافقة النصارى على دينهم، وموافقة النصارى على دينهم كفر بالله، إلا من كان يخشى على نفسه، فهو مُكره، والله تعالى يقول: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦].

وأما من علَّقه جاهلًا به فهو معذور لجهله، وأما من علَّقه مجاملة فذلك حرام عليه يُخشى عليه من الكفر بالله.

ولـم تذكـر أيها السـائل المصلحـة التي تحمـل المسؤول عنه على تعليق الصليـب، فـلا يتيسـر بيان الحكـم على وجـه التحديد، إلا بعـد معرفة دوافع التعليـق، وقـد عرفـت أنـواع الدوافـع، وحكـم كل نـوع مـن هـذه الأنـواع، والواجـب على المسـلم أن يحـذر مما حرم اللـه عليـه، ولا يخفى أنـه مـن أعظـم أنـواع التشـبه بالكفـار، وقـد قـال ﷺ: «**مـن تشـبه بقـوم فهـو منهم**»[1]، فالواجب الحذر، ونسـأل الله السـلامة والعافية، والله أعلم.

التبرع للكنائس

السُّؤَال:

ما حكـم تبـرع المسـلم للكنائـس لإنشـائها أو ترميمهـا أو توسـيعها أو لسـائر خدماتها بحجـة أنها مكان لعبادة الله؟

الجواب:

الحمـد لله؛ الكنائـس معابـد النصـارى، وقـد كان لهـا حرمـة قبـل حـدوث الشـرك في الملـة النصرانيـة وتبديـل ديـن المسـيح؛ لأنهـا كانـت يُعبـد فيهـا اللـه وحـده ويُذكـر فيهـا اسـمه، وكانـت تُسـمى البِيَـع، وقـد ذكرهـا اللـه في كتابـه وقرنهـا بالمسـاجد في قولـه تعالـى: ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗا﴾

(١) أخرجه أبو داود (٤٠٣١)، وأحمد -وهو بعض حديث عنده- (٥١١٥)؛ من حديث ابْنِ عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، وقال الذهبي: «إسناده صالح». «سير أعلام النبلاء» (١٥/ ٥٠٩)، وصحح إسناده العراقي في «المغني» (١ / ٢١٧)، وحسن إسناده ابن حجر. «فتح الباري» (١٦/ ٣٥٣)، ووصفه في موضع آخر بأنه ثابت (١٦/ ٣٥٨).

[الحج: ٤٠]، وبيَّن سبحانه أن هدم هذه المعابد فسادُ الأرض، قال تعالى: ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٥١﴾ [البقرة]، وأما بعد تبديل النصارى لدين المسيح وتأليههم للمسيح وأمه عَلَيۡهِمَا ٱلسَّلَامُ، وتدينهم بعقيدة الصلب فقد تحولت كنائسهم إلى مواضع للشرك بالله؛ ففيها: ترسم الصلبان وتنصب، ويصور المسيح وأمه عَلَيۡهِمَا ٱلسَّلَامُ على جدرانها، فتبدل التوحيد فيها شركًا والإيمان كفرًا، ففقدت بذلك حرمتها فلا حرمة لها في الإسلام، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الكنائس: «ليست بيوتَ الله، وإنما بيوت الله المساجد، بل هي بيوت يكفر فيها بالله، وإن كان قد يذكر فيها؛ فالبيوت بمنزلة أهلها، وأهلها كفار، فهي بيوت عبادة الكفار»[(١)]، وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من اعتقد أن الكنائس بيوت الله، وأن الله يُعبد فيها، وأن ما يفعل اليهود والنصارى عبادة لله وطاعة له ولرسوله ﷺ، أو أنه يحب ذلك أو يرضاه فهو كافر؛ لأنه يتضمن اعتقاد صحة دينهم، وذلك كفر»[(٢)]، وقال: من اعتقد أن زيارة أهل الذمة في كنائسهم قربة إلى الله فهو مرتد، وإن جهل أن ذلك محرم عُرِّف ذلك، فإن أصر صار مرتدًا[(٣)].
انتهى كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ووجهه: أن هذا الاعتقاد يناقض ما دل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقوله سبحانه: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٢ / ١٦٢).
(٢) عزاه إلى شيخ الإسلام صاحب «كشاف القناع» (١٤/ ٢٣٢).
(٣) هذا معنى ما جاء في «مختصر الفتاوى المصرية» (ص ٥١٤).

﴿دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۝٨٥﴾ [آل عمران] فإن هاتين الآيتين تدلان على بطلان كل دين سوى دين الإسلام، وأن كل من دان بغير الإسلام فهو يوم القيامة من الخاسرين، والإسلام: هو شريعة محمد ﷺ، فمن لم يؤمن به فليس بمسلم، وإن مات على ذلك كان من أهل النار كما قال ﷺ: «**والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار**»(١).

ولا يشكل على هذا أن المسلمين لما فتحوا الشام ومصر وغيرهما من البلاد النصرانية صالحوا أهلها، وعقدوا لهم الذمة، وكان من موجَب ذلك: إقرارهم على دينهم، وإقرار ما بأيديهم من كنائسهم، وكان من الشروط العُمَرية عليهم: ألا يُحدثوا كنائس جديدة، ولا يُعيدوا بناء ما انهدم منها مما هو بأيديهم وقت عقد الذمة، ولا يُظهروا شعائر دينهم بين المسلمين من ضرب ناقوسهم أو قراءة كتابهم، فهذا لا يشكل؛ حيث اتفق المسلمون على أن إقرارهم على دينهم لا يدل على صحته، ومن ظن ذلك فهو جاهل بحقيقة الإسلام، وحقيقة دعوة الرسول ﷺ.

فعلم مما تقدم أن الإعانة على بناء الكنائس وترميمها وتوفير خدماتها والوقف عليها حرام؛ لأن ذلك من الإعانة على الإثم والعدوان بل على أعظم الإثم، وهو الشرك بالله وتكذيب رسله، وهو من جنس الإعانة على بيوت النار التي للمجوس، ومن اعتقد أن ذلك قربة يُحبها

---

(١) مسلم (١٥٣)؛ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الله كان مرتدًا؛ لأنه يتضمن تصحيح دينهم، وقد قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران]، وقال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما الوقف على كنائسهم وبيعهم ومواضع كفرهم التي يقيمون فيها شعار الكفر فلا يصح من كافر ولا مسلم؛ فإن في ذلك أعظم الإعانة لهم على الكفر والمساعدة والتقوية عليه، وذلك مناف لدين الله»[1].

هذا، والحمد لله على نعمة الإسلام، ونسأله تعالى الثبات عليه حتى نلقاه به، إنه سميع الدعاء.

جمع التبرعات لأسر نصرانية فقيرة للاحتفال بأعيادهم

السُّؤَال:

مَدْرستي فيها تقاليد في أعياد الميلاد، فكل عام يقوم أحد الفصول بتولي أمر أسرة فقيرة؛ يجمع لها التبرعات لشراء هدايا أعياد الميلاد، ولكني رفضت ذلك؛ لأن الأسرة حينما تتلقى هذه الهدايا تدعو بارك الله في النصارى فهل فعلي صحيح؟

الجواب:

الحمد لله؛ يظهر أنك تعني ميلاد المسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الذي تُعظمه النّصارى وتتخذه عيدًا، وأعياد النصارى من دينهم، وتعظيم المسلمين لأعياد الكفّار بإظهار الفرح والسرور وتقديم الهدايا هو من التشبُّه بهم،

(١) «أحكام أهل الذمة» (١/ ٦٠٣).

وقد قال ﷺ: «**من تشبه بقوم فهو منهم**»(١)، فيجب على المسلمين أن يحذروا من التشبه بالنصارى في أعيادهم وفي العادات المختصة بهم، وقد أحسنت وأصبت حيث لم توافق على جمع التبرعات للأسر الفقيرة بمناسبة أعياد الميلاد، فاستقم على طريقك، وناصح إخوانك، وبيِّن لهم أن هذا العمل لا يجوز، فنحن المسلمين ليس لنا سوى عيد الفطر وعيد الأضحى، وقد أغنانا الله عن أعياد الكافرين بهذين العيدين.

قبول هدايا الكفار في أعيادهم

السؤال:

ما حكم قبول الهدايا من (المسيحيين) في أعيادهم بالنسبة للمبتعثين من المسلمين هناك؟

الجواب:

الحمد لله؛ لا بأس بقبول هدية الكفار من المجوس وأهل الكتاب وغيرهم في يوم عيدهم أو قبل عيدهم أو في سائر الأيام، مما لا أثر لشركهم فيه؛ كالذي يتقربون به من الذبائح، فهذا لا يجوز، أما إذا كانت الهدية من نحو الفاكهة والحلوى فلا بأس بها، ويجوز قبولها، وقد دل على ذلك آثار جاءت عن بعض الصحابة كعلي وعائشة وأبي برزة رضي الله عنهم كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم(٢)، ونقل الجواز عن الإمام أحمد رحمه الله.

(١) سبق تخريجه (١/ ٦٢٨).
(٢) «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/ ٥٥٤).

وعلى هذا؛ فلا يعد قبول هديتهم مشاركة لهم في عيدهم.

فإن مشاركتهم في عيدهم بالدخول عليهم والجلوس معهم يتضمن الرضا بدينهم الباطل، ولذا جاء النهي عن ذلك عن عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وغيره، فروى البيهقي بإسناده عن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «لا تعلموا رطانة الأعاجم ولا تدخلوا على المشركين في كنائسهم يوم عيدهم، فإن السخطة تنزل عليهم»[1] فظهر الفرق عند السلف بين مشاركة الكفار في عيدهم وقبول هديتهم، والله أعلم.

وقول السائل (المسيحيين) هو من ذكر النصارى بما يُحبون، وتقرير لانتسابهم إلى المسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وهو بريء منهم؛ فإنه عندهم ابن الله وإله، وهو ﷺ عبدُ الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، فلا ينبغي ذكر النصارى بالمسيحيين كما يسمون أنفسهم، بل نقول النصارى، والله أعلم.

محبة الكافر

السؤال:

هل يصح الاستدلال على جواز محبة الكفار بقول الله تعالى:
﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الروم]،

(١) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ٢٣٤)، وصحح إسناده شيخ الإسلام ابن تيمية «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/ ٤٥٥).

حيث إنه يجوز للمسلم أن يتزوج بالكتابية وهي كافرة، والمودة لازمة الحصول بينهما؟ هل المودة تعني الحب؟

الجواب:

الحمد لله؛ قد فرض الله موالاة المؤمنين، وحرم موالاة الكافرين قال الله تعالى: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٧١﴾ [التوبة]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ٧٣﴾ [الأنفال]، وقال تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨﴾ [آل عمران]، وقال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡ﴾ الآية [المجادلة: ٢٢]، والود والمودة بمعنى المحبة، والمحبة نوعان:

- محبة طبيعية، كمحبة الإنسان لزوجته وولده وماله، وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةًۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٢١﴾ [الروم].

- ومحبة دينية شرعية؛ كمحبة الله ورسوله ﷺ، ومحبة ما يحبه الله ورسوله من الأعمال، والأقوال، والأشخاص، قال تعالى: ﴿فَسَوۡفَ يَأۡتِي

ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]، وقال النبي ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد..** » الحديث[1].

ولا تلازم بين المحبتين، بمعنى أن المحبة الطبيعية قد تكون مع بغض ديني؛ كمحبة الوالدين المشركين فإنه يجب بغضهما في الله، ولا ينافي ذلك محبتهما بمقتضى الطبيعة، فإن الإنسان مجبول على حب والديه وقريبه، كما كان النبي ﷺ يحب عمه لقرابته مع كفره، قال الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ٥٦﴾ [القصص].

ومن هذا الجنس محبة الزوجة الكتابية فإنه يجب بغضها لكفرها بغضًا دينيًّا، ولا يمنع ذلك من محبتها المحبةَ التي تكون بين الرجل وزوجه، فتكون محبوبة من وجه، ومبغضة من وجه، وهذا كثير، فقد تجتمع الكراهة الطبيعية مع المحبة الدينية كما في الجهاد فإنه مكروه بمقتضى الطبع، ومحبوب لأمر الله به ولما يفضي إليه من العواقب الحميدة في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ [البقرة: ٢١٦].

ومن هذا النوع محبة المسلم لأخيه المسلم الذي ظلمه فإنه يحبه في الله، ويبغضه لظلمه له.

بل قد تجتمع المحبة الطبيعية والكراهة الطبيعية، كما في الدواء المرّ: يكرهه المريض لمرارته، ويتناوله لما يرجو فيه من منفعة.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٨٦)؛ من حديث النعمان بن بشير رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

وكذلك تجتمع المحبة الدينية مع البغض الديني، كما في المسلم الفاسق فإنه يحب لما معه من الإيمان، ويبغض لما فيه من المعصية.

والموفق من حَكَّم في حبه وبغضه الشرعَ والعقلَ المتجرد عن الهوى، والله أعلم.

محبة اللاعب الكافر

السؤال:

ما حكم حب اللاعب الكافر لأجل إتقانه للّعب، لا لأجل دينه؟ وما حكم لبس البدل الرياضية التي عليها أسماء أو شعارات لأندية أجنبية خالية من الصلبان، أو ما يرمز لديانات الكفار؟

الجواب:

الحمد لله؛ من المعلوم أن محبة اللاعب الكافر لدينه كفرٌ، أما محبته لإتقانه اللعب، أي لعب الكرة أو غيرها من الألعاب، فهذا قبيح ومذموم؛ لأنه ناشئ من تعظيم هذا النوع من اللعب، والتعلق به، كالمولع بلعبة كرة القدم، ومعلوم أن تعظيم الأشياء تابع لتصور العقل للأشياء، فالعقل الصحيح يدرك الأشياء على ما هي عليه عظيمةً أو حقيرةً، ولا سيما العقل المستنير بهدى الله، فينزل كل شيء منها منزلته، وأما العقل الفاسد فهو على ضد ذلك، فهو يعظم الحقير، ويتعلق به، بل يغلو فيه؛ لأنه يراه عظيمًا، شخصًا كان أو عملًا، وإذا كان من المعلوم لدى أهل العقول أن اللعب ضدُّ الجد، فهو باطل لا يحتفي به إلا الناقصون، ولذا كان من شأن الصبيان والصغار، ولهذا لم يذكر اللعب في القرآن إلا في

سياق الذم: ﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ﴾ [الأنعام: ٣٢]، ﴿إِنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ﴾ [محمد: ٣٦]، وجعل تعالى اللعب من شأن الكافرين والمنافقين، قال تعالى: ﴿أَوَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا ضُحٗى وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ٩٨﴾ [الأعراف]، وقال تعالى عن المنافقين: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُ﴾ [التوبة: ٦٥]، ومن القبيح في العقل والدين الإغراقُ في اللعب الباطل وتعظيمُ اللعب واللاعبين.

وينبغي أن يعلم أن محبة الكافر لمهارته في اللعب يتضمن أمرين كلاهما منكرٌ:

الأول: الإغراق في محبة اللعب الحبَّ الذي يفضي إلى قدر من العبودية لغير الله، كما في الحديث: «**تعس عبد الدينار والدرهم**»[(١)].

الثاني: ضعف البراء من الكافر أو غيابُه، والغالب أنه يغلو فيه، كما يظهر ذلك من منافحته عنه، ومعاملته له قولًا وفعلا حفاوة وتكريمًا عند لقائه، أو فوزه باللعب. فهنالك يختفي كل أثر للبراء والبغض في الله، فهذا الحب وذلك البغض لا يجتمعان، بل لو صح البغض في الله لاضمحل ما يتميز به هذا الكافر من مهارة في لعبه، بل نقول: لو صح الإعجاب بهذا اللاعب الكافر لكان الكفار أصحاب المبتكرات النافعة للبشرية أحقَّ منه بالإعجاب، فمن المعلوم أن اللعب كله باطلٌ لا يعود منه نفع عام ولا خاص إلا على اللاعب نفسه لما يكسبه من مال أو شهرة، وغيره خاسرون، فعلم مما تقدم أنه لا يجوز الإعجاب باللاعب الكافر ومحبته لمهارته في اللعب.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٨٦)؛ من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ.

وكذلك لا يجوز لبس الملابس الرياضية التي عليها أسماءٌ وشعارات لأندية البلدان الكافرة، ولو كانت خالية من الصُّلبان وغيرها من شعاراتهم الدينية؛ لأن لبس هذه الملابس يتضمن قدرًا من الولاء والإعجاب بأصحاب تلك الأندية، والواجب على المسلم أن يرتفع بما أكرمه الله به من الإسلام عن التعلق بالتافه والإعجاب بالكافرين، وعليه أن يحمد الله على نعمه، ويقول: الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والله أعلم.

حب الكافر لذاته مع بغض كفره هل يجوز شرعًا

السُّؤَال:

شيخنا الكريم -أحسن الله إليكم-:

ما حكم محبة الكافر لذاته مع بغض فعله؟ وما الفرق بين بغض الكافر لذاته وبغضه لفعله؟ وهل ورد أن السلف فرقوا بينهما؟ وهل كان رسول الله يحب ذوات الكافرين ويكره أفعالهم؟ وإذا كان الإسلام هو دين المحبة والرحمة؛ فكيف يدعو الداعية إلى الله الكفار والمشركين وفي قلبه بغضهم ومعاداتهم؟

الجواب:

الحمد لله، إن مِن المقالات الباطلة التي لا تصدر إلا مِن منافقٍ، أو جاهلٍ مخدوعٍ، ومنشؤها مداهنةُ الكُفَّار والركونُ إليهم، بدعوى مجاملتهم والتَّلَطُّفِ معهم: هذه المقالةَ الباطلةَ، وهي أن البغض الذي فرَضَه اللهُ على المسلم للكافر إنَّما هو بُغْضُ كُفرِه لا بُغضُ شخصِه،

وفي هذا تلبيس، ومغالطة ظاهرة، ومناقضة للعقل والواقع والشرع؛ فنصوص الكتاب والسنة ناطقة بتعليق البُغض والعداوةِ والوعيد والذَّم واللعن بأشخاص الكافرين، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾﴾ [الأحزاب]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾﴾ [البينة]، وقال في النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة]، وقال تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [آل عمران]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [القصص]، وقال تعالى: ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [المائدة]، وقال: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [البقرة]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الممتحنة: ١]... إلى قوله: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾﴾ [الممتحنة]، إلى غير ذلك مما لا يُحصى من آي القرآن، وكلُّها تضيف الذَّمَّ والوعيد والبغضَ والبراءة والعداوة لأشخاص الكافرين والمشركين.

وكذلك ما قصَّه الله من عقوبات المكذبين، هي واقعة عليهم بسبب كفرهم وتكذيبهم وظلمهم وفسقهم، قال تعالى: ﴿وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾﴾ [الأعراف]، وقال تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ

خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت]، ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ۚ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأنفال]، ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الدخان].

والكفر والشركُ والفساد أعراضٌ ومعانٍ لا توجدُ إلا في من قامت به من الكفار والمشركين والمفسدين، نعم هي مذمومةٌ وقبيحةٌ ومُحرَّمة، يجب بغضها والحذر والتحذير من الوقوع فيها، ومع ذلك لم يأت في القرآن إضافة البغض إليها إلَّا ما جاء في مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧]، ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [البقرة]، وأكثر ما يرد معلقًا بهذه الأفعال النَّهيُ والتَّحريمُ، قال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾ [الأنعام]، وقال: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف]، وقال تعالى: ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل]، والخطاب بذلك للمكلفين.

وفي مقابل ما تقدَّم جاءت نصوصُ المدح والثناءِ والحُبِّ والوعدِ والولاء متعلقة بأشخاصِ المؤمنين والمتقين، قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ

﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة]، ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [آل عمران]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾﴾ [التوبة]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [البقرة]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾ [البينة].

وكذلك نُصوص السُّنَّةِ جاريةٌ على هذا النَّهج.

وكما نقول: كلُّ ما نهى الله عنه فهو يُبغضُه، ويَجب بُغضه، وكذلك كلُّ ما أمر الله به وأثنى على أهله من الأقوال والأفعال فهو يحبه، وتجب محبته.

فعلم مما تقدم أن الإيمان والعملَ الصالح سببٌ لمدح من اتصف به ومحبَّتِه وثوابِه وفلاحِه، وأن الكُفر والمعاصي سببٌ لذمٍّ من اتصف بها، وبغضِه وعقابِه وشقائه، ولهذا من تجرد عن صفة الفريقين لم يكن محمودًا ولا مذمومًا ولا مُثابًا ولا مُعاقبًا إلَّا تبعًا، كأطفال المسلمين والكفار ومجانينِهم، فأطفالُ المسلمين يُحبُّون تبَعًا، ومآلهم إلى الجنة تبعًا لآبائهم، وأولاد المشركين قال فيهم النبي ﷺ لما سئل عنهم: «**الله**

أعلمُ بما كانُوا عامِلين»[١]، وفي مصيرهم خلاف بين العلماء كثير، أما حكمهم في الدنيا فهم تبع لآبائهم، يتَوَلَّونَهم، ويُدْفَنون في مقابرهم.

ومما يتصل بهذا من لم تبلغه الدعوة؛ فإنه وإن وصف بالكفر فليس له حكم الكافرين ولا المؤمنين في الثواب والعقاب والمدح والذم، فإن مات على هذه الحال فإنَّ حكمَه في الآخرة حكمُ أهلِ الفترة، وقد جاء فيهم وفي أنواع مِن أهلِ الأعذارِ كالمجانين أحاديثُ وآثارٌ تدُلُّ على أنهم يُمتحنون يومَ القيامة بما يَكشِف حقائقَهم[٢].

وبناء على ما سبق يُعلم:

أولًا: أنَّ محبَّة الكافر لذاته مع بغض فعله حرامٌ؛ لأن ذلك ضِدُّ ما دل عليه كتاب الله، وسُنَّةُ رسول الله ﷺ، القاضيةُ بأنَّه تعالى لا يُحب الكافرين، وقد أمر ببغضهم، وإبداء العداوة لهم، والبراءة منهم.

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٨٤)، ومسلم (٢٦٥٩)؛ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) جاء في الحديث: «**أربعة يوم القيامة يدلون بحجة: رجل أصم لا يسمع، ورجل أحمق، ورجل هرم، ومن مات في الفترة..**»، وفيه: «**فيرسل إليهم رسولًا أن ادخلوا النار، فوالذي نفسي بيده لو دخلوها لكانت عليهم بردًا وسلامًا**»، وفي لفظ: «**فمن اقتحمها كانت عليه بردًا وسلامًا، ومن لا؛ حقَّت عليه كلمة العذاب**»، وفي معناه أحاديث أخر، ينظر: مسند أحمد (٤/ ٢٤)، وصحيح ابن حبان (١٨٢٧)، وغيرهما، وينظر تخريجه في «السلسلة الصحيحة» للألباني (٣/ ٤١٩) (١٤٣٤)، قال ابن عبد البر في «التمهيد» (١٨/ ١٣٠): «روي هذا المعنى عن النبي ﷺ؛ من حديث الأسود بن سريع، وأبي هريرة، وثوبان، بأسانيد صحيحة من أسانيد الشيوخ»، وصحح هذا المعنى ابن تيمية في «الصفدية» (٢/ ٢٤٤)، وصحح ابن القيم إسناد هذا الحديث في «أحكام أهل الذمة» (٢/ ١١٣٩)، وجوَّده ابن كثير في «جامع المسانيد» (٤٤٣).

والفصلُ بين الفِعل والفَاعل في الُحكم كما أنه مُناقضٌ للشَّرعِ فهو مناقضٌ للعقل، فما يتعلق بالفعل من الذَّمِ والبُغض لاحِقٌ بالفاعلِ إلا أن يمنع من ذلك مانع معتبَرٌ شَرعًا، ويلزم من قال هذه المقالةَ أن يقول بجواز بغض المؤمن مع محبة فعله، وفي هذا من القبح والشناعة ما لا يَخفى.

ولا يرد على هذا الحُبُّ الطَّبيعِيُّ والبغض الطَّبيعِيُّ؛ كما يُحِبُّ المسلمُ والديه الكافرين، أو مَن أحسنَ إليه، أو قامت به صفةٌ محمودة، مع بغضه لهؤلاء بسبب كفرهم، وكما يبغض المسلمُ من يعتدي عليه أو من يَظْلِمُه من إخوانِه المسلمين، مع محبَّتِه له لإيمانه، ولا يُستَغْرب أن يجتمع الحُبُّ مع البُغضِ فيكون الشيءُ محبوبًا مِن وجهٍ مُبْغضًا من وَجْهٍ؛ كالدَّواء المُرِّ، يكرهه المريضُ لمرارته، ويُحبُّه لما يرجوه من نفعه، وإنما الممتنع عقلًا أن يجتمع الحبُّ والبغض في جهةٍ واحدةٍ لشيءٍ واحدٍ، والمهمُّ ألَّا يَمْنَعَ الحُبُّ الطَبيعِيُّ من البُغض الدِّينيِّ، فيؤولَ إلى الموالاة التي نَهى الله عنها، كما لا يجوز أن يَمنع بُغضُ مُسلمٍ لظُلْمِه من الحُبِّ الشَّرعِيِّ الواجبِ له، ومتى ما عارض الحبُّ والبُغض الطبيعِيَّانِ الواجبَ الشرعيَّ كان ذلك من جملة اتباع الهوى المذمومِ صاحبُه.

فيجب أن يُعلم أنَّ التَّفْريقَ بين الكافر وفعلِه في الحُبِّ والبُغض، لا أصل له في سيرة النَّبي ﷺ، ولا سِيرة أصحابِه والذين اتَّبعوهم بإحسان.

وأما قول بعضهم: «إذا كان الإسلام هو دين المحبَّةِ والرَّحمة، فكيف يدعو الداعيةُ إلى الله الكفارَ والمشركين وفي قلبه بغضهم ومعاداتهم؟».

فجوابه: أنَّ من المحبَّةِ والرَّحمَةِ التي جاء بها الإسلام دعوةَ الكافِرِ إلى الإسلام ومحبةَ هدايته، فبغضه ومعاداته لكفره لا تمنع من الإحسان إليه بدعوته والحرص على هدايته، وتبليغِ رسالات الله لإخراج من شاء سبحانه من الظلمات إلى النُّورِ، كما قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ۝١﴾ [إبراهيم]، فما الداعي إلى الله إلّا كالطبيبٍ يسعى لشفاء المريضِ بأكملِ ما يعلمُه من أسباب الشفاء، وأعظمُ الأمراض أمراضُ القلوب بالكفر والمعاصي، وشفاؤها بخلاصها من ذلك، ولهذا سمَّى الله القرآن شفاء، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٥٧﴾ [يونس].

وكما أنَّه مستقرٌّ في الفِطَرِ والعُقولِ أن التَّطهيرَ من الأقذارِ الحِسِّيَّةِ مطلوبٌ، ولا يقتضي حُبُّ تَطْهِيرِها حُبَّها وهي نجسةٌ بل يُعارضه، فكذلك الكفر والمعاصي أقذار معنوية تتنجس بها القلوبُ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ﴾ [التوبة: ٢٨]، وفي حديث حذيفة عند مسلم: «**تُعرض الفِتنُ على القلوب كالحصِير عُودًا عُودًا، فأيُّ قلبٍ أُشْرِبَها نُكِتَ فيه نكتةٌ سوداءُ، وأَيُّ قلبٍ أنْكَرها نُكِتَ فيه نكتةٌ بيضاءُ، حتى تصير على قلبين: على أبيضَ مثلِ الصَّفا، فلا تضرُّه فتنةٌ ما دامت السماوات والأرضُ، والآخَرُ أسودُ مُرْبَادًّا كالكُوز مُجَخِّيًا؛ لا يَعرف معروفًا، ولا يُنكر مُنكرًا، إلّا ما أُشْرِب مِن هَواه**»[1]، ولذا قال تعالى في الكافرين والمنافقين:

(١) صحيح مسلم (١٤٤).

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٤١﴾ [المائدة].

وقد سَمَّى الله الدعوةَ إلى الإيمان والعملِ الصَّالح تطهيرًا وتزكية، قال الله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ٤﴾ [المدثر]، وهذه الآيةُ من أوَّل ما نزل من القرآن، وقال تعالى: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]، ومَن هداه الله فقد أراد تطهيرَ قلبه، ولما كانت الفواحشُ أقذارًا والتَنَزُّهُ عنها طُهرًا عيَّر قومُ لوطٍ آلَ لوطٍ فقالوا: ﴿أَخۡرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٖ مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ ٥٦﴾ [النمل]، وقال تعالى مبيِّنًا حكمة شرع الحجاب: ﴿وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

نسأل اللهَ أن يُطَهِّر قلوبَنا، وأن يُحبِّبَ إلينا الإيمان والمؤمنين، وأن يُكَرِّه إلينا الكُفْرَ والكافرين، وأن يجعلنا مِن الراشدين، كما قال الله تعالى ممتنًا على المؤمنين: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ٧ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٨﴾ [الحجرات].

هذا؛ وتبين مما تقدَّم أن الذَّمَّ والبُغضَ يتعلقُ بالأعمالِ والعاملين؛ بالفسادِ والمفسدين، والكفرِ والكافرين، والشركِ والمشركين، والنفاقِ والمنافقين، ويتعلق الوعيدُ بالعاملين؛ من الكفار والمنافقين والمشركين، وكذا ما يقابل ذلك؛ يتعلقُ المدحُ والحبُ بالأعمال الصالحة والعاملين، بالإيمان والمؤمنين، والتقوى والمتقين، وبالهدى والمهتدين، فبطلَ

بذلك قول المفترين الجاهلين الملبِّسين بالتفريق بين الأعمال والعاملين لإرضاء الكافرين والتلبيس على الجاهلين من المسلمين.

نسأل الله أن يهدينا الصراط المستقيم؛ صراطَ المنعَم عليهم غير المغضوب عليهم والضالين.

الاحتفاء بأعياد الكفار، والاحتفال بها

السُّؤَالُ:

صاحب الفضيلة الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر البراك أحسن الله إليك،كثرت في الآونة الأخيرة الضجة حول حكم الاحتفال بميلاد المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ، وحكم تهنئة الناس بعضهم بعضًا بذلك، وكذلك حكم تهنئة النصارى مجاملة لهم أو بنية دعوتهم، وقد استدل بعضهم بسلام النبي ﷺ على هرقل على جواز ذلك في الدعوة، فهل هذا القول معتبر؟ وهل تجوز المشاركة في الاحتفالات بأعياد الميلاد، والتهنئة بها للدعوة خاصة؟ أفتونا مأجورين جزاكم الله خيرًا.

الجواب:

الحمد لله؛ قد قضى الله تعالى بحكمته أن جعل النّاس فريقين؛ مؤمنين وكفارًا، كما قال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٢﴾ [التغابن]، ومن حكمته ورحمته أن أرسل الرسل مبشرين ومنذرين ليخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذنه، ويُميِّز الكافرين من المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا

أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾﴾ [آل عمران]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [النمل]، وقد فَصَل الله تعالى بين الفريقين في الموالاة، فجعل المؤمنين بعضهم أولياء بعض، والكافرين بعضهم أولياء بعض، قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة]، وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾﴾ [الأنفال]، وفرض سبحانه على المؤمنين البراءة من الكافرين ومن دينهم ومما يعبدون، كما قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤]، وقال سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الزخرف]، وقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾﴾ [الكافرون].

وقد ميّز الله المسلمين بما جاء به نبيهم من الشرائع والشعائر، فأغناهم بذلك عن أوضاع الجاهلية؛ جاهلية أهل الكتاب والأمِّيين، ومن الشعائر الدينية والعادية في الأمم الأعياد، فللمسلمين ما شرع الله

لهم من عيدي الفطر والأضحى وأيام التشريق ويوم عرفة، فأغناهم الله بذلك عن أعياد أهل الجاهلية، وميَّزهم بها عنهم، فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما، فقال: «**ما هذان اليومان؟**» قالوا: كنا نلعب فيهما في الجاهلية. فقال رسول الله ﷺ: «**إن الله قد أبدلكم بهما خيرًا منهما؛ يوم الأضحى، ويوم الفطر**»[1]، وقال ﷺ: «**يوم عرفة، ويوم النحر، وأيام التشريق، عيدنا أهل الإسلام**»[2]، وفي البخاري ومسلم[3] عن عائشة رضي الله تعالى عنها قال ﷺ: «**إنّ لكل قوم عيدًا، وهذا عيدنا**»، وكان يوم فطر أو أضحى.

فيجب على المسلمين أن يستغنوا بما أغناهم الله به، ويكتفوا بهذه الأعياد التي شرعها الله لهم عن أعياد الأمم التي أمرنا بمخالفتهم في شعائرهم وعوائدهم الخاصة، ومن ذلك أعيادهم، وفي هذا تنبيه على عدم الاحتفاء بها، استغناء بعيدنا الذي شرع الله لنا أهل الإسلام.

والاحتفاء بأعياد الكفار يكون بأمور؛ منها:

١. الفرح بها، واتخاذها مناسبة بحيث يهنئ المسلمون فيها بعضهم بعضًا، ويفعلون من مظاهر الفرح ما جرت به العادة في الأعياد؛ وهذا أقبح ما يكون من التشبه بالكفار في أعيادهم.

---

(١) أخرجه أبو داود (١١٣٤)، والنسائي (١٥٥٦)، وصححه الحاكم (١ / ٤٣٤) ووافقه الذهبي، وصحح إسناده النووي في «الخلاصة» (٢ / ٨١٩)، وابن حجر في «الفتح» (٣ / ٣٧١).

(٢) أخرجه أبو داود (٢٤٢١)، والترمذي (٧٧٣)، والنسائي (٣٠٠٤)؛ من حديث عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال الترمذي: «حسن صحيح».

(٣) البخاري (٩٠٩)، ومسلم (٨٩٢).

٢. تهنئة الكفار بأعيادهم، وحضور احتفالاتهم، ونحو ذلك مما يدل على الرضا.

٣. ودون ذلك الاقتصار على تهنئتهم بذلك العيد، وهذا يتضمن إظهار الرضا به، أو إقرارهم عليه، وأنه مناسبة سعيدة، حق لهم أن يغتبطوا بها، وأن يفعلوا ما يفعلون فيها. ولا ريب أن مولد المسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ومولد نبينا ﷺ، من النِّعم العظيمة على البشريَّة، لِما بعثهما الله به من الهدى الذي أخرج به من شاء من الظلمات إلى النور، وهذا يستوجب شكره تعالى على ذلك في كل حين، ولا يتقيد ذلك بنظير يوم المولد من كل عام، وفرق بين يوم مولده، ونظيره من كل عام، فالله لم يشرع لعباده أن يتخذوا ذينك اليومين عيدًا كل عام، يخصان بعبادات وعادات من بين سائر الأيام، فاحتفال المسلمين بمولد النبي محمد ﷺ، بدعة في الدين، وتشبه بالنصارى في احتفائهم بمولد المسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وأقبح من ذلك احتفال المسلمين بمولد المسيح وغيره من أعيادهم الدينية والعادية، مجاراة للنصارى، فإن موافقتهم في ذلك مناقضة لما أوجب الله من مخالفتهم، والبراءة منهم ومن دينهم، ولما نهى عنه من اتِّباع أهوائهم.

وتبين مما تقدم أن تهنئة الكفار بأعيادهم حرام، كما أفتى بذلك العلماء قديمًا وحديثًا، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «وأما التهنئة بشعائر الكفر المختصة به فحرام بالاتفاق، مثل أن يهنئهم بأعيادهم».

(١) في «أحكام أهل الذمة» (١ / ٤٤١، ط. دار الرمادي).

ولا اعتداد برأي من شذ من المعاصرين فأباح التهنئة بأعياد الكافرين إما مصانعة وتقربًا إليهم، أو بشبهة تأليف قلوبهم أو دعوتهم، ولم يجعل الله شيئًا مما حرم على عباده طريقًا للدعوة إلى دينه، قال تعالى: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۝٩٤﴾ [الحجر]، وقال: ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ۝٦٠﴾ [الروم]، وليس هذا الرأي المُحْدَث، بغريب في عصر الدعوة إلى التقريب بين الأديان، وعقد الحوارات لذلك شريطةَ الاحترام المتبادل لكل الدِّيانات!

وأما التعلق بما جاء في كتاب النبي ﷺ إلى هرقل من قوله: «**سلام على من اتبع الهدى**»[(١)]، فهو تعلق واهٍ، فإنّه ﷺ لم يسلِّم على هرقل، وإنما سلّم على من اتبع الهدى، فلو أسلم هرقل كان من أهل هذه التحية، هذا مع البون الشاسع بين التحية بتحية الإسلام والتهنئة، فقد أبيحت التحيَّة في الرَّدِ على أهل الكتاب دون الابتداء، كما قال رسول الله ﷺ في حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عند مسلم: «**لا تبدؤوا اليهود ولا النصارى بالسلام، فإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه إلى أضيقه**»[(٢)]، وفي حديث أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ المتفق عليه: «**إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا: وعليكم**»[(٣)]، وأما التهنئة بأعيادهم فلم تبح في حال من الأحوال.

ومما يوضح الفرق بين التحية والتهنئة بعيدهم أن المسلم الفاسق يُسَلَّم عليه، لكنه لا يهنأ بشيء مما أوجب فسقه؛ كشرب الخمر وفعلِ

---

(١) أخرجه البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣)؛ من حديث أبي سفيان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم (٢١٦٧)؛ من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري (٦٢٥٨)، ومسلم (٢١٦٣)؛ من حديث أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

الفاحشة، فإذا كان هذا لا يجوز مع المسلم الفاسق فكيف بمن يحتفل بمولد المسيح الذي يعتقد فيه الإلهية، ويقيم هذا العيد عبادة له،كما يقيم المسلمون أعيادهم عبادة لله تعالى؟! فالحمد لله الذي جعلنا مسلمين، ونعوذ بالله من طريق المغضوب عليهم والضالين.

الأشهر القمرية وارتباط الأحكام الشرعية بها لليهود والنصارى

السُّؤَال:

هل كان اليهود يعتدون بالأشهر القمرية، أم وافق يوم نجاة موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بأشهرهم شهر الله المحرم عندنا نحن المسلمين؟ جزاكم الله خيرًا.

الجواب:

الحمد لله؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ [التوبة: ٣٦]، والمراد بالأشهر في هذه الآية أشهر السنة القمرية التي تعرف الأشهرُ فيها بالقمر، فالشهر من الهلال إلى الهلال تسعة وعشرون يومًا أو ثلاثون يومًا، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن الأحكام في شرائع الأنبياء مرتبطة بالأشهر القمرية كما هي في هذه الشريعة[١]، قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٨٩].

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٥/ ١٣٥).

وبهـذا يظهـر ربـط اليهـود صيامَ اليـوم الذي نجـى الله فيه موسـى وقومه بالعاشـر من محرم؛ لأن الحدث وقع في العاشـر من هذا الشـهر.

وكـذا ذكـر ابـن القيـم أن النصـارى نقلـوا صيامهـم مـن وقتـه فـي السـنة القمريـة إلـى وقت الربيع من السـنة الشمسـية[1]، وهذا من تلاعبهـم بدينهم، فـكان اليهـود خيـرًا منهـم فـي التزامهـم فـي عباداتهـم بالأشـهر القمرية، وإن كان لليهـود تاريـخ آخـر يربطـون بـه تاريـخ الحـوادث والمعامـلات، ولمـا غلبهـم النصـارى صـاروا يؤرخـون بالتاريـخ الميـلادي الـذي تسـتعمله النصارى، ومبدؤه ولادة المسـيح عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وقـد سـرَى فـي عامـة بـلاد المسـلمين اعتمـاد التاريـخ الميـلادي كمـا جـرى لليهـود، وذلـك بسـبب اسـتيلاء النصـارى على أكثـر بـلاد المسـلمين، وهـو ما يسـمى بالاسـتعمار، وأما قبل ذلك فلم يكـن للمسـلمين إلا التاريخ الهجـري الـذي مبـدؤه هجـرة النبي ﷺ إلـى المدينة وهـو الذي سـنه الخليفة الراشـد عمـر بـن الخطـاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأجمـع الصحابـة عليـه، ومضـى المسـلمون عليـه فـي تأريـخ شـؤونهم الدينية والدنيويـة، ولهـذا مضـى على المملكـة العربيـة السـعودية -حرسـها اللـه- سـتة عقـود وهـي لا تـؤرخ إلا بالتاريـخ الهجـري، ثـم صـارت تسـتعمل التاريخيـن الهجـري والميـلادي، وكلمـا تقدم الزمن يتقـدم التعويل على التاريخ الميلادي.

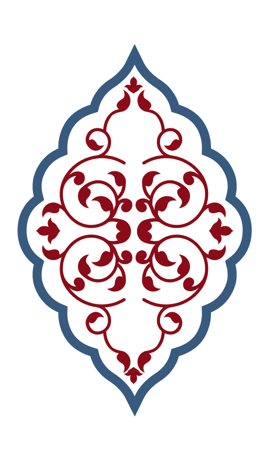
ولا ريـب أن اعتمـاد المسـلمين فـي شـؤون حياتهـم علـى التاريـخ الميـلادي ضـرب مـن التشـبه بالكفـار الـذي جـاءت الشـريعة بالنهـي عنـه،

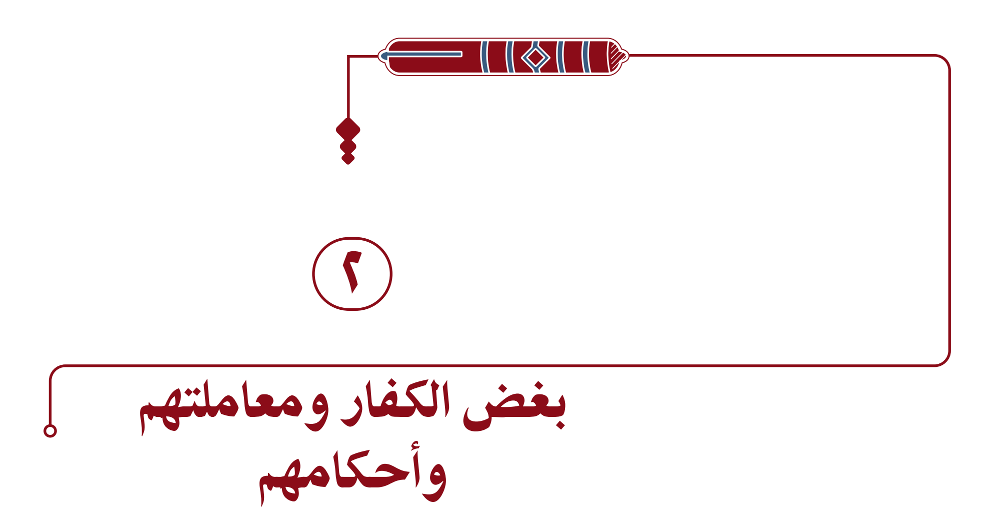
---

(١) «إغاثة اللهفان» (٢/ ١٠٤٨).

وهو مظهر من مظاهر التبعية والضعف أمام الدول النصرانية، وهو مطلب من مطالبهم، ويُشبه تعظيمُ المسلمين للتاريخ النصراني وأخذُهم به تعظيمَهم للغة الإنجليزية، وتعميمَ تعليمها في جميع مراحل التعليم للصغار والكبار والذكور والإناث، بما في ذلك رياض الأطفال، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

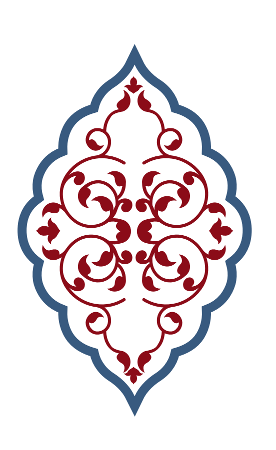
- ❊ ▪ ❊ ▪ ❊ -





٢

بغض الكفار ومعاملتهم وأحكامهم



البغض الديني والمحبة الفطرية للكافر القريب

السؤال:

في السورة رقم ٧٢ آية ٢٢ قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢]، فهل تعني هذه الآية أننا يجب ألا نُكن أي عاطفة لأقاربنا من غير المسلمين، حتى ولو كان عندهم اهتمام بالإسلام، ولا يعادون إيماننا؟ أم أن هناك فرقًا بين العاطفة الفطرية والعاطفة بسبب الإيمان؟ هل يكون من الجائز للمسلم أن يكره كفر أقاربه ومع ذلك يبقى لديه نوع من العاطفة الفطرية نحوهم؟ هل مثل هذه العاطفة تخرج المسلم من الملة؟ أرجو توضيح الأمر.

الجواب:

الحمد لله؛ الواجب على من منّ الله عليه بالإسلام والإيمان والتوحيد أن يبغض الشرك وأهله، فإن كانوا محاربين فعليه أن يعاديهم بكل ما يستطيع، وإن كانوا مسالمين للمسلمين فيجب بغضهم على كفرهم ومعاداتهم لكفرهم، ولكن من غير أن ينالوا بأذى؛ بل لا مانع من الإحسان إليهم وصلتهم إن كانوا أقارب وبرهم إن كانوا من الوالدين، كما قال تعالى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾ [لقمان]،

وبغض الكافرين لا يمنع من أداء الحقوق؛ كحق القرابة، وحق الجوار، كما قال ﷺ لما أنذر عشيرته وتبرأ منهم قال: «**إلا أنَّ لكم عندي رحمًا سأبلها ببلالها**»[1]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٨﴾ [الممتحنة]، وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ الآية [المجادلة: ٢٢]، المراد من يواد الكافرين ولا يبغضهم البغض الإيماني، ولا يبرأ منهم ومن دينهم ومعبوداتهم الباطلة فهذا الذي لا يكون مسلمًا وإن ادعى الإيمان، وهؤلاء هم الذين قال فيهم: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢]، فالمؤمنون الصادقون يبغضون الكافرين وإن كانوا أقرب الأقارب إليهم.

وعلى هذا؛ فيجتمع في قلب المؤمن المحبة الفطرية الطبيعية والبغض الديني، وقد كان النبي ﷺ يحب أبا طالب لقرابته ولنصرته له وهو يبغضه لكفره، ولهذا كان حريصًا على هدايته ولكن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بحكمته لم يوفقه للإيمان؛ لأنه تعالى هو أعلم بمن هو أهل لذلك، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦]، فلك أيها السائل أن تصل أقاربك وأن تبر بالوالدين، وأن تحسن إلى جيرانك وإن كانوا كفارًا ما داموا لا يجاهرون بعداوة الإسلام والمسلمين، وأما من أعلن محاربته للمسلمين فالواجب محاربته وجهاده حتى يدخل في الإسلام أو يعطي الجزية، كما قال تعالى: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٠٤)؛ من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ [التوبة]، والله أعلم.

الهجرة من البلد التي يكثر فيها سب الربِّ عزَّ وجلَّ

السُّؤَالُ:

ما حكم الدار التي يكثر فيها سب رب العالمين -نعوذ بالله من ذلك- من دون نكير من السلطة، هل هي دار كفر؟ وما حكم الهجرة منها؟

الجواب:

الحمد لله؛ البلاد التي تكون فيها الدولة مسلمة، والحكم فيها للإسلام فهي دار إسلام، ولو كثرت فيها المعاصي، وكثر فيها ارتكاب بعض نواقض الإسلام نتيجة لتقصير الدولة، أو ضعف نفوذها، وعلى هذا؛ فلا تكون بمجرد كثرة هذه الأمور دار كفر بل دار بدع ومعاصٍ، ودار الإسلام قد يكثر فيها العُصاة والمنافقون والمرتدون الذين لا يقام عليهم ما يجب من العقوبات الرادعة.

وعلى هذا: فلا تجب الهجرة من تلك البلد، لكن يجب على من أقام فيها أن يقوم بما يستطيع من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عملا بقوله ﷺ: «**من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه**»[1].

---

(١) أخرجه مسلم (٤٩)؛ من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

ومن إنكار المنكر مفارقة أهل المعاصي بترك مجالستهم وهجرهم، ليتركوا ما هم عليه، أو لاتقاء شرهم، وأولى بذلك منهم من يتكلم بالكفر كسب الله والاستهزاء بآياته، فإنه يجب على من يقدر أن ينكر عليه، وأن يطالب ذوي السلطة بإقامة حكم الله فيه،كما يجب مفارقة المجلس الذي يُتكلم بالكفر فيه؛ كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ﴾ [النساء: ١٤٠]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنعام]، والله أعلم.

حكم أذية أهل العهد من الكفار

السؤال:

ما معنى قوله ﷺ: إذا مررتم باليهود والنصارى في طريق فاضطروهم إلى أضيقه، وبالقياس هل يجوز إيذاؤهم في أمور أخرى؟

الجواب:

الحمد لله؛ المراد بهذا الحديث وهو قوله ﷺ: «**لا تبدؤوا اليهود ولا النصارى بالسلام، فإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه إلى أضيقه**»[١]، المراد به اليهود والنصارى المقيمون في بلاد المسلمين، من أهل الذمة أو غيرهم من المعاهَدِين والمستأمنين، فهؤلاء لا يجوز ظلمهم ولا الاعتداء عليهم، لكن مع ذلك لا يجوز الاحتفاء بهم ومعاملتهم

(١) أخرجه مسلم (٢١٦٧)؛ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

كالمسلمين، فلا يجوز ابتداؤهم بالسلام، لكن إذا سلموا رُدَّ عليهم، كما قال ﷺ: «**إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا: وعليكم**»[(١)]، ولا مانع من سؤالهم عن حالهم وبعض أمورهم، كذلك لا يتفسح لهم في المجالس احتفاء بهم، وإذا لقي المسلم الواحدَ منهم في الطريق فلا يؤثره بوسط الطريق، بل على المسلم أن يسير في طريقه ويترك جانبه لهذا الكافر اليهودي أو النصراني أو غيرهما، وهذا معنى قوله ﷺ: «**وإذا لقيتموهم في الطريق فاضطروهم إلى أضيقه**»، وليس المقصود من هذا أنك تُلجئه أن يلصق بالجدار؛ فليس الأمر في هذا الحديث من قبيل الأمر بإيذائهم، بل من قبيل الأمر بعدم إكرامهم.

وبهذه المناسبة نُذكِّر أنه لا يجوز للمسلم أن يحتج بهذا الحديث على مضايقة الكافر في حال السير على الخط بالسيارة، بحيث (يحده) كما يقال، أي: يضايقه حتى يُضطر إلى الخروج عن الطريق، مما قد يفضي إلى الإضرار به أو بسيارته، فإن هذا حرام وظلم، ولكن هذا لا يعني أن تكرمه بفتح الطريق له، أما إذا كان فتح الطريق يقصد به درء خطر فإن هذا مطلوب للمسلم والكافر، وهذا حق من حقوق السير للمسلم والكافر.

وحاصل الجواب: أن الظلم حرام كما أن إكرام الكافر حرام، إلا من جعل الله له حق الإحسان إليه، كما في قوله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ﴾ [الممتحنة: ٨]، وكذلك في حق الوالدين، قال الله تعالى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ

(١) أخرجه البخاري (٦٢٥٨)، ومسلم (٢١٦٣)؛ من حديث أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾ [لقمان]، وكما شرع من صلة الرحم سواء كان مسلمًا أو كافرًا، هذا والله أعلم.

قتل الكفار الذين يعملون في بلاد الإسلام

السؤال:

ما حكم محاربة أو قتل المشرك، وخاصة الذين يعملون في أراضي المسلمين؟ وجزاكم الله خيرًا.

الجواب:

الحمد لله؛ الكفار نوعان: محارب، ومعاهَد، والمعاهَد أنواع، منهم الذِّمِّي المقيم عند المسلمين، والمستأمن كالمستجير ونحوه، فأما المعاهَد والمستأمن فلا يحل قتلهما، وأما المحارب فهو على اسمه محارب، يجب أن يحارب بكل ما أمكن، ويجب على المسلمين أن يبرؤوا من الكفار؛ من اليهود والنصارى والمشركين، وألا يمكنوهم في أرض المسلمين، فيجب على الحكومات الإسلامية وعلى الشعوب ألا يمكنوا للكفار في أراضي المسلمين، بل عليهم ألا يكونوا سببًا في تكاثر الكفار في بلاد الإسلام، ولاسيما في جزيرة العرب، لقوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**أخرجوا المشركين من جزيرة العرب**» الحديث[1]، فلا

(١) أخرجه البخاري (٢٩٩٧)، ومسلم (١٦٣٧)؛ من حديث عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

يجوز التمكين لهم، لا من الشعب ولا من الحكومة، فإن الكفار وإن كانوا معاهدين أو أهل ذمة فإنه لا يُؤمن شرهم، ولا سيما في هذه الظروف العصيبة التي تسلط فيها الكفار على المسلمين، وصارت دول الكفار بأيديها القوة، فالواجب البراءة من الكفار، والحذر من مكايدهم، وعدم التمكين للكفار في بلاد المسلمين، والله أعلم.

أصناف الكفار باعتبار أحكام الشريعة فيهم وحكم الاعتداء عليهم

السُّؤَالُ:

سؤالي هو عن غير المسلمين، حيث نسمع من الكثيرين أن كل من كان غير مسلم، وخصوصًا إذا لم يدفع الجزية فهو لا قيمة له، ويجوز قتله وشتمه إلى ما هنالك! فما هو توجيهكم لمثل هؤلاء الأشخاص؟

الجواب:

الحمد لله؛ دين الإسلام هو دين الله الذي بعث به رسله من نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بل من آدم إلى خاتمهم محمد ﷺ، فالإسلام الذي أصله عبادة الله وحده لا شريك له، وطاعته وطاعة رسله هو الدين الحق الذي لا يقبل الله من أحد دينًا سواه، قال تعالى: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٨٥﴾ [آل عمران]، فأتباع موسى وعيسى ومن قبلهما عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ كانوا على الإسلام، حتى بُعث محمدٌ ﷺ فنسخ الله بشريعته ما تقدمها من الشرائع، فالإسلام اليوم هو شريعة الله

التي تَضَمَّنها القرآن وسنة الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فكل من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، والتزم شريعة الله فهو مسلم، ومن خرج عن ذلك فهو كافر.

فالناس صنفان: مسلم، وكافر، فغير المسلمين هم الكافرون، والكفار باعتبار أحكام الشريعة فيهم ثلاثة أصناف:

ذميّ، ومعاهَد، ومحارب.

فالذِّمِّي هو: الذي التزم دفع الجزية ورضي بالإقامة تحت سلطان المسلمين آمنًا على نفسه وماله وسائر حرماته.

والثاني هو: المُعاهَد، وهو: الذي كان بينه وبين المسلمين عهد، سواء أكان في دار الإسلام أم في بلاده، فهذا أيضًا معصوم الدم والمال لا يجوز الاعتداء عليه في نفسه ولا ماله، لا بغش ولا سرقة، ولا أي نوع من أنواع العدوان.

والثالث هو: المحارب للمسلمين، وهذا حلال الدم والمال، يجب على المسلمين إذا استطاعوا أن يحاربوه ويجاهدوه؛ لأنه عدو للإسلام وأهله من جميع الوجوه، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الممتحنة]، فإذا قاتل المسلمون أعداءهم المحاربين فإنه لا يجوز لهم قتل نسائهم ولا صبيانهم، ولا من ليس من أهل القتال كالشيخ الفاني، فدين الإسلام يحرم الظلم والعدوان إلا على

من اعتدى وظلم، قال تعالى: ﴿ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ١٩٤﴾ [البقرة].

وبهذا يُعلم أن ما يقع من بعض جهلة المسلمين المقيمين في بلاد الكفار المعاهَدين بموجب الأنظمة والقوانين المتبعة، ما يقع من هؤلاء المسلمين من الاعتداء على أولئك في نفس أو مال؛ من قتل أو ضرب أو سرقة أو غش أو جحد حق، كل ذلك مما تحرمه شريعة الإسلام.

فينبغي لكل مسلم أن يعرِّف بالإسلام ويدعو إليه بلسانه وحاله وخلقه، ويستنقذ الناس من النار بدلالتهم على الهدى والخير، كما ينبغي لكل عاقل أن يتبصر في دين الإسلام ليعرف حقيقته، وسيرى إن اجتهد في طلب الحق أن الإسلام دين الله الحق، وأن خلاص نفسه من عذاب الله إنما هو بالدخول في الإسلام، ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٨٥﴾ [آل عمران]، والله تعالى يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، والله أعلم.

التعامل مع اليهود

السؤال:

كيف يمكن للمسلمين التعايش مع اليهود وغيرهم من غير المسلمين، مع أن هناك أحاديث (ربما غير صحيحة) تقول إن الحجر

يشير إلى اليهودي المختبئ خلفه، أريد أن أعرف هل ذلك صحيح؟ أريد جوابًا مقنعًا وصريحًا وواضحًا.

الجواب:

الحمد لله؛ لقد شاء الله بحكمته أن يكون الناس فريقين؛ مؤمن وكافر، كما قال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٢﴾ [التغابن]، والمؤمنون هم أولياء الله وحزبه، والكافرون هم أعداء الله وحزب الشيطان، وقد قدر الله أن يعيش البشر في هذه الحياة جميعًا على هذه الأرض لتتحقق حكمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالابتلاء، وهم جميعًا مشتركون في شؤون الحياة، ولا بد أن تجري بينهم علاقات حياتية تقتضيها طبيعة الحياة وسنن الوجود.

وقد أنزل الله شريعته لتكون هداية للخلق إلى ما فيه سعادتهم وفلاحهم، وذلك بتحقيق العبودية لله وهي مشتملة على تنظيم العلاقات بين البشر بما في ذلك العلاقات بين المسلمين والكفار، فأوجبت الشريعة أن يكون الولاء والحب والاحترام لأهل الإسلام حسب منازلهم في الإيمان والعمل الصالح، كما أوجبت الشريعة البراءة من الكافرين وذلك ببغضهم ومعاداتهم لكفرهم بالله وبرسله عَلَيْهِمُ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، كما قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ۝٤﴾ [الممتحنة].

ومع هذا فالكفار من حيث علاقة المسلمين بهم صنفان: أهل كتاب هم اليهود النصارى، وغير أهل الكتاب من سائر الأمم، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أحل للمسلمين ذبائح أهل الكتاب ونساءهم دون طوائف الكفر، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾﴾ [المائدة].

ثم إن الكفار باعتبار علاقتهم بالمسلمين ثلاثة أصناف: ذميون، ومعاهدون ومحاربون:

فالذِّمِّيُّون: هم الذين عُقد لهم عهد الذمة على أساس دفع الجزية بحيث يعيشون بين المسلمين أو في بلادهم آمنين ما داموا موفين بعقد الذمة للمسلمين.

وأما المعاهَدون: فهم من يكون بينهم وبين المسلمين عهد على ترك القتال مدة معلومة أو مطلقة، ومنهم المستأمنون الذين يدخلون بلاد الإسلام بأمان، مثل من قال الله فيهم: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾ [التوبة]، ومنهم من يطلب ببلاد المسلمين تجارة، ومنهم الرسل المندوبون من قبل دولة الكفار، فهؤلاء كلهم لهم حق الأمان، فأموالهم ودماؤهم معصومة ولا يجوز الاعتداء على أحد منهم بوجه من وجوه العدوان، ولا بأس ببرهم والإحسان إليهم، كما قال سبحانه:

﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾ [الممتحنة].

وأما المحاربون وهم الذين لا عهد لهم ولا أمان، فهؤلاء لا حرمة لهم ولا يجوز التهاون معهم، بل تجب محاربتهم وطلبهم والترصد لهم؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ [التوبة: ٥]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [التوبة]، وقال تعالى: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [التوبة]، وقد قاتل الرسول ﷺ اليهود بعدما نقضوا العهود التي جرت بينهم وبينه ﷺ كما هو مفصل في السيرة النبوية، وقد أخبر ﷺ أن أمته تقاتل اليهود في آخر الزمان حتى يلوذ اليهود بالشجر والحجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا عبد الله أو يا مسلم هذا يهودي خلفي تعال فاقتله، أو كما جاء في الحديث، وهو حديث صحيح مخرج في الصحيحين[1] وغيرهما، وسيكون هذا بإذن الله؛ لأن كل ما أخبر به ﷺ فهو حق، فهذا القتال لا بد أن يتحقق، وهذا الوعد لا بد أن يقع على وفق ما أخبر به الرسول ﷺ؛ لأنه الصادق المصدوق، والله أعلم.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٦٨)؛ من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ومسلم (٢٩٢١)؛ من حديث ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

ذبيحة الكتابي مما حُرِّم عليهم

السؤال:

ذبيحة أهل الكتاب التي هي محرمة عليهم، هل يجوز أكلها مثل الجمل، إذا ذبحها الكتابي للمسلم؟

الجواب:

الحمد لله؛ ذبيحة الكتابي اليهودي والنصراني حلال للمسلم، لقوله تعالى: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾ [المائدة: ٥]، وسواءٌ أكان هذا المذبوح مما حرم على اليهود كالإبل، أم لم يحرم، فالحكم واحد، ومما ينبغي أن يعلم أن تحريم ما حرم على اليهود في التوراة الصحيح أنه قد نسخ بشريعة محمد ﷺ، فلا يجوز أن نقول إن الإبل وشحوم البقر والغنم محرمة الآن على اليهود؛ لأنهم متعبدون الآن بشريعة محمد ﷺ، ولكنهم لما لم يتبعوه؛ فالملتزمون منهم بدينهم يحرمون ما حرُم عليهم في التوراة ومع ذلك فإنهم يحتالون على استحلاله، كما قال ﷺ: «**قاتل الله اليهود؛ إن الله عَزَّوَجَلَّ لما حرم عليهم شحومها جملوه** -[أي: أذابوه]- **ثم باعوه، فأكلوا ثمنه**»[1]، والله أعلم.

(١) أخرجه البخاري (٢١٢١)، ومسلم (١٥٨١)؛ من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

تخصيص أعياد الكفار بالعبادة

السؤال:

انتشرت اليوم رسالة بواسطة جهاز (البلاك بيري) تحث الناس على الصلاة عند الساعة الثانية عشرة ليلا؛ لأنه يوافق احتفال الكفار بليلة رأس السنة، فما حكم ذلك؟

الجواب:

الحمد لله؛ الواجب على المسلمين في أعياد الكفار إهمالها، فلا تجوز مشاركتهم فيها، فإن ذلك من أقبح التشبه بهم، كما لا يجوز تخصيصها بعبادة من صيام أو صلاة مخالفةً لهم، فإن ذلك بدعة، فالعبادات مبناها على أمر الله ورسوله ﷺ، فمن أحدث عبادة لم يأمر الله بها ولا رسوله فقد أحدث في الدين ما ليس منه، وعمله مردود، كما قال ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»[(١)]، وفي لفظ[(٢)]: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**».

فصاحب هذه الرسالة جاهل يظن أن مخالفة الكفار في أعيادهم بجعلها وقتًا للعبادة، كما جعلها الكفار وقتًا للهو واللعب، فقصده حسن ولكنه أخطأ الطريق، والواجب عليه أن يسأل أهل العلم قبل أن يدعو الناس إلى ما اعتقده حسنًا برأيه دون دليل، عفا الله عنا وعنه، والله أعلم.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨)؛ من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٢) عند مسلم (١٧١٨).

لعن الكافر المعين

السؤال:

ما حكم لعن (وليس سب فقط) اليهود والنصارى أفرادًا أو جماعات أحياء كانوا أم أمواتًا؟ وجزاكم الله خيرًا؟

الجواب:

الحمد لله؛ أما لعن الكفار من اليهود والنصارى والمشركين على سبيل العموم فهذا جائز ومشروع من أجل التحذير من أفعالهم، فإن الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال في آخر حياته وهو في سياق الموت ﷺ: «**لعنة الله على اليهود والنصارى؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»[1]، واليهود والنصارى داخلون في عموم قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ۝٦٤﴾ [الأحزاب]، وقال سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٨﴾ [هود]، واليهود والنصارى ظالمون بتكذيبهم للرسول ﷺ وبغلو النصارى في المسيح وعبادتهم له، وعبادتهم للصليب، واليهود قتلة الأنبياء وهم الناكثون للعهود والخائنون، كما قال سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ فيهم: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٥٥ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ۝٥٦﴾ [الأنفال].

وأما الأفراد الأحياء بأعيانهم مثل فلان أو فلان فلا ينبغي لعنهم؛ لأنه لا فائدة فيه، ولسنا متعبدين بذلك، إلا من له نكاية بالمسلمين

(١) أخرجه البخاري (٤٢٥)، ومسلم (٥٣١)؛ من حديث عائشة وابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ.

وتسلط عليهم؛ كرؤوس الكفر وأئمته، فإنه يجوز لعنهم، مثل رؤساء الدول الكافرة المتسلطة على المسلمين في هذا العصر، فيجوز لعنهم بأعيانهم، لأنهم جمعوا بين الكفر بالله والتسلط على عباد الله.

وأما الأموات فكما قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا**»[١]، لكنهم يدخلون في اللعنة العامة؛ لعنة الله على الكافرين، والله أعلم.

الحكم على الكافر المعين بالنار

السؤال:

قال الألباني في السلسلة الصحيحة (١ / ٢٥): روى الطبراني (١ / ١٩ / ١) حدثنا علي بن عبد العزيز أنبأنا محمد بن أبي نعيم الواسطي أنبأنا إبراهيم بن سعد عن الزهري عن عامر بن سعد عن أبيه قال: «جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: إن أبي كان يصل الرحم، وكان وكان، فأين هو؟ قال: في النار، فكأن الأعرابي وجد من ذلك، فقال: يا رسول الله فأين أبوك؟ قال: «حيث ما مررت بقبر كافر فبشره بالنار». قال: فأسلم الأعرابي بعد ذلك، فقال: لقد كلفني رسول الله ﷺ تعبًا؛ ما مررت بقبر كافر إلا بشرته بالنار». قلت: وهذا سند صحيح رجاله كلهم ثقات معروفون... وفي هذا الحديث فائدة هامة أغفلتها عامة كتب الفقه، ألا وهي مشروعية تبشير الكافر بالنار إذا مر بقبره. ولا يخفى ما في هذا التشريع من إيقاظ المؤمن وتذكيره

(١) أخرجه البخاري (١٣٢٩)؛ من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

بخطورة جرم هذا الكافر؛ حيث ارتكب ذنبًا عظيمًا تهون ذنوب الدنيا كلها تجاهه ولو اجتمعت، وهو الكفر بالله عَزَّوَجَلَّ، والإشراك به، الذي أبان الله تعالى عن شدة مقته إياه حين استثناه من المغفرة، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، ولهذا قال ﷺ: «أكبر الكبائر أن تجعل لله ندًّا وقد خلقك» متفق عليه. وإن الجهل بهذه الفائدة مما أودى ببعض المسلمين إلى الوقوع في خلاف ما أراد الشارع الحكيم منها، فإننا نعلم أن كثيرًا من المسلمين يأتون بلاد الكفر لقضاء بعض المصالح الخاصة أو العامة، فلا يكتفون بذلك حتى يقصدوا زيارة بعض قبور من يسمونهم بعظماء الرجال من الكفار، ويضعون على قبورهم الأزهار والأكاليل، ويقفون أمامها خاشعين محزونين، مما يشعر برضاهم عنهم، وعدم مقتهم إياهم، مع أن الأسوة الحسنة بالأنبياء عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ تقتضي خلاف ذلك، كما في هذا الحديث الصحيح، واسمع قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا﴾ الآية [الممتحنة: ٤]، هذا موقفهم منهم وهم أحياء فكيف وهم أموات؟!

السؤال: هل في ذلك دليل على الحكم على الكافر بالنار لمن علمنا أنه مات على الكفر من اليهود والنصارى وغيرهم؟

الجواب:

الحمد لله؛ من المعلوم بالضرورة من دلالة الكتاب والسنة أن كل من مات على الكفر: كاليهود، والنصارى، والوثنيين، والملحدين؛ فهو

في النار، أي: كل من مات ولم يؤمن برسالة محمد ﷺ ولم يَدِنْ بشريعته، ويبرأ من كل دين سواه، من مات ولم يكن مؤمنًا بالرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فهو في النار.

وهذا من قبيل الحكم العام، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٦﴾ [البينة]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ۝٦٤ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝٦٥﴾ [الأحزاب]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٣٩﴾ [البقرة]، وقال ﷺ: «**والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة؛ يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار**»[(١)].

أما الشهادة على معين من الكفار مات ولم يذكر أنه تاب، بل الظاهر أنه مات على كفره، فلا أعلم أحدًا ممن ألف في عقيدة أهل السنة أنه نص على هذه المسألة، والشيخ ناصر رَحِمَهُ ٱللَّهُ يشير في كلامه إلى هذا، ولم يتعرض لهذا الحديث الإمامان ابن تيمية وابن القيم فيما اطلعنا عليه من كلامهما، وواضح من كلام الشيخ ناصر أنه يرى الشهادة بالنار على الكافر المعين، أخذا من حديث الأعرابي، وقوله ﷺ: «**حيثما مررت بقبر مشرك فبشره بالنار**»، وفي النفس شيء من متن هذا الحديث[(٢)]؛ فإنه لا يظهر لتبشير الكافر الميت بالنار معنى؛ لأنه في النار،

(١) أخرجه مسلم (١٥٣)؛ من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) قال الشيخ عبد العزيز ابن باز عن هذا الحديث: «ليِّن»، وقال مرة أخرى: «الحديث في صحته نظر، ولو صح، فمحمول على ما إذا مرّ بقبر كافر يعلم أنه كافر»، «مسائل الإمام ابن باز» برواية الشيخ عبد الله الروقي (ص٢٧٠ و٢٨٣).

فكيف يبشر بما هو فيه ويقاسيه؟! وحقيقة البشارة الإخبار بما يسر، ويتجوز بها عن الإخبار بما يسوء، قال تعالى: ﴿فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٢١﴾ [آل عمران].

وبناء على ما سبق؛ فالراجح عندي أنه لا يُشهد على معين من الكفار بالنار إلا بدليل، وقد حمل بعضهم حديث الأعرابي على من مات من المشركين في حياة النبي ﷺ؛ ممن واجهوا دعوته بالتكذيب، وأصروا على شركهم.

وقد أحسن الشيخ ناصر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في إنكاره على من يزور قبور العظماء من الكفار، لا للاعتبار، ولكن للفرجة والتعظيم، وتقديم الزهر رمزًا لذلك، ولا ريب أن من يفعل ذلك فقد أتى منكرًا عظيما، يخشى عليه بسببه من الكفر.

وأما زيارة قبور الكفار للاعتبار والتذكر فهي جائزة، كما زار النبي ﷺ قبر أمه، فبكى وأبكى ﷺ، وقال عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي، واستأذنته أن أزور قبرها فأذن لي**»(١)، نسأل الله الثبات على الإسلام والإيمان، والله أعلم.

---

(١) أخرجه مسلم (٩٧٦)؛ من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ.

الشهادة على الكافر المعين بالنار

السؤال:

ما حكم الشهادة على الكافر بعينه أنه من أهل النار، وهل هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة؟

الجواب:

الحمد لله؛ القاعدة أنه لا يُشهد لمعين بأنه في الجنة أو في النار إلا من قام الدليل على حكمه في الآخرة، وقد نص العلماء في كتب العقائد أنه لا يُشهد لمعين من أهل القبلة بجنة ولا نار، إلا لمن شهد له الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فمن قام الدليل على أنه في الجنة وجب الإيمان بأنه في الجنة، ومن قام الدليل على أنه بعينه في النار وجب الإيمان بأنه في النار، وإلا فالواجب إطلاق الحكم العام بأن المؤمنين في الجنة والكفار في النار، لأن الكافر المعين لا يُدرى على ماذا يموت، أو لا يدرى ما مات عليه، فالله أعلم بأحوال عباده، وكذلك لا يُعلم عن حاله بينه وبين ربه؛ أهو ممن يعذره الله أم ممَّن لا يعذره.

فلهذا أقول: إن الواجب هو الجزم بالحكم العام بأن اليهود والنصارى وسائر أمم الكفر في النار، كما نطق بذلك القرآن؛ قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ ٨٨﴾ [النحل]، وقال تعالى: ﴿لَّن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١٧﴾ [المجادلة]، نعوذ بالله من الكفر بالله، ونسأله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الثبات على الإسلام بمنه وكرمه، والله أعلم.

الدعاء بهلاك جميع الكفار

السؤال:

قال بعضهم: لا يجوز الدعاء على جميع اليهود والنصارى بالهلاك، وهو من الاعتداء، فما قولكم؟

الجواب:

الحمد لله؛ إن الدعاء على اليهود والنصارى بلعنهم جميعًا جائز، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾﴾ [الأحزاب]، وقال ﷺ: «**لعنة الله على اليهود والنصارى**»[(١)]، وفي هذا ذمٌّ لهم، وتحذير للمؤمنين من مشابهتهم.

وأما الدعاء عليهم بهلاكهم جميعًا فلا يشرع وهو من الاعتداء في الدعاء؛ لأن حكمة الله اقتضت بقاء الفريقين: حزبه وحربه، من المؤمنين والكفار، ليتحقق الصراع بين الحق والباطل، وتقوم سوق الجهاد، والله أعلم.

التعبير عن الكفار بـ(غير المسلمين)

السؤال:

يعبر بعض الناس عن الكفار بغير المسلمين، فهل هذا المصطلح صحيح؟

الجواب:

الحمد لله؛ لا مانع من التعبير عن الكفار بغير المسلمين، لكن لا يكون ذلك على سبيل الالتزام والدوام، وبشرط ألا يكون هذا التعبير

(١) البخاري (٤٣٥)، ومسلم (٥٣١)؛ من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

إعراضًا مقصودًا عن الأسماء الشرعية، مثل: اليهودي والنصراني والكافر والمجوسي والمشرك، وكثيرٌ ممن يؤثر التعبير عن طوائف الكفر بغير المسلمين، ويحترز من إطلاق اسم الكفر عليهم، يفعل ذلك موافقةً لأهوائهم، ومن ذلك إيثارهم لفظ (مسيحي) على نصراني، ولفظ (الآخَر) بدل الكافر.

وقد يستدل لجواز جنس هذا التعبير المذكور في السؤال بقوله تعالى: ﴿أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٦]، والله أعلم.

أنواع عداوة الكفار وكيفية إظهارها

السُّؤَالُ:

هل يُظهر المؤمن بغضه للكافر المسالم سواءٌ أكان من الأقارب أم من غيرهم؟ وكيف يتم إظهارها؟ إذا كان الجواب بنعم؛ فكيف أظهر النبي ﷺ بغضه لعمه أبي طالب؟ وهل يمكن أن يكون النبي ﷺ أظهر بغضه للغلام اليهودي الذي أسلم؟ أو لأبيه الذي قال: أطع أبا القاسم؟

الجواب:

الحمد لله؛ إن الله وليُّ المؤمنين وعدوٌّ للكافرين، والمؤمنون أولياء الله يحبهم ويحبونه، وبعضهم أولياء بعض، والكافرون أعداء الله، وهو يمقتهم، والمقت أشد البغض، وبعضهم أولياء بعض، قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١]، وقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٣]، وهذا خبر يتضمن الأمر

بتولي المؤمنين بعضهم بعضًا، والنهيَ عن تولي الكافرين، وقد جاء النهي صريحًا عن تولي الكافرين واتخاذهم أولياء، فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥١﴾ [المائدة]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٥٧﴾ [المائدة].

والولاية ضد العداوة، والولاية تتضمن المحبة، والعداوة تتضمن البغض، والإيمانُ بالله يقتضي موافقته سبحانه فيما يحب وفيما يبغض، وذلك بِحُبِّ مَنْ يحبه الله وحُبِّ ما يحبه الله، وبغض مَن يبغضه الله، وبغض ما يبغضه الله، وهذا يقتضي من المؤمن أن يحب المؤمنين أولياء الله بحسب درجاتهم في الإيمان، ويبغض الكافرين أعداء الله بحسب مراتبهم في الكفر.

ولا يحصل التمايز بين المؤمنين والكفار إلا بأن يعلم الكفار ما بيننا وبينهم من العداوة والبغضاء، والبراءة منهم ومن دينهم، ﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤].

والكفار من حيث العلاقة معهم نوعان: محاربون، ومعاهَدون.

فالمحاربون: يجب أن نظهر عداوتهم وبغضهم بكل صور الإظهار، وأعلى ذلك القتل والقتال، والإرهاب والإذلال.

وأما المعاهَدون (كأهل الذمة يوم كانوا أيام عز المسلمين، وكذا المقيمون اليومَ من الكفار في بلاد المسلمين لسبب من الأسباب):

فيكفي في إظهار بغضنا لهم علمُهم بعقيدتنا فيهم وفي دينهم، وأن يَظهر أثر ذلك في معاملتهم الاجتماعية بالمجالسة واللقاء، بحيث لا تكون معاملتهم كمعاملة المسلم للمسلم في الحفاوة والإكرام، قال ﷺ: «**لا تبدؤوا اليهود ولا النصارى بالسلام، فإذا لقيتم أحدهم في طريق، فاضطروه إلى أضيقه**» رواه مسلم عن أبي هريرة[(١)].

ولا يلزم في إظهار البغض والعداوة أن تقول له: إني أبغضك، فإن هذا لا معنى له، وهو يعلم عقيدتك فيه ومعاملتك له، فليس من العقل ولا من المشروع أن تقول لصاحب في السفر أو زميل في العمل أو جار أو والد أو قريب كلَّما لقيته: إني أبغضك؛ فإن هذا مما ينفر عن الإسلام، وينافي ما أمر الله به من حسن الصحبة وحسن الجوار وبر بالوالدين وصلة الرحم، وقد قال الله في شأن الأبوين المشركين: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥]، وقال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ٣٦﴾ [النساء]، وقال ﷺ لأسماء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا حين سألته: هل تصل أمها وهي مشركة؟ فقال: «**نعم، صلي أمك**» متفق عليه[(٢)]، وفي الصحيح أنه ﷺ قال لعشيرته حين أنذرهم: «**إني لا أملك لكم من الله شيئًا، غير أن لكم رحمًا سأبلها ببلالها**» متفق عليه[(٣)].

---

(١) مسلم (٢١٦٧).

(٢) البخاري (٢٦٢٠)، ومسلم (١٠٠٣).

(٣) أخرجه مسلم (٢٠٤)؛ من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

هذا مع القيام بالواجب من حسن المعاملة، كما تقدم، وعدم الظلم، وكف الأذى، وحسن الجوار، وبر الوالدين، وصلة الرحم، وبذل المعروف، مما يعد من الإحسان العام، وبهذا يظهر الجواب عن السؤال في معاملة النبي ﷺ لعمه وللغلام.

فعلم مما تقدم أن عداوتنا للكفار نوعان:

[النوع الأول]: عداوة قلبية وعملية، ظاهرة وباطنة، وهي عداوة المحاربين، وهذه العداوة تقتضي ألا نألو جهدًا في إلحاق الضرر بهم.

النوع الثاني: عداوة قلبية اعتقادية، وهذه تقتضي البغض والبراءة منهم ومن دينهم، وتلك العداوة والبغض والبراءة عامَّة للكافرين محاربين أو مسالمين، وتلك العداوة -أعني النوع الأول- خاصة بالمحاربين، كما تقدم، وكما هو ظاهر.

ومن شواهد العداوة في المعنى العام قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلۡكَٰفِرِينَ ۝٩٨﴾ [البقرة]، وقوله: ﴿وَيَوۡمَ يُحۡشَرُ أَعۡدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ [فصلت: ١٩]، وقوله سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعۡدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ﴾ [فصلت: ٢٨]، وقوله تعالى عن إبراهيم وأبيه: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُ﴾ [التوبة: ١١٤]، وقوله سبحانه: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ﴾ [المائدة: ٨٢]، وقوله: ﴿وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ﴾ [الممتحنة: ٤]، وقوله تعالى في المنافقين: ﴿هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ۝٤﴾ [المنافقون]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [المجادلة: ٥] أي: يعادون الله ورسوله ويشاقُّون الله ورسوله، وفي معناها قوله

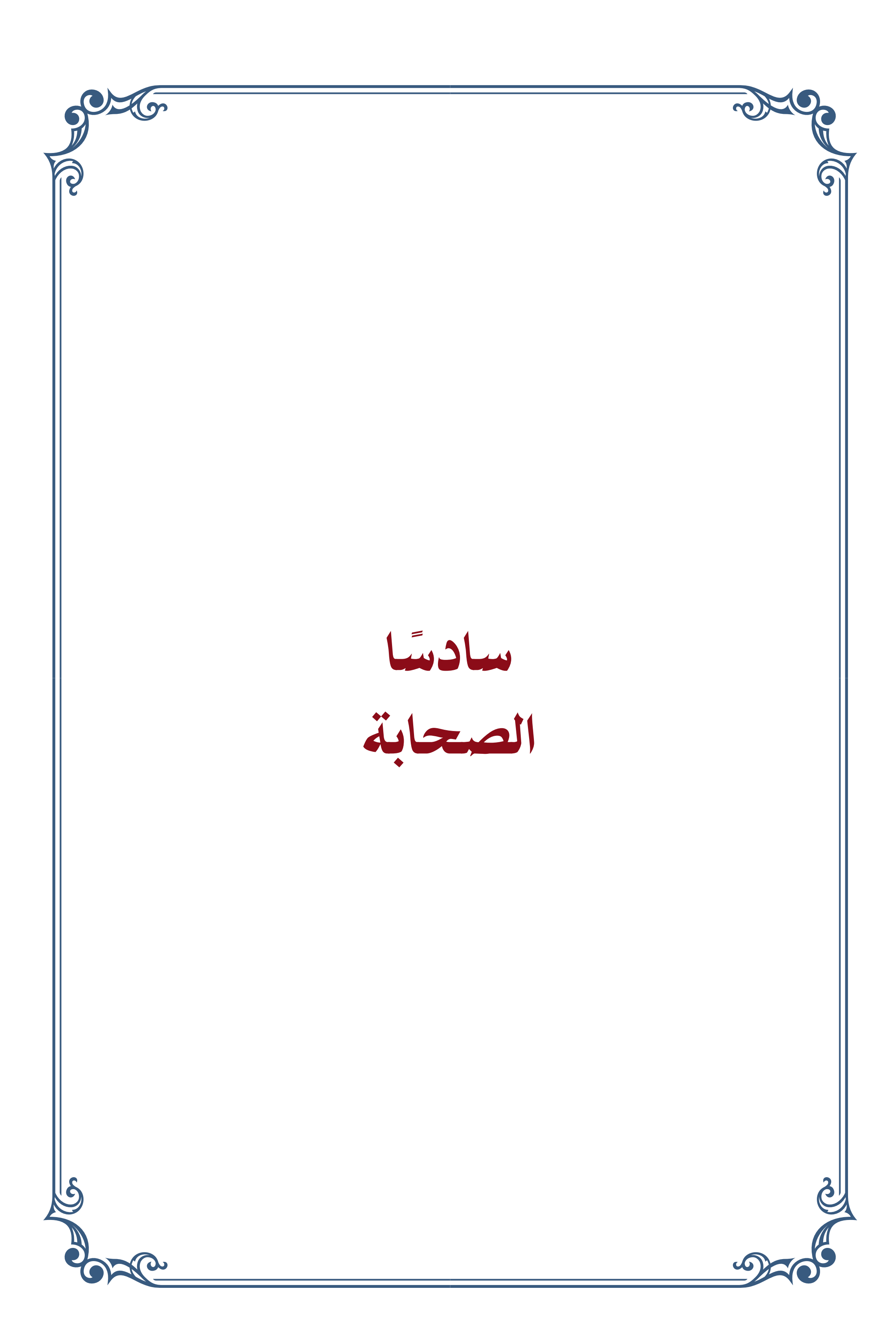
تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [المجادلة: ٢٢] الآية.

ومن شواهد العداوة بالمعنى الخاص بالمحاربين قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الممتحنة: ١] إلى قوله: ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ ۝٢﴾ [الممتحنة]، وقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ﴾ [الأنفال: ٦٠] الآية، وقال ﷺ لأمير الجيش: «**وإذا لقيت عدوك من المشركين، فادعهم إلى ثلاث خصال**» الحديث، رواه مسلم[(١)].

نسأل الله أن ينصر أولياءه المؤمنين، ويخذل أعداءه الكافرين.

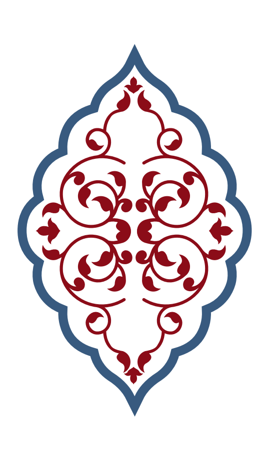
- ❊ ■ ❊ ■ ❊ -

(١) مسلم (١٧٣١)؛ من حديث بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



سادسًا

الصحابة



معنى هداية الصحابة ودرايتهم

السؤال:

أجمع المسلمون على هداية الصحابة ودرايتهم. ما معنى هدايتهم ودرايتهم؟

الجواب:

الحمد لله؛ المراد بهدايتهم: استقامتهم على دين الله الذي جاءهم به نبيهم محمد ﷺ في جميع الأمور؛ في العبادات والمعاملات، والمراد بدرايتهم: فقههم في الدين بفهم كلام الله وكلام رسوله ﷺ، ومعرفتهم لمقاصدهما، فبهذا حازوا الكمال في العلم والعمل، وبذلك كانوا خير الناس بعد الأنبياء، كما قال الرسول ﷺ: «**خير أمتي القرن الذين بعثت فيهم**»[1] الحديث، والله أعلم.

الخوض فيما جرى بين الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

السؤال:

ما حكم التحدث والكلام فيما وقع بين الصحابة رضوان الله عليهم من فتنة تسببت في مقتل عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؟

الجواب:

الحمد لله؛ لا يجوز الخوض في ذلك لمجرد قضاء الوقت وشغل المجالس به، فإن من منهج أهل السنة والجماعة الإمساك عما شجر بين

(١) أخرجه مسلم (٢٥٣٤)؛ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ولكن إذا دعت الحاجة إلى الكلام في ذلك فيجب أن يبين ما يجب لأصحاب الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ من الاحترام، ويبين أن ما يُروى في التاريخ ليس كله صحيحًا، بل منه ما هو كذب، ومنه ما زيد فيه ونقص وغُيِّر عن وجهه، وما صح من ذلك فإنه محمول على أنهم فيه مجتهدون؛ إما مصيبون أو مخطئون، فهم على كل حال مأجورون على اجتهادهم وعلى الصواب، فمن اجتهد وأصاب فله أجران، ومن اجتهد وأخطأ فله أجر، كما جاء عن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في شأن الحكَّام[(١)].

وأما الخوض في ذلك لمجرد التسلي بالحكايات والروايات، كما فعل بعض المؤرخين، فقد سردوا كثيرًا من هذه الأحداث وسجلوها وروجوها، فهذا غلط من المؤرخ، وممن سجل له وروج ذلك، فإن كثيرًا من الناس إذا سمع هذه الأخبار تتغير فكرته ونظرته نحو الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بسبب جهله، وكذلك أصحاب الأهواء الذين يبغضون الصحابة فإنهم يفرحون بمثل هذا، والله أعلم.

منهج أهل السنة والجماعة فيما شجر بين الصحابة

السُّؤَال:

ما القدر الذي يجب السكوت عنه مما شجر بين الصحابة؟ وكذلك المواقف الخاطئة التي كانت من بعضهم، أو من بعض

(١) كما في حديث عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري (٦٩١٩)، ومسلم (١٧١٦).

زوجات الرسول ﷺ، وهي التي يستشهد به بعض من يلقي في أساليب التعامل بين الزوجين؟

الجواب:

الحمد لله؛ أصحاب رسول الله ﷺ هم خير هذه الأمة، وزوجاته وبناته هم خير نسائها، ومذهب أهل السنة والجماعة الإيمان بفضلهم ومحبتُهم، وإنزالهم منازلهم في الفضل، ونشرُ فضائلهم، والدفاعُ عنهم، والردُّ على أهل الغلو فيهم، وأهل الجفاء في حقهم، ومن فروع هذا الأصل الكف عن مساوئهم، وتركُ الخوض فيما كان بينهم من فرقة، وما تفرع عنها من فتن، وما يكون سبابًا من بعضهم لبعض، وما أشبه ذلك مما جرى بين أزواج النبي ﷺ مما يجري في العادة بين الضرائر، وبين الزوجات وأزواجهن.

كل هذا يمسك أهل السنة عن الخوض فيه إلا لغرض صحيح؛ كبيان الواجب في ذلك، وتمييز الصحيح من غيره، وبيان عذر من وقع من الصحابة في شيء من هذه الأمور، والرد على المفترين، وبيان الحكم الشرعي فيها، وهذا إنما يناسب مجالس العلم المقصورة على الطلاب.

أما في المحاضرات العامة، وبرامج الإعلام، فلا ينبغي ذكر هذه الأمور التي تعد من الأخطاء أو الذنوب، إلا في جواب عن سؤال، أو رد على مبطل، وكشف شبهة أورَدَها مُورد؛ فإن المجالس العامة يحضرها ويستمع إليها أنواع من الناس، منهم عوام أهل السنة، الذين صورة الصحابة في صدورهم نقية، ومشاعرهم نحوهم صافية؛ فإذا سمعوا شيئًا من الأمور المذكورة والمأثورة تغير تصورهم عن الصحابة، وشوش ذلك عليهم، ولاسيما من كان من الجهال والسفهاء من الرجال

والنساء، وقد يكون من الحضور والمستمعين من هم من أهل الأهواء الذين يبغضون الصحابة، أو لا يحبونهم كالرافضة، والإباضية، وبعض العصرانيين، فإذا سمعوا شيئًا مما يؤخذ على الصحابة اتخذوا منه مطعنا عليهم، وحجة للقدح فيهم.

وبهذه المناسبة يحسن إيراد ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة الواسطية، في بيان منهج أهل السنة فيما شجر بين أصحاب الرسول ﷺ، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«ويمسكون عما شجر بين الصحابة، ويقولون: إن هذه الآثار المروية في مساويهم؛ منها ما هو كذب، ومنها ما قد زيد فيه ونقص وغير عن وجهه، والصحيح منه هم فيه معذورون؛ إما مجتهدون مصيبون، وإما مجتهدون مخطئون، وهم مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره، بل تجوز عليهم الذنوب في الجملة، ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم إن صدر، حتى إنه يغفر لهم من السيئات ما لا يغفر لمن بعدهم؛ لأن لهم من الحسنات التي تمحو السيئات ما ليس لمن بعدهم، وقد ثبت بقول رسول الله ﷺ أنهم خير القرون، وأن المد من أحدهم إذا تصدق به كان أفضل من جبل أحد ذهبًا ممن بعدهم، ثم إذا كان قد صدر من أحدهم ذنب فيكون قد تاب منه، أو أتى بحسنات تمحوه، أو غفر له بفضل سابقته، أو بشفاعة محمد ﷺ، الذي هم أحق الناس بشفاعته، أو ابتلي ببلاء في الدنيا كفر به عنه، فإذا كان هذا في الذنوب المحققة فكيف بالأمور التي كانوا فيها مجتهدين؛ إن أصابوا فلهم أجران، وإن أخطؤوا فلهم أجر واحد، والخطأ مغفور لهم؟! ثم القدر الذي ينكر من فعل

بعضهم قليل نزر، مغمور في جنب فضائل القوم ومحاسنهم؛ من الإيمان بالله ورسوله ﷺ، والجهاد في سبيله، والهجرة، والنصرة، والعلم النافع، والعمل الصالح، ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة، وما منَّ الله به عليهم من الفضائل، علم يقينا أنهم خير الخلق بعد الأنبياء، لا كان ولا يكون مثلهم، وأنهم هم الصفوة من قرون هذه الأمة، التي هي خير الأمم، وأكرمها على الله تعالى»ا.هـ.

وهذا كلام نفيس جامع لبيان ما يجب اعتقاده في هذا المقام؛ من تعظيم قدر الصحابة، ومعرفة منزلتهم في الأمة، وقد جعلهم الله سلفًا لخيار هذه الأمة إلى يوم القيامة، ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة]، والله أعلم.

قول: لا أحب فلانًا من الصحابة ولا أكرهه!

السؤال:

ما حكم حب صحابة رسول الله ﷺ؟ وما حكم قول: لا أحب فلانًا من الصحابة. ولكنه لا يكرهه ولا يسبه بل لا يحبه -فقط- لأنه قاتل صحابيًّا آخر؟

الجواب:

الحمد لله؛ أصحاب رسول الله ﷺ هم خير هذه الأمة، بل خير الناس بعد الأنبياء، كما قال ﷺ: «**خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم**

الذين يلونهم»[(١)]، وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**خير أمتي القرن الذي بعثت فيهم**»[(٢)]، وقد أثنى الله عليهم في كتابه، كما قال سبحانه: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة]، وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩] إلى أن قال سبحانه: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح]، وأفضل الصحابة على الإطلاق أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، وهم الخلفاء الراشدون المهديون، رضي الله عنهم وعن سائر الصحابة، ولهذا تجب محبتهم والإيمان بفضلهم، وإنزالهم منازلهم، وهذا كله من الإيمان بالله ورسوله، ومن طاعة الله ورسوله، فحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان، كما قاله الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ، وقال أيضًا: «ونحب أصحاب رسول الله ﷺ، ولا نبغض أحدًا منهم، ونبغض من يبغضهم وبغير الخير يذكرهم»[(٣)]، ومع ذلك لا يجوز الغلو في أحد منهم، بتفضيله على من هو أفضل منه، أو بدعوى العصمة له، وهذا هو المنهج الوسط الذي تميز به أهل السنة والجماعة، فهم وسط في أصحاب رسول الله ﷺ بين الرافضة والخوارج الذين هم شر النواصب.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥٠٩)، ومسلم (٢٥٣٣)؛ من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) صحيح مسلم (٢٥٣٤).

(٣) «العقيدة الطحاوية» (ص ٢٩).

ومن يزعم أنه لا يحب بعض الصحابة، ولكن لا يبغضه ولا يسبه لأنه قاتل صحابيًا آخر،هذا القائل متبع لهواه، ولو قُدِّر أن هذا القتال كان ذنبًا ولم يكن له فيه عذر ولا تأويل لما سلبه فضل الإيمان وفضل الصحبة، فكيف إذا كان متأولًا؟!، هذا وقد قال سبحانه: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٩ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٠﴾ [الحجرات]؛ فسمى الطائفتين المقتتلتين مؤمنين، وأثبت بينهما أخوة الإيمان، وأمر بالإصلاح بينهما، ومن منهج أهل السنة والجماعة الإمساك عما شجر بين الصحابة، والتماس العذر لهم فيما جرى بينهم -هذا فيما صح من ذلك- وأنهم في أكثر ذلك مجتهدون مأجورون؛ إما مصيبون وإما مخطئون.

وشر الطائفتين الضالتين في أمر الصحابة هم الرافضة؛ فقد جمعوا بين الغلو والجفاء، فغلوا في بعضهم كعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأولاده من فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وجفوا جمهور الصحابة بالبغض والسب والتكفير أو التفسيق، ولهذا كانت الرافضة -الذين يُسمون أنفسهم بالشيعة- شر طوائف الأمة، فالواجب على المسلم أن يلزم منهج أهل السنة والجماعة في أصحاب رسول الله ﷺ وفي سائر مسائل الدين، فيبرأ من الإفراط والتفريط ليستقيم على المنهج القويم، والله الهادي إلى سواء السبيل، والله أعلم.

سب صحابي لم يرد فيه فضل خاص

السُّؤَالُ:

ما حكم سب صحابي واحد في عدالته ممن لم يرو فيه فضل خاص؟

الجواب:

الحمد لله؛ هذا منكر، وهو خلاف ما عليه أهل السنة والجماعة، من تعديل جميع الصحابة، ومعلوم أن السب قدْرٌ زائد على نفي عدالة ذلك الصحابي، فهو يتضمن قدحًا في عدالته وعدوانًا.

نشر قصيدة في عائشة رضي الله عنها

السُّؤَالُ:

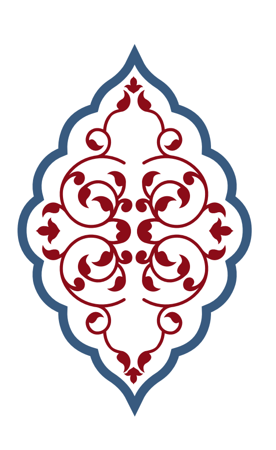
أنا صاحب دار نشر، وأريد نشر كتاب عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قيم، وأورد فيه مؤلفه -وهو معاصر- قصيدة ابن بهيج في أم المؤمنين، ولكن رأيت في آخرها ما قد يشير إلى اللياذ بأهل بيت رسول الله ﷺ:... فهل تشيرون علي بحذف البيت، أو بتعديله، أو بالتعليق عليه، أو بحذفه، أو بحذف القصيدة؟ جزاكم الله خيرًا.

الجواب:

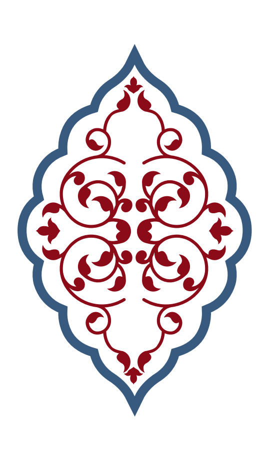
الحمد لله؛ لا أرى نشر القصيدة مطلقًا، وما في الأحاديث والسنن من فضل عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مغن عن هذه القصيدة التي فيها ما يوهم جواز

الشرك باللياذ بأهل بيت الرسول ﷺ، كما يفعله الروافض، وما في القصيدة من الفخر على لسان أم المؤمنين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا مما لا يليق بها، فأرى عدم نشر القصيدة، والله أعلم.

- ❊ ■ ❊ ■ ❊ -



سابعًا
الملل والفرق



الفرق بين أهل الكتاب والمشركين والكفار

السؤال:

هل هناك فرق بين أهل الكتاب والمشركين؟ وهل ينطبق وصف المشركين على أهل الكتاب؟ وما الفرق بين الكفار والمشركين؟ أرجو التوضيح الشافي، وجزاكم الله خيرًا.

الجواب:

الحمد لله؛ ينبغي أن يعلم أن الألفاظ يختلف معناها بالإفراد والاقتران من حيث العموم والخصوص، وهذا المعنى كثير في القرآن، ومن ذلك لفظ الكفار والمنافقين، والمشركين وأهل الكتاب، وأعم هذه الألفاظ لفظ الكفار، فإنه يشمل المنافقين النفاق الأكبر ويشمل عمومَ المشركين والكفارَ من أهل الكتاب، واسم المنافقين يختص بمن يُظهر الإسلام ويبطن الكفر، فإذا ذكر المنافقون والكفار كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ١٤٠﴾ [النساء] اختص اسم المنافقين بمن يبطن الكفر، واسمُ الكافرين بالمعلنين له، وأكثر ما يطلق اسمُ المشركين في القرآن على الكفار من غير أهل الكتاب، كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥]، وقد يطلق لفظ المشركين على ما يعم الكفار في مقابل المنافقين، كما قال تعالى: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾ [الفتح: ٦]، فيدخل في ذلك كفرة أهل الكتاب والمجوس، وقد يخص الله بعض طوائف المشركين باسم يُعرفون به كالمجوس، كما قال

سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾﴾ [الحج]، فعطفُ الذين أشركوا على المجوس من عطفِ العام على الخاص، وأما الطوائف الأربع الأولى في هذه الآية فإن منهم المؤمن، ومنهم الكافر كفرًا ظاهرًا أو باطنًا، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [البقرة]؛ أي: من آمن منهم بالله واليوم الآخر، وهكذا أهل الكتاب منهم المؤمن والكافر، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم﴾ [آل عمران: ١١٠]، إلى قوله تعالى: ﴿لَيْسُواْ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [آل عمران]، إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۚ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١٦﴾﴾ [آل عمران].

وهذا الانقسام في اليهود والنصارى والصابئين إنما هو باعتبار حالهم قبل مبعث النبي ﷺ، أما بعدما بعث الله خاتم النبيين فكل من لم يؤمن به من اليهود والنصارى، وغيرهم فإنه كافر، فإن من مات على ذلك فهو من أهل النار، ولا ينفعه انتسابه لشريعة التوراة و الإنجيل، وقد انضاف كفرهم بتكذيبهم محمدًا ﷺ إلى ما ارتكبوه من أنواع الشرك والكفر قبل ذلك، كقول اليهود: عُزيرٌ ابْنُ اللّه، وقول النصارى: المسيحُ ابْنُ اللّهِ، والشرك في النصارى أظهر منه في اليهود وأكثر، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ

ﭐعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ٧٢ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٧٣﴾ [المائدة] إلى قوله تعالى: ﴿قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٧٦﴾ [المائدة]، وقوله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٣١﴾ [التوبة].

فتبين مما تقدم أن اليهود والنصارى وسائر المشركين من عبدة الأوثان والمجوس كلهم كفار؛ من مات منهم على كفره فهو في النار، وأنهم جميعًا مدعوون إلى الإيمان بالقرآن وبالرسول الذي جاء بالقرآن، ومأمورون باتّباعه عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فإن رسالة محمد ﷺ عامة لجميع الناس من الكتابيين والأميين، كما قال تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٩﴾ [المائدة]، وقال ﷺ: «**والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار**»[1].

ولكن دلت النصوص من الكتاب والسنة على الفرق بين أهل الكتاب وغيرهم من الكفار في بعض الأحكام.

---

(١) أخرجه مسلم (١٥٣)؛ من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ.

ومن ذلك: حل ذبائح أهل الكتاب، وحل نسائهم الحرائر العفيفات، كما قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ [المائدة: ٥] بخلاف سائر طوائف الكفار من المجوس وعبدة الأوثان وغيرهم، فلا تحل ذبائحهم ولا نساؤهم للمسلمين، وهذا متفق عليه بين العلماء.

ومن ذلك أن الجزية لا تؤخذ إلا من اليهود والنصارى والمجوس، على قول أكثر أهل العلم، لقوله تعالى: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ۝٢٩﴾ [التوبة]، وثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه أخذ الجزية من مجوس هجر[١]. فلذلك اتفق العلماء على أخذ الجزية من هذه الطوائف، واختلفوا في أخذها من غيرهم، والراجح أنها تؤخذ من جميع طوائف الكفار لحديث بريدة في صحيح مسلم[٢] أنه كان ﷺ إذا أمَّر أميرًا على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرًا... الحديث، وفيه: «**وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال -أو خلال- فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم،...، فإن هم أبوا** [أي: الإسلام] **فسلهم الجزية، فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم**» الحديث.

(١) أخرجه البخاري (٣١٥٧)؛ من حديث بجالة بن عبدة.

(٢) مسلم (١٧٣١).

فإذا تبين مما تقدم أن الكفر ضد الإسلام، وأن من ليس بمسلم فهو كافر، سواء أكان يهوديًّا أم نصرانيًّا أم وثنيًّا مشركًا أم ملحدًا؛ علم بذلك ضلال من يعبر عن الكفر بالرأي الآخر، وعن الكفار بغير المسلمين ويتحاشى وصفهم بالكفر والكافرين مع ما يتضمنه هذا المنحى الفاسد من اعتبار دين الإسلام الذي -هو دين الله- رأيًا يقابل برأي، وهذا اللفظ (أي الرأي الآخر) يقتضي أن دين الإسلام منشؤه الفكر والاجتهاد ممن جاء به -وهو الرسول ﷺ- أو أخذ به -وهم المؤمنون- ومعلوم أن من يعتقد ذلك من المنتسبين إلى الإسلام فإنه كافر مرتد عن الإسلام، فسبيله سبيل المرتدين، وحكم المرتد أن يستتاب، فإن تاب و إلا قتل.

ولكن من الخطأ الفاحش أن يصدر مثل هذا التعبير ممن يعلم يقينًا أنه لا يعتقد مدلول اللفظ، ولكنه يؤثر هذا التعبير مصانعة للكفار وتألفًا لهم بزعمه، ومعلوم أن هذا ليس من التألف المشروع، فإن الله نعت كل من خرج عن دين الإسلام بالكفر والشرك، كما تقدم ذكر بعض الشواهد من القرآن على ذلك، ومن هذا قوله تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝١﴾ [الكافرون] إلى آخر السورة، وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٢﴾ [التغابن]، فيجب على من وقع منه هذا الخطأ أن يستغفر ويتوب كما أمر الله بذلك في قوله سبحانه: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾ [هود: ٣].

نسأل الله أن يلهم الجميع الصواب، وأن يتوب علينا إنه هو التواب الرحيم.

الرافضة وتحريف القرآن

السؤال:

أرجو منكم تبيين حكم من يقول بتحريف القرآن وهو مقتنع بذلك تمام الاقتناع، والتحريف المقصود هنا هو ما يقوله بعض علماء الشيعة، كأن يقولوا: بأن هناك كلمات أسقطت من القرآن الكريم، أو أن أماكن الآيات قد تم تبديلها وتغييرها، كما أرجو منكم تبيين حكم من يؤوِّل القرآن ويفسره على مزاجه الخاص، كأن يقال بأن الآية: ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ۝٥٥﴾ [المائدة]، قد نزلت في حق سيدنا علي كرم الله وجهه، جعلها الله في ميزان حسناتكم.

الجواب:

الحمد لله؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر]، في هذه الآية ضمان من الله بحفظ ما أنزله على عبده ورسوله ﷺ، وقد حقق الله وعده بأن وفَّق أصحاب رسول الله ﷺ لحفظ القرآن بجمعه وكتابته وحفظه في صدورهم، وتلقاه التابعون عنهم فكان القرآن بذلك محفوظًا بحفظه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فمن زعم أنه قد أُسقط شيء من القرآن أو غُيِّر عمّا جاء عن الرسول ﷺ؛ فإنه كافر، لأن ذلك يعارض قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر]، فإذا كان أُسقط شيء منه ولو سورة أو آية لم يكن محفوظًا.

وأما من تأول القرآن وفسره بحسب هواه ولم يكن عن شُبَهٍ عرضت له فإنه متلاعب بكلام الله؛ فيكون بذلك كافرًا، وذلك مثل تحريفات

باطنية الرافضة: كقولهم في قوله تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٩﴾ [الرحمن] إن البحرين: علي، وفاطمة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، وفي قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ۝٢٢﴾ [الرحمن]: إنهما الحسن والحسين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، وقولهم: المراد بـ ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾ [المسد]: أبو بكر وعمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا وغير ذلك.

وإن تعمُّد تحريف القرآن يشبه طريقة اليهود، كما أخبر الله عنهم بقوله: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء: ٤٦]، وقوله: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝٧٥﴾ [البقرة].

وأما من قال: إن قوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ۝٥٥﴾ [المائدة] إنها نزلت في علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ حينما تصدق بخاتمه على المسكين وهو راكع، فهذه القصة لم تثبت، وإن ذكرها بعض المفسرين، وهي من وضع الشيعة الذين يريدون أن يجعلوا كثيرًا من الآيات جاءت في شأن علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

فيجب التنبه والحذر من تصديق الروايات المكذوبة، أو الروايات التي لم تثبت بالأسانيد الصحيحة، ولاسيما ما يتضمن تأييد بعض المذاهب المبتدعة، وكثير مما يذكر في أسباب النزول، إنما جاء في روايات ضعيفة.

وقوله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿وَهُمْ رَٰكِعُونَ ۝٥٥﴾ يعني: وهم خاضعون لربهم متذللون، فيؤدون فرائض الله من الصلاة والزكاة خاضعين، منقادين لأمر الله، مؤمنين بشرعه، محتسبين لثوابه، والله أعلم.

عقيدة التقية عند الرافضة

السؤال:

فضيلة الشيخ الوالد عبد الرحمن بن ناصر البراك -حفظه الله-.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد:

فنرجو من فضيلتكم تعريف (التقية) لغة وشرعًا، وبيان حكمها في الشرع، كما نريد من فضيلتكم الرد على الرافضة الذين يستدلون بقول الله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةً﴾ [آل عمران: ٢٨]، وقوله سبحانه: ﴿إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦].

كما زعم الرافضة الإمامية أن النبي ﷺ عمل بالتقية، وجاء في جامع الأخبار (ص: ١١٠) وبحار الأنوار (٥٧/ ٤١٢) من كتبهم أن النبي ﷺ قال: تارك التقية كتارك الصلاة.

ويزعم الرافضة أن الأئمة قد عملوا بالتقية بسبب الظلم والاستبداد الذي عاشوا فيه، ولذلك فالرافضة يحثون أتباعهم على التقية مع المخالفين لهم (أهل السنة)، فقد رووا عن بعض أئمة أهل البيت: «من صلّى وراء سني تقية فكأنما صلّى وراء نبي»، ويقولون في كتابهم الكافي: «يا أبا عمر إن تسعة أعشار الدين في التقية، ولا دين لمن لا تقية له، والتقية في كل شيء إلا النبيذ والمسح على الخفين.» ويروون عن أبي جعفر قوله: «التقية ديني ودين آبائي، ولا إيمان لمن لا تقية له». وينقلون في كتابهم الكافي عن الصادق أنه قال: سمعت أبي يقول: «لا والله، ما على وجه الأرض شيء أحب إليَّ من التقية، يا حبيب إنه من

كانت له تقية رفعه الله، يا حبيب من لم تكن له تقية وضعه الله، يا حبيب إن الناس إنما -كذا- في هدنة، فلو قد كان ذلك كان هذا».

وسؤالنا: كيف نتعامل مع هؤلاء الناس الذين يتعاملون بهذه العقيدة؟

وما هو واجب أهل السنة مع من يعتقد هذه الاعتقادات الباطلة؟

الجواب:

الحمد لله؛ إن التقية على وزن (نقية)، ويقال فيها (تقاة) على وزن (سُقاة)، كما قال تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ [آل عمران: ٢٨].

وهي لغة: اتقاء العدو أو شر المخالف بالموافقة له بقول أو فعل.

واصطلاحًا: اتقاء المؤمن أذى الكفار بإظهار الموالاة لهم، أو بإظهار الموافقة على دينهم عند الإكراه المحقق مع طمأنينة القلب بالإيمان، كما في قوله: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ [آل عمران: ٢٨]. وقال: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَـٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾ [النحل].

ويدخل في المعنى العام للتقيَّة -وهو المعنى اللغوي- النفاق، بإظهار الإيمان وإبطان الكفر، فإن المنافقين يفعلون ذلك اتقاء بأس المؤمنين بإقامة حكم الله فيهم لو أظهروا ما يسرونه من الكفر، فيعصمون بنفاقهم دماءهم وأموالهم، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾﴾ [البقرة].

وإنما يلجأ الكفار إلى النفاق إذا ظهر دين الله وقويت شوكة المؤمنين، كما حدث في المدينة في عهد رسول الله ﷺ.

ومن دوافع النفاق الدخول في صفوف المسلمين، والعيش بينهم لإفساد عقائدهم، وبث الشبهات بينهم لتشكيكهم في دينهم، وغرس البدع التي تفسد عليهم دينهم، فيخرجون بها عن أصول الدين، ويضلون بها عن الصراط المستقيم، فيؤثرونها على هدي رسول الله ﷺ، وهدي صحابته الكرام.

فيدخلون بذلك في قوله: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾ [فاطر: ٨].

وهذا النوع من النفاق هو أصل مذهب الرافضة، فإن مؤسسه عبد الله ابن سبأ اليهودي الذي أظهر الإسلام وأظهر التشيع لعلي، فزين لطائفة من الشيعة أن عليا هو الإله فلما أظهروا ذلك لعلي أمر بشق أخاديد، وأضرمت فيها النيران، ثم أمر بإلقاء أولئك الغلاة فيها، ويروى عنه قوله في ذلك:

لما رأيتُ الأمر أمرًا منكرا
أجَّجْتُ ناري ودعوت قنْبَرا

فمن ذلك الوقت صارت الشيعة ثلاث فرق:

١. غلاة.

٢. سَبابة، وهم الإمامية الذين عرفوا بعد ذلك بالرافضة.

٣. مُفَضِّلة، وهم الذين عرفوا بعد ذلك بالزيدية.

فأما الرافضة من الإمامية والغالية فقد اتخذوا التقية أصلًا من أصول مذهبهم، فيخفون أصولهم الكفرية؛ إما خوفًا من سلطان الشرع، أو خداعًا لجهال المسلمين. فحقيقة التقية التي يدين بها الرافضة هي النفاق، ومع ذلك يدّعون على الأئمة من أهل البيت -عليٍّ ومن بعده- أنهم قائلون بالتقية، وعاملون بها مع الخلفاء ومع جمهور المسلمين، ومعنى ذلك أنهم كانوا يظهرون خلاف ما يبطنون فلا يصدعون بالحق، ولا يأمرون بمعروف ولا ينهون عن منكر بل يظهرون ما يعتقدونه باطلا تقية.

وهذا كذب على أمير المؤمنين علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فإنه كان صداعًا بالحق قوالا به، لا يخاف في الله لومة لائم وكذلك الحسن والحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وعلي بن الحسين وابنه محمد، وابنه جعفر برآء من هذه الفرية، فإنهم لا يكتمون الحق الذي يدينون به، ولا يظهرون الموافقة على الباطل كما تزعم الرافضة. فهؤلاء الأئمة -على قول الرافضة- لم ينصروا حقًّا، ولم يكسروا باطلًا، ولم يغيروا منكرًا ولا بالقول فضلًا عن الفعل، فإن هذا هو موجَب التدين بالتقية على حد زعم الرافضة.

وأعظم من الكذب على الأئمة الكذب على النبي ﷺ بنسبته إلى التقية، كما جاء في السؤال، فنقول: سبحانك هذا بهتان عظيم، وهذا من كذب الرافضة المضحك، ونظائر هذا منهم وعنهم كثير، فهم يكذبون ولا يحسنون كيف يكذبون، مما يدل على حمقهم وجهلهم، مما جعلهم سُبة على الإسلام. سبحان الله! كيف يجرؤون على مقام النبي ﷺ بنسبة التقية إليه؟! وهو الذي قال الله له: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٩٤﴾

﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾﴾ [الحجر]، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ۚ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]، كيف وهو الذي لما راودته قريش على ترك دعوته، قال: «**والله لو جعلوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر ما تركته**»[(١)] وهو الذي قال في أعظم جمع بعرفة: «**وأنتم تسألون عني، فما أنتم قائلون؟**» قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت، فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: «**اللهم اشهد اللهم اشهد**» ثلاث مرات.[(٢)]

وعلى هذا؛ فنسبة التقية إلى رسول الله ﷺ تتضمن الطعن في تبليغه لرسالات ربه، وفي ذلك أعظم تنقص لقدره، بل التقية قد طلبها المشركون منه ﷺ أو رغبوا في ذلك، قال: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾﴾ [القلم]؛ قيل معناه: ودوا لو تسكت فيسكتون، وحاشاه ﷺ أن يسكت عن الصدع بأمر الله دعوة إلى التوحيد، ونهيًا عن الإشراك بالله، وبيانًا للحق من الباطل.

فمن زعم أن النبي ﷺ عمل بالتقية ولو في مسألة واحدة فهو كافر مرتد عن الإسلام؛ لأن ذلك يتضمن نسبته إلى كتمان ما أمره الله بتبليغه، قال أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لو كان رسول الله ﷺ كاتمًا شيئًا لكتم هذه الآية: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ﴾ [الأحزاب: ٣٧][(٣)]، وقالت عائشة

---

(١) أخرجه ابن إسحاق في السيرة (٢٠٠)، وغيره.
(٢) أخرجه مسلم (١٢١٨)؛ من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٣) أخرجه البخاري (٧٤٢٠).

رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: من زعم أن رسول الله ﷺ كتم شيئًا من كتاب الله فقد أعظم على الله الفرية[(١)]، وفي رواية قالت: لو كان محمد ﷺ كاتمًا شيئًا مما أنزل عليه لكتم هذه الآية: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ [الأحزاب: ٣٧][(٢)].

وأما قبول النبي ﷺ لظاهر بعض المنافقين ممن يعلم بنفاقه، فذلك امتثال لأمر الله فيهم بإجراء أحكام الدنيا عليهم، فقد كان يسر ببعض أسمائهم إلى حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. وقد أمره الله بجهاد المنافقين ببيان علاماتهم وسوء عاقبتهم، كما فُصل ذلك في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ.

وأما مداراته ﷺ لبعض الأشرار والجفاة فذلك من حسن خلقه ﷺ ولتألفهم على الإسلام. كما كان يخصهم بالعطايا لذلك، وليس في شيء من ذلك سكوت عن المنكر، أو إظهار للموافقة عليه، والله أعلم.

وبعد؛ فلم يقف الرافضة في التقية التي يدينون بها وينسبونها إلى أئمة أهل البيت بل إلى رسول الله ﷺ كما تقدم، لم يقفوا عند حد الجواز والرخصة، بل جعلوها أصلا من أصول مذهبهم ودينهم، وغلوا في ذلك فأوجبوها على أهل مذهبهم، وافتروا على الأئمة في ذلك أقوالا يُعلم بالضرورة أنهم ما قالوها، كالأقوال التي وردت في السؤال وغيرها. وقال ابن بابويه -من علمائهم- في كتابه الاعتقادات (ص ١١٤): «اعتقادنا في

(١) أخرجه مسلم (١٧٧).
(٢) أخرجه مسلم (١٧٧).

التقية أنها واجبة، من تركها بمنزلة من ترك الصلاة». وهذا يقتضي أن على كل شيعي أن يعمل بالتقية مع جميع المسلمين، ما عدا أهل مذهبه الشيعة. وهذا بعينه سبيل المنافقين إذا كانوا بين المسلمين، كما حكى الله عنهم: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾﴾ [البقرة]. ولهذا تهيأ للرافضة من عصمة دمائهم وأموالهم، والعيش بين المسلمين أهل السنة ما تهيأ للمنافقين، فهم لا يظهرون أصول اعتقادهم الكفرية؛ كتأليه الأئمة، وتكفير الصحابة، ولعن الشيخين، ورمي عائشة أم المؤمنين بما برأها الله منه، بل غاية ما يظهرونه بين المسلمين -إذا ضعفت دولة أهل السنة- بعض بدعهم العملية، مثل: إظهار الجزع قولًا وفعلًا -في يوم عاشوراء- على مقتل الحسين.

وبما تقدم يتبين أن التقية عند الرافضة تضمنت عشرة أمور منكرة، وهي:

١. مشابهة المنافقين بكتمان الباطل وإظهار الموافقة خداعًا للمؤمنين.

٢. اتخاذ التقية وسيلة لكيد أهل السنة وإلحاق الضرر بهم، والتدين بذلك. ومع هذا فأهل السنة لا يظلمونهم في نفس ولا مال، ولكن ينكرون عليهم ما أظهروا من بدعهم ويأمرونهم بالمعروف. قال الخبير بالروافض شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما الرافضي فلا يعاشر أحدًا إلا استعمل معه النفاق، فإن دينه الذي في قلبه دين فاسد، يحمله على الكذب والخيانة، وغش الناس، وإرادة السوء بهم، فهو لا يألوهم خبالًا، ولا يترك شرًّا يقدر عليه إلا فعله بهم»[1].

٣. ابتداع شريعة في الدين لم يأذن بها الله.

---

(١) «منهاج السنة» (٦/ ٤٢٥).

٤. الغلو في هذه البدعة بدعة التقية؛ حتى جعلوها من أوجب الواجبات، ومن أعظم أصول الإسلام بزعمهم.

٥. أنهم بهذه البدعة فتحوا الباب للمنافقين؛ كالنصيرية والعُبيدية ونحوهم، فإنهم دخلوا في الإسلام من باب التشيع، فأبطنوا الكفر بالله ورسوله ﷺ، كما قال بعض أهل العلم في العبيديين ونحوهم: إنهم يظهرون الرفض ويبطنون الكفر المحض.

٦. الافتراء على أمير المؤمنين علي، وعلى الأئمة بنسبة هذا الباطل إليهم.

٧. أنهم بالافتراء على أئمة أهل البيت بنسبتهم إلى التقية أفسدوا كل ما جاء عنهم مما يروونه أو يرونه من الحق، حيث حَمَلت الرافضة كل ذلك على التقية.

٨. نسبة أهل البيت إلى ترك الصدع بالحق.

٩. إضلال عوامهم حتى صاروا مذبذبين بين أئمتهم وبين إظهار موافقتهم لأهل السنة كحال المنافقين؛ مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، فعلى أئمة الرافضة مثل آثام من أضلوهم، كما قال ﷺ: «**ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا**»[(١)]، وقال ﷺ لهرقل: «**فإن توليت فعليك إثم الأريسيين**».[(٢)]

١٠. قطع الطريق على من يريد دعوتهم، فإنهم إن لم يبينوا عن حقيقة معتقدهم امتنعت مناظرتهم.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٧٤)؛ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣)؛ من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وههنا فروق بين التقية الشرعية والتقية الرافضية:

١) أن التقية الشرعية رخصة لا عزيمة، والتقية عند الرافضة عزيمة وواجبة.

٢) أن التقية التي أذن الله بها هي التقية من الكفار، وتقية الرافضة هي مع جمهور المسلمين بناء على قولهم بكفرهم.

٣) أن التقية إنما تباح مع الإكراه، وتقية الرافضة واجبة عندهم مع المخالف مطلقًا في كل حال، مع الإكراه ومع غير الإكراه.

٤) أن من يكتم إيمانه بين الكفار لا يظهر الموافقة لهم على دينهم، والرافضة إذا كانوا بين المسلمين أظهروا الموافقة لهم.

٥) أن المسلم الذي يكون تحت سلطان الكفار ولا يقدر على إظهار دينه، لا يظلم الكفار ولا يسعى في إلحاق الضرر بكل أحد منهم، بخلاف الرافضة مع أهل السنة كما تقدم.

وأما معاملة الرافضة -مع أخذهم بالتقية- فتشبه معاملة المنافقين، نقبل علانيتهم ونكل سرائرهم إلى الله، ونأمرهم بأداء الواجبات الشرعية، وننكر عليهم ما أظهروه من بدع ومنكرات بحسب الاستطاعة في درجات الإنكار، وبحسب درجات المنكر، وتؤدى إليهم حقوقهم، ويجب العدل فيهم، ويحرم ظلمهم، مع وجوب الحذر منهم لما تقدم من أنهم يتدينون بعداوة أهل السنة وإلحاق الضرر بهم، ويُسلم على المسالم منهم، وهو الذي لا يدعو إلى مذهبه ولا يظهر بدعه ولا يطعن في أهل السنة، بخلاف المجاهر بشيء من ذلك فلا يسلم عليه،

ويعاملون في البيع والشراء كسائر الناس فيجوز الشراء منهم والبيع منهم دون كذب ولا غش، فإن الكذب والغش في المعاملات ظلم لا يجوز بحال من الأحوال ومن قدر على دعوة أحد منهم كان ذلك خير ما يقدم لهم، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

وبمناسبة الحديث عن التقية عند الرافضة أُنبه إلى خطر دعوة التقريب بين السنة والشيعة والرافضة، فإنها دعوة ماكرة من الرافضة راجت على كثير من المثقفين من أهل السنة، وذلك لجهلهم بأصول الرافضة، وغفلتهم عن واقع الرافضة وعما يؤدي إليه هذا التقريب من تنازل من يستجيب لهذه الدعوة عن منهج أهل السنة في معاملة المبتدعة، وسكوتهم عن قبائح الرافضة في ضلالهم، ولن يتنازل الرافضة عن شيء من أصول مذهبهم إلا ما كان تحت شعار التقية.

ودعوة التقريب هذه هي إحدى الوسائل التي تعول عليها دولة الرافضة في إيران لتحقيق أهدافها في المنطقة وبسط نفوذها، ونشر المذهب الرافضي في بلاد السنة.

ولا يغتر بما تدعيه هذه الدولة الرافضية من مناصرة القضية الفلسطينية ومقاومة الاحتلال اليهودي، وذلك من خلال ما يطلقه ساستهم في هذه الأيام من أقوال يخدعون بها من لا يعرف مكرهم، وكذلك من خلال ما يسمى بـ حزب الله في لبنان، فإنه مد رافضي لدولة إيران.

ومن يعلم اعتقاد الرافضة في سلف الأمة من الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم من سائر طوائف السنة يدرك أن خطر الرافضة على أهل السنة لا يقل عن خطر اليهود.

ولا أدل على ذلك من حال أهل السنة في ظل حكومة إيران، ومن حال أهل السنة في العراق بعد الاحتلال الصليبي، وما يلاقيه هؤلاء وهؤلاء على أيدي الرافضة من أنواع الظلم.

وقد كشفت أحداث العراق الأخيرة، عن أطماع حكومة إيران في المنطقة، وذلك بنصرتها لرافضة العراق ولقوات الاحتلال على أهل السنة، والعمل على أن تكون العراق دولة رافضية، مما يجعل الدولتين كدولة واحدة، ويجعل خطر الرافضة عظيما، ولعل ذلك مما يكشف لأهل السنة عن حقيقة الرافضة فلا ينخدعون بما يزخرفونه من الأقوال التي لا حقيقة لها.

نسأل الله أن ينصر دينه، وأن يرد كيد أعدائه في نحورهم ويكفينا شرورهم، إنه على كل شيء قدير.

الخوارج

السُّؤَالُ:

ما الأمور التي اتفقت عليها فرق الخوارج؟ وما الأمور التي وقع فيها خلافٌ بينهم؟ و ما هو القول الراجح في كفر الخوارج؟ وما

ضابط أن يُطلق على شخصٍ ما أو على فكرٍ ما أنه شخصٌ خارجي، أو فكرٌ خارجي؟ وجزاكم الله خير ما جزى عالمًا عن طلابه.

الجواب:

الحمد لله؛ الخوارج اسم لطائفة من المبتدعة ظهرت في خلافة علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ومعظمهم كان في جيش علي ففارقوه عندما اتفق علي ومعاوية على تحكيم أبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، فأنكرت الخوارج ذلك وقالوا: حكمتم الرجال! لا حكم إلا لله، فبعث إليهم علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا فناظرهم، فرجع كثير منهم، وانحاز الذين أصروا على مذهبهم إلى موضع يقال له: النهروان، فكفَّروا الحكمين وعليًّا ومعاوية ومن معهما، وأغاروا على سرح المسلمين، وقتلوا عبد الله بن خباب من أصحاب علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

فرأى فيهم أمير المؤمنين علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ صفات المارقين الذين أمر النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بقتالهم ورغب فيه، كقوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم، وعملكم مع عملهم، ويقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية**»[(١)].

وفي حديث آخر في الصحيحين: «**فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجرًا لمن قتلهم يوم القيامة**»[(٢)]، فقاتلهم علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بمن معه من

(١) أخرجه البخاري (٣٦١٠) ومسلم (١٠٦٤)؛ من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.
(٢) البخاري (٣٤١٥)، ومسلم (١٠٦٦)؛ من حديث علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

الصحابة، وأظهره الله عليهم، وسُرّ بذلك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لقول النبي ﷺ: «**تمرق مارقة على حين فُرقة من المسلمين، تقتلهم أَوْلى الطائفتين بالحق**»[(١)].

وأصل مذهبهم التكفير بالكبائر من الذنوب، وقد يعدون ما ليس بذنب ذنبًا؛ فيكفِّرون به، كما قالوا في التحكيم بين علي ومعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فلذلك كفروا الحكمين، وكفروا عليًّا ومعاوية ومن معهما، ثم صاروا بعد ذلك فرقًا حسْبَ زعاماتهم.

ومن الأصول المشهورة عنهم إنكار السنة، ومن فروع ذلك: إنكارهم المسح على الخفين، وإنكار رجم الزاني المحصن.

والذي يظهر: أنه لا يعد من الخوارج إلا من قال بهذين الأصلين، وهما: التكفير بالذنوب، وإنكار الاحتجاج والعمل بالسنة.

هذا، وقد اختلف العلماء في كفر الخوارج:

فذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ أن الصحابة مجمعون على عدم تكفيرهم، بل جاء عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قيل له: أكفار هم؟ قال: «من الكفر فروا»[(٢)]، وذكر شيخ الإسلام عن الإمام أحمد في ذلك روايتين[(٣)].

والذين كفروهم احتجوا بالأحاديث التي وصفتهم بالمروق من الدين، كقوله ﷺ: «**يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية**»[(٤)].

---

(١) أخرجه مسلم (١٠٦٤)؛ من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) «مصنف عبد الرزاق» (١٨٦٥٦).

(٣) «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٥١٨).

(٤) أخرجه البخاري (٣٦١٠)، ومسلم (١٠٦٤)؛ من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والذين قالوا بعدم كفرهم احتجوا بمعاملة علي والصحابة لهم، فإنهم لم يعاملوهم معاملة المرتدين، فلم يغنموا أموالهم، ولم يسبوا حريمهم، واحتجوا أيضًا بالأثر المتقدم عن علي، وأجابوا عما جاء في الأحاديث من وصفهم بالمروق، فقالوا: إما أن يراد بها أن بدعتهم تؤول ببعضهم إلى الكفر، أو أن بدعتهم مكفرة موجبة لكفرهم لولا تأويلهم.

والقول الثاني -وهو عدم تكفيرهم- هو الراجح عندي، والله أعلم.

وأما تفاصيل الفرق بين فرقهم، فيُرْجَع فيه إلى كتب الفرق: ككتاب الملل والنحل للشهرستاني، والفصل لابن حزم، والله أعلم.

الفرق بين أهل السنة والخوارج في دخول العمل في مسمى الإيمان

السُّؤَالُ:

إن معتقد أهل السنة والجماعة في الأعمال أنها ركن من أركان الإيمان؛ فما هو الفرق بين معتقد أهل السنة ومعتقد الخوارج في باب الأعمال؟ أرجو منكم توضيح ذلك، وجزاكم الله خيرًا.

الجواب:

الحمد لله؛ أهل السنة والجماعة يقولون: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص؛ ويعنون بالقول: اعتقادَ القلب، وإقرارَ اللسان، وبالعمل: عملَ القلب، وعملَ الجوارح، وهذا معنى قول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في العقيدة الواسطية: إن الإيمان قول وعمل: قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح.

والمعتزلة والخوارج يوافقون على أن الإيمان قول وعمل، ولكنه عندهم لا يزيد ولا ينقص فإذا ذهب بعضه ذهب كله، فلهذا قالت الخوارج بكفر مرتكب الكبيرة، وتخليده في النار إذا مات ولم يتب، وقالت المعتزلة بخروجه من الإيمان، من غير دخوله في الكفر، فيكون في منزلة بين المنزلتين (منزلة الإيمان ومنزلة الكفر)، فليس بمؤمن ولا كافر، هذا في الدنيا، وأما في الآخرة فهو مخلد في النار إذا مات من غير توبة، كما قالت الخوارج، فوافقوهم في حكم الآخرة دون حكم الدنيا.

وأما أهل السنة فيقولون: الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، ولا يكفرون بالذنوب بل يقولون أخوة الإيمان باقية مع ارتكاب الذنب وإن كان كبيرة؛ فالفاسق عندهم مؤمن ناقص الإيمان، وإن مات ولم يتب فهو تحت مشيئة الله، إن شاء غفر له وإن شاء عذبه بالنار ما شاء، ثم يخرجه من النار بشفاعة الشافعين من الأنبياء والصالحين أو برحمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وهو أرحم الراحمين، كما دل على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، وقال النبي ﷺ: «**يخرج من النار من قال لا إله إلا الله، وفي قلبه وزن ذرة من إيمان**»[١].

وأما إطلاق القول بأن العمل ركن أو شرط صحة أو شرط كمال فهي عبارات لبعض المتأخرين، وأما الأئمة فلم يطلقوا على العمل أنه ركن أو شرط، وإنما قالوا: إن العمل من الإيمان، خلافًا لمرجئة الفقهاء

(١) أخرجه البخاري (٤٤)، ومسلم (١٩٣)؛ من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الذين أخرجوا الأعمال عن مسمى الإيمان وقالوا: إن الإيمان هو تصديق القلب وإقرار اللسان.

ومعلوم أن مباني الإسلام الخمسة هي أصول الإسلام وهي من أصول الإيمان، وهي على مراتب من حيث الوجوب وحكم الترك، فأعظمها الشهادتان، ثم الصلاة، ثم الزكاة. فكل ما ناقض الشهادتين فهو كفر، كالشرك الأكبر والتكذيب بمعلوم من دين الإسلام بالضرورة؛ كجحد وجوب الصلاة وتحريم الزنى.

وأما ترك شيء من أركان الإسلام الأربعة فقد قيل إنه كفر، وجمهور العلماء على أنه ليس بكفر، وأعظم ذلك ترك الصلاة، والقول بكفر تاركها قوي لما صح عن النبي ﷺ من قوله: «**بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة**»[1]. وقوله: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر**»[2]. إلى غير ذلك من الأدلة، وأما ما سوى الأركان الأربعة من واجبات الدين فلم يقل أحد من أهل السنة بكفر من ترك شيئًا منها.

وأما الإعراض عن الدين بالكلية علمًا وعملًا فهذا لا يتصور فيمن معه أصل الإيمان في الباطن، ولهذا عد شيخ الإسلام محمد بن عبد

---

(١) أخرجه مسلم (٨٢)؛ من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٢١)، وقال: «حسن صحيح غريب»، والنسائي (٤٦٣)، وابن ماجه (١٠٧٩)؛ من حديث عامر بن الحصيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الحاكم (١/ ٤٨)، ووافقه الذهبي.

الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ الإعراض ناقضًا من نواقض الإسلام، قال في الناقض العاشر[١]: «الإعراض عن دين الله تعالى لا يتعلمه، ولا يعمل به».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في رده على المرجئة: «والتحقيق أن إيمان القلب التام يستلزم العمل الظاهر بحسبه لا محالة، ويمتنع أن يقوم بالقلب إيمان تام بدون عمل ظاهر» ا.هـ.[٢] والله أعلم.

الفرق بين المرجئة الغلاة ومرجئة الفقهاء

السُّؤَالُ:

ما الفرق بين المرجئة ومرجئة الفقهاء؟

الجواب:

الحمد لله؛ اسم المرجئة مأخوذ من الإرجاء، وهو التأخير وسمي المرجئة بذلك لتأخيرهم الأعمال عن مسمى الإيمان، وهم طوائف كثيرة:

وأشهرهم: الغلاة، وهم الذين يقولون: إن الإيمان هو المعرفة -أي معرفة الخالق- وهذا هو المشهور عن جهم بن صفوان إمام المعطلة نفاة الأسماء والصفات، وإمام الجبرية، وإمام غلاة المرجئة.

والثانية: هم من يعرفون بمرجئة الفقهاء، وهم الذين يقولون: إن الإيمان هو تصديق بالقلب، أو هو التصديق بالقلب واللسان، يعني مع الإقرار، وأما الأعمال الظاهرة والباطنة؛ فليست عندهم من الإيمان؛ فلا

---

(١) «مجموعة رسائل في التوحيد والإيمان» (ص ٣٨٧).

(٢) مجموع الفتاوى (٧/ ٢٠٤).

يزيد الإيمان عندهم ولا ينقص، ولكنهم يقولون: بوجوب الواجبات وتحريم المحرمات، وأن ترك الواجبات أو فعل المحرمات مقتضٍ للعقاب الذي توعد الله به من عصاه.

وبهذا يظهر الفرق بين مرجئة الفقهاء وغيرهم، خصوصًا الغلاة، فإن مرجئة الفقهاء يقولون: إن الذنوب تضر صاحبها، وأما الغلاة فيقولون: لا يضر مع الإيمان ذنب، كما لا ينفع مع الكفر طاعة، والله أعلم.

الطريقة التيجانية

السؤال:

من بين الطرق الصوفية الطريقة التيجانية وهي منتشرة بشكل واسع في الجزائر، ما الحكم الشرعي للمسلم الملتزم بالأذكار وهي أذكار شرعية: التوحيد والاستغفار والصلاة على الرسول ﷺ، ولكن في أوقات محددة وبعهد مع أحد مشايخ الطريقة التيجانية؟

الجواب:

الحمد لله؛ الطريقة التيجانية -فيما أعلم- من الطرق الصوفية، وأهلها من أكثر الناس غلوا في رجالها، وكتبهم مليئة بالأشعار المتضمنة للغلو في مشايخهم، حتى قال قائلهم:

ومن يجالس مبغض الشيخ هلك

وتاه في مهامهٍ وفي حلك

فلا يجوز الانتماء إليها، ولا الالتزام بعهود مشايخها، ولا تجوز الأذكار المرتبة على طريقتهم، فإن الذكر في الشرع، وكذلك الصلاة على الرسول ﷺ نوعان: مطلق، ومقيد:

فالمطلق: هو ما يشرع من الذكر والصلاة على الرسول ﷺ في أي وقت دون تقيد بحال ولا مكان ولا عدد.

وأما المقيد: فهو المشروع في أوقات مخصوصة، مثل: الأذكار في أدبار الصلوات، والأذكار المشروعة في الصباح والمساء، ومما يشرع مطلقًا ومقيدًا الصلاة على الرسول ﷺ في كل حين، وعند ذكره، وبعد التشهد، وبعد الأذان، وكذلك الاستغفار يشرع مطلقًا ومقيدًا؛ فيشرع للإنسان أن يستغفر الله في كل حين، فيكثر من ذلك كما كان عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يكثر من الاستغفار ويقول: «**يا أيها الناس توبوا إلى الله فإني أتوب في اليوم إليه مائة مرة**»[1].

ويشرع الاستغفار في مواضع: كالاستغفار في آخر الليل بعد التهجد؛ لقوله تعالى: ﴿وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ١٨﴾ [الذاريات]، ودبر الصلوات المكتوبة، كما كان ﷺ إذا انصرف من الصلاة استغفر الله ثلاثًا، وقال: «**اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ذا الجلال والإكرام**»[2]، وكما في الاستغفار بين السجدتين، فإنه يقول المصلي في

(١) أخرجه مسلم (٢٧٠٢)؛ من حديث الأغر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أخرجه مسلم (٥٩١)؛ من حديث ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفي رواية «يا ذا الجلال».

الجلسة بين السجدتين: «**رب اغفر لي، رب اغفر لي**»[(١)]، أو يقول: «**اللهم اغفر لي، وارحمني، واجبرني، واهدني، وعافني**»[(٢)].

فالواجب على المسلم أن يجعل إمامه محمدًا ﷺ ويتخذه أسوة في أقواله وأفعاله الظاهرة والباطنة، وهذا تحقيق اتباعه الذي هو سبب محبة الله للعبد ومغفرته لذنوبه، ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران].

وكل عبادة أو ذكر أو دعاء لم يدل عليه دليل في سنة رسول الله ﷺ فإنه بدعة وعمل مردود؛ لأنه محدث في الدين، وفي الحديث الصحيح: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»[(٣)] أي: مردود.

فاتق الله أيها المسلم، واعبد ربك مخلصًا له الدين، متبعًا هدي رسوله ﷺ، فإن العمل لا يكون صالحًا ولا عبادة صحيحة إلا بشرطين هما: الإخلاص لله، والاتباع لرسوله ﷺ، والله أعلم.

---

(١) أخرجه أبو داود (٨٧٤)، والنسائي (١١٤٥)، وابن ماجه (٨٩٧)؛ من حديث حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والحديث أصله في مسلم (٧٧٢).

(٢) أخرجه أبو داود (٨٥٠)، والترمذي (٢٨٤)، وابن ماجه (٣٨٤٥)؛ من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال النووي في «خلاصة الأحكام» (١/ ٤١٥): رواه أبو داود، والترمذي وآخرون بإسناد حسن، قال الحاكم: هو صحيح الإسناد.

(٣) أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨)؛ من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

هل عامة الشيعة، وغلاتهم، والعلوية، والأشاعرة، من أهل القبلة؟

السؤال:

من أهل القبلة؟ وهل الأصناف التالية منهم: ١- غلاة الشيعة. ٢- عامتهم. ٣- الأشاعرة. ٤- العلوية؟

الجواب:

الحمد لله؛ عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله؛ فلا تخفروا الله في ذمته**»[(١)].

فأهل القبلة: كل من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وأقرَّ بشرائع الإسلام الظاهرة، واستقبل القبلة، كما جاء في الحديث.

وعلى هذا؛ فيدخل المنافقون في أهل القبلة ظاهرًا؛ لأنهم يظهرون الإسلام. وغلاة الرافضة هم في الحقيقة كفار أكفرُ من اليهود والنصارى، لكنهم يستترون بكفرهم فهم منافقون، فيدخلون في أهل القبلة باعتبار ما يظهرونه من الإقرار بالشهادتين وسائر شرائع الإسلام، ومن أظهر منهم مذهبه كتأليه علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أو أحدٍ من أولاده، أو الحاكم العبيدي: كان مرتدًّا خارجًا من ملة الإسلام، وخارجًا من دائرة أهل القبلة؛ ظاهرًا وباطنًا.

والعلويون: يراد بهم في هذا العصر النصيرية وهم من غلاة الشيعة، واندراجهم في أهل القبلة باعتبار ما يدَّعونه من الإسلام كما تقدم، ومن أظهر منهم ما يبطنه من الكفر فهو كافر ظاهرًا وباطنًا يجرى عليه حكم المرتدين عن الإسلام.

(١) أخرجه البخاري (٣٩١).

وأما الأشاعرة فلا يقارنون بالغلاة من الرافضة، فهم من الفرق الإسلامية، وهم ينتسبون إلى السنة، ولا شك أنهم أقرب إلى السنة من المعتزلة؛ باعتبار ما وافقوا فيه أهل السنة واتبعوهم فيه، وإن كانوا في باب الصفات أقرب إلى المعتزلة؛ لأنهم ينفون أكثر الصفات، وفي باب الإيمان من المرجئة؛ لأن الإيمان عندهم هو التصديق، وكذلك هم في باب القدر من الجبرية، وإن كانوا لا يطلقون لفظ الجبر، لكن مذهبهم في أفعال العباد يؤول إلى مذهب الجبرية؛ لأنه على قولهم لا أثر في قدرة العبد ومشيئته في أفعاله، وهم متفاوتون ومتفاضلون، وفيهم العلماء المجتهدون، وفيهم المتعصبون كغيرهم من الطوائف.

والحاصل أنه لا نسبة لهم إلى غلاة الرافضة، كما أنهم ليسوا من أهل السنة المحضة، والله يغفر للمجتهدين في طلب الحق خطأهم، كما جاء في الدعاء الذي علمه الله لعباده: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]. قال الله: «قَدْ فَعَلْتُ»(١)، والله أعلم.

كثرة الأشاعرة هل تدل على أنهم على الحق؟

السؤال:

المشايخ الأفاضل: نعلم كلنا أن من رحمة الله عَزَّوَجَلَّ بأمة نبيه محمد ﷺ أنه لم يقبض النبي ﷺ إلا وقد ترك الأمة على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، وتكفل رب العزة بحفظ هذا الدين إلى أن يشاء الله، فإذا تأملنا هذا الكلام ورجعنا إلى التاريخ الإسلامي، نجد أن

(١) أخرجه مسلم (١٢٦)؛ من حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا.

السواد الأعظم من أهل الإسلام على البينة في أي عصر يعيشه الإسلام منذ الخلافة الراشدة، ومرورًا بكل الدول الإسلامية، وحتى يومنا هذا، هذا التفكير بالرغم من عقلانيته ومنطقيته إلا أنه غير مريح، لأننا إن طبقناه على أنفسنا وعقيدتنا فسنجد أن مذهب الأشاعرة هو الذي ساد في أهل السنة طوال هذه السنين، ولم يعرف في عامة أهل السنة شيوع ما نقول عنه إنه اعتقاد السلف، فإن كان ما نراه هو اعتقاد الصحابة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، والسلف، فلِمَ لَم يظهره الله عَزَّ وَجَلَّ، وأظهر غيره عليه؟

الجواب:

الحمد لله؛ لقد بعث الله نبينا محمدًا ﷺ بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، وقد تحقق هذا كما وعد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فلم يزل النبي ﷺ يدعو إلى الله ليلًا ونهارًا، سرًا وجهرًا، بقوله وفعله، حتى دخل الناس في دين الله أفواجًا، فما مات ﷺ حتى أكمل الله له ولأمته دينهم، وأتم عليهم نعمته، كما جاء في الآية الكريمة التي نزلت على النبي ﷺ وهو واقف بعرفة، وقد ترك أمته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، يعني أنه ﷺ قد بين هذا الدين أكمل بيان، فبلغ رسالات ربه كما أمره الله بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [المائدة]، وأمر صحابته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أن يبلغوا، فقال في خطبته في حجة الوداع: «**لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ مِنْكُمُ الغَائِبَ**»[1]، وقال: «**بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ**

(١) أخرجه البخاري (١٠٥)؛ من حديث أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

آيَة»[١]، فقام أصحابه، رضوان الله عليهم بالبلاغ والدعوة والجهاد، أسوة بنبيهم ﷺ، وانتشر الإسلام في المعمورة شرقًا وغربًا.

وقد أخبر ﷺ أنه يطرأ على هذه الأمة افتراق واختلاف، وبين أن الفرقة الناجية هم من كانوا على مثل ما كان عليه ﷺ وأصحابه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ[٢]، كما أخبر ﷺ أن الإسلام بدأ غريبًا، وسيعود غريبًا كما بدأ[٣].

وقد وقع الأمر كما أخبر عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ وبدأ الافتراق في الأمة منذ أن ظهرت الخوارج والشيعة، والمرجئة والقدرية، ثم تفرعت الفرق، وتعددت، وظهرت بدعة التعطيل التي يعرف أهلها بالجهمية نسبة إلى مؤسسها الجهم بن صفوان، وتفرعت عن الجهمية فرق شتى اضطربت مذاهبهم في صفات الله، وفي كلامه، وفي القدر، فغلبت على الأمة هذه المذاهب، ولكن الله قد ضمن حفظ كتابه ودينه، فلم يزل في هذه الأمة من يقيم لها أمر دينها بالبيان، كما جاء في الحديث المشهور: «**يرث هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تأويل الجاهلين، وانتحال المبطلين، وتحريف الغالين**»[٤]، ....

(١) أخرجه البخاري (٣٤٦١)؛ من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

(٢) كما في الحديث الذي أخرجه الترمذي (٢٦٤١) وغيره؛ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا. قال شيخ الإسلام: «الحديث صحيح مشهور في السنن والمسانيد». مجموع الفتاوى (٣/ ٣٤٥).

(٣) كما في الحديث الذي أخرجه مسلم (١٤٦)؛ من حديث ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

(٤) أخرجه البيهقي في «الكبرى» (٢٠٧٠٠) مرسلًا عن إبراهيم بن عبد الرحمن العذري؛ قال الحافظ العراقي: «...حكي عن أحمد توثيقه، يعني: معاذ بن رفاعة السلاميّ الراوي عن إبراهيم العذري والحكم بصحة الحديث فيما ذكره الخلال في العلل؛ أن أحمد سئل عن هذا الحديث؛ فقيل له: كأنه كلام موضوع؟! فقال: =

.... وفي الحديث الآخر: «**إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها**»[١].

ومع هذا الافتراق، وهذا الاختلاف لا بد من رد ما اختلف فيه الناس إلى كتاب الله، وسنة رسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، واعتبار ذلك بما كان عليه الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم، وقد وعد الله بالرضا والجنة السابقين الأوَّلين من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، كما قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة].

والحق إنما يعرف بدلالة كتاب الله وسنة رسوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ولا يعرف الحق بالكثرة، فإن الله تعالى قد أبطل ذلك، حيث بين أن الكثرة لا يعوَّل عليها، كما قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [الأعراف]، وقال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾ [البقرة]،

= لا، هو صحيح، فقيل له: ممن سمعته؟ قال: من غير واحد، قيل له: من هم؟ قال: حدثني به مسكين إلا أنه يقول عن معان عن القاسم بن عبد الرحمن، قال أحمد: ومعان لا بأس به. قال ابن القطان: وخفي على أحمد من أمره ما علمه غيره، ثم ذكر أقوال المضعفين له، وقد روي هذا الحديث متصلاً من رواية جماعة من الصحابة: علي بن أبي طالب، وابن عمر، وأبي هريرة، وعبد الله بن عمرو، وجابر بن سمرة، وأبي أمامة، وكلها ضعيفة لا يثبت منها شيء وليس فيها شيء يقوي المرسل المذكور، والله أعلم». «التقييد والإيضاح» (١/ ١٣٩).

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٩١)؛ من حديث أَبِي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال السخاوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وسنده صحيح، ورجاله كلهم ثقات، وكذا صححه الحاكم...، وقد اعتمد الأئمة هذا الحديث». المقاصد الحسنة (١/ ٢٠٣).

وقال تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦]، والسنة ما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ، ودلت عليها نصوص الكتاب والسنة.

والأشاعرة فرقة من الفرق الإسلامية، وهم وإن كانوا ينتسبون إلى السنة، فليس مذهبهم موافقًا لما كان عليه الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وما دل عليه القرآن والحديث، فمذهب الأشاعرة يتضمن أمورًا مخالفة لمذهب أهل السنة: كنفي كثير من الصفات، حيث لا يثبتون إلا سبعًا من الصفات، ويقولون: إن الإيمان هو مجرد التصديق، ويخرجون الأعمال عن مسمى الإيمان، وهذا مذهب المرجئة، ومن أصول مذهبهم نفي تأثير الأسباب في مسبَّباتها، ومن ذلك نفي تأثير قدرة العبد في أفعاله، ومن ذلك قولهم بأن كلام الله معنى نفسي لا يسمع من الله؛ لأنه ليس بحرف ولا صوت، وأن هذا القرآن عبارة عن كلام الله ليس هو كلام الله حقيقة؛ فموسى لم يسمع كلام الله من الله، بل إن الذي سمعه كلامٌ خلقه الله في الشجرة وهو عبارة عن المعنى النفسي القديم، وهذا من أعظم التنقص لله، حيث يتضمن هذا القول تشبيه الله بالأخرس، ولا يزكي هذه الأقوال أن قال بها بعض الأكابر والفضلاء من أهل العلم فإنهم غير معصومين، وما قالوه من هذه الأقوال المخالفة لمذهب السلف الصالح هو مما يعد من أخطائهم التي لا يتابعون عليها، وهم في ذلك مجتهدون ومأجورون، وخطؤهم مغفور.

والواجب على المسلم أن يحكِّم كتاب الله وسنة رسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وألا يتعصب لإمام أو مذهب، فكلٌّ يؤخذ من قوله ويرد، إلا الرسول ﷺ، والله أعلم.

قول الصوفية: إن الباعث على العبادة محض المحبة

السُّؤَالُ:

قرأت في كتاب «مختصر منهاج القاصدين» لابن قدامة ما نصه: «متى حصلت محبة الله لشخص صار قلبه مستغرِقًا بها ولا يلتفت إلى جنة ولا يخاف من نار، وأنه قد بلغ النعيم الذي ليس فوقه نعيم» انتهى كلامه.

هل ما ذكره الشيخ يوافق مذهب أهل السنة والجماعة في شأن المحبة؟ نفع الله بعلمكم.

الجواب:

الحمد لله؛ المعروف أن كتابَ «مختصرُ مِنهَاجِ القَاصِدين» لأبي العباس أحمدَ بنِ عبد الرحمن بنِ أبي عمرَ بنِ أحمدَ بنِ قُدَامَة المقدسي الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اختصارٌ لكتاب «مِنْهاجُ القاصدين» لأبي الفَرَج ابنِ الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، الذي اختصر فيه كتابَ «إِحْياءُ علوم الدِّين» للشيخ العَلَم أبي حامِدٍ الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو المعروف بخوضِهِ في علم الكلام والفلسفة، ودخولِهِ في التَّصوُف.

فكتابه «الإحياء» مع ما فيه من الفوائد الكثيرة في فنون العلم والرقائق، فإن عليه مآخذَ فيما دَوَّنَهُ وقرَّرهُ في الفنون التي عَرَض لها في

أقسام الكتاب وأبوابه، ومن ذلك ما رَسَمَه ونَصَره وقرَّرَهُ مِنْ نظريات في السُّلوك والتَّصوُف.

ومن أبرز هذه النظريات وأشهَرِها قولهم في الباعث على عبادة الله: إنَّه يجبُ أنْ يكونَ محضَ المحبة لذات الله، لا خوفًا من ناره ولا طمعًا في جنَّتِه، وأنَّ هذا المقام أعلى مَقَامَات العُبُودية. لذلك يَرَوْنَ مَقامَ الخَوفِ ومَقامَ الرجاء كلًّا مِنْهما مَقامًا ناقصًا، ويُزْرُونَ على مَنْ يَعْبُدُ اللهَ خوفًا مِن النَّار، أو طمعًا في الجنَّة.

وقد نقلَ الغزاليُّ وأمثالُه مِن المصنفين جملةً مِنْ أقوالِ الصُّوفية المتضمنة لهذا المذهب.

وفي قولهم هذا حقٌّ وباطل، فإنه لا ريب أن محبة الله أصلٌ لتحقيق العبودية، ولكنَّ ذلك لا يُوجِبُ التَّهوينَ من خوف الله ورجائه، بل بذلك تكْمُلُ العبودية، ولذلك أثنى الله على أنبيائه وأوليائه بجمعهم لهذه المقامات الثلاثة: الحبِّ، والخوفِ والرجاءِ، ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠﴾ [الأنبياء]، وقال سبحانه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ٥٧﴾ [الإسراء].

ومعرفة الله بأسمائه وصفاته تُوجِبُ محبتَه وخوفَه ورجاءَه والتّوكلَ عليه والاستِعانةَ به؛ فإن أسماءَهُ تعالى وصفاتِه تختلفُ مُقتضَياتُها؛ فمَنْ عبَدَ اللهَ بالخوف فقط أو بالرجاء فقط أو بالمحبة فقط؛ فإنه لم يَقُمْ بمُوجَبِ أسمائه -تعالى- وصفاتِه، ولهذا قال بعضُ السَّلَف: مَنْ عَبَد

الله بالحب وَحده فهو زنْدِيق، وَمنْ عَبده بالرجاء وَحده فَهُوَ مُرْجِئ، وَمنْ عَبده بالخوف وَحده فهو حَرُوريّ، وَمن عَبده بالحب وَالخوف والرجاء فَهُوَ مُؤمنٌ مُوَحِّد.

قال شيخ الإسلام ابنُ تيميَّة في توجيه هذا الكلام: «وذلك لأنَّ الحُبَّ المجرَّدَ تتبسَّط النفوس فيه حتى تتسعَ في أهوائها إذا لم يَزَعْها وازعُ الخشية لله، حتى قالت اليهود والنصارى: نحنُ أبناءُ الله وأحِبَّاؤه»، ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويوجد في مُدَّعِي المحبة مِنْ مخالفة الشريعة ما لا يُوجد في أهل الخشية، ولهذا قرن الخشية بها في قوله: ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾﴾ [ق]» أهـ. من التحفة العراقية (ص ٧٤).

ووجه الاستشهاد بالآية أن الإنابة تتضمن المحبة، ولهذا وصف الله خليله إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بأنه أواه منيب، ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾﴾ [هود].

وبعْدَ هذا أقول: إنَّ ما ورد في مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ يحتمل أنه أثبته مُقررًا له وراضيًا به، ويحتمل أنه دخل عليه هذا المعنى بسبب الاختصار، فكان في جملة ما أبقاه، لا فيما حذفه، ولم يُمْعن النَّظرَ فيه، ولم يَتَنَبَّهْ إلى ما فيه مِن المخالفة.

وأيًّا كان الأمر، فإن هذا الكلامَ غيرُ مقبول، وهو مخالفٌ للأدلة من الكتاب والسُّنة، وهو مِنْ مذاهب الصُّوفية التي لا يقبلها أهلُ السُّنة، بل أهلُ السنة يأمرون بكُلِّ ما شرعه اللهُ من أعمال الجوارح وأعمال القلوب، من المحبة والخوف والرجاء والتوكل، والله أعلم.



نسأل الله أن يهديَنا صِراطَه المستقيم، صراطَ الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا.

التعليق على قول المعتزلة

السُّؤَال:

ما معنى قول المعتزلة: وجوب الأصلح على الله تعالى؟

الجواب:

الحمد لله؛ إن القول بوجوب الأصلح على الله من أصول المعتزلة، وهو أصل باطل متناقض؛ لأنه حكمٌ على الله بعقولهم، ووضع شريعة لما يفعله الربُّ تعالى، مبناها على قياس الخالق على المخلوق، وخصومهم في هذا الأصل أهلُ السنة والأشاعرة، وقد ردُّوا عليهم وبيَّنوا ما في هذا الأصل من التناقض، وممَّن ردَّ عليهم الإمام أبو الحسن الأشعريُّ؛ فإنه ناظر شيخه أبا عليٍّ الجُبَّائيَّ، فأفحمه.

وحاصل كلام المعتزلة في هذا أنهم يقولون: إنه يجب على الله أن يفعل ما هو الأصلح للعباد، فيجب عليه إرسال الرسل، وإنزال الكتب؛ لأن ذلك أقرب إلى طاعتهم، ويجب على الله أن يفعل الأسباب المعينة لهم على ذلك، ويزيل العوائق لهم عن قبول دعوة الرسل وامتثال أوامره واجتناب مناهيه، وإن كانت أفعالهم من الطاعات والمعاصي بمحض مشيئتهم، ومعنى ذلك أنه يجب على الله أن يجعلهم قادرين على فعل ما أُمروا به وترك ما نُهوا عنه، من الصحة والأسباب التي يتمكنون بها

من فعل الطاعات وترك المعاصي، فيُدخِلهم الجنة، وهذا كلُّه ظاهر الدخول في الأصلح للعبد.

وأما قول المعتزلة بوجوب إنفاذ الوعيد فإنه يناقض قولهم في وجوب الأصلح، أما الوعيد نفسه على الكفر والمعاصي، وهو الذي أخبرت به الرسل؛ فإنه أصلح للعبد؛ لأنه يزجره عن الكفر والمعاصي، وأما إنفاذ الوعيد فلأنه لا يجوز على الله إخلاف موجَب خبره، ومع ذلك كلِّه يقولون: إنه تعالى لا يقدر على أن يجعل العبد فاعلا لما أُمِر به مريدًا له، تاركًا لما نُهي عنه؛ لأن ذلك داخلٌ في أفعالهم، وأفعالُهم غير مقدورة له تعالى، ولا تتعلَّق بها مشيئته، وهذا مقتضى جحدِهم للقدر، فنعوذ بالله من الخذلان، والله أعلم.

أشهر المناهضين للفكر الفلسفي

السؤال:

ما مدى صحة القول بأنه لم يتصدَّ للفلسفة ولم ينتقدها ويقفْ منها موقفًا مضادًّا سوى الغزالي وابن تيمية رَحِمَهُمَاٱللَّهُ؟ ولم اشتهر هذان العَلمان في هذا المجال؟ وهل كان للمنطق والفلسفة اليونانية أثر في إضعاف الخرافة والدَّجَل التي وجدت عند بعض المسلمين؟

الجواب:

الحمد لله؛ الأغلب أن يراد بالفلسفة -عند الإطلاق- الفلسفة اليونانية؛ لأنها التي انتقلت إلى المسلمين بترجمة كتب أعلامهم،

ومن أشهرهم: سقراط، وجالينوس، وبطليموس، وفيثاغورس، وأفلاطون، وأرسطو، وأفلاطين، والفلاسفة الإسلاميون يسمون أرسطو المعلم الأول.

وأصل معنى الفلسفة: محبة الحكمة، والفيلسوف مُحِبُّ الحكمة، ومدار الفلسفة اليونانية على ثلاثة أنواع: الفلسفة الرياضية، والأخلاقية، والإلهية، ويسمَّى الخائضون في الفلسفة الإلهية: الإلهيين، ويذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن الفلاسفة فرق، وأن المعتنين بمقالاتِ الناس أحصوا منهم اثنتي عشرة فِرقةً.

وأقول: إنه تولد عن الفلسفة علم الكلام الذي انتحله كثير من فرق المسلمين، فخلطوا بين الأصول الفلسفية والأصول الشرعية، ولا سيما في العلم الإلهي المتعلق بذات الرب وصفاته؛ فنشأ عن ذلك مذهب المعطلة من الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم، واشتهر عن أئمة السلف الرد على هؤلاء؛ لأن هذه المذاهب الكلامية هي التي اشتهرت في وقتهم.

وأقوال الأئمَّة ومصنفاتهم في الرد على المعطلة مشهورة، ومن أشهر الكتب في ذلك كتابا عثمان بن سعيد الدارمي، وهما: الرد على الجهمية، والرد على بشر المريسي، ومنها: رد الإمام أحمد على الجهمية والزنادقة.

ومع تأثر المتكلمين ببعض أصول الفلاسفة فإنهم يردون عليهم فيما خالفوهم فيه؛ كقولهم بقدم العالم، وإنكار بعث الأجساد، وزعمهم

أن البعث روحاني، وأشهر من عُرف بالرد على الفلاسفة من أهل الكلام أبو حامد الغزالي المعروف بـ(حجة الإسلام) في كتاب سمَّاه «تهافت الفلاسفة»، ومما قصد الرد عليه كتاب «الشفا» لابن سينا، ولكن الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ لم ينجح في هذا الرد، ولم يسلم من التأثر بهم، لذلك ردَّ عليه ابن رشد في كتابه تهافت التهافت، وقيل عن أبي حامد: أمرضه الشفا، وقال تلميذه أبو بكر بن العربي: شيخنا أبو حامد دخل في بطون الفلاسفة، ثم أراد أن يخرج منهم فما قدر.

وأقول: إنه ذُكر عن أبي حامد أنه رجع في آخر عمره عن النظر في هذه العلوم، وأقبل على علم الحديث، حتى قيل: إنه مات وصحيح البخاري على صدره، وذكر ابن كثير في ترجمته في البداية والنهاية أن أبا حامد عاد إلى بلده طوس فأقام بها وابتنى رباطًا، واتخذ دارًا حسنة، وغرس فيها بستانًا أنيقًا، وأقبل على تلاوة القرآن، وحفظ الأحاديث الصحاح.

وقد انتحل الفلسفة اليونانية طائفتان من الملاحدة المنتسبين إلى الإسلام؛ إحداهما من باطنية الشيعة، وإمامها الرئيس أبو علي ابن سينا، والثانية طائفة الاتحادية من ملاحدة الصوفية، وزعيمها ابن عربي صاحب «فصوص الحكم»، وقد عظمت الفتنة بهاتين الطائفتين، وصار لإماميهما أتباعٌ ومعظمون من أهل نحلتهم وغيرهم.

ولكن من رحمة الله بهذه الأمة، وتحقيقًا لما وعد به من حفظ دينه وكتابه أن قيض الله في القرن السابع والثامن الإمام ابن تيمية، وقد حباه الله من الذكاء والفطنة والعقل الكبير مع سعة الاطلاع وقوة الحافظة ما

عـرَفَ بـه حقيقـة هـذه المذاهـب الكلاميـة والفلسـفية والصوفيـة، إضافة إلى مـا أكرمـه الله بـه مـن معرفة حقيقة الإسـلام الـذي بعـث الله بـه محمدًا ﷺ، ومعرفـة مـا مضـى عليـه السـلف الصالـح والتابعـون وأئمـة الهـدى مـن هـذه الأمـة، فشـمَّر الشـيخ للـرد علـى تلـك المذاهـب الباطلـة بالحجـج العقليـة والنقليـة، وميَّـز بيـن المحققيـن من شـيوخ هـذه المذاهـب فـي مذاهبهـم وبين المخلّطيـن، وميَّـز ما عند كل فريـق من حق وباطل، مع العدل والإنصاف.

ومما بـرز فيـه رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ردوده أن ضـرب بعضهـم ببعـض؛ فـردَّ علـى كل طائفـة بمـا تـرد بـه علـى مخالفيهـا، وبمـا عنـد كل طائفـة أو عَلَـم منهـم مـن التناقـض، فأوجـب ذلـك أن يُشـهد لـه بـأن ليـس لـه نظيـر فـي الـرد علـى تلـك المذاهـب، مـع الاعتصـام بالكتـاب والسـنة، والسـير علـى جـادة السـلف الصالـح، وقـد تصـدَّى لـه خصـوم من أتبـاع هـذه المذاهـب، فـردوا عليـه وخاصمـوه لـدى السـلاطين والأمـراء، ووشـوا بـه عندهـم، فلـم يظفـروا بمطلوبهـم، وأظهـره اللـه عليهـم، وجعـل اللـه محبتـه فـي قلـوب المؤمنيـن، ولـم تظهـر بعـده حركـة تجديـد للديـن إلا ولعلمـه الـذي ورثّـه في مؤلفاته أثرٌ فيها.

وأبـرزُ حـركات الإصـلاح تأثـرًا بمؤلفـات الإمـام ابـن تيميـة دعـوة الإصـلاح التـي قـام بهـا الشـيخ محمـد بـن عبـد الوهـاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في القـرن الثانـي عشـر، وفـي هـذا مصـداق قولـه ﷺ: «**إن الله يَبعـث لهـذه الأمة على رأس كلِّ مِائةِ سنة مَن يُجدد لهـا دينَهـا**» رواه أبـو داود مـن حديـث أبي هريرة[١].

(١) سبق تخريجه (١/ ٧٢٨).

فعلم مما تقدم أن أشهر من ردَّ على الفلاسفة هما العَلَمان الغزالي وابن تيمية، لكن مع البون الشاسع بين الرجلين في التحقيق وفي العلم بالشريعة وبالمذاهب، بل الغزالي هو ممن ردَّ عليهم ابنُ تيمية، وبيَّن ما في بعض كتبه من الأغلاط والأباطيل، وكلام الشيخ عنه كثير، ومنه قوله: «أبو حامد كلامه برزخٌ بين المسلمين وبين الفلاسفة؛ ففيه فلسفة مشوبة بإسلام، وإسلامٌ مشوبٌ بفلسفة...، وكان يُعظِّم الزهد جدًّا، ويعتني به أعظم من اعتنائه بالتوحيد الذي جاءت به الرسل» (كتاب النبوات ١/ ٣٨٢)، وتقَدم ذكر رد ابن رشد على الغزالي، وما قاله ابن العربي عنه، وقول بعضهم فيه: إنه أمرضه الشفا.

وأما ما سألت عنه -أيها السائل- من إضعاف الفلسفةِ الخرافةَ والدجلَ عند المسلمين، فهذا يُنظر فيه من جانبين؛ من جانب الواقع، ومن جانب النظر، فأما من جهة الواقع فالفلسفة والمنطق لم تضعف ما عند عوام المنتسبين إلى الإسلام من الخرافات العملية والظنية، كخرافات الصوفية من القبوريين وغيرهم، وكذلك الرافضة، بل الفلسفة اليونانية جاءت وفي ضمنها خرافات عقلية؛ فإنهم يزعمون في كثير من الأحيان أمورًا يدعونها معقولات، وهي جهليات مشبَّهة بالمعقولات، فإن نقلوا أحدًا من الخرافات السائدة نقلوه إلى نوع آخر من الخرافة، بل ربما رسَّخوا خرافة القبورية ببعض نظرياتهم الفلسفية.

وقد ذكر ابن القيم عن ابن سينا والفارابي وغيرهما من الفلاسفة في «إغاثة اللهفان» فلسفةَ أثرِ الزيارةِ الشركية للقبور على الزائر، وأنهم

شرطوا للانتفاع بهذه الزيارة أن يُقبل الزائر بكليته على المزور المعظَّم، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«قالوا: الميت المعظَّم الذي لروحه قربٌ ومزيَّة عند الله، لا تزال تأتيه الألطاف من الله، وتفيض على روحه الخيرات، فإذا علّق الزائرُ روحه به، وأدْنَاها منه، فاضَ من روح المزور على روح الزائر من تلك الألطاف بواسطتها، كما ينعكس الشعاع من المرآة الصافية والماء ونحوه على الجسم المقابل له. قالوا: فتمامُ الزيارة: أن يتوجّه الزائر بروحه وقلْبه إلى الميت، ويعكُفَ بهمَّته عليه، ويُوجِّهَ قصده كلَّه وإقباله عليه، بحيث لا يبقى فيه التفاتٌ إلى غيره، وكلما كان جمعُ الهمة والقلب عليه أعظم كان أقرب إلى انتفاعه به».

ثم قال ابن القيم: «وقد ذكر هذه الزيارة على هذا الوجه: ابن سينا والفارابي وغيرهما، وصرح بها عُبّاد الكواكب في عبادتها، وقالوا: إذا تعلقت النفس الناطقة بالأرواح العلوية فاض عليها منها النور، وبهذا السر عُبدت الكواكب، واتُّخذت لها الهياكل، وصُنّفت لها الدعوات».

اهـ. من إغاثة اللهفان[١].

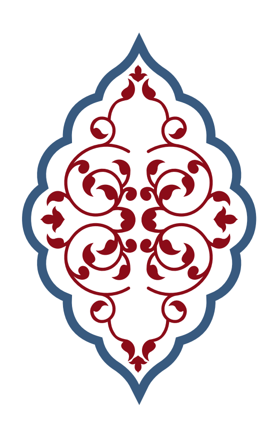
أما من الجانب النظري فقد يظن أن الفلسفة تقاوم الخرافة السائدة عند الصوفية والرافضة ونحوهم؛ لأن المظنون أن الفلسفة تعتمد نظر العقل، وأن الخرافة مبناها على الوهم والتقليد؛ كما قال تعالى في المشركين: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ [النجم: ٢٣]، وقال: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ٢٣﴾ [الزخرف]، وقد تقدم أن الفلسفة قد

---

(١) «إغاثة اللهفان» (١/ ٣٩٣).

تنقلهم من نوع من الخرافة إلى نوع آخر، نعوذ بالله من الخذلان، ونسأله العافية في الدنيا والآخرة.

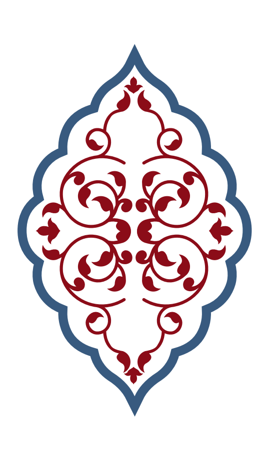
- ❋ ■ ❋ ■ ❋ -





ثامنًا

البدع



شرب غسيل ملابس الميت

السؤال:

توفي لي ابن في الجامعة الأسبوع الماضي وأشار عليَّ كثير من الناس بغسل ثوبه أو غترته أو طاقيته وشرب مائها حتى يذهب الحزن، وقد شككت في ذلك ولم أفعل خشية أن يقدح في عقيدتي واتكلت على الله، إنما أشكو بثي وحزني إلى الله، فهل مشورتهم صحيحة أم خاطئة لأنصح الناس؟ وفقكم الله وسدد خطاكم.

الجواب:

الحمد لله؛ من ابتلي بمصيبة كفقد حبيب أو قريب أو مصيبة أخرى من مصائب الدنيا فالواجب عليه الصبر والاحتساب وذلك بكبح نفسه عن الجزع والتسخط، فليؤمن بالله وليرضَ بحكمه سبحانه، كما قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [التغابن]، قال بعض السلف: «هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم»(١)، ومجرد الحزن أمر طبيعي لا إثم على الإنسان به، وقد قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا**»(٢)، وما يحصل للإنسان من حزن بسبب المصيبة هو مما يكفِّر الله به عنه، كما في الحديث الصحيح: «**ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب، ولا هم ولا حزن، ولا أذى ولا**

(١) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (٦٩٢٥)؛ من حديث علقمة بن قيس رَحِمَهُ ٱللَّهُ.
(٢) أخرجه البخاري (١٣٠٣)، ومسلم (٢٣١٥)؛ من حديث أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

غم، حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه»[١]، وقال ﷺ لأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **«ألست تحزن؟! ألست تنصب؟! ألست تصيبك اللأواء؟!»** قال: بلى. قال: **«فهو ما تجزون به»**[٢].

وما ذكرت من أن بعض الناس أشار عليك أن تغسل شيئًا من ملابس ابنك -جبر الله مصيبتك- وأن ذلك مما يذهب بالحزن أو يخففه فهذا لا أصل له في الشرع، وهو عمل قبيح؛ لأن الثوب لا بد أن يشتمل على الوسخ، فشرب مثل هذا فيه قذارة، وربما كان سببًا في حدوث مرض نفسي أو مرض عضوي، وقد أحسنت في رفضك للفكرة الخاطئة، وقد وفقك الله حيث توكلت على ربك ولم تستجب لهذه الخرافة، والله تعالى هو حسب من توكل عليه، كما قال: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣].

فالمقصود أن الواجب على من تصيبه مصيبة أن يصبر ويسلم ويحتسب مصيبته ليظفر بأجر ذلك وحسن عاقبته، نسأل الله أن يعوضك عن ابنك خيرًا، إنه تعالى على كل شيء قدير، والله أعلم.

(١) أخرجه البخاري (٥٦٤١)، ومسلم (٢٥٧٣)؛ من حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
(٢) أخرجه الإمام أحمد (٦٨)، وصححه الحاكم (٤٤٥٠)، ووافقه الذهبي.



الخوف من الموت وخرافة الشجرة

السؤال:

قال لي صديقي إنه يحس أنه سيموت، وإن هذا الإحساس منذ شهر، وهو يحس به إلى الآن. هل هذا الإحساس وسوسة من الشيطان أم حقيقي؟ وهل هناك شجرة عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فيها أسماء جميع البشر ومن تقع ورقته (أي اسمه) يظل يحس أنه سيموت لمدة أربعين يوما؟

الجواب:

الحمد لله؛ قدَّر الله تعالى الموت بين العباد، وقضى به على كل نفس كما قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، وقال تعالى: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [الواقعة]، وكل يعلم أنه سيموت، والخوف من الموت أمر طبيعي في الإنسان لا يذم به، ولكن الإفراط في ذلك وغلبته على النفس يورث الضعف والجبن والقلق وتضييع المصالح، بل ينبغي للإنسان ألَّا يستولي عليه الخوف من الموت إلى درجة التحسّر، ودوام الحزن، بل عليه أن يقوم بمصالح دينه ودنياه متوكلًا على الله.

فهذا الذي يذكر أنه يُحسّ في نفسه أنه سيموت فهذا الإحساس بقرب الموت تخويف وإزعاج من الشيطان، فإن الشيطان يعمل على تحزين المسلم وعلى تنغيص حياته ويحب ذلك، فيلقي المخاوف في

نفس من يستجيب له، ويهوّل في نفسه الأخطار، ويشعره بما لا حقيقة له بل تكون أوهامًا، ومن ذلك الحلم الذي يتسلط به الشيطان على الإنسان في منامه لتحزين المسلم وإيذائه.

فعلى من وقع له شيء من هذه الوساوس أو الأحلام أن يستعيذ بالله من الشيطان، وألا ينساق خلفها، بل عليه أن يتوكل على الله، ويشتغل عنها بما ينفعه في دينه ودنياه.

وأما ما ورد في السؤال من أن هناك شجرة عند الله، مكتوبًا على كل ورقة منها اسمُ كلٍّ واحد من الناس، وأنه متى سقطت فذلك عنوان دنو أجله، فهذه خرافة لا أصل لها، فالآجال مقدّرة ومكتوبة في اللوح المحفوظ، ومكتوبة فيما يكتبه الملك عند نفخ الروح في الجنين، وكلُّ ميتٍ فإنه يموت بأجله، ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ٣٤﴾ [الأعراف]، جاء هذا المعنى في القرآن في آيات كثيرة في الأمم والأفراد، قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٞۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ٣٤﴾ [الأعراف]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ كِتَٰبٗا مُّؤَجَّلٗاۗ﴾ [آل عمران: ١٤٥].

فتوكَّل على الله أيها المسلم، واعمل لآخرتك، وتذكَّر قوله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**أكثروا ذكر هاذم اللذات**»[1]، والمقصود من تذكُّر الموت هو الاستعداد له بالأعمال الصالحة، فإن هذا هو الحزم والكيس، كما

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٠٧)، وقال: «حسن غريب»، والنسائي (١٨٢٤)، وابن ماجه (٤٢٥٨)؛ من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، وصححه ابن الملقن وغيره. ينظر: «البدر المنير» (٥/ ١٨١).

في الحديث المعروف الذي رواه الترمذي وابن ماجه[1]، وهو قوله ﷺ: «**الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله**»، نسأله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، ويجعل الموت راحة لنا من كل شر، والله أعلم.

الدعاء بـ «اللهم ارحمنا بأسرار الفاتحة»

السؤال:

ما حكم صيغة هذا الدعاء: «اللهم بأسرار الفاتحة ارحمنا أو فرج عنا»؟

الجواب:

الحمد لله؛ هذا الدعاء بدعة لا أصل له، وليس له نظير في الأدعية المأثورة عن النبي ﷺ، والسلف الصالح، فالواجب التوسل بما جعله الله وسيلة من الأسماء والصفات، كأن تقول: اللهم برحمتك أستجير، وبرحمتك أستغيث، وتقول: يا أرحم الراحمين ارحمنا، وتقول: اللهم فرّج عنا، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٥٩) وحسنه، وابن ماجه (٤٢٦٠)؛ من حديث شداد بن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال الحاكم (١٩١): «صحيح على شرط البخاري»، وضعف سنده ابن حجر في «تخريج أحاديث المشكاة» (٥/ ٤٩).

فهذا الدعاء المسؤول عنه من الأدعية البدعية التي يخترعها بعض الناس ويعجبون بها، وهذا من تسويل الشيطان، فالخير كله في الاتباع، والشر كله في الابتداع، والله أعلم.

ختم الدعاء بالفاتحة

السؤال:

رأيت في إحدى القنوات الفضائية شيخًا فاضلًا تكلم كلامًا جميلًا اقشعرت منه جلود السامعين، وذلك في محبة الرسول ﷺ، ولكني رأيته في ختام محاضرته دعا إلى قراءة الفاتحة على النبي ﷺ، والصحابة رضوان الله عليهم، فهل هذا جائز، أو ورد عن السلف رَحِمَهُمُٱللَّهُ؟

الجواب:

الحمد لله؛ قراءة الفاتحة عند ختم الدعاء بدعة لا أصل لها من كتاب، ولا سنة، ولا من فعل الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، ولا من تبعهم بإحسان، فلا يجوز تحري ذلك، فإن تخصيص الذكر أو القراءة في وقت، أو حال، أو مكان لا يجوز إلا بدليل، وقراءة الفاتحة أوجبها الله في الصلاة، وهي رقية يرقى بها المريض، وتلاوتها عبادة كسائر سور القرآن، بل إنها أفضل سور القرآن، ولا أذكر موضعًا يشرع فيه قراءة الفاتحة على وجه الخصوص إلا ما ذكر.

ويكفي دلالة على عظم شأن الفاتحة أن الله افترض قراءتها في كل ركعة، فالمسلم يقرؤها سبع عشرة مرة في صلاة الفريضة، ويقرؤها في

سائر النوافل في كل ركعة؛ إذ لا تصح صلاة لا فرضًا ولا نفلًا إلا بقراءتها؛ لقوله ﷺ: «**لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب**»[(١)].

وأما إهداء ثواب قراءتها أو غيرها من القرآن للرسول ﷺ فبدعة؛ فالرسول له مثل أجور جميع أمته ﷺ، وأما إهداء ثواب قراءة القرآن لغير الرسول ﷺ فمختلف فيه بين العلماء، والأظهر أنه لا يجوز إهداء ثواب التلاوة؛ إذ لم يدل عليه دليل من سنته ﷺ أو فعل صحابته، وأما استئجار من يتلو القرآن ويهدي ثوابه فحرام باتفاق العلماء، على الآخذ والمعطي فإن الذي يأخذ الأجرة على التلاوة لا ثواب له، وليس للفاتحة خصوصية في حكم إهداء ثواب القراءة، فتخصيص ذلك بها بدعة، والله أعلم.

وليمة ختم القرآن

السُّؤَالُ:

ابني سيختم القرآن حفظًا هذه الأيام إن شاء الله، ورغبة في تشجيعه، وليحس بعظيم النعمة عليه، ولتبقى في ذاكرته أحب إقامة وليمة لأجل ذلك، فهل هذا العمل مشروع؟ أفتونا جزاكم الله خيرًا.

الجواب:

الحمد لله؛ التشجيع على الخير مشروع في الجملة، وحفظ القرآن من الخير العظيم، ومن أعظم نعم الله على العبد، وإكرام الابن في هذه المناسبة بصنع وليمة، ودعوة من يتيسر من أساتذته وزملائه ومن

(١) أخرجه البخاري (٧٥٦)، ومسلم (٣٩٤)؛ من حديث عبادة بن الصامت رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

الأقارب، إظهارًا للفرح بهذه النعمة، وشكرًا لله على ما منَّ به سبحانه، أرجو أن لا بأس بذلك، وقد ذكر الفقهاء في أنواع الوليمة طعام ختم القرآن، كما في الإنصاف[(١)]، والأشبه أنها من العادات الحسنة، لا من السنن، أقر الله عينك بهذا الابن وإخوانه، وأثابك على حسن تربيتك لأولادك.

حكم الاحتفال بافتتاح المسجد

السؤال:

فضيلة الشيخ؛ دعيت لإلقاء محاضرة في جامع بمناسبة افتتاحه، فهل ذلك جائز؟

الجواب:

الحمد لله؛ بناء المساجد من أفضل القربات، وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ قال: «**من بنى مسجدًا لله تعالى، ولو كمَفْحَص قَطاة، بنى الله له بيتًا في الجنة**»[(٢)]، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**أحب البلاد إلى الله مساجدها**»[(٣)].

وكذلك تعليم العلم لاسيما في المساجد من أعظم الطاعات، وقد كان المسلمون -منذ فجر الإسلام- يبنون المساجد لإقامة أعظم شعيرة

---

(١) «الإنصاف في معرفة الخلاف» للمرداوي (٨/ ٣١٦).

(٢) أخرجه البخاري (٤٣٩)، ومسلم (٥٣٣)؛ من حديث عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. إلا قوله: «كمفحص قطاة»؛ فهي عند ابن ماجه (٧٣٨) وغيره.

(٣) مسلم (٦٧١).

من شعائر الإسلام وهي الصلوات الخمس، وينادى لها من هذه المساجد، وأفضل مسجد بني في الإسلام مسجد النبي ﷺ حين هاجر إلى المدينة فكان بناء المسجد أول أعماله ﷺ، وكان المسلمون يتلقون كثيرًا من علم النبوة من ذلك المسجد.

ومضى المسلمون على ذلك يبنون المساجد ويعظمونها بما شرع الله، وما عَلِمْنا أنهم يخصون المسجد الجديد بصلاة ولا تعليمٍ أيامَ افتتاحه، وإنما حدث ذلك -فيما أعلم- في العصور المتأخرة عندما صار كثير من الذين يبنون المساجد يتباهون بها، ومنهم من يبنيها وليس هو من عُمَّارها.

فلا آمن أن يكون ما يُفعل بمناسبة افتتاح المسجد من كلمات أو محاضرات أن يكون بدعة أو طريقًا إلى البدعة، ولن نكون بمثل هذا خيرًا من السلف الصالح الذين لم يفعلوا مثل ذلك، ولو كان فضيلة لكانوا أولى بها، وما يستحسنه الناس يجب أن يُعرض على هدي الرسول ﷺ وهدي صَحابته، وما حدثت البدع إلا بالرأي والاستحسان بلا برهان.

يضاف إلى ذلك: أن ما جرت به عادة كثير ممن يقيم هذه المناسبة من إلقاء كلمات يُثنى فيها على صاحب المسجد، ويعظم فيها عمله لا يُؤمنُ أن يكون لها تأثير في نيَّته، وهو في الغالب يكون حاضرًا، ولأن يدعى له في مغيبه خير من أن يمدح بمحضره وأمام جمهور من الناس، نسأل الله أن يجزي المهتمين ببناء المساجد، وبعمارتها بالعلم، جزاء حسنًا وثوابًا جزيلًا، والله أعلم.

تخصيص الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام بعد الجمعة

السُّؤَالُ:

هل هذا الدعاء جائز؟ وهل ورد في السنة؟ علما أنه يقال بعد كل صلاة جمعة وبشكل جماعي، وهو: «اللهم صل على نبينا محمد صلاة تنجينا بها من أهوال يوم القيامة، وتنجينا بها من النار، وترفع بها درجاتنا في الجنة».

الجواب:

الحمد لله؛ الصلاة على النبي ﷺ من أفضل الأعمال الصالحة، وهي مشروعة في جميع الأوقات، ويستحب الإكثار من الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة، كما جاء في الحديث، فقد روى أبو داود وابن ماجه عن شداد بن أوس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خُلق آدم، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا عليّ من الصلاة فيه**»[(١)]، وتشرع الصلاة على النبي ﷺ في مواضع معينة: كما في التشهد، وكما في سائر الدعاء إذا أراد الإنسان أن يدعو فينبغي له أن يفتتح دعاءه بحمد الله والصلاة على رسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

ولكن لا يجوز أن يَخص الإنسان وقتًا أو مكانا بذكرٍ أو دعاء أو بالصلاة على الرسول ﷺ إلا بدليل، ولم يدل دليل على استحباب الصلاة

(١) أخرجه أبو داود (١٠٤٧)، وابن ماجه (١٠٨٥)، وصححه ابن حبان (٩١٠)، والحاكم (١٠٢٩)، ووافقه الذهبي، وصحح إسناده النووي في «خلاصة الأحكام» (١٤٤١).

على النبي ﷺ بعد صلاة الجمعة خصوصًا، فتخصيص ما بعد صلاة الجمعة بالصلاة على النبي ﷺ لا دليل عليه، إذن فهو بدعة.

وكذلك رفع الصوت في هذه البدعة يجعلها أغلظ، فإن الجهر بالأمور المحرمة والبدع أقبح من الإسرار بها.

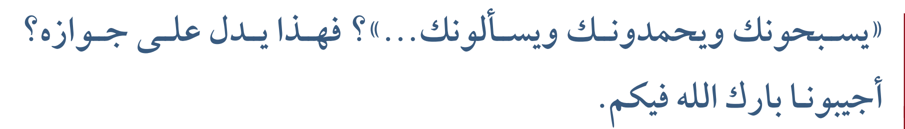
فعلى كل حال ينبغي للمسلم أن يكثر من الصلاة على النبي ﷺ، ولكن لا على طريقة الصوفية الذين يتحلقون للصلاة على الرسول ﷺ بصلوات مبتدعة تتضمن الغلو فيه ﷺ، ويستعيضون بها عن تلاوة القرآن، بل يفضلونها على تلاوة القرآن، فإن ذلك من أعظم المنكرات.

والمشروع بعد الصلوات أن يأتي الإنسان بالأذكار المشروعة، مثل أن يستغفر الله ثلاثًا ويقول: اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام، ومثل أن يسبّح ويحمد ويكبر ثلاثًا وثلاثين، إلى غير ذلك من الأذكار الواردة عن النبي ﷺ، والله أعلم.

الجمع بين بدعية الذكر الجماعي وحديث البخاري: «يسبحونك ويحمدونك ويسألونك»

السُّؤَالُ:

لقد اطلعت على الفتاوى بشأن الذكر الجماعي، وعلمت أنه بدعة، ولكن سؤالي: كيف يكون تفسير حديث البخاري:



«يسبحونك ويحمدونك ويسألونك...»؟ فهذا يدل على جوازه؟ أجيبونا بارك الله فيكم.

الجواب:

الحمد لله؛ هذا الحديث لا يختص بالأذكار من التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير، بل يدخل فيه تعلم العلم وتعليمه وتلاوة القرآن ومدارسته، وإن كان لفظ الحديث في الأذكار أظهر، ولا يلزم من الاجتماع على الذكر أن يكون جماعيًّا بالمعنى المعروف وهو أن يكون بصوت واحد، بل إذا جلس المسلمون في المسجد كل منهم يذكر ربه ويسبحه ويحمده ويكبّره صدق عليهم أنهم اجتمعوا على ذكر الله، كما إذا اجتمع أيضًا بعض المسلمين في بيت من بيوت الله يتدارسون القرآن هذا يقرأ وهذا يستمع، ولا يلزم أن تكون قراءتهم للقرآن بصوت واحد كما يحصل في تعليم الصغار.

فالحديث المذكور في شأن الملائكة الذين يستمعون الذكر لا يدل على أن أولئك القوم كانوا يسبّحون ويحمدون ويكبرون بصوت واحد، كما يفعله من يفعله من أهل التصوف ومن شاكلهم، ولم ينقل لنا أن النبي ﷺ وأصحابه الكرام رضوان الله عليهم كانوا يؤدون الذكر الجماعي على هذه الصورة.

فالواجب اتباع هدي الرسول ﷺ، وهدي صحابته رضوان الله عليهم في جميع أمور الدين القولية والعملية والاعتقاديّة، والله أعلم.



الاجتماع على الذكر والتسبيح والتهليل

السؤال:

إذا طلبت من زوجتي أو صديقي أن نجتمع في مكان أو نلتقي ولو بالهاتف مثلًا في أي وقت ليذكرني وأذكره بذكر الله المطلق؛ كالتهليل مئة والتسبيح مئة مما يحتاج إلى عزيمة، فإني إذا كنت وحدي مللت ونسيت، فهل يعد اجتماعنا بدعة؟

الجواب:

الحمد لله؛ نعم، هذا العمل بدعة؛ فإنه نظير ما فعله قوم في عهد ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يكونون حلقًا في المسجد، فيقول أحدهم: سبحوا مئة وهللوا مئة، فجاء ابن مسعود فوقف عليهم، وقال: «والذي نفسي بيده، إنكم لعلى ملة أهدى من ملة محمد، أو مفتتحو بابِ ضلالة»[1]، غير أن ما ذكر في السؤال اجتماع مصغر، فالواجب الاستغناء بهدي النبي ﷺ وهدي صحابته، ولم يكن ذلك من هديهم، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، والله أعلم.

(١) أخرجه الدارمي في «سننه» (٢٠٤)، وصحح إسناده الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٥/ ١١).

الاغتسال بالماء والسدر وإتباعه بالصدقة

السؤال:

ما حكم الغسل بالماء والسدر لمدة سبعة أيام وإتباع الغسل في كل مرة بصدقة؟

الجواب:

الحمد لله؛ هذا بدعة، فالصدقة عبادة، وتوقيت العبادات هو من صفاتها التي يجب أن تتلقى من الكتاب والسنة، ولا أصل لهذا الترتيب.

أما الاغتسال بالماء والسدر فهو علاج، فليرتبه الإنسان كيف شاء كل يوم، أو يوما بعد يوم، أو في الصباح، أو في المساء، كل هذا من الأمور العادية، فهناك فرق بين العادات والعبادات، فالعادات تختلف باختلاف أحوال الناس وتجاربهم، وأما العبادات فهي توقيفية، في أصلها وفي صفاتها، نسأل الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أن يوفقنا للاتباع ويجنبنا الابتداع، والله أعلم.

شرب اللَّبن لسعادةِ العام خرافة

السؤال:

يعمد بعض الناس إلى شرب الحليب ليلة كل عام جديد اعتقادًا منهم أن ذلك يجعل عامهم أبيض وسعيدًا، ويعتقدون أن من لم يفعل ذلك فعامه كله سيكون أسود ومليئًا بالمصائب.

ما حكم هذا الفعل المبني على ذلك الاعتقاد؟ وهل هذا من قبيل الشرك الأصغر؟ وهل هذا العمل من باب التبرك أو من باب التطير؟ نرجو تفصيل الجواب نصحًا لهؤلاء الناس، والله يرعاكم.

الجواب:

الحمد لله؛ شرب اللبن على الوجه المذكور من حيث الوقت ومن حيث الغاية -بناء على ذلك الاعتقاد- منكرٌ مبني على اعتقاد فاسد، فلا علاقة لشرب اللّبن أو تركه في أول العام بما سيكون في العام من خير وشر، بل هذا الاعتقاد خرافةٌ أوحى بها الشيطان، ولا تروج إلّا على الجهّال ناقصي العقل.

وشرب اللبن على أنه جالب للخير ودافع للشر يشبه تعليق التميمة والودعة، التي قال فيها النبي ﷺ: «**من تعلق تميمة، فلا أتم الله له، ومن تعلق ودَعَة، فلا ودَعَ الله له**»[(١)]، وعلى هذا؛ فمن شرب اللّبن ليسعد في عامه فلا أسعده الله!

كما أن هذا الفعل فيه شبه من التطير، المتضمن لربط الأقدار في المستقبل على ما يراه الإنسان أو يسمعه من طير وغيره، وفي الحديث: «**الطيرة شرك**» ثلاثًا[(٢)].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (١٧٤٠٤)؛ من حديث عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الحاكم (٨٢٨٩)، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في «المجمع» (٥ / ١٢٣): «رجاله ثقات».

(٢) أخرجه أبو داود (٣٩١٢)، والترمذي (١٦١٤)، وقال: «حسن صحيح»، وابن ماجه (٣٥٣٨)، من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال الحاكم (١ / ٦٥): «هذا حديث صحيح، سنده ثقات».

كما أن هذا الاعتقاد في اللبن نوع من الغلو فيه بدعوى البركة الخارجة عما جعله الله فيه من غذاء البدن، ومن زعم في شرب اللبن وغيره منافع متوهمة غير معروفة فهو جاهل ضال، وإذا عُرِّف ولم يرجع فهو مستوجب للعقاب.

فالواجب على المسلم أن يتقي الله، ويفوض أمره إلى الله، ولا يتعلق بالخرافات، وأن يأخذ بالأسباب النافعة التي من أعظمها الدعاء في جلب ما ينفعه ودفع ما يضره، ومن أنفع ذلك الأذكار في الصباح والمساء، والله أعلم.

الطاقة السلبية والطاقة الإيجابية في الكون!

السُّؤَالُ:

كثر في الآونة الأخيرة ربط كثير من الأمور بما يسمونه بالطاقة؛ إما سلبية أو إيجابية، ومن اعتقادهم فيها أنها منبثة في سائر الكون، وأن العبد يستجلبها بأمور، ومن ذلك ما ورد في هذه الرسالة المتداولة، وهذا نصها:

«عندك خمول، ضيقة، نفور، مشاكل عائلية؟ سبب ذلك الطاقة السلبية في جسمك ومحيطك استبدليها بالطاقة الإيجابية. كيف ذلك؟

- لا تفتحي النوافذ في الليل فتدخل الشياطين والطاقة السلبية معهم، افتحيها بعد صلاة الفجر حتى قبيل توسط الشمس تقريبًا



الساعة العاشرة فتدخل الطاقة الإيجابية لمنزلك، ويدخل الهواء النقي ليتجدد هواء تتنفسونه يؤثر على الصحة والمزاج.

- كل ثلاثة أيام افتحي الأبواب والنوافذ وشغلي سورة البقرة والرقية الشرعية للمنزل، وستلاحظين فرقًا بنفسك وبأهل البيت من ناحية النفسيات والتعامل.

- بخري المنزل بالحبة السوداء لتطرد الشياطين والجراثيم، كما وصى المصطفى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

- لا تجمعي الأغراض أبدًا تحت السرير أو فوق الدولاب، بل رتبيها داخل أدراج مغلقة.

- حاولي قبل النوم بساعة على الأقل إغلاق جميع الأجهزة الإلكترونية بالمنزل، بما فيها الإضاءة والاكتفاء بالشموع.

- اشربي الأعشاب المهدئة: البابونج، اليانسون، النعناع، قبل النوم، وأكثري منها عند التعب النفسي والجسدي.

- لا تبخري المنزل والنوافذ مغلقة بل افتحيها.

- لا تكثري من المرايا في المنزل، وإن وجدت مرايا فأفضل مكان لها عند المدخل.

- لا تلبسي ملابس غيرك دون غسلها والبسملة قبلها.

- لا تجلسي في مكان قد قام منه صاحبه لتوه.

- لبس الإكسسوارات تبعث الطاقة السلبية لك، ماعدا الذهب فإنه ذو طاقة إيجابية.

- إن حصل ما يزعجك لدرجة الاكتئاب، اكتبي كل مايدور في فكرك وخاطرك، وكرريه حتى تملي، وإن انتهيت مزقي الورقة، وارميها دون أن يراها أحد.

- اخرجي من المنزل وادفني أقدامك في الرمال، وامشي حافية لتخرج الطاقة السلبية منك.

- تنفسي تنفسًا عميقًا عند استيقاظك من النوم، وقبل النهوض انطقي البسملة.

- اجعلي وقت النوم ثابتًا منتظما، وأن يكون في الليل.

- أكثري من قراءة القرآن بتدبر وحضور قلب، والله إن فيه حلاوة ولذة لايعلمها إلا من جربها.

- دعاء يقومك للصلاة وأنت نائمة: «اللهم لاتؤمِّني مكرك، ولاتنسني ذكرك، ولاتجعلني من الظالمين، اللهم أيقظني في أحب الساعات إليك كي أسألك فتعطيني وأستغفرك فتغفرلي إنك كنت بي بصيرًا رحيما».

انشرها تكسب أجر من قام للصلاة بسببك.

فما صحة هذا الرأي؟ وما أوجه بطلانه؟ بارك الله في علمكم وعملكم.

الجواب:

الحمد لله؛ لا بد قبل الجواب عما تضمنته الرسالة من الدعاوى من معرفة مصطلح الطاقة، فأصل الطاقة في اللغة العربية: القدرة على الشيء دون مشقة ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، والذي

يظهر من سياقات كلام أصحاب العلوم التجريبية أنهم يريدون بها القوة المؤثرة، كما يقولون: الطاقة الكهربائية، والطاقة الذرية.

وعليه فالطاقة الإيجابية والطاقة السلبية يراد بها: الأسباب المؤثرة إيجابيًّا (أي تأثيرًا حسنًا ونافعًا) والأسباب المؤثرة سلبيًّا (أي تأثيرًا سيئًا وضارًّا)، والتعبير عن ذلك بإيجابي وسلبي مصطلح حادث لا أصل له في اللغة العربية.

وما ذكره صاحب الرسالة من أسباب في علاج بعض الحالات النفسية والمشكلات الأسرية جمع فيه بين أسباب طبيعية ووهمية وشرعية وبدعية، مما يدل على جهله أو قصده للتلبيس، فلا بد من الفرقان بين الحق والباطل من الأسباب والآثار، فمن الأسباب الطبيعية التي ذكرها:

أولًا: فتح النوافذ، وحدد لذلك وقتًا، وما ذكره ليس بمطرد، بل يختلف باختلاف الجو صفاء وكدرًا، وحرًا وبردًا، وقد يجلب فتح النوافذ إزعاجًا، فيزيد الهم والغم والقلق، وقد يكون فتحها في المساء وفي الليل مفيدًا وممتعًا، بحسب موقع المنزل وما يحيط به.

أما دعوى أن فتح النوافذ في الليل سبب لدخول الشياطين فهي خرافة من خرافات الجهال والضلال.

وأما أمر النبي ﷺ بإغلاق الأبواب في الليل[1]، فالمراد به الأبواب المعتادة في المنزل التي يُدخل منها، لا النوافذ، بل كانت نوافذهم لا أبواب لها.

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٦٢٩٦)، ومسلم (٢٠١٢)؛ من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ثانيًا: فتح الأبواب والنوافذ كل ثلاثة أيام مع تشغيل مسجل سورة البقرة والرقية الشرعية؛ بدعة مركبة من سبب طبيعي وشرعي مبتدع، وقد اشتملت على جملة مخالفات:

١. التقدير بثلاثة أيام لسورة البقرة.

٢. فتح الأبواب والنوافذ لذلك.

٣. تشغيل الرقية الشرعية.

يبين ذلك أن الحديث الذي فيه أن الشيطان يفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة[(١)]، لم يقدر له وقت، ولم يؤمر فيه أو من أجله بفتح الأبواب والنوافذ.

ومن المعلوم أن تشغيل المسجل بها لا يساوي قراءة المسلم لها في منزله، وكذلك تشغيل المسجل لها بالرقية الشرعية لا يعد رقية، وإسماع المريض للمسجل لا يسمى رقية له.

ثالثًا: دعوى أن تبخير المنزل بالحبة السوداء يطرد الشياطين، وأن الرسول ﷺ وصى بذلك؛ دعوى باطلة، وافتراء على الرسول ﷺ، فالرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال عن الحبة السوداء: إنها شفاء من كل داء إلا السام[(٢)]، ولم يقل: يبخر بها المنزل، وفي الحديث: «**من كذب عليّ، فليتبوأ مقعده من النار**»[(٣)].

---

(١) أخرجه مسلم (٧٨٠)؛ من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) سبق تخريجه (١/ ١٨٣).

(٣) أخرجه البخاري (١٠٧)؛ من حديث الزبير رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ومسلم (٣)؛ من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ..

رابعًا: قوله: «لا تجمعي الأغراض أبدًا تحت السرير أو فوق الدولاب، بل رتبيها داخل أدراج مغلقة...»؛ يشعر أن هذا من أسباب طرد الهم والمشكلات، ومعلوم أن ترتيب الحاجات شيء حسن في العادة، ولا علاقة له بالحالة النفسية، ولم يكن عند كثير من المسلمين في الصدر الأول دواليب يرتبون بها حاجاتهم، بل هذا شأن أهل اليسار، ولا سيما في هذه الأعصار.

خامسًا: وأما الوصية ١. بإغلاق جميع الأجهزة الإلكترونية في المنزل إلخ. ٢. وشرب الأعشاب المهدئة. ٣. وعدم تبخير المنزل والنوافذ مغلقة. ٤. وعدم الإكثار من المرايا في المنزل؛ فهي وصايا طبيعية حسنة.

سادسًا: أما الوصية ١. بعدم لبس ملابس الغير إلا بعد غسلها والبسملة. ٢. وعدم الجلوس في مكان قام عنه صاحبه لتوه. ٣. وعدم لبس الإكسسوارات... إلخ ٤. وكتابة ما يدور في الخاطر لطرد الاكتئاب... إلخ. ٥. والخروج من المنزل ودفن الأقدام في الرمال... إلخ. ٦. والتنفس بعمق عند الاستيقاظ من النوم... إلخ.٧. وأن يكون وقت النوم ثابتًا، وأن يكون بالليل.

فهذه الوصايا السبع أحسنها الوصية بتنظيم النوم، وأما الوصايا الست الباقية فتشتمل على دعاوى طبية تفتقر إلى دليل؛ كالثالثة والخامسة، وتشتمل على أمور عادية تختلف باختلاف الأحوال؛ كالأولى والثانية.

وأما الوصية الرابعة بكتابة كل ما يدور في الخاطر إلخ، فهي وصية قبيحة؛ لأن بعض ما يدور في الخاطر من الخواطر ما لايجوز التكلم به، والكتابة بمنزلة الكلام، فلا يجوز للإنسان أن يكتب كل ما يرد على خاطره، والبديل عن هذا أن يشغل الإنسان نفسه بأموره المهمة لينشغل عن الهموم التي تزعجه.

وأما التنفس بعمق عند الاستيقاظ -وهي الوصية السادسة- ففائدته ترجع إلى الإنسان نفسه في تجربته.

ولكنَّ قوله: «انطقي البسملة» جهل بالمشروع؛ فإن الذي جاء في السنة أن يقول: الحمد لله الذي أحياني بعد ما أماتني وإليه النشور[1]، وأما البسملة فلا تشرع في هذا الموضع، لكن إذا قال الإنسان عند نهوضه باسم الله، فلا حرج عليه.

سابعًا: وأما الوصية بقراءة القرآن بتدبر فهي أحسن وصية في هذه الرسالة، ولكن يجب التنبيه إلى أن يكون المقصود من التلاوة والتدبر هو التفقه في الدين وحصول الثواب من الله تعالى، ولا تكون الغاية حصول النفع العاجل.

ثامنًا: وأما دعوى أن الدعاء المذكور في آخر الرسالة يوقظ من دعا به للصلاة؛ فلا دليل عليها، وفضائل الأدعية وغيرها وخصائصها لا تثبت إلا بدليل من كتاب أو سنة.

(١) أخرجه البخاري (٦٣١٢)؛ من حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومسلم (٢٧١١)؛ من حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



وعليه؛ فهذا الدعاء بدعة، لا يجوز نشره، وكذلك لا يجوز نشر هذه الرسالة؛ لما اشتملت عليه من التخليط والدعاوى الباطلة والبدع، وكل بدعة ضلالة، والله أعلم.

الإسقاط النجمي (سفر الأرواح)

السؤال:

انتشر بين بعض الشباب والشابات ما يسمى بالإسقاط النجمي (سفر الأرواح) وصورته كما سمعته: أن تخرج الروح عن الجسد وتذهب إلى حيث أرادت، وذلك عن طريق إجهاد الشخص نفسه بفعل رياضة أوغيرها، ثم يستحم لتتنشط روحه ويستلقي، ويبدأ في إخراج الروح وتخرج، ثم إذا خرجت ينظر إلى جسده كالنائم ويقل نبض قلبه.. ويصبح مثل الجان تذهب الروح إلى حيث يريد لا يراه أحد. فما حكم من اعتقد هذا الأمر وجواز فعله؟

الجواب:

الحمد لله؛ ما يسمى سفر الأرواح -كما وصف في السؤال- فكرة شيطانية خرافية، لعلها تشبه ما يسمى بالتنويم المغناطيسي، لكن التنويم المغناطيسي يفعله بعض الناس بغيره ليستخرج أسراره، وأما سفر الروح المذكور فهو يفعله الإنسان بنفسه، ولعل تصديقه بالفكرة وفعله لشروطها يجعله يتخيل أشياء مما يتمناه، ويعينه الشيطان على ذلك، ويخيل له ما يجعله يصدق ما يسمعه أو يشاهده أثناء سبح فكره في تلك الخيالات.

ومن المعلوم أن الروح لا تفارق البدن إلا بالموت الذي لا رجعة بعده إلا بالبعث أو تفارقه في النوم نوع فراق، فلا تفارقه فراقًا كليًّا، ولذا يبقى مع النائم قدر من الحس، ويتحرك، ويرى في النوم أنواعًا من الرؤى.

وبناء على ما سبق أقول: إن التصديق بما يسمى سفر الأرواح والعمل به حرام؛ لأنه من الباطل، ولا يجوز التصديق بالباطل، هذا؛ وقد يعاقب من يفعل ذلك فتسافر روحه سفر الموت فلا ترجع إليه، والله أعلم.

طريقة صوفية منكرة (يقرؤون الأذكار في أيام معدودة، ويتركون لها صلاة الجمعة)

السؤال:

انتشرت في ماليزيا طريقة صوفية يعمل أهلها أعمالًا منها: قراءة الأذكار في أيام معدودة، وهم لا يشهدون الجمعة حين قراءة هذه الأذكار بحجة أنهم من المرضى، ويقصد بالمرض مرض القلوب كالرياء. فما حكم الدين في ذلك؟

الجواب:

الحمد لله؛ إن ذكر الله من أجل العبادات، ومنه ما هو فرض ومنه ما هو مستحب، فيجب التقيد فيه بما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فمن ابتدع في دين الله ما ليس منه فعمله باطل مردود لقوله ﷺ:

«**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»[1]، وفي رواية لمسلم[2]: «**من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد**»، وإذا انضاف إلى ذلك ترك شيء مما أوجبه الله كالجمع والجماعات كان ذلك أقبح، كهؤلاء الذين تذكر عنهم أنهم لا يشهدون صلاة الجمعة، فهؤلاء جمعوا بين ما ابتدعوه من الذكر، وترك ما أوجب الله من شهود الجمع والجماعات.

فالواجب الإنكار عليهم والتحذير من طريقتهم وعدم الاغترار بما يدَّعونه عذرًا لهم في ترك الجمعة، وهو ما ابتدعوه من الذكر، وصلاة الجمعة فرض على الأعيان لا يجوز تركها لنافلة من النوافل، فالتخلف عنها بحجة الاشتغال بالذكر -ولو كان أصله مشروعًا- حرام، فكيف إذا كان ذكرًا مبتدعًا.

وما يفعله هؤلاء هو من تلبيس الشيطان عليهم، فقد زين لهم الباطل وهو ترك ما أوجبه الله وفعل ما حرمه الله، فهم من الذين ﴿ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ١٠٤﴾ [الكهف]، ومن الذين ﴿ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ٣٠﴾ [الأعراف]. نعوذ بالله من سبيل الغاوين والضالين، والله أعلم.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨)؛ من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

(٢) مسلم (١٧١٨).

التعبد بأسماء الرسول ﷺ بدعة

السُّؤَالُ:

قاسم، محمود، حامد، أحمد، محمد، رشيد، حاشر، نور، فاتح، عاقب، شفيع، داع، ناصر، بشير، منير، شافي، ماحي، مهدي، هادي، هاشمي، تهامي، أمي، نبي، رسول، رحيم، رؤوف، حريص عليكم، عزيز، نصير، مرتضى، مجتبى، طه، ولي، مزمل، ياسين، مصطفى، مطيع، مصدق، متين، مدثر، صاحب، يتيم، برهان، مقتصد، عالم، منصور، ناصر، طيب، عربي، مكين، قرشي، صادق، حجازي، كريم، حكيم، عالم، أمين، حافظ، فصيح، أول، ذاكر، قيم، بيان، مختار، حبيب، هاشمي، خليل، ديان، ناصر، منتحي، بر، شهيد، معراج، شفيع، مهدي، فصيح، غني، مطهر، حميد، كتوم، مشكور، رسول، متوسط، مذكر، ظهير، إمام، خطيب، عادل، جواد. لنقرأ هذا الدعاء ولنقل آمين من قلوبنا: يا ألله أنا أحبك وأحتاج إليك، أرجو أن تكون في قلبي، أرسل هذه الرسالة إلى (١٧) شخصًا غيرك وغيري، وستأتيك معجزة غدًا ولا تتجاهلها، يرحمك الله.

الجواب:

الحمد لله؛ هذه الرسالة صادرة إما من جاهل ضال مُضلِّل، أو من قاصد للتضليل، فإن ما ذكر مما قيل إنها أسماء للرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ منها ما هو اسم له وعلم عليه مثل: (محمد) وهو أشهر أسمائه ﷺ، ومن أسمائه التي ذكرت في القرآن مما جاء في الخبر عن عيسى

عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، في قوله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ﴾ [الصف: ٦]، ومنها أسماء الأشبه أنها صفات للرسول ﷺ وليست أعلامًا عليه، مثل (الرؤوف) (الرحيم)، ومنها ما يظنه بعض الناس اسمًا وليس اسمًا: كـ (طه)، ولم نُتَعَبَّد بإحصائها واتخاذها ذكرًا في الصباح وفي المساء.

وما ذكر بعد هذه الأسماء في هذه الرسالة ليس من الدعاء المشروع الذي يَفْضُل على غيره، وتخصيصه بفضل هو من الابتداع في الدين.

والحاصل: أن هذه الرسالة دعوة إلى بدعة فلا يجوز نشرها، ولكن معرفة الرسول ﷺ ومعرفة صفاته الكريمة ﷺ هي من العلم النافع، ومما ينبغي للمسلم أن يتلقاه من القرآن ومن سنة الرسول ﷺ، ولا يَحتاج إلى جمع، ولا يشرع جمع أسمائه وصفاته ثم التعبد بتلاوتها، بل هذا لم يشرع في أسماء الله، إنما يشرع من الذكر والدعاء ما أمر الله به ورسوله ﷺ، وما أثنى الله ورسوله ﷺ على أهله، فمن الذكر: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ومن الدعاء: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ٢٠١﴾ [البقرة]، ومن الذكر والدعاء ما صح عن النبي ﷺ من الأذكار في الصباح والمساء وسائر الأحوال.

ومن الكذب الشنيع قول هذا المفتري صاحب الرسالة: أرسلها إلى سبعة عشر شخصًا غيرك وغيري، وستأتيك معجزة غدًا، فإن هذا رجم بالغيب، ودعوة إلى نشر هذا الذكر والدعاء المبتدع، فيجب الحذر من الاغترار بهذا وأمثاله من الكذابين، والله أعلم.

صفة النبي محمد ﷺ في التوراة

السُّؤَالُ:

أحسن الله إليكم، ما رواه البخاري في صحيحه عن عطاء بن يسار، قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قلت: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة؟ قال: «أجل، والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾﴾ [الأحزاب]، وحرزًا للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ، ولا سخاب في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتح بها أعينًا عميًا، وآذانًا صمًّا، وقلوبًا غلفًا» وثبت عند الإمام أحمد زيادة، قال عطاء: لقيت كعبًا فسألته، فما اختلفا في حرف.

سؤالنا -أحسن الله إليكم- هل يقال: قول عبد الله بن عمرو: «إنه لموصوف في التوراة» يريد نفس التوراة، بحيث يكون الكلام المذكور هو كلام الله نصًّا، أو أن المقصود بالتوراة كتب أهل الكتاب التي بأيديهم؟ سددكم الله ومنحكم الله العلم والإيمان.

الجواب:

الحمد لله وحده، وصلى الله وسلم على محمد، أما بعد: فإن من المعلوم أن التوراة كانت موجودة في عهد النبي ﷺ، وقد احتج بها الرسول ﷺ على اليهود في حدِّ الزاني المحصَن حين جحدوه، ففي

صحيح البخاري عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: أتي النبي ﷺ برجل وامرأة من اليهود قد زنيا، فقال لليهود: «**ما تصنعون بهما؟**»، قالوا: نسخم وجوههما ونخزيهما، قال: ﴿فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [آل عمران]، فجاءوا، فقالوا لرجل ممن يرضون: يا أعور، اقرأ، فقرأ حتى انتهى إلى موضع منها فوضع يده عليه، قال عبد الله بن سلام: ارفع يدك، فرفع يده، فإذا فيه آية الرجم تلوح، فقال: يا محمد، إن عليهما الرجم، ولكنا نكاتمه بيننا، فأمر بهما فرجما، فرأيته يُجانئ[١] عليها الحجارة[٢].

وكذلك أمَر الله نبيَّه محمدًا ﷺ أن يطلب من اليهود أن يأتوا بالتوراة لمَّا جحدوا أن يكون ما حرم عليهم مذكورًا في التوراة، قال تعالى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [آل عمران].

وليس في هذا الكلام المرويِّ عن عبد الله بن عمرو في صفة نبينا ﷺ ما يتعارض مع ما في القرآن والسنة، وقد أخبر الله أن صفة نبينا ﷺ مكتوبة عندهم في التوراة، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، وكتب الله يصدق بعضها بعضًا، وعبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عزا هذا القول للتوراة

(١) يجانئ عليها الحجارة أي: يَحني ظهره عليها؛ ليغطيها ويبعد عنها الحجارة.
(٢) البخاري (٧٥٤٣).

صريحًا، فلا يعد هذا من الإسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب، فإذا ثبت أنه من التوراة فهو من كلام الله، والله أعلم.

سب الرسول وهو كافر

السؤال:

من سب الرسول وهو كافر، ثم أسلم، هل يطالب بإقامة الحد عليه أو يعفى عنه لإسلامه؟ وهل يجوز لأحد أن يجيره ويلبسه عباءته أو يدخله بيته، فلا يمس بسوء؟

الجواب:

الحمد لله؛ أما بعد: فإن سب الرسول ﷺ من أنواع الكفر، وإن صدر من مسلم صار مرتدًّا، وإن صدر من ذميٍّ انتقض عهده، وحل دمه، وهل يعصم إسلامُه دمَه، ويَسقط عنه حدُّ السب؟ قيل: لا يسقط عنه، وقيل: يسقط إلا أن يَظهر أن إسلامه كان تقية ليعصم دمه، وهذا عندي أظهر. والله أعلم.

القول بأن الصلاة على الرسول ﷺ أفضل من الذكر

السؤال:

فضيلة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البرك حفظه الله، قال بعض المتحدثين في مقطع صوتي متداول: «الاشتغال بالصلاة على النبي ﷺ له من الفضل ما لا يكون مترتبًا على تلاوة القرآن؛ وذلك أنك إذا

قرأت القرآن فلك بكل حرف عشر حسنات، أما الصلاة على النبي ﷺ فإنك إن صليت عليه مرة صلى الله عليك بها عشرًا، وصلاة واحدة من الله تعدل كل الثواب»، فما رأيكم فيما قال؟

الجواب:

الحمد لله؛ إن الصلاة والسلام على الرسول ﷺ مما أمر الله به في كتابه، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾[الأحزاب]، وعلَّم النبيُّ ﷺ أصحابه التشهد في الصلاة وقد فرض عليهم، وفيه: «**السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته**»[(١)]، وعلَّمهم كيف يصلون عليه: «**اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد**»[(٢)]، والصلاة عليه في التشهد الأخير قيل: ركن، وقيل: واجب، وقيل: سنة. والأقرب أنه واجب.

والصلاة منا على النبي ﷺ دعاءٌ منَّا له بأن يصلي الله عليه -وصلاة الله عليه: ثناؤه عليه في الملأ الأعلى- كما أن صلاتنا على النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ذكرٌ لله تعالى، وهكذا كل داع فإنه ذاكر لله، وقد ندب النبيُّ ﷺ إلى الصلاة والسلام عليه في مواضع: كدخول المسجد والخروج منه، وابتداء الدعاء وختمه، بل قد جاء الوعيد لمن ذُكر عنده النبي ﷺ فلم يصل عليه، كما رغَّب النبي ﷺ في الصلاة عليه، ولا سيما يوم الجمعة، كما قال ﷺ: «**من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها**

(١) أخرجه البخاري (٨٣١،٨٣٥)، ومسلم (٤٠٢)؛ من حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.
(٢) البخاري (٣٣٧٠)، ومسلم (٤٠٦) عن كعب بن عجرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

عشرًا» رواه مسلم[١]. وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**إن من أفضل أيامكم يومَ الجمعة، فأكثروا عليَّ من الصلاة فيه؛ فإن صلاتكم معروضة علي**». رواه أبو داود والنسائي[٢]. وقال النبي ﷺ لأبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما قال له: أجعل لك صلاتي كلها، قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**إذن تُكفى همَّك، ويُغفر لك ذنبُك**» رواه الترمذي (٢٤٥٧) وقال: حسن صحيح، وجود إسناده الحافظ في الفتح[٣]. فقول أُبيٍّ: «أجْعلُ لك صلاتي كلها» أي دعائي، أي أجعل بدل دعائي لنفسي صلاةً عليك، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فإنَّ هذا كان له دعاء يدعو به، فإذا جعل مكان دعائه الصلاةَ على النبي ﷺ، كفاه الله ما أهمه من أمر دنياه وآخرته؛ فإنه كلَّما صلى عليه مرة صلى الله عليه عشرًا، وهو لو دعا لآحاد المؤمنين لقالت الملائكة: «**آمين، ولك بمثله**»[٤]، فدعاؤه للنبي ﷺ أولى بذلك».[٥]

فعلم مما تقدم أن الصلاة على الرسول ﷺ من أفضل الدعاء وأفضل الذكر، وأما القول بتفضيل التعبد بالصلاة على النبي ﷺ على التعبد بتلاوة القرآن مطلقًا، فباطلٌ؛ فإن ذلك لم ينقل عن أحد من الصحابة ولا التابعين، ولا الأئمة المقتدى بهم، وهو مخالفٌ للمأثور عن السلف من الترغيب في

---

(١) مسلم (٣٨٤).

(٢) أبو داود (١٠٤٧)، والنسائي (١٣٧٤)، وابن ماجه (١٠٨٥)، من حديث أوس بن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه ابن حبان (٩١٠)، والحاكم (١٠٢٩) ووافقه الذهبي. وصحح إسناده النووي في خلاصة الأحكام (١٤٤١).

(٣) ينظر فتح الباري (١١ / ١٦٨).

(٤) أخرجه مسلم (٢٧٣٢) وابن ماجه (٢٨٩٥) واللفظ له؛ من حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٥) مجموع الفتاوى ١/ ١٩٣.

تلاوة القرآن، والتنافس في ذلك، ولا سيما في قيام الليل وفي شهر رمضان، ومخالفٌ لدلالة الكتاب والسنة؛ فمن ذلك ثناؤه تعالى على المتعبدين بتلاوة الآيات، كقوله تعالى: ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [آل عمران]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾﴾[فاطر] الآيات، وقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾[الأنفال].

وقد أمر الله نبيه ﷺ والمؤمنين بقراءة القرآن والتهجد به، فقال تعالى: ﴿قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾﴾[المزَّمل] إلى قوله: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾﴾ [المزَّمل]، وقال: ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾[المزَّمل: ٢٠]، ومن السنة قوله ﷺ: «**لا حسد إلا في اثنتين؛ رجل آتاه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار**» الحديث[(١)]، وقرن النبي ﷺ قراءة القرآن بالصلاة والصيام في حديث الخوارج في الصحيح، وفيه: «**ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء، ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشيء، ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء**»[(٢)]، وجاء في الحديث عن النبي ﷺ: «**إنكم لا ترجعون إلى الله بشيء أفضل مما خرج منه**» يعني القرآن. أخرجه الحاكم وصححه عن أبي ذر ووافقه الذهبي[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٢٦)؛ من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم (١٠٦٦)؛ من حديث عليٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) ينظر المستدرك حديث (٢٠٣٩)؛ عن أبي ذر الغفاري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. وله شاهد عند الترمذي بنحوه عن أبي أمامة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ (٢٩١١) ولفظه: «**وما تقرب العباد إلى الله بمثل ما خرج منه**».

وأما الاستدلال على تفضيل التعبد بالصلاة على النبي ﷺ على التعبد بقراءة القرآن بقوله ﷺ: «**من صلى عليَّ صلاة صلى الله عليه بها عشرًا**»، فمعناه داخل في عموم قوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَا﴾[الأنعام: ١٦٠]، وهو كذلك سبحانه يجزي الذاكرين، يذكرهم ويصلي عليهم، قال تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾[البقرة: ١٥٢]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ﴿٤٣﴾﴾[الأحزاب]، وقد استفاضت السنة بتفضيل كلمات الذكر الأربع: «**سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر**»، والترغيب في الإكثار منها مطلقًا ومقيَّدًا، ومع ذلك فتلاوة القرآن أفضل من الذكر المطلق بها، وقد جعل الله القراءة في الصلاة ركنَ الصلاة من الأقوال، وذلك باتفاق العلماء، وهو الذي أمر به النبي ﷺ المسيء في صلاته، قال: «**ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن**»[(١)]، وما سوى القراءة من أذكار الصلاة فهو إما ركن أو واجب أو سنة، على تفصيل معروف بين العلماء، ولم تشرع الصلاة على النبي ﷺ في الصلاة إلا في التشهد، وهي الصلاة الإبراهيمية بالصيغة التي علمها النبي ﷺ أصحابه.

وبعد؛ فالقول بتفضيل التعبد بالإكثار من الصلاة على النبي ﷺ على التعبد بالإكثار من تلاوة القرآن مطلقًا هو مذهب كثير من أصحاب الطرق الصوفية الضالة؛ لذلك يبتدع شيوخهم صيغًا في الصلاة على النبي ﷺ، ويجعلون لكل صيغة من هذه الصيغ اسما تعرف به، كصلاة الفاتح والصلاة النارية، ثم يفترون لهذه الصلوات فضائل، منها تفضيلها

(١) أخرجه البخاري (٦٢٥١)، ومسلم (٣٩٧)؛ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

على قراءة القرآن، وعلى أعمال الولي من أولياء الله، ولو عاش أزمانًا متطاولة، فمن ذلك ما قيل في فضل صلاة الفاتح أن المرة الواحدة منها تعدل ستمئة ألف صلاة، بل قيل عنها إنها تعدل من القرآن ستة آلاف مرة، كما في كتاب جواهر المعاني لعلي حرازم الفاسي من كتبهم[١]، وهذا قليل من كثير. هذا مع أن في بعض الصلوات المبتدعة عبارات شركية، كما في قول صاحب دلائل الخيرات[٢]: «اللهم صلِّ على محمد ما سجعت الحمائم...، ونفعت التمائم»، وتعليق التمائم من الشرك، كما في الحديث.

هذا؛ وقد تبين مما تقدم أن ما ورد في المقطع الصوتي متضمنٌ للمعنى الباطل الذي تبين وجه بطلانه، وهو تفضيل الصلاة على النبي ﷺ على تلاوة القرآن، فعليه لا يجوز تداول هذا المقطع، ولا يجوز اعتقاد ما فيه من تفضيل الصلاة على الرسول ﷺ على تلاوة القرآن؛ فإنه ضلال مبين، وما فاه به هذا الرجل الجاهل هو نزرٌ من الفكر الصوفي القائم على الغلوِّ في النبي ﷺ، فاحذروا أيها الإخوة من الرجال والنساء ترويج مثل هذه الدعاوى التي لا مستند لها، لئلا تشاركوا الرجل في الضلال والإضلال. نسأله تعالى الهدى، ونعوذ به من الضلال. والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

---

(١) جواهر المعاني: (١/ ٩٤).

(٢) دلائل الخيرات: (ص: ١٩٨).

قراءة آيات معينة بعدد معين

السؤال:

سؤالي هو: قد طلب مني أحد الإخوة أن أسجل أشرطة بها آية الكرسي (٧٠) مرة، (محمد رسول الله) الآية (٢٩) من سورة الفتح (٣٥) مرة، سورة التوبة، سورة هود، سورة النازعات، سورة البروج، فما الحكم الشرعي في ذلك؟

الجواب:

الحمد لله؛ آية الكرسي هي أفضل آية في كتاب الله، وتشرع قراءتها في أحوال وأوقات معينة، وأما تقييد قراءتها بهذا العدد فلا أصل له، فلا يشرع في حال من الأحوال قراءتها سبعين مرة، فتخصيص هذا العدد بدعة، وكذا الآية الأخيرة من سورة الفتح ليس لقراءتها في وقت من الأوقات خصوصية، إنما تختص بالمعنى الذي اشتملت عليه، وكذا تحري هذا العدد في قراءتها بدعة، بل قراءتها مرة واحدة في وقت معين أو حالة معينة لا أصل له، وهكذا تخصيص السور المذكورة.

ولا ندري ما مقصود من طلب تسجيل هذه الآيات والسور حتى يتبين الحكم عليه.

وعلى كل حال لا يجوز لمن طُلب منه أن يسجل هذه الآيات وهذه السور على هذا الوجه أن يسجلها؛ لأن هذا من التعاون على نشر البدع في الدين، نسأل الله أن يلهمنا رشدنا، وأن يعيذنا من شرور أنفسنا إنه تعالى على كل شيء قدير، والله أعلم.



آلة عد التسبيح بدعة

السؤال:

ما حكم التسبيح بخاتم العد الذي يوضع في اليد، أو بآلة يمسكها الرجل بيده، وعند كل تسبيحة يضغط بأصبعه عليها؟

الجواب:

الحمد لله؛ لم يكن من هدي النبي ﷺ والصحابة والتابعين لهم بإحسان حمل حصى أو خرز ليعدوا به التسبيح والتهليل والتكبير، ولم يكن من هديهم عد التسبيح والتكبير والتهليل المطلق، وإنما كانوا يعدون ما قُيِّد من ذلك بعدد؛ كالعشر والمئة، يعدونه بالأنامل من أصابع اليدين، وأما الذكر المطلق فإنهم يفعلونه ولا يحصونه، ولا سيما أن إحصاء الذكر المطلق إذا أكثر الإنسان منه يوجب له استكثارًا لعمله وعجبًا.

وبناء على ما ذكر فحمل سبحة أو خاتم أو آلة لعد التسبيح والتهليل والتكبير بدعةٌ ومدعاة للرياء، أو هو مظهر رياء.

ومع ذلك فإن اتخاذ الآلة أو السبحة يجعل الذكر آليا ليس معه حضور قلب، ولعله يغفل فيحرك أصبعه للضغط بلا شعور فيزيد في عدد التسبيح ما لم يحصل منه.

فعلى المسلم أن يلزم هدي النبي ﷺ وأصحابه، ويتجنب المظاهر البدعية، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، والله أعلم.

من صور الذكر الجماعي في هذا العصر

السُّؤَالُ:

نحن مجموعة سيدات نجتمع كل أسبوع تقريبًا بإشراف معلمتنا التي تدرسنا الفقه والتفسير وحفظ القرآن -ولله الحمد- منذ عدة أعوام، ومنذ مدة قررت المجموعة الاستفادة من خدمة الـ (واتس آب) على الشكل التالي:

تحدد لنا معلمتنا صيغة ذكر نداوم عليها مدة أسبوع، مثل استغفار أو تهليل، وما إلى ذلك من أذكار، وكل يوم وعلى مدى أسبوع ترسل كل واحدة منا العدد المطلوب في نهاية كل يوم، بالإضافة إلى ختمة للقرآن كل أربعة أيام تقريبًا، كل واحدة تنهي قراءة جزأين على مدى يومين.

طبعًا كل واحدة منا تطلع على نتيجة أذكار باقي أفراد المجموعة، ولا أخفيك سرًّا -يا فضيلة الشيخ- أن هذا يحدث بيننا نوعًا من التنافس، وهذا ما تسعى إليه معلمتنا، لكني شخصيًّا أخشى أن يخالط عملي هذا شيء من الرياء، فأخطئ من حيث أردت الصواب، وحيث إن لدي قلقًا وخوفًا دائمين على سلامة قلبي وعملي قدر المستطاع، أردت التأكد من مشروعية هذا العمل وموافقته لسنة النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

أود أن أنوه إلى أني التزمت معهم مدة أسبوع، وشعرت بهمة ونشاط أكثر في سائر العبادات اليومية، وهذا أسعدني كثيرًا، لكن

بقي عندي قلق من صحة ما نقوم به، أفتونا مأجورين، جزاكم الله عنا كل خير.

الجواب:

الحمد لله؛ فقد قال ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»[(١)]، وفي رواية: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**»[(٢)]، وقال ﷺ: «**إن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة**»[(٣)]، ولم يكن مما أمر به النبي ﷺ وأرشد إليه التعاون على الذكر والاستغفار بتواطؤ جماعة على الالتزام بعدد من الذكر أو الاستغفار، وإنما أرشد أصحابه وأمته إلى الإكثار من ذكر الله ومن الاستغفار، وكان كل واحد من الصحابة والتابعين فمن بعدهم يقوم بما تيسر له من ذكر الله مطلقًا ومقيدًا، وما تيسر من الاستغفار كذلك، مع الاجتهاد في إخفاء أعمالهم، تحقيقًا لكمال الإخلاص إلا ما اقتضت الشريعة إظهاره؛ كالذكر بعد صلاة الجماعة، والتكبير في عشر ذي الحجة، والتكبير والتلبية في الحج، هذا؛ وقد استحسن بعض الجهلة في عصر التابعين أن يجتمعوا حلقًا في المسجد، فيقول أحدهم: سبحوا مئة، كبروا مئة، هللوا مئة، فرآهم أبو موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم جاء إلى ابن مسعود فذكر له ما رأى، فجاء ابن مسعود، وقال: «والذي نفسي بيده، إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة

(١) أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨)؛ من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.
(٢) عند مسلم (١٧١٨).
(٣) أخرجه مسلم (٨٦٧)؛ من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

محمد ﷺ أو مفتتحو باب ضلالة!»، قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن، ما أردنا إلا الخير، قال: «وكم من مريد للخير لن يصيبه»(١).

وبعد؛ فما ذكرتِه أيتها الأخت -من التواطؤ على الذكر والتسبيح والاستغفار مدة أسبوع في كل يوم عدد معين- هو شبيه كل الشبه بما أنكره ابن مسعود والصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، وهو مع ذلك -كما ذكرتِ أنت- مدعاة للرياء، فناصحي زميلاتك، فإن استجبن لك وإلا فانسحبي من بدعتهم، سلامة لدينك، ولا تقاطعيهم فيما ذكرتِ من الدروس والتلاوة.

ويشبه ما ذكرت من هذه الطريقة الخاطئة ما يقوم به بعض الأخوات من التواطؤ على أن تقرأ كل واحدة صفحات معلومة من القرآن، ثم تخبر زميلاتها بواسطة الواتس آب، فهو كذلك بدعة.

ويغني عن ذلك كله التواصي بكثرة الذكر والاستغفار وتلاوة القرآن، وكلٌّ يفعل من ذلك ما وفقه الله له فيما بينه وبين ربه.

وقد كنتِ موفقة حين وجدت القلق وعدم الارتياح، وأحسنت في السؤال والتثبت، هدى الله الجميع لمعرفة الحق واتباعه، والحذر من اتباع الهوى، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القصص]، نسأل الله أن يلهمنا جميعًا رشدنا، ويقينا شر أنفسنا.

- ❊ ▪ ❊ ▪ ❊ -

(١) أخرجه الدارمي في سننه (٢٠٤)، وصحح إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة (٥/ ١١).



فهرس الموضوعات

للاطلاع على قائمة حديثة
لمؤلفات الشيخ ومتجر الكتب:
امسح الرمز




ISBN 978-603-91628-5-8
9 786039 162858